



مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى لِلْعُلُومِ اللِّغَوِيَّةِ وَآدَابِهَا

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد الرابع والعشرون

محرم ١٤٤١ هـ - سبتمبر ٢٠١٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قواعد النشر

تُقبل الأعمال المقدمة للنشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها حسب المواصفات التالية:

- أ. يُقدم صاحب البحث المادة العلمية، ويُعبأ النموذج الخاص بالنشر.
- ب. يُطبع البحث على برنامج Microsoft Word بالخط العربي التقليدي Traditional Arabic بنظ ١٦ بمسافتين على وجه واحد؛ على ألا يزيد حجم البحث عن خمسين صفحة، بما فيها المراجع والملاحق والجداول.
- ج. تُرقم صفحات البحث ترقيماً متسلسلاً، بما في ذلك الجداول والأشكال وقائمة المراجع، وتُطبع الجداول والصور والأشكال واللوحات على صفحات مستقلة، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.
- د. يُرفق ملخصاً بالعربية والإنجليزية لجميع البحوث، بما لا يزيد عن مائتي (٢٠٠) كلمة.
- هـ. يشار إلى جميع الإحالات والتعليقات والهوامش آخر البحث، بالإشارة إلى عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والصفحة، عند الاقتباس المباشر. وترقم هذه الإحالات والتعليقات والهوامش تسلسلياً من بداية البحث حتى نهايته، وتكون مكتوبة بطريقة آلية وليست يدوية.
- و. تُعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن تُرتب هجائياً حسب اسم المؤلف كاملاً، متبوعاً بعنوان الكتاب أو المقال، ثم رقم الطبعة، فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو اسم المجلة (في حالة المقال)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب)، وتاريخ النشر. أما في حالة المقال فيضاف رقم المجلة، أو السنة، والعدد، وأرقام الصفحات.
- ز. يُمنح الباحث نسختين من العدد الذي صدر فيه بحثه.

حقوق الطبع: تُعبئ المواد المقدمة للنشر عن آراء مؤلفيها، ويتحمل أصحابها مسؤولية صحة المعلومات والاستنتاجات، ودقتها. وجميع حقوق الطبع محفوظة للناشر (جامعة أم القرى)، وعند قبول البحث للنشر يتم تحويل ملكية النشر من المؤلف إلى المجلة.

التواصل مع المجلة: ترسل جميع الأعمال والاستفسارات مباشرة إلى رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها على البريد الإلكتروني: (jll@uqu.edu.sa) أو إلى/ إدارة مجلات الجامعة على البريد الإلكتروني: (usj@uqu.edu.sa).

الاشتراكات: يتم التنسيق بخصوص الاشتراكات مع إدارة المجلات العلمية بالجامعة.

رقم الإيداع (١٤٣٠/٢٣٥٩) وتاريخ (١٤٣٠/٣/١٨هـ) ردمد: ١٦٥٨/٤٦٩٤ (النسخة الورقية)
رقم الإيداع (٤٤٣٧) وتاريخ (١٤٤٠/٥/١٧هـ) ردمد: ١٦٥٨/٨١٢٦ (النسخة الإلكترونية)



مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى

لِلْعُلُومِ اللِّغَوِيَّةِ وَآدَابِهَا

مجلة دورية علمية محكمة نصف سنوية، تصدر عن جامعة أم القرى، لنشر الأبحاث العلمية الأصيلة في مجال اللغات وآدابها، وفروعها المختلفة ذات الصبغة اللغوية، وفي أطرها النظرية التطبيقية. وترحب المجلة بنشر جميع ما له علاقة بما سبق، من مراجعات كتب، وتقارير أبحاث مُؤَمَّلة، وتوصيات مؤتمرات وندوات وأنشطة علمية أخرى، وملخصات رسائل جامعية، باللغتين العربية والإنجليزية، والتي لم يسبق نشرها، أو تقديمها للنشر لدى جهات أخرى، وذلك بعد مراجعتها من قِبَل هيئة التحرير، وتحكيمها من الفاحصين المتخصصين.

المشرف العام

أ.د. عبد الله بن عمر بافيل
مدير الجامعة

نائب المشرف العام

أ.د. عبدالوهاب بن عبدالله الرسيني
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس هيئة التحرير

أ.د. عبدالرحمن بن حسن العارف

هيئة التحرير

أ.د. عبدالله بن سرحان القرني أ.د. ظافر بن غرمان العمري
أ.د. ياسين محمد أبو الهيجاء د. عبدالمجيد الطيب عمر
د. سعدة بنت طفيف الدعدي

أ.د. صالح بلعيد (عضو دولي خارجي - الجزائر)

أ.د. نهاد الموسى (عضو دولي خارجي - الأردن)

أعضاء الهيئة الاستشارية للمجلة

- ١- أ.د. إبراهيم بن سليمان الشمسان (أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك سعود)
- ٢- أ.د. سعد مصلوح (أستاذ اللسانيات بكلية الآداب بجامعة الكويت)
- ٣- أ.د. عياد بن عيد الثبيتي (أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى)
- ٤- أ.د. محمد محمد أبو موسى (أستاذ البلاغة بجامعة الأزهر بالقاهرة)
- ٥- أ.د. محمود إسماعيل صالح (أستاذ علم اللغة التطبيقي متعاون بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب - جامعة الملك سعود)
- ٦- أ.د. ناصر بن سعد الرشيد (أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك سعود)
- ٧- أ.د. نوال بنت إبراهيم الحلوة (أستاذ اللغويات بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن)
- ٨- أ.د. وليد أحمد العناتي (مدير برنامج نون والقلم لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها - الأردن)

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات و آدابها المحترم
جامعة أم القرى / السعودية
تحية طيبة وبعد،،،

نتقدم إليكم بفائق التحية والتقدير، و نهدىكم أطيب التحيات وأسمى الأمانى.

يسر معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسيف - ARCIF)، أحد مبادرات قاعدة بيانات "معرفة" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد أطلق تقريره السنوي الرابع للمجلات للعام ٢٠١٩، خلال الملتقى العلمي "مؤشرات الإنتاج والبحث العلمي العربي والعالمى في التحولات الرقمية للتعليم الجامعي العربي" بالتعاون مع الجامعة الأمريكية في بيروت بتاريخ ٣ أكتوبر ٢٠١٩.

يخضع معامل التأثير "Arcif إرشاف" لمجلس الإشراف والتنسيق الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب اسيا (الإسكوا)، مكتبة الإسكندرية، قاعدة بيانات معرفة، جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين نوى سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل "أرسيف Arcif" قام بالعمل على جمع ودراسة و تحليل بيانات ما يزيد عن (٤٣٠٠) عنوان مجلة عربية علمية أو بحثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (١٤٠٠) هيئة علمية أو بحثية في (٢٠) دولة عربية، (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها (٤٩٩) مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "أرسيف Arcif" في تقرير عام ٢٠١٩.

ويسرنا تهنئكم وإعلامكم بأن **مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات و آدابها** الصادرة عن **جامعة أم القرى**، قد نجحت بالحصول على معايير اعتماد معامل "أرسيف Arcif" المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها ٣١ معياراً، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنك الدخول إلى الرابط التالي: <http://e-marefa.net/arcif/criteria>

و كان معامل "أرسيف Arcif" لمجلتكم لسنة ٢٠١٩ (٠.٠٥). و نهنئكم بحصول المجلة على **المرتبة الأولى** في **تخصص الآداب** على المستوى العربي، مع العلم أن متوسط معامل أرسيف لهذا التخصص كان (٠.٠٢٦)، وصنفت في هذا التخصص ضمن الفئة (الأولى Q1).

و بإمكانكم الإعلان عن هذه النتيجة سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، و كذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل "أرسيف Arcif" الخاص بمجلتكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ. د. سامي الخزندار
رئيس مبادرة معامل التأثير
"أرسيف Arcif"





اتحاد الجامعات العربية

شهادة رقم (018-2020)

معامل التأثير العربي

العلم العربي

مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وأدبها
ISSN: 1658-8126

قد حصلت على معامل التأثير العربي لعام 2019 وقدرة 1.9

الاستاذ الدكتور محمود عبد العاطى



مدير مشروع معامل التأثير العربي

15 أكتوبر 2019 م

افتتاحية العدد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فيأتي صدور هذا العدد (الرابع والعشرون : محرم ١٤٤١هـ - سبتمبر ٢٠١٩م) وقد قامت المجلة بناءً على توجيهات سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي، وموافقة معالي مدير الجامعة، بإضافة عضوين دوليين خارجيين لهيئة التحرير، تحقيقاً لمواصفات ومعايير التصنيف الدولي للمجلات العلمية.

ويتزامن هذا مع إنجازين آخرين صدرا مؤخراً، أولهما حصول المجلة على شهادة معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (Arcif) الصادرة عن قاعدة البيانات العربية الرقمية (معرفة) للمحتوى العلمي لعام ٢٠١٩م، وكان ترتيبها الأول على المجلات العربية التي تهيأت للترشح في المرحلة النهائية وعددها (٥١) مجلة، في تخصص الآداب، وصُنِّفَتْ ضمن الفئة الأول (Q1) في هذا التخصص. والإنجاز الآخر هو حصول المجلة على شهادة معامل التأثير العربي (NSP) التابع لاتحاد الجامعات العربية لعام ٢٠١٩م، وقدره ١,٩، مما يعكس مدى التطور النوعي والبحثي والتقني والمعياري الذي تحقق للمجلة خلال هذا العام، وذلك ما سيكون له كبير الأثر إن شاء الله في التمهيد للدخول ضمن قاعدة بيانات المجلات والأبحاث العالمية المعروفة اختصاراً بـ (isi). وأملنا كبير في المرحلة القادمة، حسب ما هو محدد للمجلة من أهداف ورسالة ورؤية، وما هو موضوع لها من خطط استراتيجية، أن يكون لها حضور متميز وسط المجلات العلمية المحلية والإقليمية؛ لتواكب أحدث التوجهات العربية والدولية في البحث العلمي.

والله نسأل أن يكتب لأعمالنا التوفيق والقبول، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رئيس هيئة تحرير المجلة

أ.د. عبدالرحمن بن حسن العارف

المحتويات

البحوث باللغة العربية:

- جَماليّات الانتقال والتخلُّص في جزء عمّ.
د. عمر بن عبد العزيز المحمود..... ١٣ - ٨٩
- إشكالية النسخ في أقرب الموارد للشرتوني "دراسة في مادة المعجم والمداخل المعجمية".
د. عبدالله بن عيسى بن أحمد الفضيخ..... ٩١ - ١٦٧
- نحو أفق تلق في أدب الأطفال، دراسة نقدية في أسس نظرية التلقي عند "يأوس".
د. منى محمد صالح الغامدي..... ١٦٩ - ٢٢٧
- النكرة، حقيقتها وأقسامها واختلاف أحكامها النحوية.
د. حسن بن عُرْم بن محمّد الكعبيّ العمريّ..... ٢٢٩ - ٢٩٣
- التطور الدلالي لألفاظ حقل الكتابة في المدونة اللغوية العربية.
د. ذكرى يحيى القبيلي..... ٢٩٥ - ٣٦٥
- التواصل بالروائح والعطور في الخطاب الأدبي، مقارنةً تداوليةً لكتاب الثعالبى (من غاب عنه المطرب).
د. فهد إبراهيم سعد البكر..... ٣٦٧ - ٣٩٧
- دراسة في أقدم نصّ مكتوب باللغة العربيّة، نصّ عجل بن هفعم.
د. مي فاضل جاسم الجبوري..... ٣٩٩ - ٤٤٩

جَمَالِيَّاتُ الْإِنْتِقَالِ وَالتَّخْلِصِ فِي جِزءِ عَمِّ

د. عمر بن عبد العزيز المحمود

الأستاذ المشارك في قسم البلاغة والنقد
كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

جَمَالِيَّاتُ الْإِنْتِقَالِ وَالتَّخْلِصُ فِي جِزءِ عَمِّ

د. عمر بن عبد العزيز المحمود

الملخص:

اعتنى العلماء منذ القدم بكتاب الله ﷻ، يتدارسون خصائص نظمه ويستجلبون طرائق أساليبه، ويوضِّحون وجوه التعبير فيه، ومن أسراره وعجائبه التي لاحظوها: ارتباط سوره وآياته ومشاهده بعضها ببعض حتى كانت كالكلمة الواحدة، فمع نزول القرآن منجماً في أحوالٍ وأغراضٍ ومعانٍ مختلفةٍ على مدى ثيِّفٍ وعشرين سنة إلا أنَّ ثمة ترابطاً محكماً بين تلك السور والآيات والمشاهد، وستحاول هذه الدراسة أن تقف عند جماليات الانتقال في القرآن الكريم، وتتلّمس الأسرار البلاغية للتخلص في مشاهده، من خلال سور جزء عمّ التي كانت معظمها مكيةً مبكّرة النزول، حيث تسعى الدراسة إلى الكشف عن الأثر الذي يتركه حسن الانتقال بين مشاهد السورة الكريمة في تقرير عقيدة التوحيد لدى مخاطبته مشركي مكة في أوائل عصر الإسلام، وكيف استثمر القرآن هذا الفنّ المتميّز في طرح موضوعاته التي تضمّنتها تلك السور.

الكلمات المفتاحية: الانتقال - التخلص - جماليات - جزء عم - بلاغة.

Aesthetics of Transitions in Juz Amma

Abstract:

For years ago, Researchers care about God's holy book (Quraan), studying its features and explaining its esoteric methods as well as unveiling its multi sided expressions. One of the mysteries they noticed is the connection of the Quraan chapters (surahs), verses (ayat) and scenes as if they are one word.

Along with the revelations of the quraan, although its various meanings and contexts within more than twenty years, there is strong correlation between these chapters, verses and scenes. Thus, this study attempts to shed light on the rhetorical mysteries of the scenes' transitions in Juz Amma chapters which are mostly "meccan surahs" that are revealed early. So, this study strives to to uncover the impact that is left upon good transitions within Juz Amma scenes which ascertain the doctrine monotheism in addressing Mecca polytheists at early Islam. In conclusion, this study shows how Quraan invested and exploited this distinguished art (transitions) to discuss its subjects and compositional techniques which are included within Juz Amma chapters.

keywords: moving in, Disposal, Aesthetics, Part of ama, eloquence

المقدمة:

لم يكن إعجاز القرآن الكريم مقصوراً على منحى واحد، بل شمل إعجازه المناحي كلها، بما فيها عظمة التعبير البياني الذي كان أبرز مجالات الإعجاز فيه حين نزل على نبينا محمد ﷺ؛ ذلك أن العرب في تلك الفترة كانوا أهل فصاحة وبلاغة، وقد بلغوا أوج مستويات الإفصاح والبيان، فكان القرآن الكريم بما احتوى عليه من إعجازٍ بيانيٍّ وتعبيريٍّ مُذهلاً لهم.

وقد اعتنى العلماء منذ القدم بكتاب الله ﷻ، يتدارسون خصائص نظمه ويستحلون طرائق أساليبه، ويوضّحون وجوه التعبير فيه، فعرضوا لحقائقه ومجازاته، وتشبيهاته واستعاراته، وكنائياته وبدائعه، إلى غير ذلك من فنونه وأسراره التي لا تنقضي.

ومن أسراره وعجائبه التي لاحظها العلماء: ارتباط سوره وآياته ومشاهده بعضها ببعض حتى كانت كالكلمة الواحدة، فمع نزول القرآن منجّماً في أحوالٍ وأغراضٍ ومعانٍ مختلفةٍ على مدى تيّفٍ وعشرين سنة إلا أن ثمة ترابطاً محكماً بين تلك السور والآيات والمشاهد، حيث جاءت كلُّ سورةٍ وكلُّ آيةٍ وكلُّ مشهدٍ في مكانه المناسب بالنسبة إلى ما قبله وإلى ما بعده، وسموا هذا الترابط وذلك التناسق التناسب أو المناسبة، ورتبوا عليه علماً من علوم القرآن سموه (علم المناسبات)^(١).

ولهذا فإنّ من ملامح الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم قوّة تصرّفه في أفانين القول، وروعة أسلوبه، وتناغم سياقاته، والتحام أجزائه، حتى إنك لترى السورة كالأية الواحدة من شدّة تناسب أجزائها، وانسجام مشاهدتها، وهو ما يساعد المتلقي على الإصغاء إلى آيات السورة الكريمة، واستيعاب ما فيها من موضوعات

ومقاصد، ونشاط فكره وذهنه نشاطاً يساعده على التأمل والتدبر في ألفاظه ومعانيه.

وستحاول هذه الدراسة أن تقف عند جماليَّات الانتقال في القرآن الكريم، وتتلَمَّس الأسرار البلاغية للتخلُّص في مشاهد السور، ووقع اختياري على جزء عمِّ ميداناً تقوم عليه الدراسة، حيث إنَّ معظم سوره مكيَّةً مبكِّرةً النزول، تخاطب المشركين في أوائل الدعوة الإسلامية، أولئك الذين وقفوا في وجه الدعوة، وأذوا رسولها وأتباعه المؤمنين، وسخروا منهم، فجاءت هذه الآيات متناسبةً مع أحوال تلك الفترة، ومراعيةً لمقاماتها، فغلب على هذا الجزء قصار السور ذات الفواصل القرآنية العذبة، والإيقاعات الخفية، والتراكيب المتوازنة، ومن هنا كنتُ مشدوداً إلى الأثر الذي يتركه حسن الانتقال بين مشاهد السورة الكريمة في تقرير عقيدة التوحيد لدى مخاطبته مشركي مكة في أوائل عصر الإسلام، وكيف استثمر القرآن هذا الفنَّ البلاغيَّ المتميِّز في طرح موضوعاته التي تضمَّنتها تلك السور، مقتصرًا على ترابط المشاهد داخل السورة الواحدة.

ولتحقيق ذلك فقد تناولت أبرز الأغراض التي تربط بين مشهد ومشهد وفصل وفصل، وتُحسِّن الانتقال في جزء عم، وهي: التقرير والإنكار، والتدليل والتعليل، والتسلية والتبشير، وذكر النموذج.

تمهيد

- الانتقال والتخلص:

عرّف البلاغيون هذا اللون البديعي بأنه انتقال المتكلم من فنٍّ إلى آخر بأحسن أسلوب مع تلطّفٍ وحسن تخلُّص، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدّة الالتئام بينهما كأنهما أفرغا في قالبٍ واحد^(٢)، وقد ورد عند البلاغيين بأسماءٍ كثيرة منها: الخروج أو حسن الخروج، والتخلُّص أو حسن التخلُّص أو براعة التخلُّص، والمخلص أو حسن المخالصة^(٣).

وأول من ذكر هذا الفنّ من البلاغيين هو ابن المعتز وعدّه من محاسن الكلام^(٤)، كما ذكره أبو هلال العسكري وسمّاه (الخروج من النسيب إلى المدح وغيره)^(٥)، ثم تتابع البلاغيون بعد ذلك يوردونه بهذا المعنى كابن الأثير^(٦) وابن منقذ^(٧) وابن أبي الإصبع^(٨) وابن حجة^(٩) وغيرهم من البلاغيين.

وقد حلّص السجلماسي في منزعه هذا الفنّ البديعيّ وبينّ وظيفته بدقة حين قال عنه: «هو إرادة المتكلم وصف شيءٍ وهو إنما يريد آخر، ومن شروط هذا النوع لطف التخلُّص ورشاقته، وشرف التغلغل وفخامته، واستقصاء المعنى وغرابته، وقرب المقصد ومناسبته، انبساطاً روحانياً وطرباً نفسياً»^(١٠)، واللافت هنا أن السجلماسي وضع في تعريفه ضوابط مهمة لهذا الفن، إذ اشترط وجود وصف يهيئ للغرض بعده، فإذا خلا الكلام من تهيئة وانتقل إلى غرض آخر لا يعد تخلصاً، بل من باب المناسبة، وهو ما عليه شعر القدماء وعليه معاني القرآن وأغراضه.

واللافت أنّ الخطيب القزويني لم يُدخله ضمن المحسّنات البديعية، بل جعله ضمن فصلٍ أحقه بالبديع وسمّاه (مواضع التأنق في الكلام)^(١١)، ولما ذكر رعاية

الملاءمة بين الكلامين علَّق الصعيدي على ذلك بقوله: «الحقُّ أنَّ حسن التخلُّص بهذه الملاءمة يكون من المحسِّنات البديعية»^(١٢). ومهما يكن فإنَّ حسن الانتقال والتلطف في الخروج من كلامٍ إلى كلامٍ آخر مع رعاية الملاءمة والتناسب بين الكلامين يدلُّ على حدِّق المتكلم وقوَّة تصرُّفه، كما أنه يُحرِّك نشاط السامعين ويساعد على إصغائهم.

وحسن الانتقال أو التخلُّص فنُّ بديعيٌّ ذهب إليه المحدثون من الشعراء، وقلما فات واحداً منهم في انتقاله من غرضٍ إلى غرض، أما الشعراء القدماء فلم يذهبوا هذا المذهب في الخروج من غرضٍ إلى آخر، بل وُجد أكثرهم يخرج من وصف الإبل وذكر الديار والنسيب إلى ما قصد إليه بقوله: دع ذا أو عدِّ عن ذا وما أشبه ذلك، وقد سمَّى البلاغيون ذلك بالاقْتِضاب، الذي رأوا أنه انتقال المتكلم من كلامٍ إلى آخر من غير تمهيد أو تخلُّص حسن، وهو مذهب الشعراء الأوائل ومن يليهم من المخضرمين ومن يتقلَّد طريقتهم من المحدثين^(١٣).

لكنهم ذكروا أنَّ من الاقْتِضاب ما يقرب من التخلُّص وهو فصل الخطاب، كقول القائل بعد حمد الله: أما بعد، ومن الفصل الذي هو أحسن من الوصل لفظة (هذا)، وهي علاقةٌ وكيدةٌ بين الخروج من كلامٍ إلى كلامٍ آخر غيره، كقوله عز وجل: ﴿هُدًى ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص: ٤٩)، فقد انتقلت الآيات من غرضٍ إلى غرضٍ عن طريق لفظة (هذا)، وذلك من فصل الخطاب الذي هو أطف موقعاً من التخلُّص^(١٤).

وقد اختلف في وقوع التخلُّص في القرآن فقيل: لا يقع فيه لأنه يقع في الغالب متكلفاً، والقرآن لا تكلف فيه^(١٥)، وقيل: إنه قد وقع فيه، ومثَّلوا لذلك بأوائل سورة يوسف، فالسورة موضوعة لقصة يوسف، وقد افتتحت بذكر القرآن الكريم وبعض ما يتصل به، ثم تُخْلِص إلى قصة يوسف هذا التخلُّص البديع،

وكما في سورة المعارج فقد ذُكر في مطلعها عذاب الكافرين وأنه لا دافع له من الله، ووُصف الله ﷻ بذي المعارج تخلصاً إلى قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤)، وهذا من أطف التخلص وأحسنه^(١٦). ويحوي القرآن الكريم كثيراً من شواهد هذا الفن، ولعلّ قلة الشواهد التي يوردها البلاغيون عليه راجعة إلى دقته وخفائه، يقول ابن أبي الإصبع: «وهو دقيقٌ يكاد يخفى في غير الشعر إلا على الحاذق من ذوي النقد، وهو مبثوثٌ في الكتاب العزيز إذا تُتبع وُجد، كابتداء فصولٍ تجدها متنافرةً في الظاهر لما قبلها من الفواصل أو غيرها، فلا يكاد يجمع بينهما إلا بعد إنعام النظر، وتدقيق الفكر، هذا إذا كنت ممن له دربةٌ بهذه الصناعة»^(١٧).

وكلام ابن أبي الإصبع واضحٌ في بيان أهمية هذا الفن، وصعوبة الوقوف على أسراره ولطائفه، وهو ما دعا الباحث إلى محاولة تتبُّعه في القرآن الكريم، والسعي إلى الكشف عن بعض جماليَّاته؛ رغبةً في إضاءة جانبٍ من جوانب الإعجاز البلاغي للذكر الحكيم، عسى أن يُوفَّق في ذلك.

بقي أن أشير هنا إلى أن المفسرين كان لهم جهود في دراسة هذا الفن، إذ تناولوه تحت باب المناسبات بين الآيات والسور، وأوضحوا أن لهذا التناسب أربعة أنواع: التنظير والمضادة والاستطراد والانتقال، كما تحدثوا عن أنواع المناسبات؛ كمناسبة الآية للآية التي تليها، والمناسبة بين أول السورة وخاتمها، والمناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة التي تليها^(١٨).

- سور جزء (عمّ):

جزء (عمّ) هو الجزء الثلاثون الأخير من أجزاء القرآن، ويتدئ هذا الجزء بسورة (النبأ) وينتهي بسورة (الناس)، ويضمُّ سبعاً وثلاثين سورة هي: النبأ،

النازعات، عبس، التكوير، الانفطار، المطففين، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح، التين، العلق، القدر، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، النصر، المسد، الإخلاص، الفلق، الناس، و(عَمِّ) هي سورة النبأ، وقد سُمِّيَتْ بذلك لورود أول كلمة فيها؛ ولذلك فقد سَمَّاهَا بعض المفسِّرين بسورة (عَمِّ)^(١٩)، وسُمِّيَ هذا الجزء باسمها لأنها أول سورةٍ فيه.

وأغلب سور هذا الجزء مكية، وموضوعات السور المكية غالباً ما تُعنى بأصول العقيدة والدعوة إلى أصول الإيمان الاعتقادية من الإيمان بالله ﷻ، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والحشر والجزاء، والإيمان بالرسالة وصدق نبوته ﷺ، وإقامة الأدلة العقلية والكونية على كل ذلك، ومحاجَّة المشركين ومجادلتهم، وإقامة الحجة عليهم في بطلان عبادتهم الأصنام، وبيان أنها بمعزل عن الألوهية واستحقاق العبادة، إضافةً إلى ذكر قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم؛ تسليَّةً للنبي ﷺ، وليكون في قصصهم عبرة وعظة، وبيان أن دعوة الرسل جميعاً واحدة^(٢٠).

ولا عَجَبَ أن تكون الموضوعات على هذا النحو؛ فالمخاطبون كانوا قوماً لُدًّا، ذوي خصومةٍ وحجاج، وشدةٍ وضراوة، لكنهم في جاهليةٍ تُعمي وتُصم، منغمسين في حماة الشرك والوثنية، يشركون بالله، ويعبدون الأوثان، ويُتُكروَن الوحي، ويُكذِّبون بيوم الدين، ولا يُقرِّون بالنبوات ولا بالبعث وما بعده. ونظرةً واحدةً في سور هذا الجزء تُنبئك بأنَّ موضوعاتها لم تكن بدعاً من ذلك، فقد تحدَّثت أغلب هذه السور عن الأدلة الكونية والعقلية على قدرة الله ﷻ، وأنه هو وحده المستحق للعبادة، كما تحدَّثت عن الأدلة على وجود حياةٍ أخرى بعد هذه الحياة الدنيا بإيراد مشاهد مفرعةٍ من ذلك اليوم العظيم، وانقسام الناس

حينها إلى فريقين: فريق المؤمنين في الجنة - جعلنا الله منهم-، وفريق الكفار في جهنم وساءت مصيرا.

لقد كان لسور هذا الجزء «طابعها الخاص الذي يجعلها وحدةً على وجه التقريب في موضوعها واتجاهها وإيقاعها وصورها وظلالها وأسلوبها العام»^(٢١)، فهي تُركّز على «حقائق معينة قليلة العدد، عظيمة القدر، ثقيلة الوزن، وعلى إيقاعات معينة يلمس بها أوتار القلوب، وعلى مشاهد مُعَيَّنة في الكون والنفس، وعلى أحداثٍ مُعَيَّنة في يوم الفصل»^(٢٢).

وفي الجزء كَلِّه تركيزٌ على النشأة الأولى للإنسان والأحياء الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان، وعلى مشاهد هذا الكون، وعلى مشاهد القيامة العنيفة ومشاهد الحساب والجزاء، واتخاذ كلِّ ذلك دلائل على الخلق والتدبير والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة مع التقرُّيع بها والتخويف والتحذير^(٢٣). وقد تحدّثت بعض السور عن قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم والمصير الذي آلوا إليه لما كذَّبوا رسلهم، كقصة موسى عليه السلام مع فرعون في سورة النازعات، وقصة صالح عليه السلام مع قومه في سورة الشمس، كما تحدّثت بعضها عن امتنان الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعلى قومه كما في سور الضحى والشرح والقدر والفيل وقريش، وغيرها.

وقد تتحدّثت بعض السور عن التهديد والوعيد الذي سيلقاه بعض من آذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصدَّ الناس عن دعوته، أو من اشتُّهر بأفعاله الذميمة من الكفار حتى نزل به وبأمثاله آياتٌ تحكي هذه الأفعال والعذاب الذي ينتظره، وتوضح مثل هذه الموضوعات في سور العلق والهمزة والماعون والمسد^(٢٤).

ولم تختلف السور المدنية في هذا الجزء كثيراً عن السور المكية في الموضوع، فبرى مشهداً من مشاهد يوم القيامة في سورة الزلزلة، وإثباتاً للوحي ونبوة الرسول ﷺ وجزاء المؤمنين والكافرين في سورة البينة، وامتنان الله ﷻ على نبيه ﷺ بنصره العظيم وفتحه المبارك ودخول الناس في الإسلام في سورة النصر.

- التقرير والإنكار:

من أهم الأغراض البلاغية التي يلحظها المتأمل في الانتقال من مشهد إلى مشهد في سور هذا الجزء التقرير والإنكار، حيث يتحدث القرآن الكريم في مواضع كثيرة من هذا الجزء عن قضية أو أكثر من قضايا الإيمان الرئيسة، ثم ينتقل إلى مشهد آخر قد لا يبدو وثيق الصلة بما قبله، غير أن الذي يجيل النظر ويطيل التدبر بين المشهدين يلحظ أن العلاقة وثيقة بينهما، وأن الانتقال من المشهد السابق إلى المشهد اللاحق انتقالاً بديعاً وتخلصاً معجزاً، حيث تتمحور هذه العلاقة في تقرير ما كان القرآن يثبت في المشهد الأول من حديث عن أصول من أصول الدعوة الإسلامية التي كانت سور جزء عمّ تسعى إلى إثباتها وترسيخها في النفوس والعقول، والإنكار على المشركين الذين كذبوا بهذه الدعوة، وأنكروا أصولها، وسخروا من رسولها، وصدّوا عنه وآذوه، حيث أسهمت كثير من الانتقالات بين مشاهد سور هذا الجزء في تقرير هذه الأصول، والإنكار على من كذب بها، ولعلّ وقوفاً على نماذج من ذلك يكشف عن مدى اهتمام القرآن الكريم بهذا الغرض البارز الذي أدته تلك الانتقالات.

يقول الحق ﷻ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نُجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: ١-٧).

تقوم سورة النبأ على إثبات البعث بالأدلة المختلفة، فهو موضوعها الرئيس، حيث ابتدأت بوصف تساؤل المشركين عن يوم القيامة، ثم الإخبار عنه وما يتبعه من النشور والجزاء، وأعقبته بتهديد المشركين على إنكارهم إياه، ثم أقامت الأدلة والبراهين على إمكانه بتعداد مظاهر قدرة الله ﷻ على الخلق والإبداع، ووصفت ألوان عذاب الكافرين وأنواع نعيم المتقين.

وافتشحت السورة باستفهامٍ عن تساؤل جماعةٍ عن النبأ العظيم، وفي هذا الافتتاح تشويقٌ ثمَّ تهويلٌ لما سيذكر بعده، فهو من الفواتح البديعة لما فيه من أسلوبٍ عزيزٍ غير مألوف، ومن تشويقٍ بطريقة الإجمال ثمَّ التفصيل ليمكن الخبر الآتي بعده في نفس السامع أكمل تمكُّن^(٢٥).

والضمير في (يتساءلون) يعود على أهل مكة وإن لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم حسناً، مع ما في الترك من التحقير والإهانة؛ للإشعار بأنَّ ذكرهم ممَّا يُصان عنه ساحة الذكر الحكيم^(٢٦)، ويجوز أن يكون التساؤل مستعملاً في حقيقته بأن يسأل بعضهم بعضاً سؤال متطعٍ للعلم؛ لأنهم حينئذٍ لم يزالوا في شكٍّ من صحة ما أنبئوا به، ويجوز أن يكون مستعملاً في المجاز الصوري بأن يتظاهروا بالسؤال وهم موقنون بانتفاء وقوع ما يتساءلون عنه، فيكون قصدهم الإنكار والاستهزاء والسخرية والتهكُّم، والاستفهام ب(ما) في هذه الآية مستعملٌ في التشويق إلى تلقي الخبر^(٢٧)، «وإيثار المضارع للدلالة على كثرة ذلك التساؤل وتكراره، وكونه كان ديدناً لهم لا تخلو منه لقاءاتهم ولا مجالسهم»^(٢٨).

والنبأ العظيم هو البعث ويوم القيامة؛ ووصفه بالعظيم زيادةً في التنويه به، وفي هذه الآية بيانٌ لشأن المسؤول عنه إثر تفخيمه بإبهام أمره، وإيراده على طريقة الاستفهام من علاَم الغيوب للتنبيه على أنه خارجٌ عن دائرة علوم الخلق^(٢٩)، وفي

وصف هذا النبأ باختلافهم تأكيداً لخطره وإشعاراً بمدار التساؤل عنه^(٣٠)، وجيء بالجملة الاسمية في صلة الموصول لتفيد أنّ ذلك الاختلاف متمكّنٌ منهم ودائمٌ فيهم^(٣١)، وتقديم (فيه) للاهتمام بالمرور، وللإشعار بأنّ الاختلاف ما كان من حقّه أن يتعلّق به، مع ما في ذلك من رعايةٍ للفاصلة^(٣٢).

ثم لا يُجيب عن التساؤل، ولا يدلي بحقيقة النبأ المسؤول عنه، فيتركه بوصفه العظيم، وينتقل إلى التلويح بالتهديد الملفوف، وهذا أوقع من الجواب المباشر وأعمق في التخويف، وفي هذا التهديد ردعٌ للمتسائلين هزواً، ومعنى (ثم) الإشعار بأنّ الوعيد الثاني أبلغ من الوعيد الأول وأشد، فتكرير الردع مع الوعيد دليلٌ على غاية التهديد^(٣٣)، وموقع هذه الجملة موقع الجواب عن السؤال؛ ولذلك فُصلت ولم تُعطف لأنّ ذلك طريقة السؤال والجواب.

وبهذا التهديد المرعب يحتمم القرآن الكريم مشهد تساؤل المشركين عن النبأ العظيم لينتقل بالسامع إلى مشهدٍ آخر، يفتتحه باستفهامٍ جديد، يمتدُّ عن طريق العطف إلى بقية الآيات التي تُجسِّده، وهو مشهدٌ يأخذ المتلقي في جولةٍ سريعةٍ مهيبيةٍ في أرجاء هذا الكون الواسع، ويكشف له عن حشدٍ هائلٍ من الصور والمشاهد الكونية التي تفصح بما لا يدع مجالاً للشكّ في قدرة المولى ﷻ المطلقة على التدبير والتقدير.

وفي هذا الانتقال اللطيف بين المشهدين أسرارٌ بلاغيةٌ وجماليةٌ تكشف عن قوة الصلة بينهما، مع ما يبدو للوهلة الأولى من بُعدٍ بينهما؛ ولذا حرص الزمخشري على الكشف عن الوشائج التي تربط بين مشهد التساؤل ومشهد هذه الجولة الكونية، يقول: «فإن قلت: كيف اتصل به قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ قلتُ: لما أنكروا البعث قيل لهم: ألم يخلق من يُضاف إليه البعث هذه

الخلايق العجيبة الدالة على كمال القدرة؟ فما وجه إنكار قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات؟ أو قيل لهم: ألم يفعل هذه الأفعال المتكاثرة؟ والحكيم لا يفعل فعلاً عبثاً، وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤدّى إلى أنه عابثٌ في كلّ ما فعل!«^(٣٤).

فالصلة بين المشهدين صلة تقرير وإنكار، فإنّ المولى ﷺ لَمَّا أثبت في المشهد الأول تساؤلهم عن البعث واختلافهم فيه انتقل إلى هذا المشهد الكوني ليقرّر لهم أنه قادرٌ على البعث، ولينكر عليهم اختلافهم فيه، وذلك من خلال أسلوب الاستفهام الذي قصد منه التعجّب من عدم إيمانهم بيوم القيامة وما يحصل فيه من البعث والنشور والحساب مع أنهم يرون هذه الآيات الباهرة التي تدلّ على قدرة خالقها ومسيرها على كلّ شيء.

يقول البقاعي مؤكّداً على هذه الصلة بين المشهدين: «ولَمَّا حَقَّق لهم أمره تحقيقاً من هو على غاية الوثوق بما يقول، دلّ على ذلك بما لا يحتمل شكّاً ولا وقفَةً أصلاً، فقال مُقرِّراً لهم، ومنكراً عليهم التساؤل بما ندب إليه من التأمل، وقرّر به من النظر في باهر آياته وغرائب مخلوقاته التي أبدعها من العدم دلالةً تامّةً عظيمةً على كمال القدرة مع تمام الحكمة الموجب للقطع بكلّ ما تبّهت عليه الرسل من الشرائع والبعث والجزاء: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾»^(٣٥).

لقد كشفت هذه النظرات المتأمله عن مناسبة هذا المطلع المشوّق والمخيف لما جاء بعده من مشاهد، حيث كان محور السورة يدور حول إثبات عقيدة البعث التي تساءل عنها المشركون بسخرية واستهزاء وتهكّم في هذا المطلع؛ ولذا جاءت بقیة آيات السورة مُقرِّرةً ومنكرةً لتقييم الدلائل والبراهين على قدرة ربّ العالمين، وتوجّه أنظار هؤلاء المتسائلين هزواً وقلوبهم إلى هذا الحشد من الخلايق والظواهر التي تشي بما وراءها من التدبير والتقدير، والقدرة على الإنشاء

والإعادة، والحكمة التي لا تدع أمر الخلائق سُدىً بلا حسابٍ ولا جزاء، ومن هنا تلتقي هذه المقاطع بالنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، فإنَّ الذي يقدر على خلق العجائب والبدائع لا يعجزه إعادة خلق الإنسان بعد فناءه.

ومن النماذج التي برز فيها التقرير والإنكار بوصفه غرضاً بارزاً من أغراض الانتقال بين مشهدين في سور هذا الجزء ما يلحظه المتأمل في قوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾، إلى نهاية قصة موسى وفرعون، ثم قوله ﷻ بعد ذلك: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ حَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ ۖ بَنَاهَا﴾ (النازعات: ١٥-٢٦، ٢٧).

فقد كان القرآن الكريم يعرض مشاهد سريعة من قصة موسى ﷺ مع فرعون الذي طغى وكذب به وبدعوته وأدعى الربوبية، فأهلكه الله ﷻ وجعله عبرة لمن يعتبر، ثم انتقل المشهد القرآني إلى خطابٍ عامٍ يدخل فيه منكرو البعث دخولاً أولياً، يستفهم فيه عن أيَّهما أصعبُ وأشدُّ على المولى ﷻ في تقديرهم: خلقهم أم خلق السماء والأرض والجبال، وغيرها من مشاهد الطبيعة التي يعاينونها بأبصارهم في كلِّ وقت.

واللافت أنَّ غالب المفسرين الذين توقفوا عند هذا المشهد لا يربطون بينه وبين مشهد قصة موسى وفرعون، بل يغفلون وجود صلةٍ بين المشهدين، ويرون أنَّ مشهد السماء يتصل اتصالاً وثيقاً بالمشهد الأول من السورة، ذلك الذي يحكي فيه القرآن إنكار المشركين للبعث، حين قالوا: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نُحْرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (النازعات: ١١، ١٢)، وكأنهم يعدُّون قصة موسى مشهداً معترضاً بين المشهدين؛ ولذا يقول الرازي بعد أن فسَّر آيات مشهد قصة موسى: «ثم اعلم أنه تعالى لَمَّا ختم هذه القصة رجع إلى مخاطبة منكري

البعث»^(٣٦)، ويقول أبو السعود عن مشهد السماء أنه «خطابٌ لأهل مكة المنكرين للبعث بناءً على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكييت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾»^(٣٧) (النازعات: ١٣).

غير أنّ من يتأمل في المشهدين، ويطيل النظر في العلاقة بينهما سيلحظ صلةً وثيقةً ولطيفةً جعلت الانتقال من أولهما إلى الثاني في قِمة الإعجاز والبلاغة، وهو انتقالٌ يتخذ من معنى التقرير والإنكار مرتكزاً ينطلق منه في كون العلاقة بين المشهدين في غاية التناسب والانسجام، ويخدمان في الوقت نفسه الفكرة الرئيسة للسورة الكريمة، ويتناغمان مع أجواء بقية المشاهد التي تُكوّنها.

وبيان ذلك أنّ من أغراض إيراد قصة موسى عليه السلام بيان مدى الطغيان الذي بلغ فرعون، وكيف أنّ جرأته على الله تعالى تجاوزت كلّ حد، بسبب اغتراره بما أُوتي من ملكٍ وقوّة، حتى وصل به الأمر إلى ادّعاء الربوبية، والتكذيب بالرسول الذي أرسل إليه، فماذا كان مصيره؟ وكيف أضحى ماله؟ أهلكه المولى تعالى وأخذه أخذ عزيزٍ مقتدر، وصوّر هذا المآل بعبارةٍ قصيرةٍ وجيزةٍ ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ تكشف عن مدى قدرة المولى تعالى على هذا الطاغية وأمثاله، ومدى هوانهم عليه جلّ شأنه، وفي ذلك تهديدٌ وتحذيرٌ ووعيدٌ لغيره ممّن يتجرأ على الله تعالى، ويعصي رسله أو يسخر منهم.

ومن هنا جاء الخطاب لمشركي مكة في مطلع المشهد الثاني، حيث إنّ المتفكّر في مصير فرعون وهو من هو في الملك والقوّة، ينبغي أن يعي سعة قدرة المولى تعالى ومدى انتقامه، وهذا من شأنه أن يزرع في القلوب الخشية، ويبعث في النفوس الخوف والرهبة منه سبحانه، ولذلك ختم القرآن مشهد قصة موسى عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾، وإذا كان الله تعالى أهلك فرعون

الذي هو أعظم قوَّة من مشركي مكة المنكرين للبعث، فإنَّ قدرته عليهم من باب أولى، وحتى لو لم يحصل الاعتبار بهذه القصة وادَّعوا أنهم يتفوقون على فرعون فهلاً نظروا إلى ما فوقهم من سماء، وأبصروا ما تحتهم من أرض، وتفكَّروا فيما حولهم من جبال، ثم تدبَّروا في أنفسهم وعقدوا مقارنةً بينها وبين هذه المخلوقات من حيث صعوبة خلقها وإنشائها على المولى ﷺ في تقديرهم المتقاصر! حينها سيدركون أنَّ القادر على خلق مخلوقاتٍ بهذه العظمة وتلك الضخامة سيكون من باب أولى قادراً على خلقهم وإعادة إحيائهم.

وقد تنبَّه بعض المفسرين المعاصرين إلى هذه الصلة بين المشهدين، وسعى إلى الكشف عمَّا بينهما من علاقةٍ وثيقة، فقال بعد تفسيره لمشهد قصة موسى: «لما كان فرعون على تلك المثابة من الطغيان والكفر، وكان من أسباب طغيانه الملك والقوَّة كما في قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ (الفجر: ١٠)، وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٤)، وقوله عنه: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۗ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١)، وهذه كلها مظاهر طغيانه وعوامل قوته، خاطبهم الله بما آل إليه هذا الطغيان، ثم خاطبهم في أنفسهم مُحذِّراً من طغيان القوة ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾، حتى لو ادَّعيتم أنكم أشدُّ قوَّة من فرعون الذي أخذه الله نكال الآخرة والأولى، فهل أنتم أشدُّ خلقاً أم السماء؟» (٣٨).

ويعتمد القرآن على التقرير والإنكار بوصفهما من أبرز العلاقات بين المشاهد في سور جزء عمِّ، ولا عجب في ذلك؛ حيث إنَّ أغلب سورهِ مبكِّرة النزول، وتُخاطب مشركي مكة، وكان تقرير أصول الإيمان والإنكار على مَنْ كفر بها من

أهمّ الأساليب التي يؤكّد عليها القرآن في تلك الفترة، ومن النماذج الدالّة على ذلك ما يجده المتأمل في قوله ﷻ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار: ١-٦).

فقد تحدّثت سورة الانفطار عن مشاهد الانقلاب الذي يحدث في الكون، وعن جحود الإنسان وكفرانه لنعم ربّه بسبب إنكاره للبعث والحساب في ذلك اليوم العظيم الذي فيه ينقسم الناس إلى فريقين: أبرار وفجار، كما أنّها أكّدت على سعة علم المولى ﷻ من خلال حفظه لأعمال عباده استعداداً للمحاسبة عليها.

وقد صوّر القرآن الكريم في المشهد الأول صوراً للانقلاب الكوني الذي سيقبأ أحداث يوم القيامة، حيث إذا وقعت هذه الأمور يحصل الحشر والنشر، وتعلم كلُّ نفسٍ ما قدّمت وأخّرت من أعمالٍ في هذه الدنيا، وبما أنّ المراد من هذه الآيات تغيير العالم وفناء الدنيا فإنه يُلاحظ الترتيب، فبدأً أولاً بتخريب السماء التي هي كالسقف، ويلزم من تخريب السماء انتشار الكواكب، ثم يُخرب ما على وجه الأرض التي هي كالبناء وهو تفجير البحار، ثم تُقلب الأرض ظهراً لبطنٍ وبطناً لظهر، وهو بعثرة القبور^(٣٩).

ثم انتقل السياق في المشهد الثاني إلى خطاب الإنسان، والإنكار عليه وتوبيخه على جحوده لنعم ربّه واغتراره بجوده وكرمه عليه، والنداء هنا للتنبيه تنبيهاً يُشعر بالاهتمام بالكلام والاستدعاء لسماعه، أمّا المقصود بالإنسان هنا فقد روى السيوطي أنّ هذه الآية نزلت في أبي بن خلف^(٤٠)، والأصح أنّ الآية تتناول جميع العصاة؛ لأنّ خصوص السبب لا يقدر في عموم اللفظ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي من أجله نزلت الآية.

وقد لا يلحظ المتلقي ذو النظرة العجلى صلةً بين المشهدين، حيث تخفى عليه العلاقة بين مشاهد الانقلاب الكوني التي تنبئ بحدوث البعث، وبين خطاب الإنسان وتوبيخه على جحوده لربه واغتراره بكرمه، غير أنَّ المتدبِّر المتأمل طويلاً بين المشهدين سيدهش من الصلة الوثيقة بينهما، وسيعجزه ذلك الانتقال البديع والتخلص الباهر الذي يجده بين مشاهد هذه السورة الكريمة.

وتتضح جماليَّات الانتقال في المناسبة اللطيفة بين المشهدين، فبعد أن كشف القرآن عن مشاهد الانقلاب الكوني أوضح أنه إذا حدثت هذه الأمور فإنَّ كلَّ نفسٍ ستدرك ما قدَّمت من عملٍ خيرٍ أو شرٍ، وما أُخِّرت من الأعمال بسبب التكاثر والإهمال، وفي هذا زجرٌ عن المعصية وترغيبٌ في الطاعة^(٤١)، والمقصود «جميع النفوس بالإنباء والحساب، وبما يجعل لها ﷻ بقوة التركيب من ملكة للاستحضار.. والدالُّ على إرادة العموم التعبير بالتنكير في سياق التخويف والتحذير»^(٤٢)، «وإثبات العلم للناس بما قدَّموا وأخَّروا عند حصول تلك الشروط لعدم الاعتداد بعلمهم بذلك الذي كان في الحياة الدنيا، فنزِّل منزلة عدم العلم»^(٤٣).

وحيث أخبر المولى ﷻ بأنَّ النفوس في ذلك تعلم ما عملت من خيرٍ أو شرٍّ وهذا يدعوها إلى الإيمان بالبعث والنشور والحساب، ومن ثمَّ استثمار هذه الدنيا بالأعمال الصالحة والتقرب إلى الخالق العظيم والتوبة من كلِّ ذنبٍ أو شرٍ، فما الذي دعا الإنسان إلى فعل عكس ذلك؟ وما الذي جعله يشرك ويكفر ويفعل الشرور؟ وأيُّ سببٍ أدَّى به إلى الاغترار بربه الكريم الذي خلقه وأفاض عليه بالنعم؟ إنَّ هذا الأمر محلُّ استنكارٍ وتعجبٍ، وهو في الوقت نفسه توبيخٌ وتقريعٌ وزجرٌ ووعيدٌ، خاصَّةً أنَّ هذا الاستفهام يأتي بعد مشهدٍ مخيفٍ مرعبٍ، ينقلب فيه الكون، وتتغيَّر فيه نواميس الحياة.

يقول أبو السعود محاولاً الكشف عن العلاقة بين المشهدين: «أَيُّ شَيْءٍ خَدَعَكَ وَجَزَّكَ عَلَى عَصِيانِهِ وَقَدْ عَلِمْتَ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ الدَّوَاهِي التَّامَّةِ وَالْعِرَاقِيلِ الطَّامَةِ وَمَا سَيَكُونُ حِينئِذٍ مِنْ مُشَاهِدَةِ أَعْمَالِكَ كُلِّهَا؟»^(٤٤)، أَي أَنَّ حُصُولَ هَذِهِ الْمَشَاهِدِ سَيَسْتَدْعِي يَقِينِ النُّفُوسِ بِمَا قَدَّمْتَهُ مِنْ أَعْمَالٍ، وَهَذَا يَسْتَدْعِي الْإِنْكَارَ عَلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي يَدُلُّ فِعْلُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى إِنْكَارِهِ لِهَذِهِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ، حَيْثُ جَحَدَ نَعَمَ رَبِّهِ وَاعْتَرَّ بِكَرَمِهِ وَحِلْمِهِ.

ويؤكِّد البقاعي على هذه الصلة من خلال النصِّ على غرض الإنكار الذي يربط بين المشهدين، فيقول بعد أن فسَّر آيات المشهد الأول: «ولما كان ذلك خالِعاً للقلوب، وكان الإنسان إذا اعتقد البعث قد يقول تهاوناً ببعض المعاصي: المرجع إلى كريمٍ ولا يفعل بي إلا خيراً، أنتج قوله منادياً بأداة البعد لأنَّ أكثر الخلق مع ذلك معرض، منكرًا ﷺ على مَنْ يقول هذا اغتراراً بخدع الشيطان إنكاراً يهدُّ الأركان»^(٤٥)، وهو تفسيرٌ واضحٌ في التأكيد على أنَّ إنكار الإنسان لما قبله من حقائق هو الذي استدعى هذا المشهد الذي يخاطبه فيه القرآن، ويستفهمه منكرًا ومُوجِّحًا ومُهدِّداً.

وأشار بعض المفسِّرين إلى علاقاتٍ أخرى غير هذه العلاقة، حيث ذكروا أنَّ مشهد خطاب الإنسان بمثابة الدليل على ما قبله من مشاهد البعث والنشور والجزاء، والبرهان على صحَّة هذه الأصول الإيمانية، فالنيسابوري يقول قبل شروعه في تفسير المشهد الثاني: «ولما أخبر عن وقوع الساعة والحشر بيِّن ما يدلُّ عليه عقلاً»^(٤٦)، ونجد تفسيراً أكثر وضوحاً عند الرازي الذي أبان عن أنَّ ذلك من وجهين، الأول: أنَّ الإله الكريم الذي لا يجوز من كرمه أن يقطع موادَّ نعمه عن المذنبين، كيف يجوز في كرمه ألا ينتقم من الظالم؟ والثاني: أنَّ القادر على خلق هذه البنية الإنسانية ثمَّ سَوَّاهَا وَعَدَلَهَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَبَثاً بَلْ لِحِكْمَةٍ عَائِدَةٍ إِلَى الْعَبْدِ تَظْهَرُ فِي دَارِ الْجَزَاءِ، وَهَذَا يَثْبِتُ أَنَّ الْاعْتِرَافَ بِوُجُودِ الْإِلَهِ الْكَرِيمِ الَّذِي

يقدر على الخلق والتسوية والتعديل ويوجب على العاقل أن يقطع بأنه ﷻ يبعث
الأموات ويحشرهم^(٤٧).

وذهب بعض المعاصرين إلى أنَّ مشهد خطاب الإنسان المغتَرِّ ما هو إلا
«استئنافٌ ابتدائيٌّ؛ لأنَّ ما قبله بمنزلة المقدِّمة له لتهيئة السامع لتلقِّي هذه
الموعظة؛ لأنَّ ما سبقه من التهويل والإنذار يهيئ النفس لقبول الموعظة؛ إذ
الموعظة تكون أشدَّ تغلغلاً في القلب حينئذٍ لما يشعر به السامع من انكسار
نفسه ورقَّة قلبه، فيزول عنه طغيان المكابرة والعناد، فخطر في النفوس ترقُّب
شيءٍ بعد ذلك»^(٤٨)، وهي إشارةٌ لا بأس بها، مع أنها لا تفصح عن قوَّة العلاقة
بين المشهدين والجماليات العلائقية بينهما، ولا أعلم كيف غفل عن المناسبات
اللطيفة التي أشار إليها المفسِّرون قبله، ولو ذكرها مع ما ذكر لكان التفسير
أشمل، ولتكشَّف للمتلقِّي جماليَّات الانتقال بين المشهدين بصورةٍ أكمل وأجمل.

ولا أوْدُ أن أتجاوز هذا الشاهد دون أن أشير إلى ما ذكره المفسِّرون من
أسرارٍ جماليةٍ لإيثار وصف الرّبِّ بالكرم، وهو وصفٌ يقتضي الاعتزاز به مع
أنَّ الإنكار على الإنسان وتوبيخه كانا لأجل ذلك، والمقام مقام تهديدٍ ووعيد،
والسياق سياق زجرٍ وتوبيخ، فقد ذهب بعضهم إلى أنَّ إيثار صفة الكرم على
سائر أسمائه وصفاته فيه تلقينٌ لهذا الإنسان بالإجابة عن سؤال الله ﷻ، وذلك
بأنَّ يقول: غرّني كرم الكريم^(٤٩). وقد ردَّ ابن كثير هذا بقوله عند تفسير الآية:
«هذا تهديد، لا كما يتوهّمه بعض الناس من أنه إرشادٌ إلى الجواب... بل المعنى
في هذه الآية: ما غرّك يا ابن آدم برّبك الكريم - أي العظيم - حتى أقدمت على
معصيته، وقابلته بما لا يليق»^(٥٠)، ثم يُعلّق على الرأي السابق بقوله: «وهذا الذي
تخيّله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه (الكريم) لئنبّه على أنه لا ينبغي
أن يُقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال السوء»^(٥١).

وقد أكد أبو السعود هذا التناسب بين فاصلة الآية وأولها بقوله: «والتعريض لعنوان كرمه تعالى للإيذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مداراً لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له: افعل ما شئت فإن ربك كريمٌ قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة... بل هو مما يُوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان، كأنه قيل: ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية إلى خلافه»^(٥٢).

ويرى الرازي أن مقتضى الظاهر أن تكون الفاصلة (الحكيم)، وأنه لأجل هذا قال في سورة التين بعد الاستدلال بخلق الإنسان: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ (التين: ٨)، وقد أجاب عن هذا بقوله: «الكريم يجب أن يكون حكيماً؛ لأنَّ إيصال النعمة إلى الغير لو لم يكن مبنياً على داعية الحكمة لكان ذلك تديراً لا كرمًا، أمَّا إذا كان مبنياً على داعية الحكمة فحينئذٍ يُسمَّى كرمًا... فكان ذُكر الكريم ههنا أولى من ذُكر الحكيم»^(٥٣).

ثم إنَّ كثرة الكرم تُوجب الجِدَّ والاجتهاد في الخدمة، والاستحياء من الاغترار والتواني، فكرمه ﷻ السابق بالخلق وغيره لا يُوجب كرمًا لاحقاً بالعمو والغفران لجميع المعاصي؛ لأنَّ غاية الكرم هو أن يتدنى بالنعم من غير عوضٍ ولا غرض، أما الكريم إذا أمر المنعم عليه بشيءٍ وتلقاه بالعصيان فليس من الكرم أن يغمض عن جرمه، بل قد يُعدُّ ذلك ضعفاً ودلَّةً، لاسيما إذا كان المأمور به هو معرفة المنعم^(٥٤).

ومن النماذج التي يلحظ فيها المتأمل أنَّ غرض التقرير والإنكار يُمثِّل علاقةً وثيقةً بين مشهدين في السورة الكريمة ما جاء في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ دَاتِ الْعِمَادِ﴾ ثم قوله ﷻ بعد ذلك: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (الفجر ٦-١٤، ١٥). فقد

عرض القرآن الكريم في المشهد الأول بعض قصص الأمم السالفة ممن عاندوا الله ورسوله، ولجّوا في طغيانهم، فأوقع بهم شديد العذاب وأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر؛ ليكون في ذلك زجرٌ لهؤلاء المكذّبين، وتثبيتٌ للمؤمنين الذين اتبعوا الرسول ﷺ وناصروه، وتطمينٌ لقلوبهم بأنّ أعداءهم سيلقون ما يستحقّون من الجزاء.

ثم انتقل السياق القرآني إلى مشهدٍ آخر، قد لا يبدو للمتأمل أنّ له صلةً بما قبله، وهو مشهد الحديث عن شأنٍ من شؤون الإنسان، وبيّن أنه إذا أنعم الله عليه وأوسع له في الرزق ظنّ أنه قد اصطفاه ورفعته على مَنْ سِواه وجنّبه العقوبة، وإذا ضيّق عليه الرزق ظنّ أنه قد أهانه وصعّر من قيمته ولم يكن له قيمةٌ بعمله. وفي هذه الآيات إشارةٌ إلى ما كانت قريشٌ تقول وتستدلُّ به على إكرام الله ﷻ وإهانته لعبده، وذلك أنهم كانوا يرون أنّ مَنْ عنده الغنى والثروة والأولاد فهو المكرم، وبضدّه المهان^(٥٥).

وتتضح جماليّات الانتقال في المناسبة اللطيفة التي تربط بين المشهدين، فبعد أن عرض القرآن مشهداً من قصص الأمم السالفة الذين كذبوا برسولهم وكشف عن مآلهم والعذاب الذي لحق بهم أختتم بالتأكيد على أنّ الله ﷻ بمرصديّ من أعمال بني آدم، يراقبهم ويجازيهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾، ثم انتقل الحديث إلى الإنكار على الإنسان وتوبيخه على قلة اهتمامه بأمر الآخرة وفترط تماديه في إصلاح المعاش الدنيوي، فكأنه قيل: إنه ﷻ بالمرصاد لعباده، فهو يراقب أعمالهم ويجاسبهم عليها، وذلك كلّهُ من أجل الآخرة؛ لأنه ﷻ لا يطلب إلا السعي لها، أما الإنسان الشقيّ الغافل عن طاعة ربه فلا يهّمهُ ذلك، وإنما مطمح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا ولذائدها، فإن نال منها شيئاً رضي وإلا سخط، وكان اللائق أن لا يهّمهُ إلا ما يطلبه الله ﷻ ولا يكون حاله ذلك^(٥٦).

فالقرآن الكريم يشير في المقطع الأول إلى أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يرى ويحسب ويُحاسب ويُجازي وَفَق ميزانٍ دقيقٍ لا يُخطئ ولا يظلم، ولا يأخذ بظواهر الأمور لكن بحقائق الأشياء، فأما الإنسان فُتخطئ موازينه وتضلُّ تقديراته، ولا يرى إلا الظواهر ما لم يتصل بميزان الله عَزَّوَجَلَّ.

كما تتضح جماليةً أخرى لهذا الانتقال، ويتكشف غرضٌ آخر للتخلص من المشهد الأول إلى الثاني، حيث إنَّ في ذلك تذكيراً للمشركين بأنَّ حالهم مماثلٌ لحال أولئك ترفاً وطغياناً وبطراً، وتنبههم على خطئهم؛ إذ كانت لهم من حال الترف والنعمة شبهةٌ توهموا بها أَنَّ الله جعلهم محلَّ كرامة، فحسبوا أنَّ إنذار الرسول ﷺ إياهم بالعذاب ليس بصدق؛ لأنه يُخالف ما هو واقعٌ لهم من النعمة، وحصروا جزاء الخير في الثروة والنعمة، وقصروا جزاء السوء على الخصاصة وقتر الرزق، فكان هذا الوهم مُسوّلاً لهم التكذيب بما أنذروا به من وعيد^(٥٧).

كما أنَّ هذا التوهم يستلزم ظنَّهم أنَّ أفعال الله عَزَّوَجَلَّ جاريةٌ على غير الحكمة، فأعلم الله رسوله ﷺ والمؤمنين بالحقيقة الحقَّة، وتنبههم أنَّ الأحوال الدنيوية أعراضٌ زائلةٌ ومتفاوتةٌ في الطول والقصر، وفي ذلك كَلِّه إبطالٌ لعقيدة أهل الشرك وضلالهم الذي كان غالباً على أهل الجاهلية^(٥٨).

لقد كشفت هذه النماذج عن شدَّة ترابط المشاهد في سور جزء عم، وأنَّ القرآن الكريم لا ينتقل من مشهدٍ إلى مشهدٍ دون أن يكون بينهما علاقةٌ وثيقة، ومناسبةٌ لطيفة، تجعل هذا الانتقال في غاية الإعجاز والبلاغة، كما كشفت عن أنَّ الإنكار والتقرير من أهمِّ العلاقات التي تربط بين المشاهد، فحين يتحدَّث المشهد الأول عن إثبات أصلٍ من أصول الإيمان، ويسعى إلى تأكيد مبدأ رئيسٍ من مبادئ الدعوة الإسلامية، يُعقب القرآن الكريم بمشهدٍ ثانٍ يكون بمثابة تقرير هذه الحقائق، من خلال أسلوبٍ تقريريّ يسعى من خلاله إلى تقرير المنكرين

على الإيمان بما يذكر لهم من دلائل القدرة والقُوَّة، أو من خلال الإنكار عليهم حين كذَّبوا بها وأنكروها، ولا غرو أن يبرز هذا الغرض بوصفه من أبرز أغراض الانتقال بين مشاهد سور هذا الجزء، حيث إنَّ سورة من أوائل ما نزل من الذكر الحكيم، وكان الخطاب فيها مُوجَّهاً نحو مشركي مكة، وكان من الطبعيِّ أن تُؤكِّد مشاهد هذه السورة على حقائق الإيمان، وتُقرِّر المشركين عليها، وتُنكر عليهم جحدها والتكذيب بها، مع أنهم يرون الدلائل على صدقها، ويعاينون البراهين على صحتها.

- التدليل والتعليل:

التدليل والتعليل وإثبات الحقائق بالحُجَّة والبرهان من أبرز الجماليات التي يؤدِّيها الانتقال بين مشاهد سور جزء عمِّ، ولا غرو في ذلك؛ فسور هذا الجزء تُمثِّل في مجملها بدايات الدعوة الإسلامية التي كانت في ذلك الوقت تسعى إلى ترسيخ مبادئ الدعوة وأصول الإيمان لدى المخاطبين؛ ولذلك فقد كان تأييد هذه الأصول بالدليل القاطع والحجة الواضحة من أبرز وظائف الانتقال من مشهدٍ إلى مشهدٍ في هذه السور الكريمة، وذلك من خلال تعليل ما يرد في المشهد السابق من إثباتٍ للدعائم والأصول التي قامت عليها الدعوة الإسلامية، أو من خلال التدليل على صِحَّتْها والتأكيد على صدقها، حتى تترسَّخ في النفوس وتثبت في العقول، فيكون الإيمان بغيرها تبعاً لها، وهو ما يحتاجه المخاطبون المنكرون في تلك الفترة.

ويمكن بيان أهميَّة هذا الغرض وعناية القرآن به من خلال الوقوف عند بعض النماذج التي جاء فيها التدليل والتعليل غرضاً بارزاً من الأغراض التي تربط بين مشهدين في سورةٍ من سور هذا الجزء، فمن ذلك ما يلحظه المتأمل في قوله ﷻ:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ إلى أن يقول ﷺ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (النبأ: ٦-١٦، ١٧).

فقد تحدّثتُ في المبحث السابق عن المشهد الأول من هذا النموذج، وذكرتُ أنَّ المولى ﷺ توجّه بالاستفهام التقريري الإنكاري إلى هؤلاء المشركين الذين تساءلوا عن النبأ العظيم وظلّوا يختلفون فيه، فخاطبهم القرآن الكريم بهذا الاستفهام مفصّحاً من خلاله عن عددٍ من مشاهد هذا الكون الفسيح، وكاشفاً لهم عن قدرته ﷻ على إعادة إحيائهم، وصدق هذا النبأ العظيم الذي يختلفون فيه.

ثم انتقل السياق القرآني إلى مشهدٍ آخر من مشاهد هذه السورة، تحدّث فيه عن يوم القيامة وما يحدث فيه من أحوالٍ وأهوال، وما يكون فيه من البعث والنشور والجزاء، وبين المشهدين من العلاقة والارتباط ما يدلُّ دلالةً واضحةً لا تقبل الشكَّ على بلوغ كلام الله ﷻ قِمَّةَ الإعجاز البلاغي والبياني.

فبعد أن ذكر القرآن الكريم بعض مشاهد هذا الكون الفسيح بغرض تقرير النبأ العظيم الذي اختلف فيه المشركون وأنكروه في المشهد الأول من هذه السورة، عاد السياق إلى الحديث عن النبأ العظيم الذي أفتتحت هذه السورة، مُتَّوجِّهاً بذلك الدلائل والبراهين التي كشف عنها في المشهد السابق؛ سعياً إلى تأكيد وقوع يوم القيامة، ومُبدِّلاً على أنَّ الذي خلق هذا الكون الفسيح وصوّر هذه المشاهد البديعة قادرٌ على البعث والنشور، وأنَّ مَنْ قدر على ذلك فهو قادرٌ من باب أولى على جزاء الإنسان وثوابه وعقابه، ومن غير المنطقي أن يهمله ويتركه عبثاً وقد أنعم عليه كلّ هذه النعم، وتفضّل عليه بما تفضّل.

يقول البقاعي رابطاً هذا المشهد بما قبله: «ولما ذكر ما دلّ على غاية القدرة ونهاية الحكمة فدلاً قطعاً على الوحدانية لأنه لو كان التعدّد لم تكن الحكمة

ولم تتمَّ القدرة، فأثمر المحبة لمن اتصف بذلك، فأنتج للطائع الشوق إلى لقائه، والترامي إلى مطالعة كمال نعمائه، وللعاصي ما هو حقيقٌ به من الخوف من لقائه ليردّه ذلك عن إعراضه وإبائه، أتبع ما أعلم أنه ما ذكره إلا للدلالة على النبأ العظيم في لقاء العزيز الرحيم، فقال منتجاً عما مضى من الوعيد وما دلّ على تمام القدرة مؤكّداً لأجل إنكارهم: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾^(٥٩)، وواضح هنا أنّ البقاعي يؤكّد على علاقة التدليل، ويشير إلى علاقة الإنكار، حيث إنّ تأكيد وجود هذا اليوم بعد كلّ هذه الدلائل الباهرة يدلُّ على إنكارهم وتكذيبهم، ولا غرو في ذلك، فهذه الأغراض تتناسب مع حال القوم المكذبين، وتتناسق مع حالهم في تلك الفترة.

وإذا كان القرآن الكريم قد أورد المشاهد الكونية والطبيعية في المشهد الأول على سبيل التقرير والإنكار على المشركين المكذبين بالبعث، وسعيّاً إلى إثبات الدليل على وقوعه وقدرته عليه، فإنه يعود مرّةً أخرى في هذا المشهد ليؤكّد على وقوعه، وإلى ذلك أشار النيسابوري الذي قال بعد أن ختم تفسيره للمشهد الأول بقوله: «واعلم أنّ هذه التسعة نظراً إلى حدوثها وإمكانها تدلُّ على الفاعل المختار، ونظراً إلى ما فيها من الإتقان والإحكام تدلُّ على كمال علمه وحكمته الذاتية. وبعد ثبوت كماله في هذه الأوصاف لم يبقَ للمتأقّل شكٌّ في إمكان الحشر، وقد أخبر الصادق عن وقوع هذا الممكن فوجب الجزم به، على أنّ في إخراج النبات بعد جفافه وبيسه دليلاً ظاهراً على إمكان إخراج الموتى من القبور وبعثهم؛ فلهذا رتب على هذه البيانات قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾^(٦٠)، والنيسابوري هنا يربط بشكل وثيق بين المشهدين من خلال إشارته إلى طبيعة هذه العلاقة.

والتفصيل بعد الإجمال نوعٌ من أنواع الإطناب غرضه التأكيد، حيث يُكرَّر الكلام مرتين، مرَّةً على سبيل الإجمال، ومرَّةً على سبيل التفصيل، فيثبت في الذهن، ويترسَّخ في النفوس، ويعي المتلقِّي مدى أهميته وشدَّة عناية المتكلم به، وقد نبَّه إلى هذه العلاقة أبو السعود الذي قال: «﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ شروعٌ في بيان سرِّ تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين: متى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين، ونوعٌ تفصيلٌ لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيدُ إجمالاً»^(٦١)، وتبعه ابن عاشور في ذلك^(٦٢)، والحقُّ أن الرأيين الأخيرين يربطان مشهد يوم الفصل بمشهد النبأ العظيم الذي أفتتحت به السورة، ويمكن أن تنسحب هذه العلاقة على مشهد المظاهر الكونية، حيث إنَّ هذا المشهد بمثابة إنكارٍ وتقريرٍ ودليلٍ على النبأ العظيم وقيام البعث والقدرة عليه، فالمشاهد الثلاثة في غاية الترابط ومنتهى الانسجام، وكلُّها تخدم الفكرة الرئيسة في هذه السورة، وهي إثبات البعث والقدرة عليه، والتأكيد على الحشر والنشر والجزاء.

ومن النماذج التي يلحظ فيها المتأمل علاقة التعليل والتدليل بين مشهدين في السورة ما نراه في قوله تعالى: «﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾»، إلى أن ختم المولى ﷺ قصة أصحاب الأخدود، حيث قال بعد ذلك: «﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾» (البروج: ١-١٢، ١٣).

فقد ذكر الله ﷻ في مطلع هذه السورة قصة أصحاب الأخدود الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم بالنار بسبب إيمانهم وتوحيدهم، ثم بيَّن المولى ﷻ وعيد هؤلاء الكفار، ووعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووصف ما أُعدَّ لهم من الثواب كفاء أعمالهم. ثم انتقل القرآن الكريم إلى مشهدٍ آخر يتحدَّث فيه عن شدَّة عذاب الله وبطشه وقدرته على البدء والإعادة، وبيان بعض صفاته الدالَّة على تمام قدرته.

ويُتَّضَحُ حَسَنُ الْإِنْتِقَالِ فِي مَنَاسِبَةِ مَطْلَعِ السُّورَةِ وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ لِهَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي بَدَأَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ مَنَاسِبَةً وَثِيقَةً، فَهَمَا مَعاً يَرْتَبِطَانِ بِالْجَوْ الْعَامِّ لِلْسُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، وَيَتَنَاسَبَانِ مَعَ الْمَقْصِدِ الْأَسَاسِ لَهَا، وَهُوَ إِظْهَارُ عِظْمَةِ اللَّهِ ﷻ وَجَلِيلِ صِفَاتِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى إِبَادَةِ الْأُمَّمِ الطَّاعِيَةِ فِي كُلِّ حِينٍ.

وَيُتَّضَحُ التَّلَاوُمُ وَالتَّنَاسُقُ بَيْنَ الْمَشْهَدِينَ فِي أَنَّ جُمْلَةَ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ عِلَّةٌ لِمُضْمُونِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ (البروج: ١٠)، أَيِ إِنَّهُ ﷻ سَيَجَازِيهِمْ هَذَا الْجِزَاءُ؛ لِأَنَّ بَطْشَهُ شَدِيدٌ عَلَى الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَهَذَا مِنْ دَلَائِلِ عَدْلِهِ ﷻ، يَقُولُ الْبِقَاعِيُّ فِي تَوْضِيحِ هَذِهِ الصَّلَةِ: «وَلَمَّا كَانَ لَا يَثِيبُ وَيُعَذِّبُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي غَايَةِ الْعِظْمَةِ، قَالَ مُعَلِّلاً لِفَعْلِهِ ذَلِكَ، دَالاً بِذَلِكَ التَّعَلُّلِ عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْعِظْمَةِ الَّتِي تَتَقَاصِرُ الْأَفْكَارُ دُونَ عَلَيَّاتِهَا، مُؤَكِّداً لَمَّا لِلْأَعْدَاءِ مِنَ الْإِنْكَارِ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾»^(٦٣)، وَهُوَ تَفْسِيرٌ يَنْصُصُ عَلَى عِلَاقَةِ التَّعَلُّلِ، وَيَشِيرُ بِوُضُوحٍ إِلَى أَنَّ الْمَشْهَدَ الثَّانِيَّ تَعْلِيلٌ لِلْمَشْهَدِ الْأَوَّلِ، وَبَيَانٌ لِسَبَبِ تَعْذِيبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَأَحْرَقُوهُمْ فِي نَارِ الْأَخْدُودِ وَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، كَمَا يَلْحِظُ الْمُتَأَمِّلُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ حَشَدَ الْمُؤَكِّدَاتِ فِي افْتِتَاحِ الْمَشْهَدِ الثَّانِي، وَلَا غَرُ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ أَفْعَالَ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَفَتَنَتَهُمْ لَهُمْ وَتَعْذِيبُهُمْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَنكَرُونَ تَمَاماً لِقُدْرَةِ اللَّهِ ﷻ، وَعَذَابُهُ الشَّدِيدِ، وَقُوَّةِ انْتِقَامِهِ مِمَّنْ يُوْذِي عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ.

وَيَتَبَيَّنُ التَّنَاسُبُ كَذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فِي أَنَّهُ ﷻ لَمَّا ذَكَرَ وَعِيدَ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَوَّلًا وَذَكَرَ وَعْدَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثَانِيًا أَرْدَفَ ذَلِكَ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ بِالتَّأَكِيدِ، فَقَالَ لِتَأَكِيدَ الْوَعِيدَ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾،

ثم قال لتأكيد الوعد: ﴿وَهُوَ الْعَفْوَورُ الْوَدُوْدُ﴾، وإليهما أشار بقوله فيما سبق: ﴿الْعَزِيْرُ الْحَمِيْدُ﴾^(٦٤).

وفي هذا الانتقال اللطيف تحذيرٌ من الله ﷻ لقوم رسوله ﷺ أن يحلَّ بهم من عذابه ونقمته نظير الذي حلَّ بأصحاب الأخدود على كفرهم وتكذيبهم رسوله ﷺ وفتنتهم المؤمنين والمؤمنات منهم^(٦٥)، وهو انتقالٌ بديع، يلفت الأنظار إلى التركيز على موضع العبرة من ذكر أمثال هذه القصص. ووَجَّه الخطاب للنبي ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيْدٌ﴾ لأنَّ بطش الله بالذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات فيه نصرٌ لدعوته، وتثبيتٌ له وللمؤمنين معه^(٦٦).

ومن النماذج التي تكشف عن اهتمام القرآن الكريم بالتدليل أو التعليل بوصفهما نوعاً من العلاقة التي تربط بين مشهدين في السورة ما جاء في قوله ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ثم قوله ﷻ بعد مشهد الفُجَّار: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيْنٍ﴾ إلى أن قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (المطففين: ٧-٢٨، ٢٩).

فقد كانت الآيات في هذه السورة تتناول في المشهد الأول فريقين من الناس طالما توقَّف القرآن عندهما في مثل هذه السور، ويصف حالهم في الآخرة، فالفُجَّار الذين كذبوا بيوم الدين، ووصفوا القرآن بأساطير الأولين محبوبون عن ربهم يوم القيامة، وليس لهم من مآلٍ سوى نار الجحيم، أمَّا الأبرار فهم على الأرائك ينظرون، وفي وجوههم نضرة النعيم، وسقياهم الشراب المختوم بالمسك الممزوج بالتسنيم.

وبعد أن كان السياق في مشهدٍ أخرويٍّ يصف أحوال هذين الفريقين انتقل بعد ذلك إلى مشهدٍ دنيويٍّ يصوِّر أولئك الفُجَّار المجرمين وهم يسخرون من

المؤمنين، ويتغامزون فيما بينهم إذا مرُّوا بهم، ويصفونهم بالضلال على وجه التأكيد والتقرير، وإذا رجعوا إلى أهلهم بعد كلِّ هذا لا يؤيَّبهم ضميرٌ ولا يخالطهم ندم، بل يطلُّون مستمتعين مبتهجين بما فعلوا، وهنا يُلحُّ على المتلقِّي سؤالٌ مُهمٌّ عن سبب هذا الانتقال، والمسوِّغ الذي جعل السياق القرآني يهبط من مشهدٍ أخرويٍّ إلى مشهدٍ دنيوي، ثم ما هي العلاقة التي تربط بين المشهدين؟ وما الصلة التي سوَّغت حضور المشهد الثاني في هذا النموذج؟

إنَّ المتأمِّل في هذه السورة العظيمة والمتدبِّر في مشاهدتها والموضوعات التي تناولتها آياتها الكريمة سيدرك بلا شكِّ روعة التعبير القرآني وإعجازه البلاغي والبياني، وجمال أسلوبه الباهر وقوَّة تصرُّفه في القول، وسيجد أنَّ العلاقة بين المشهدين وثيقةٌ قوية، وأنَّ الانتقال إلى المشهد الثاني كان لا بُدَّ منه، وأنه لا يغي عنه انتقالٌ إلى أيِّ مشهدٍ آخر، وأنَّ هذا الانتقال يخدم الفكرة الرئيسة التي تتحدَّث عنها السورة والجوِّ العامُّ الذي يعايشه المتلقِّي فيها.

فبعد أن أطنبت آيات المشهد الأول في المقابلة بين مصير الفريقين؛ الفُجَّار والأبرار، وثقِّرت الجزاء الذي سيناله كلُّ واحدٍ منهم في الآخرة، وتصف بعض مظاهره وألوانه، أراد القرآن الكريم أن يكشف عن السبب وراء كلِّ هذا، والعلة التي من أجلها نال كلُّ فريقٍ هذا الجزاء، وهو ما يجعل السياق القرآني يعود بالزمن إلى الوراء، وينتقل إلى الحياة الدنيا ليكشف عن الأفعال التي استحقَّ معها كلُّ فريقٍ هذا الجزاء وذلك المصير، وهو ما كان ينتظره السامع ويتعطَّش إلى معرفته، خاصَّةً حين عايش في الآيات السابقة مشاهد العذاب وصور النعيم، وأدرك مآل الفُجَّار ومصير الأبرار.

ولهذا فقد جاء المشهد الثاني ليصوِّر ما كان يفعله الفُجَّار المجرمون بالمؤمنين الأبرار في الحياة الدنيا، وكيف كانوا يسخرون منهم، ويضحكون عليهم، ويؤذونهم

بالغمز واللمز، ومع أنّ القرآن الكريم لم يتعرّض لموقف المؤمنين من هذا الفعل، إلا أنّ السامع سيدرك أبعاده وتأثيره في نفوسهم، خاصّةً أنّ المؤمنين كانوا آنذاك في حالةٍ يُرثى لها من الفقر والضعف وقِلّة العدد، وحين يتصوّر السامع ذلك سيعي تماماً أسباب الجزاء الذي ناله كلُّ فريقٍ في المشهد الأول، والعِلّة التي من أجلها آل كلُّ منهما إلى ذلك المصير.

واللافت أنّ كثيراً من المفسرين أغفل بيان الصلة بين المشهدين على اختلافهم فيها وفق ما سأبينه بعد قليل، وهو ما دعا ابن عاشور إلى أن يقول بعد أن توقّف عند المناسبة بينهما وسعى إلى إيضاحها: «وقد اتّضح بما قرّرناه تناسب نظم هذه الآيات... وذلك مما أغفل المفسرون العناية بتوضيحه»^(٦٧).

ولهذا يقول البقاعي عند تفسيره للمشهد الثاني من هذا النموذج ساعياً إلى بيان صلته بما قبله: «ولما ذكر سبحانه جزاء الكافر بالجحيم وجزاء المؤمن بالنعيم، وكان من أجل النعيم الشماتة بالعدو، علّل جزاء الكافر بما فيه شماتة المؤمن به؛ لأنه اشتغل في الدنيا بما لا يغني، فلزم من ذلك تفويته لما يغني، فقال مؤكّداً لأنّ ذا المروءات والهمم العاليات والطبع السليم والمزاج القويم لا يكاد يُصدّق مثل هذا، وأكّده إشارةً إلى أنّ من حقّه أن لا يكون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾»^(٦٨)، ويقول ابن عاشور: والمقصود من ذكره أنه بعد أن ذكر حال المشركين على حدة، وذكر حال المسلمين على حدة، أعقب بما فيه صفة لعاقبة المشركين في معاملتهم للمؤمنين في الدنيا؛ ليعلموا جزاء الفريقين معاً»^(٦٩).

إنّ مجيء المشهد الدنيوي بعد المشهد الأخروي يبعث في النفوس الرهبة، ويوقع في القلوب الخشية، ويجعل المتأمل يدرك خطورة ما يفعله المجرمون في الحياة الدنيا، وأنّ سخريتهم من المؤمنين وإن كانت في ظاهرها قوّة وغلبةً غير أنّها في الحقيقة ذلٌّ وهوان، حيث يُحجبون عن رهم يوم القيامة، ويصلون نار الجحيم،

وهو جزاءٌ عادلٌ بالنظر إلى أفعالهم في الدنيا، وسخرتهم بعباد الله المؤمنين الذين كانوا في ظاهر الأمر في ذلٍّ وضعف، وكانوا يتأذون من تعامل هؤلاء الفُجَّار وتؤلهم سخرتهم بهم وضحكهم عليهم، غير أنَّ مَنْ عرف جزاءهم الذي جاء المشهد الأول بتفصيلاته أدرك أنَّ هذا هو الجزاء المستحقُّ لهم، ووعى مدى المفارقة بين حالهم في الدنيا وحالهم في الآخرة، وهو ما يجعل القلوب تخشع لعظمة الله، وتفرح لعدله، وأنه لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملاً.

ورأى بعض المفسرين أنَّ المقصود من الانتقال بين المشهدين تسلية المؤمنين والربط على قلوبهم وهو يواجهون هذه الأفعال الدنيئة من الفجار المكذبين، يقول الرازي بعد أن فسَّر آيات المشهد الأول: «اعلم أنه سبحانه لما وصف كرامة الأبرار في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا في استهزائهم وضحكهم، ثم بيَّن أنَّ ذلك سينقلب على الكفار في الآخرة، والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم»^(٧٠)، وهو غرضٌ لا يتعارض مع غرض التعليل، بل يتسق معه ويخدمان معاً السياق والجوَّ العامَّ للسورة الكريمة.

ورأى بعضٌ آخر من المفسرين أنَّ المشهد واحد، وأنه لم يحصل انتقالٌ في الأصل، حيث إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ من جملة القول الذي يُقال يوم القيامة للفُجَّار المحكِّي بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، وإلى ذلك أشار النيسابوري الذي ذكر أنَّ القرآن الكريم في هذه الآية «حكى قبائح أفعال الكافرين، على أنَّ التكلُّم واقعٌ في يوم القيامة؛ بدليل قوله عقيبه: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾»^(٧١)، وعلى هذا يكون الاتِّصال متَّسقاً، والمشهد واحداً، فكلُّ ما قيل في آيات المشهد الثاني هي من جملة ما يُقال للفُجَّار من باب تذكيرهم وتوبيخهم بما كانوا يفعلون بالمؤمنين في الحياة الدنيا.

ومن النماذج التي كان التعليل فيها صلةً ورابطاً بين مشهدين في السورة الكريمة ما يلحظه المتدبر في قوله ﷺ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، ثم قال ﷺ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعِي﴾ (العلق: ١-٥، ٦).

فقد تحدّث القرآن الكريم في مطلع هذه السورة عن بيان حكمة الله ﷻ في خلق الإنسان من ضعفٍ إلى قوة، وأشار إلى ما زوّده الله ﷻ وأمره به من فضيلة القراءة والكتابة لتمييزه على غيره من المخلوقات. ومطلع هذه السورة هو أول ما نزل من القرآن كما جاء في الصحيحين وعلى قول أغلب المفسرين^(٧٢)، فقد نزلت على الرسول ﷺ في مبادئ النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل ﷺ بالرسالة وأمره أن يقرأ، فأنزل الله عليه هذا الآيات.

وافتح السورة بكلمة (اقرأ) إيذاناً بأن رسول الله ﷺ سيكون قارئاً، أي تالياً كتاباً بعد أن لم يكن كذلك، وفي هذا الافتتاح براعة استهلال للقرآن، كما أنّ فيه بدء النبوة وإشعاراً بالرسالة لأنه يقرأ كلام الرب^(٧٣)، وقد جمعت هذه الآيات الخمس أصول الصفات الإلهية، فوصفُ (الرب) يتضمّن الوجود والوحدانية، ووصف (الذي خلق) ووصف (الذي علّم بالقلم) يقتضيان صفات الأفعال، ووصف (الأكرم) يتضمّن صفات الكمال والتنزيه عن النقائص^(٧٤).

ثم انتقل السياق القرآني إلى الإخبار عن مدى طغيان الإنسان وتمرّده على أوامر الله ﷻ وجحوده نعمه عليه، وغفلته عنها رغم كثرتها في حال توافر الثروة والمال والغنى لديه.

وقد يبدو للوهلة الأولى أنّه لا مناسبة لهذا الانتقال، خاصةً أنّ الآيات الخمس الأولى من هذه السورة هي أول ما نزل من القرآن الكريم، وأنّ بقية الآيات نزلت بعدها بفترةٍ اختلفوا في طولها^(٧٥)؛ ولذلك ذهب بعض المفسرين إلى

أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ لظهور أنه في غرضٍ لا اتصال له بالكلام الذي قبله^(٧٦).

والصحيح أنه على الرغم من أن بقية الآيات نزلت بعد الآيات الخمس الأولى بفترةٍ إلا أن هذا لا يعني عدم الاتصال بين الآيات، فقد أمر الرسول ﷺ أن توضع هذه الآيات في هذا الموضوع وتُضمَّ إلى آخر الآيات الخمس التي هي أول ما نزل من القرآن؛ لأنَّ تأليف الآيات إنما كان بأمر الله تعالى^(٧٧).

وعند التأمل في المناسبة بين المقطعين تظهر عظمة المولى ﷺ وحكمته في هذا الترتيب الذي يدلُّ بلا ريبٍ على إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، فإنَّ بينهما تناسباً وثيقاً وترابطاً قوياً سوَّغ هذا الانتقال اللطيف على الرغم من الفترة التي فصلت بينهما، واختلاف ظروف نزول كلٍّ منهما.

وذلك أنَّ الله ﷻ لما ذكر في مُقدِّمة السورة دلائل ظاهرة على التوحيد والقدرة والحكمة حيث يبعد على العاقل أن لا يطَّلِع عليها ولا يقف على حقائقها، أتبعها بما هو السبب الأصلي في الغفلة عنها، وهو حُبُّ الدنيا والاشتغال بالمال والجاه والثروة والقدرة، فإنه لا سبب لعمى القلب في الحقيقة إلا ذلك^(٧٨).

فقد بيَّن الله ﷻ في بداية السورة أنه خلق الإنسان من علق، ثم بيَّن أنه رفعه من أحسِّ المراتب إلى أعزِّ مفاخر الموجودات، وهو التحلِّي بفضيلة العلم والعرفان، ثم أشار بقوله (كلا) إلى أنه لم يشكر تلك النعمة الجليلة، بل كفر وطغى إذ أغناه ربه وزاده جاهاً ومالاً، فردعه عنه وقبح حاله، ثم بيَّن سبب كفرانه وطغيانه فقال: ﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ (٦) أَنَّ رَأَهُ اسْتَعْنَى، ثم أكَّد الزجر والردع فقال: ﴿إِنَّ إِلَهِي رَّبُّكَ الرَّجْعِيُّ﴾، على الالتفات؛ للمبالغة في التحذير والتهديد من عاقبة الطغيان^(٧٩).

ثم أتبع ذلك كله بذكر نموذج لهذا الإنسان الطاغوي وهو أبو جهل^(٨٠) الذي كان ينهى النبي ﷺ عن الصلاة انتصاراً للأوثان والأصنام، وجاء الوعيد بأشد العقاب إن هو استمر على ضلاله وطغيانه.

ولهذا ذكر المفسرون أن (كلا) هنا ردع لمن كفر من جنس الإنسان بنعمة الله تعالى عليه لطغيانه؛ لأنَّ مُفتتح السورة إلى هذا المقطع يدلُّ على عظيم منته ﷺ على الإنسان، فإذا قيل: (كلا) كان ردعاً للإنسان الذي قابل تلك النعم بالكفران والطغيان^(٨١).

وقد ذكر المفسرون ههنا نكتةً لطيفة، وهي أنَّ أول السورة دلَّ على فضيلة العلم، وبعدها دلَّ على مذممة المال، فكفى ذلك مُرعباً في العلم ومُنقراً عن الدنيا^(٨٢).

لقد أفصحت هذه النماذج وغيرها عن أنَّ الانتقال بين مشاهد السورة الكريمة ليس اعتباطاً، وأنَّ التخلُّص من مشهدٍ له موضوعٌ خاصُّ إلى مشهدٍ آخر تحمل آياته موضوعاً آخر ليس عبثاً، إنما لا بُدَّ أن يكون بين المشهدين صلةً وثيقةً وعلاقةً وطيدة، وقد أبانت نماذج هذا المبحث عن نوعٍ من أنواع هذه العلاقة، وهي علاقة التدليل والتعليل، إذ إنَّ القرآن الكريم في معظم سور هذا الجزء يعمد إلى تقرير حقيقة من حقائق الإيمان الرئيسة، أو تأكيد مبدأ من مبادئ الدعوة الإسلامية، ثم يعقبه بمشهدٍ ثانٍ يكون بمثابة الدليل عليه أو التعليل له.

ولا غرو أن تكثر النماذج التي توكِّد وجود نوع هذه الصلة، فالمخاطبون في تلك الفترة هم من المشركين الجاحدين، ومن البلاغة والبيان مراعاة حالهم؛ لذا كان القرآن يُدللُّ ويُعلِّل في المشهد الثاني ما يرد من حقائق في المشهد الأول؛

رغبةً في إثبات الحقائق الإيمانية التي جاء بها هذا الدين العظيم، وتأكيداً لها في نفوسهم المنكرة المعاندة التي تحتاج كلَّ دليلٍ وبرهانٍ لعلَّها تردع عن غيها، وترجع إلى ربها، وتؤمن به وبرسوله الكريم ﷺ.

– التسلية والتبشير:

نزلت معظم سور جزء عمِّ في مكة في بدايات الدعوة الإسلامية، وفي فترةٍ كان المشركون هم مَنْ يملك زمام القوَّة والغلبة؛ نظراً إلى أعدادهم ومكانتهم في المجتمع المكي؛ لذا كان من الطبيعي حين لم يقبلوا بهذا الدين وأبوا اتباع الرسول الذي جاء به أن يجاربه بكلِّ ما أوتوا من قوَّة، حيث إنَّ مبادئه وأصوله تتعارض كلياً مع ما كان عليه أولئك القوم من عبادةٍ للأصنام، وإنكارٍ للبعث، وغيرها من أمور الجاهلية الشركية التي كان عليها آباؤهم وأجدادهم، ولذا كان هذا الموقف الرافض مُتوقَّعاً من نفوسٍ خيَّمت عليها ظلمات الجهل، وقلوبٍ غابت في غياهب الشرك والكفر، والافتداء بالآباء الأولين والاهتداء بآثارهم.

لقد كانت هذه الفترة من أصعب الفترات التي مرَّت بالمؤمنين، حيث عاشوا في امتحانٍ صعب، وكانوا يلقون الأذى، ويواجهون السخرية، ويُقابلون بالضحك والاستهزاء، وكان أكثر مَنْ يواجه ذلك قائد هذه الدعوة ورسولها الكريم ﷺ، ومن يقرأ في السيرة النبوية عن تلك الفترة فسيدرك حجم الأذى الذي كان يلقيه الرسول ﷺ والمؤمنون في بدايات الدعوة الإسلامية، وقد أشار القرآن الكريم إلى أنواع من هذا الأذى في سورٍ كثيرةٍ من القرآن، خاصةً في السور المكية التي نزلت في هذا الفترة العصيبة، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (المطففين: ٢٩).

وقد كان الرسول ﷺ والذين آمنوا معه في حاجةٍ شديدةٍ إلى التثبيت من المولى الكريم ﷺ، حتى يمكنهم الاستمرار في هذه الدعوة المباركة، والثبات عليها، وتحمل الأذى في سبيلها، حتى تتجاوز هذه الفترة العصيبة التي يعانون فيها من الضعف والقلّة، ولم يكن القرآن الكريم ليغفل عن أداء هذه المهمة، بل كان حريصاً على الوفاء بها، ومن الطبيعي أن تكون سور جزء عمّ من أكثر السور التي أخذها القرآن ميداناً لبعث روح الأمل والتفاؤل في نفوسهم، وتحفيز المؤمنين وتشجيعهم على الثبات والتحمل، بوصفها سوراً نزلت في تلك الفترة القاسية العصيبة؛ ولذا كان من أبرز الأغراض التي سعى القرآن الكريم إلى تأديتها في آيات هذه السور تسليية الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين، وتبشيرهم بالنصر والتمكين، وهي معانٍ وأغراضٌ كان المؤمنون في تلك الفترة في أشدّ الحاجة إليها. ومن النماذج التي تفصح عن اهتمام القرآن بمثل هذه الأغراض ما يلحظه المتأمل في الانتقال بين أول مشهدين من سورة النازعات، يقول المولى ﷺ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾، ثم قال ﷺ بعد ذلك: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (النازعات: ١-١٤، ١٥).

ففي المشهد الأول من هذه السورة الكريمة يقسم الله ﷻ بالملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد^(٨٣) على إثبات البعث وتحقق وقوعه، وقد حكى في أثناء ذلك موقف المشركين منه، وإصرارهم على إنكاره والاستهزاء به في قول الله حكاية لمقولتهم: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.

ثم انتقل القرآن الكريم إلى حكاية قصة موسى ﷺ مع فرعون الطاغية، وما كان من دعوة موسى ﷺ له إلى الإيمان بالله ﷻ، وحثه على التزكية والهداية والخشية، وقد أراه من الدلائل ما يؤيد صدقه، وما أجابه فرعون من تكذيبٍ وعصيانٍ وادعاءٍ للربوبية حتى أهلكه الله ﷻ وجعله عبرةً للمعتبرين،

وقد صُدِّرَ هذا المشهد باستفهام يخاطب به الله ﷻ رسولَه الكَرِيمَ ﷺ إن كانت هذه القصة قد بلغت، وهو استفهامٌ يُقصد منه التشويق لما سيُذكر فيما بعد في جوابه، مع ما في ذلك من إشارةٍ إلى أهمية هذا الخبر وأنه مما ينبغي الاعتناء به والإصغاء إليه.

وهذا الانتقال اللطيف من مشهد الحديث عن إنكار المشركين للبعث واستهزائهم به إلى مشهد قصة موسى ﷺ مع فرعون يحتوي على أسرارٍ بلاغيةٍ تُبيِّن مدى الملاءمة بين المشهدين، وتوضِّح قوَّة المناسبة التي سوَّغت هذا الانتقال البديع، مما يفصح عن ملامح الإعجاز البلاغي والبياني في القرآن الكريم.

يقول الرازي ساعياً إلى استكناه وجوه هذه الملاءمة: «اعلم أن وجه المناسبة بين هذه القصة وبين ما قبلها من وجهين؛ الأول: أنه تعالى حكى عن الكفار إصرارهم على إنكار البعث حتى انتهوا في ذلك الإنكار إلى حدِّ الاستهزاء... وكان ذلك يشقُّ على محمدٍ ﷺ، فذكر قصة موسى ﷺ، وبين أنه تحمَّل المشقَّة الكثيرة في دعوة فرعون ليكون ذلك كالتسلية للرسول ﷺ، الثاني: أن فرعون كان أقوى من كفَّار قريشٍ وأكثرَ جمعاً وأشدَّ شوكة، فلما تمرَّد على موسى ﷺ أخذَه الله نكال الآخرة والأولى، فكذلك المشركون في تمرُّدهم عليك إن أصروا أخذهم الله وجعلهم نكالا»^(٨٤)، وواضح أن الرازي يكشف من خلال هذين الوجهين عن أن التسلية والتبشير هما الغرض الأساس من مجيء قصة موسى ﷺ بعد المشهد الذي حكى فيه القرآن الكريم المنكرين للبعث، حيث كان في هذه القصة تسليَّة للرسول ﷺ حينما استهزأ المشركون به وسخروا من البعث، كما أن فيها موعظةً للمشركين وتهديداً لهم بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أقوى منهم في العدد والعُدَّة.

كما أنَّ في إيراد هذه القصة بعد الحديث عن إثبات البعث وموقف المشركين منه تبشيراً له ﷺ بهلاك مَنْ يُكذِّبه، ونجاته هو وَمَنْ معه مِنَ المؤمنين مِنْ أذاهم^(٨٥).

«وفي القصة كليلها تعريضٌ بسادة قريشٍ من أهل الكفر مثل أبي جهل بتنظيرهم بفرعون، وتنظير الدهماء بالقوم الذين حشرهم فرعون ونادى فيهم بالكفر، وقد علم المسلمون مضرب هذا المثل، فكان أبو جهل يُوصف عند المسلمين بفرعون هذه الأمة»^(٨٦).

لقد كانت آيات المشهد الأول تتناول أولئك الذين أنكروا البعث، وسخروا منه، واستبعدوا وقوعه بعد أن أثبت المولى الكريم ﷺ بعض مشاهد الانقلاب الكوني الذي يسبقه، فالأرض تهتزُّ وترجف بسبب الصيحة، ثم ترجف وتهتزُّ مرةً أخرى بسبب الصيحة الثانية، وحينها تضطرب قلوب المشركين خوفاً وفزعاً؛ لأنهم يعلمون وقتها أنَّ ما كان يعدهم الرسول ﷺ حقُّ وصدق، غير أنَّ هذا العلم لن يفيدهم شيئاً؛ لأنهم كانوا في الدنيا يسخرون بهذه الوعود، ويتعجبون مستهزئين من قيامهم للبعث بعد أن أمسوا عظماً نخرة.

إن مَنْ يتأمل موقف المشركين ويصغي إلى حكاية القرآن الكريم عنهم يدرك حجم الإنكار الذي وصلوا إليه، ويعي تماماً أنَّ الأمل في إيمانهم يكاد يكون معدوماً؛ ولذا فلم يكن عجيباً أن يداخل اليأس قلب النبي ﷺ من إيمانهم، وهذا يعني أنهم سيكونون عقباً في طريق الدعوة الإسلامية، وسيستمرُّون في محاربتها والوقوف أمامها، وهم آنذاك أصحاب القوَّة والمنعة؛ ولذا خشى ﷺ من عجزه عن القيام بالمهمَّة التي كلفه المولى الكريم بها، وشقَّ عليه هذا الأمر لحرصه ﷺ وشفقته بأمته، وهنا تأتي الحاجة الماسَّة إلى المشهد الثاني الذي «يخبر فيه المولى ﷺ رسوله ﷺ عن عبده ورسوله موسى ﷺ أنه ابتعثه إلى فرعون،

وأَيَّدَه بالمعجزات، ومع هذا استمرَّ على كفره وطغيانه، حتى أخذَه اللهُ أخذَ عزيزٍ مقتدر، وكذلك عاقبة مَنْ خالفك وكذَّبَ بما جئتَ به؛ ولهذا قال في آخر القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾^(٨٧).

يقول أبو حيان مفصلاً عن هذه المناسبة ومؤكداً ما ذكر سابقاً: «وما أنكروا البعث وتمردوا، شقَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فقصَّ تعالى عليه قصة موسى ﷺ، وتمرد فرعون على الله ﷻ حتى ادَّعى الربوبية، وما آل إليه حال موسى من النجاة، وحال فرعون من الهلاك، فكان ذلك مسلاةً لرسول الله ﷺ وتبشيراً بهلاك مَنْ يُكذِّبه، ونجاةً هو من أذاهم»^(٨٨)، وأوجز الشوكاني فقال عن آيات المشهد الثاني أنها «مستأنفةٌ مسوقةٌ لتسلية رسول الله ﷺ عن تكذيب قومه، وأنه يصيبهم مثل ما أصاب مَنْ كان قبلهم مِّنْ هو أقوى منهم»^(٨٩).

وإضافةً إلى غرض التسلية والتبشير فقد ذكر المفسِّرون أغراضاً أخرى لهذا الانتقال اللطيف تتعاضد مع الغرض الرئيس، فبعضهم يرى أنَّ المقصود به وعظ المشركين المنكرين للبعث وتهديدهم بما أصاب فرعون في النكال في الدنيا، خاصةً أنه أعظم منهم قوَّةً وعدداً^(٩٠)، وبعضهم يرى أنَّ اختيار القرآن لقصة موسى ﷺ لأنه أبحر الأنبياء المتقدِّمين معجزة^(٩١)، أمَّا البقاعي فقد رأى أنَّ اختيار هذه القصة تحديداً بعد مشهد المنكرين للبعث يعود إلى أنها «أشبه شيء بالقيامة؛ لما حصل فيها من التقلُّبات والتغيُّرات وإيجاد المعدومات من الجراد والقُمَّل والضفادع على تلك الهيئات الخارجة عن العادات في أسرع وقت، وقهر الجبابرة والمرِّ على الضعفاء... مستفهماً عن الإتيان للتنبية والحثِّ على جمع النفس على التأمل والتدبُّر والاعتبار، مُقرِّراً ومُسليلاً له ﷺ، ومُهَدِّداً للمكذِّبين أن يكون حالهم - وهم أضعف أهل الأرض لأنه لا ملك لهم - كحال فرعون في هذا، قد كان أقوى أهل الأرض بما كان له من الملك وكثرة الجنود.. فيكون كافياً

لك في التسلية ولقومك في الحثِّ على التصديق، والتنبيه على الاعتبار، والتهديد على التكذيب والإصرار»^(٩٢).

ومما ينبغي أن يُشار إليه هنا أن قصة موسى عليه السلام هي أكثر القصص وروداً في القرآن، فقد وردت في سورٍ كثيرةٍ بمشاهدٍ متنوعةٍ وأساليبٍ شتى، كلٌّ منها تناسب سياق السورة التي وردت فيها، وتشارك في أداء الغرض البارز في السياق، وهنا ترد القصة مختصرةً سريعةً المشاهد منذ أن نُودي موسى بالوادي المقدَّس إلى أخذ فرعون في الدنيا والآخرة، فلتلقتي بموضوع السورة الأصيل، وهو حقيقة الآخرة، وهذا المدى الطويل من القصة يردُّ هنا في آياتٍ معدوداتٍ قصارٍ سريعة؛ ليناسب طبيعة السورة وإيقاعها.

ومن النماذج التي يجد فيها المتأمل التسلية والتبشير غرضاً من أغراض الانتقال بين مشهدين في السورة الكريمة ما جاء في قوله وَعَجَلْ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ثم يقول الحقُّ وَعَجَلْ بعد آيات المطلع الخمس: ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (الأعلى: ١-٥، ٦).

فقد اشتملت سورة الأعلى على تسبيح الله وَعَجَلْ وتنزيهه وبيان قدرته على خلق الإنسان وخلق ما في الأرض ممَّا فيه بقاءه، وعلى وعد الرسول ﷺ بحفظ القرآن وعدم نسيانه، ووعدته بالتوفيق إلى الطريقة السهلة الميسرة في الدعوة، وتكليفه أن يُذكِّر الناس، وحُتِّمت السورة ببيان فلاح مَنْ طَهَّرَ نفسه من الذنوب والآثام، وزكَّاهها بصالح الأعمال^(٩٣).

وقد كانت آيات المشهد الأول من السورة تتوجَّه بالخطاب إلى النبي ﷺ أمره له بأن يُسَبِّح ربه ويُقَدِّسه، مفصحةً في سياق ذلك عن بعض أوصاف الرب وَعَجَلْ، بما يستحقُّ معه العبادة والتسبيح باسمه، ثم انتقل السياق إلى مشهدٍ جديدٍ

يخاطب المولى ﷺ نبيه الكريم ﷺ بأنه سيقرؤه الذكر الحكيم فلا ينساه، وهنا يبرز السؤال: ما علاقة المشهد الأول بالثاني؟ ولماذا انتقل السياق من أوصاف الرب ﷺ إلى وعد النبي ﷺ بعدم النسيان؟ وما الجماليَّات التي أراد القرآن الكريم إبرازها من خلال هذا الانتقال؟

إنَّ المتأمل في هذا الانتقال سيدرك حجم الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم وروعة تعبيره البياني، وسيوقن أنَّ انتقالاته من مشهدٍ إلى مشهدٍ لا تأتي اعتباطاً دون تحقيق أغراضٍ بلاغيةٍ وأداء أسرارٍ بيانيةٍ تدلُّ على أنَّ هذا الكلام المعجز يتجاوز المستوى البشري، ولا يليق إلا أن يكون كلام الحقِّ تبارك وتعالى.

وبيان ذلك أنَّ الله ﷻ لما أمر رسوله الكريم ﷺ بالتسبيح والتنزيه في المشهد الأول من هذه السورة تبين أنه لا يمكن القيام بهذا الأمر إلا بتلاوة القرآن الكريم وحفظه وعدم نسيانه، ولحرصه ﷺ على أتباع أوامر ربه ﷻ فقد خشى أن ينسى ما أوحى إليه من ربه، وحينها لن يتمكن من تسبيحه وتقديسه، وهو ما كان يشغله ﷺ ويقلق نفسه الكريمة، فجاء المشهد الثاني ليزفَّ البشري إليه ﷻ، ويبعث في روحه الطمأنينة، وفي قلبه السكينة، من خلال وعدٍ قاطعٍ منه ﷻ بأنه سيتكفل بإقراءه، ويضمن له عدم النسيان، وهو ما كان يحتاجه النبي الكريم ﷺ في ذلك الموقف العصيب.

وقد تنبَّه إلى ضرورة بيان هذه المناسبة بعض المفسِّرين، يقول أبو حيان: «ومناسبة (سنقرئك) لما قبله: أنه لما أمره تعالى بالتسبيح، وكان التسبيح لا يتمُّ إلا بقراءة ما أنزل عليه من القرآن، وكان يتدكَّر في نفسه مخافة أن ينسى، فأزال عنه ذلك، وبشَّره بأنه تعالى يقرئه وأنه لا ينسى»^(٩٤)، وأوضح الرازي هذه المناسبة فقال بعد أن فسَّر آيات المشهد الأول: «اعلم أنه تعالى لما أمر محمداً

بالتسبيح فقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وعلم محمدًا ﷺ أن ذلك التسبيح لا يتم ولا يكمل إلا بقراءة ما أنزله الله تعالى عليه من القرآن؛ لما بيننا أن التسبيح الذي يليق به هو الذي يرتضيه لنفسه، فلا جرم كان يتذكر القرآن في نفسه مخافة أن ينسى، فأزال الله تعالى ذلك الخوف عن قلبه بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(٩٥).

وقد ورد في السنة النبوية أن الرسول ﷺ كان يخشى من نسيان ما يوحيه الله ﷻ، فقد «أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يزمل من ثقل الوحي حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله مخافة أن يغشى قلبه فينسى، فقال له جبريل: لم تفعل ذلك؟ قال مخافة أن أنسى. فأنزل الله ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»^(٩٦)، وهو مما يؤكد هذه المناسبة، وأن الغرض الذي جاء من أجله المشهد الثاني هو تسلية النبي ﷺ وتبشيره بهذا الوعد الكريم، وأن الله ﷻ حين أمره بالتسبيح كان عالماً بحاله، فجاءت هذه البشارة لتوقع في قلبه ﷺ الطمأنينة والسكون، وتذهب عنه الخشية والفرع.

وأشار بعض المفسرين إلى علاقة أخرى بين المشهدين لا تتعارض مع علاقة التسلية والتبشير، وهي ذكر الخاص بعد العام، فبعد أن ذكر المولى الكريم ﷻ في المشهد الأول هدايته العامة للخلق في قوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ذكر في المشهد الثاني هدايته الخاصة لخير الخلق ﷻ؛ حيث وعده بإقراءه القرآن، وحفظه له، وعدم نسيانه.

فأبو السعود يذكر أن المشهد الثاني: «بيان هداية الله تعالى الخاصة برسول الله ﷻ إثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته، وهي هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين، وتوفيئه عليه

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِهَدَايَةِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٩٧)، والشوكاني يؤكد أنَّ جملة (سنقرئك) «مستأنفةٌ لبيان هدايته الخاصَّة به بعد بيان الهداية العامَّة، وهي هدايته ﷺ لحفظ القرآن»^(٩٨).

وابتداء هذا المشهد بقوله: (سنقرئك) تمهيدٌ للمقصود الذي هو: (فلا تنسى)، وإدماجٌ للإعلام بأنَّ القرآن في تزايدٍ مستمر، فإذا كان قد خاف من نسيان بعض ما أُوحي إليه على حين قَلَّتْه فإنه سيَتَّبَع ويتكاثر فلا يخشى نسيانه، فقد تكفَّل له عدم نسيانه مع تزايدِهِ، والالتفات بضمير المتكلم المعظَّم لأنَّ التكلُّم أنسب بالإقبال على المبشِّر^(٩٩).

ومعنى الكلام: فلا تنسى، إلا ما شاء الله أن تنساه، ولا تذكره، قالوا: ذلك هو ما نسخه الله من القرآن، فرفع حكمه وتلاوته. وقال آخرون: معنى النسيان في هذا الموضوع: الترك؛ وقالوا: معنى الكلام: سنقرئك يا محمد فلا تترك العمل بشيءٍ منه، إلا ما شاء الله أن تترك العمل به مما نسخه^(١٠٠).

ومن النماذج التي يشعر فيها المتلقِّي بالتسليية والتبشير بوصفهما غرضاً من أغراض الانتقال والتخلُّص من مشهدٍ إلى آخر في سور جزء عمِّ ما جاء في قوله ﷺ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ إلى أن قال ﷺ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (الغاشية: ٢-٧، ٨).

تناولت سورة الغاشية موضوعين رئيسيين؛ الأول: القيامة وأحوالها وأهوالها وما يلقاه الكافر فيها من العناء والبلاء، وما يلقاه المؤمن من السعادة والهناء، والثاني: الأدلَّة والبراهين على وحدانية ربِّ العالمين وقدرته الباهرة، وحُتِّمت السورة الكريمة بالتذكير برجوع الناس جميعاً إلى الله ﷻ للحساب والجزاء^(١٠١).

وقد أفتتحت هذه السورة بخطاب النبي ﷺ وسؤاله عن بلوغه خبر يوم القيامة الذي يغشى الناس بشدائده ويكتنفهم بأهواله، والافتتاح بالاستفهام عن بلوغ خبر الغاشية مُستعملٌ في التشويق إلى معرفة هذا الخبر لما يترتب عليه من الموعظة، وهو استفهامٌ أُريد به التعجيب بما في حيزه، والتشويق إلى استماعه.

وفي المشهد الأول الذي صُدِّرت به السورة يخبر الله ﷻ عن أصحاب هذه الوجوه الشقيّة بجملةٍ من الأخبار المحزنة المؤلمة، منها ما يتعلّق ببيئاتهم، ومنها ما يتعلّق بأحوالهم، ومنها ما يتعلّق بشراهم، ومنها ما يتعلّق بطعامهم، والابتداء بـ(وجوه) مع أنها نكرة لأنها وقعت في موقع التنويع والتفصيل^(١٠٢)، والتعبير بها عن أصحابها على سبيل الكناية^(١٠٣) أو المجاز العقلي^(١٠٤) أو المجاز المرسل^(١٠٥)، والأخير هو الراجح من وجهة نظري، «ووجه حُسن هذا المجاز أنّ الخشوع والانكسار والذلّ وأضدادها تتبيّن أكثرها في الوجه»^(١٠٦).

وبعد أن بيّن الله ﷻ وعيد الكفار الأشقياء، وأبان عن حالهم ومكانهم، وطعامهم وشراهم، انتقل السياق القرآني إلى وصف مشهد أحوال الفريق المقابل، وهم المؤمنون السعداء أصحاب الوجوه الناعمة، مفصّحاً عمّا وعدهم به، وواصفاً ثوابهم لترغيب الناس بأعمالهم، وتشويقهم لما يلاقونه من فضل ربهم، وهنا يحقُّ للمتلقّي أن يتساءل عن مناسبة هذا المشهد لما قبله، ولماذا انتقل السياق من وصف عذابات أصحاب الوجوه الخاشعة إلى ذكر نعيم أصحاب الوجوه الناعمة؟ وما الصلة التي يمكن ملاحظتها بين المشهدين؟

إنّ المتأمل في آيات المشهد الأول وفي ألفاظها ودلالاتها يشعر برهبةٍ عظيمة، وقشعريرةٍ مخيفةٍ تلامس شغاف القلب، حيث يصغي المتلقّي خلالها إلى صور العذاب التي سينالها المشركون، وذلك حين وصف القرآن الكريم وجوههم بثلاث صفات؛ الأولى: أنها (خاشعة) أي ذليلة، «ولم توصف بالذلّ ابتداءً لما في وصفها

بالخشوع من الإشارة إلى التهكُّم، وأنها لم تخشع في وقتٍ ينفع فيه الخشوع»^(١٠٧)، والثانية: أنها (عاملة)، والثالثة: أنها (ناصبية)، والمعنى أنها دائبةٌ في العمل فيما يُتعبها ويُشقيها في النار بسبب جرِّ السلاسل والأغلال والصعود والهبوط في تالها ودركاتها^(١٠٨)، وفي هذه الأوصاف الثلاث تعريضٌ بأهل الشقاء بتذكيرهم بأنهم تركوا الخشوع لله والعمل بما أمر به والنصب في طاعته^(١٠٩).

ثم شرع الذكر الحكيم في بيان مآل هذا الفريق ومشرهم ومطعمهم؛ أما ما لهم فهو نازٌ شديدة الحر، ووصفها بالحامية رغم أنه أقلُّ أحوالها دلالةً على شدة الحمي، أو أنها حاميةٌ حمى غيظٍ وغضبٍ مبالغةً في شدة الانتقام^(١١٠)، أمَّا مشرهم فهو من عينٍ متناهية في الحرارة، وأمَّا مطعمهم فهو الضريع، وقد اختلف المفسرون في ماهيته، «ولله دُرٌّ من قال: الضريع طعام أهل النار؛ فإنه أعمُّ وأسلم من عُهدة التعيين»^(١١١)، ثم وصف الله ﷻ هذا الطعام بقوله: (لا يُسمن ولا يُعني من جوع)، فقد نفى عنه منفعتي الغذاء، وهما إماطة الجوع وإفادة القوة والسمن في البدن، أو يكون المعنى: ليس لهم طعامٌ أصلاً^(١١٢).

وحين تخشع القلوب وترهب النفوس، وربما يداخلها يأسٌ من رحمة الله لشدة ما تسمع من تصويرٍ دقيقٍ لهذا العذاب الرهيب يأتي المشهد الثاني ليصوِّر جزاء الفريق المقابل، وليكشف عن حجم النعيم الذي يعيشون فيه، وهو ما يبعث في النفوس الأمل والتفاؤل، ويحقِّق لها التسلية والتبشير، وهو ما كانت تحتاجه بعد أن كانت تصغي لمشهد العذاب القاسي. وتقديم مشهد وصف الأشقياء أصحاب الوجوه الخاشعة أقرب إلى جوِّ الغاشية وظلِّها، وأدخل في تهويل حديثها وتفخيمه؛ لأنَّ مبنى السورة على التخويف كما يُنبئ عنه لفظ (الغاشية)، فالمقام لإنذار المؤثرين الحياة الدنيا^(١١٣)، ولأنَّ حكاية حُسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكيَّ حُسنًا وبهجة^(١١٤).

وقد تنبّه بعض المفسّرين إلى سبب الاستغناء عن العطف بالواو بين المشهدين بحكم اشتراكهما في حكم البيان لحديث الغاشية، فأوضح أنّ السبب التنبيه على أنّ المقصود من الاستفهام في مطلع السورة الإعلام بحال المعرّض بتهديدهم، وهم أصحاب الوجوه الخاشعة، فلما حصل ذلك الإعلام بمشهد العذاب تمّ المقصود، فجاءت الجملة بعدها مفصلة؛ لأنها جعلت استئنافاً بيانياً جواباً عن سؤالٍ مُقدّرٍ تثيره الجملة السابقة، فيتساءل السامع: هل من حديث الغاشية ما هو مغايرٌ لهذا الهول؟ أي ما هو أنسٌ ونعيمٌ لِقَوْمٍ آخرين؛ ولهذا النظم صارت هذه الجملة بمنزلة الاستطراد والتميم؛ لإظهار الفرق بين حالي الفريقين، ولتعقيب النذارة بالبشارة، فموقع هذه الجملة المستأنفة موقع الاعتراض، ولا تنافي بين الاستئناف والاعتراض وذلك موجب لفصلها عما قبلها، وفيه جري القرآن على سننه من تعقيب الترهيب والترغيب^(١١٥).

لقد صوّرت هذه الآيات مشهدين من مشاهد القيامة، وهذان المشهدان متقابلان تقابل تضاد؛ إذ المشهد الأول يصوّر العذاب الأخرويّ لأهل الشقاء، فترى هناك وجوهاً خاشعةً ذليلةً مُتعبةً مُرهقة، عملت ونصبت فلم تحمد العمل ولم ترضَ العقابة، ولم تجد إلا الوبال والخسار، فزادت مضضاً وإرهاقاً وتعباً، وهي تُسقى من عينٍ آنيةٍ حارّةٍ بالغة الحرارة، وتتغذّى من طعامٍ لا نفع فيه ولا غناء.

أمّا المشهد الثاني فعلى النقيض تماماً من المشهد الأول، ففيه وجوهٌ ناعمةٌ يبدو عليها النعيم، ويفيض منها الرضا، وجوهٌ تنعم بما تجد، وتُحمد بما عملت، فوجدت عُقباه خيراً وودّاً ورضى، فهي تنعم بالعين الجارية، والسرر المرفوعة، والنمارق المصفوفة، والزرابيّ المبتوثة^(١١٦).

وقد اعتمد القرآن الكريم في عرض هاتين الصورتين على طريقة المقابلة التامة بين جميع الأجزاء فيهما، وهذا التقابل الكامل في جزئيات المشهد لونه من ألوان

التناسق في العرض، فقد قوبلت (خاشعة) ب(ناعمة)، و(عاملة ناصبة) ب(لسعيها راضية)، و(تصلى ناراً حامية) ب(في جنّة عالية)، و(تُسقى من عينِ آنية) ب(فيها عينٌ جارية)، وقوبل شقاء عيش أهل النار الذي أفاده قوله: (ليس لهم طعامٌ إلا من ضريع، لا يُسمن ولا يُغني من جوع) بمقاعد أهل الجنة المشعّرة بترف العيش من شرابٍ ومتاع^(١١٧).

«إنَّ هذه البنية التي تقوم على علاقات التنافر والتضادِّ والتواصل فيما بين عناصرها تكشف عن أسلوبٍ متميِّزٍ في تفجير المعنى من خلال حركة النسق اللغوي في الصياغة القرآنية... إذ إنَّ مدار العلاقات بين عناصر التحليل يمكن أن ينطلق من بنية التضادِّ القائمة بين عنصري النار والجنّة؛ لأنهما يُشكِّلان نقطة المفارقة بين قسمي التركيب، فكلُّ عنصرٍ منهما يحدِّد حقيقة الوجوه التي ترتبط بها»^(١١٨).

فهذه الطريقة في العرض من شأنها أن تبرز الحقائق الغيبية عن اليوم الآخر التي يصعب إدراكها إلا باستخدام الوسائل المناسبة في الإقناع والإمتاع، فيها تكتمل جميع المشاهد، وتجتمع كلُّ المعلومات الضرورية والكافية لإقامة المفاضلة، وحُسن الفهم، وسلامة الاختيار^(١١٩).

لقد أفصحت هذه النماذج عن أنَّ القرآن يسعى في بعض المواضع إلى تحقيق غرض التسلية والتبشير حين ينتقل من مشهدٍ إلى مشهد، ولا غرو أن يكون الاهتمام بهذا الغرض لافتاً في سور جزء عمِّ؛ لأنَّ الفترة المكية المبكرة التي نزلت فيها كانت صعبةً على المؤمنين لما لاقوه فيها من ضعفٍ وذل، ولما عانوه من قلّةٍ وفقر، فجاءت الآيات لتربط على قلوبهم، وتسليهم بذكر مؤمني الأمم السابقة وما لاقوه من أقوامهم، وكيف كانت نتيجة كلِّ من الفريقين، كما جاءت لتكشف لهم عن النعيم المقيم الذي ينتظرهم، خاصّةً بعد مشاهد العذاب

الأليم الذي ينتظر أعداءهم الذين كانوا يسخرون منهم، ويصدُّونهم عن سبيل الله واتباع رسوله ﷺ.

- ذكر النموذج:

يهتمُّ القرآن الكريم بالإقناع والتأثير، ويحشد لذلك كلَّ وسيلةٍ تسهم في تحقيق هذا الهدف، ومن أبرز الوسائل التي يلحظها المتأمل في سور جزء عمّ ذكر النموذج، وهو ما يمثِّل علاقةً وثيقةً بين مشهدين في السورة، حيث تتحدَّث آيات المشهد الأول عن موضوع معيَّن، أو تُقرِّر حقيقةً مُحدَّدة، ثم تأتي آيات المشهد الثاني لتذكر نموذجاً أو مجموعةً من النماذج المتَّصلة بهذا الموضوع أو تلك الحقيقة، ويكون الهدف من ذلك التأكيد والتثبيت، أو إظهار عظمة المولى ﷺ وقدرته، أو التذليل على صدق ما تحدَّثت به آيات المشهد الأول، أو غير ذلك من الأغراض التي يريد القرآن الكريم تحقيقها من خلال ذكر هذه النماذج، وهو ما يسهم في تكوين صليَّة واضحةٍ في ذهن المتلقِّي بين المشهدين في السورة الكريمة، ويكون الانتقال من الأول إلى الثاني فيها حاملاً لكثيرٍ من أسباب اللطافة والجمال.

ومن المواضع التي حرص فيها القرآن الكريم على ذكر نموذجٍ في المشهد الثاني لما يُقرِّره في المشهد الأول من حقائق وموضوعات ما جاء في قوله ﷺ:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ، ثم قوله ﷻ بعد ذلك:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ (البروج: ١٢، ١٣، ١٧، ١٨).

فقد قرَّر القرآن حقيقةً من الحقائق التي طالما كان يؤكِّد عليها في سوره الكريمة، خاصَّةً حين تكون مكِّيَّةً مبكِّرة النزول، وهي حقيقة شدَّة عذاب الله وعظيم انتقامه، وذلك أنَّ الخطاب في معظم تلك السور كان مُوجَّهاً إلى المشركين

الذين كفروا بالله وبرسوله، وأنكروا حقائق الإيمان وأصول الدعوة، وسخروا من المؤمنين الذي سارعوا في اتباع أوامر الله ﷻ ورسوله ﷺ، غير أنه في الوقت نفسه غفورٌ للمؤمنين يتوَدَّد إليهم ويُرغِبهم في طاعته لنيل نعيمه ورضوانه، وهو في كلِّ الأحوال لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وفي هذا المشهد وعيدٌ وتهديدٌ لأصحاب الأعداء، وتبشيرٌ للمؤمنين الذين عُذِّبوا على أيديهم.

ثم ينتقل السياق القرآني إلى خطاب النبي ﷺ مفتتحاً هذا المشهد باستفهامٍ غرضه التشويق لمعرفة الجواب، وذلك من خلال سؤاله عن حديث الجنود إن كان قد أتاه أو سمع به، وقد كشفت عنهم الآية التالية التي أخبر فيها القرآن الكريم أنه يقصد بهم قوم فرعون وثمود، دون أن يُفصِّل في خبر هؤلاء الأقسام وما حلَّ بهم من عذاب.

واللافت هنا هو انتقال القرآن الكريم من مشهد الحديث عن غضب الله، وشدة انتقامه، واتساع مغفرته، وعظيم قدرته، إلى الحديث عن هذين القومين، وسؤال النبي ﷺ عنهم وعن خبرهم وحديثهم إن كان قد بلغه، وهو انتقالٌ يفتح سؤالاً مفاده: ما العلاقة بين المشهدين؟ وما الذي استدعى حديث الجنود؟ وما السرُّ البيانيُّ الذي أراد القرآن الكريم إبرازه من خلال هذا الانتقال اللطيف؟

وعند التأمل في الصلة بين المشهدين وملاحظة العلاقات والوشائج بينهما يتَّضح ملامح من ملامح إعجاز القرآن البلاغي، وإبداعه في التصرُّف في أفانين القول والكلام، وكيف أنه ينتقل بين مشاهدته ببراعةٍ وجمالٍ دون أن يشعر المتلقِّي بتنافرٍ بينها، أو يحسَّ بأنَّ المشهد الثاني خارجٌ عن موضوع المشهد الأول ولا علاقة له به، بل يجد بينهما أقوى الارتباطات، وألطف الوشائج، وهو ما يسهم في تحريك نشاط السامعين ويساعد على إصغائهم.

وبيان ذلك أنه لما قرّر في المشهد الأول شدّة بطش المولى ﷺ وعظيم انتقامه أردف ذلك بذكر نماذج من الأمم السابقة التي واجهت هذا البطش، وحلّ بها ذلك الانتقام، ولذا خاطب النبي ﷺ مستفهماً استفهام تشويقي إن كانت هذه النماذج قد أتاه خبرها، وبلغه حديثها، وهو ما يؤكّد من قوّة هذا البطش، ويستشهد عليه بأمثلة وشواهد عرفها العرب وسمعوها، وحين تأتي آيات المشهد الثاني بهذه النماذج المخيفة المرعبة تكون آيات المشهد الأول أشدّ وقعاً في النفوس، وأكثر تأثيراً في القلوب، مع ما في ذلك من تسلية له ﷺ، وتبشير بنصره على أعدائه، وتهديد ووعيد للمشركين الذين كذبوا به، وآذوه، وسخروا من أتباعه المؤمنين.

يقول البقاعي في بداية تفسيره للمشهد الثاني: «ولما تمت الدلالة على أنّ بطشه شديد، قرّره بما وُجد من ذلك، وذكره به تخويفاً وتسلية له؛ لأنّ النظر في المحسوسات أمكن في النفوس فقال: (هل أتاك)»^(١٢٠)، وربط الرازي هذا المشهد بموضوع السورة الذي كان عن أصحاب الأخدود، فقال: «اعلم أنه تعالى لما بين حال أصحاب الأخدود في تأذي المؤمنين بالكفار، بيّن أنّ الذين كانوا قبلهم كانوا أيضاً كذلك»^(١٢١).

لقد جاءت هاتان الآيتان مستأنفتان لتقرير ما تقدّم ذكره من بيان شدّة بطشه ﷺ، وكونه فعّالاً لما يريد، من خلال ذكر النماذج الواقعية لهذه الحقائق، كما أنّ في هاتين الآيتين تسليةً للرسول ﷺ عمّا كان يلاقيه من قومه من أذى وصدود^(١٢٢)، والمراد بالجنود ههنا الجماعات التي تجنّدوا على أنبياء الله ﷺ واجتمعوا على ذريتهم، والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال، وما حلّ بهم من العذاب والنكال^(١٢٣).

ومن بلاغة هذا الانتقال أسلوب الإيضاح بعد الإبهام الذي جاء المشهد الثاني من خلاله، فقد أثار الإبهام هنا شوقاً وترقّباً لمعرفة هؤلاء الجنود وحديثهم المستفهم عن إتيانه، مما يجعله يُحَرِّك من مشاعر المتلقّي، ويزيد من ترقُّبه واشتياقه لما سيُذكر بعد ذلك، فإذا جاء الإيضاح تمكَّن في ذهنه، واستقرَّ في قلبه، ووقع في نفسه أجمل موقعٍ وأثبتته.

كما أنَّ في هذا الأسلوب تهويلاً لأمر هؤلاء الجنود وتفخيماً لشأنهم، وهذا مما يزيد من شوق المتلقّي في انتظار هذا الإيضاح، ويُلقي في روعه أبلغ صور الوعيد ومشاهد التخويف، لاسيما أنَّ السياق سياق استعراضٍ لقدرة الله ﷻ، وعرضٍ لشدة بطشه، وعظيم انتقامه.

ولعلَّ مما يلفت الانتباه في هذا الإيضاح اقتصاره على ذكر نموذجين فحسب من الأقوام الذين أهلكهم الله ﷻ بسبب طغيانهم وتكذيبهم لرسولهم وكفرهم بما كانوا يدعونهم إليه، وهما قوماً (فرعون) و(ثمود)، على الرغم من أنَّ هناك أقواماً أخرى انتهجت النهج نفسه في التعامل مع الرسل من كفرٍ بهم، واستهزاءٍ بدعوتهم، وإيذاءٍ لهم ولأتباعهم، ولعلَّ هذا الاقتصار يعود إلى أمورٍ منها: شهرة قصة هذه الأقوام عند العرب في الجاهلية وعند أهل الكتاب، فقد كانوا يسمعون قصة فرعون وجنوده وقوم موسى ﷺ، ورأوا آثار هلاك ثمود قوم صالح ﷺ؛ لأنها كانت في ممرِّهم وفي بلادهم^(١٢٤)، ثم إنه بهذا الاقتصار يكون القرآن الكريم قد جمع بين مُتقدِّمي الكفَّار ومتأخِّريهم^(١٢٥).

كما أنَّ بين هاتين القصتين وبين قصة أصحاب الأخدود ما بينهما من المشاكلة والمشابهة، وفرعون طغى وادَّعى الربوبية، وكذلك فعل ملك الأخدود، وفرعون عدَّب بني إسرائيل وقد رأى من الآيات ما يدلُّ على صدق موسى ﷺ،

وكذلك فعل ملك الأخدود بالمؤمنين حينما شقَّ الأخاديد وأهلكهم فيها بالنار وقد رأى ما يدلُّ على صدق الغلام، وفرعون عجز عن إدراك موسى عليه السلام، والملك عجز عن قتل الغلام، وكذلك آمن السحرة لما رأوا آية موسى عليه السلام، وكذا آمن الناس ببرِّ الغلام، «فظهر تناسب ذكر فرعون دون غيره من الأمم الطاغية السابقة، وإن كان في الكلِّ عظةٌ وعبرة، ولكن هذا منتهى الإعجاز في قصص القرآن وأسلوبه»^(١٢٦).

وكذلك ثمود لما كان منهم من مظاهر القوة والطغيان، وقد جمعهما الله وعجل أيضاً في سورة الفجر في قوله تعالى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِي جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ (الفجر: ٩، ١٠) وهكذا جمعهما هنا.

والثفت البقاعي إلى سرِّ آخر لهذا الإيضاح المخصوص بيَّنه بقوله: «وقد جمع سبحانه بهما بين العرب والعجم والإهلاك بالماء الذي هو حياة كلِّ شيءٍ والصيحة التي هي أمانة الساعة، وإنما كانت آيتهما أبين لأنَّ آية ثمود ناقصةٌ خرجت من صخرة صماء، ومن آيات موسى عليه السلام إبداع القمل الذي لا يُحصى كثرةً من الكتبان، وإبداع الضفادع كذلك والجراد وإحياء العصا مرَّةً أخرى، ولا شكَّ عند عاقلٍ أنَّ مَنْ قدر على ذلك ابتداءً من شيءٍ لا أصل في الحياة فهو على إعادة ما كان قبل ذلك حيًّا أشدُّ قُدرةً»^(١٢٧).

ولا يمكن أن أغفل الجانب الصوتي الجميل الذي تحقَّق باختيار هذين القومين، وهو إيقاعٌ ينسجم مع المشهد الذي وردت فيه هاتين القصتين، فقد حُتمت فواصل هذا المشهد بدايةً من قوله عليه السلام: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ بحرف الدال المجهور الشديد الانفجاري، وهو صوتٌ يتناسق مع الوعيد والتهديد الذي يطغى على جوِّ هذا المشهد الرهيب، وقد جاءت الفاصلة (ثمود) لتكمل التناسب مع هذا الجوِّ المجلجل.

والاكتفاء بذكر هؤلاء القوم دون التعرُّض للحديث عن قصصهم ومواقفهم وسوء عاقبتهم لشهرة كلِّ ذلك عندهم، ولأنه قد مضى ذكر قصصهم في غير موضع من القرآن، إضافةً إلى أنَّ ذلك مما ينسجم مع جوِّ هذا المشهد الذي يتميَّز بالإيجاز والاختصار، والاكتفاء بالإشارة إلى الحدث دون الدخول في التفاصيل، والسرعة في الإيقاع، مما يتناغم مع قدرة الله ﷻ، والإيجاء بسرعة بطشه وانتقامه، بحيث لا يُبطئه شيءٌ ﷻ.

ومن المواضع التي اعتمد فيها القرآن الكريم على ذكر النموذج بوصفه غرضاً من أغراض الانتقال بين مشهدين في السورة ما جاء في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾، ثم قوله ﷻ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) بِيَمِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (البلد: ٨، ٩، ١١-١٦).

فقد كانت آيات المشهد الأول تتحدَّث عن الإنسان الكافر، الذي يتفاخر ببذل المال وإتلافه في غير صلاح؛ دليلاً على عدم اكتراثه به، وكيف أنه يحسب أنَّ لا أحد يطلع عليه ويعلم أنَّ افتخاره بذلك كذب وزور، وكيف يغفل المولى ﷻ عنه وهو الذي أنعم عليه هذه النعم، فجعل له عينين ولسانا وشفَتين، وألهمه إدراك طريقي الخير والشر، وهداه إلى معرفة عاقبة كلِّ واحدٍ منهما.

ثم انتقل السياق إلى مشهدٍ آخر، حيث يعرض القرآن فيه على هذا الإنسان اقتحام العقبة التي تساءل عنها ثم فسَّرها بما سيأتي بيانه، وهنا يبرز السؤال: ما العلاقة بين المشهدين؟ وما مسوِّغات الانتقال بينهما؟ وما الرابط بين ذكر نعم الله ﷻ على هذا الإنسان وبين أن يُعرض عليه اقتحام العقبة؟

إنَّ التأمل في العلاقة بين المشهدين يكشف عن مدى بلاغة القرآن، واهتمامه بالتناسب بين مشاهدته وحسن انسجامها، حتى إنَّ السامع لا يشعر بهذا الانتقال رغم تغْيُر الموضوع وتبدُّل السياق، غير أنَّ قوَّة الصلة بين المشهدين تجعل السورة كاللحمة الواحدة والمشهد المتَّحد، مما يجعل النفوس حائرةً في عظمة الإعجاز البياني، وروعة التعبير البلاغي لهذا الوحي الإلهي.

وذلك أنَّه لما كانت آيات المشهد الأول تُعدِّد بعض نعم الله ﷻ على هذا الإنسان الكافر الذي كان يتفاخر بإنفاق ماله في غير وجهه ذكر في هذا المشهد نماذج من السبل الصالحة والوجوه الفاضلة التي كان ينبغي عليه أن ينفق فيها ماله حتى ينال رضا ربِّه لو كان مؤمناً، ثم ينال رضا الناس؛ لأنَّها سبلٌ تنفعهم ووجوهٌ تفيدهم.

يقول الرازي بعد تفسيره لآيات المشهد الأول: «ثم إنه ﷻ دلَّ عباده على الوجوه الفاضلة التي تنفق فيها الأموال، وعرَّف هذا الكافر أنَّ إنفاقه كان فاسداً وغير مفيد، فقال تعالى: (فلا اقتحم العقبة)»^(١٢٨)، ويقول النيسابوري في السياق نفسه: «ثم عرَّف عباده وجوه الإنفاق الفاضلة؛ تعريضاً بأنَّ ذلك الكافر لم يكن إنفاقه في وجهٍ مرضيٍّ معتدِّ به؛ لا ابتناء قبول الطاعات على الإيمان الذي هو أصل الخيرات»^(١٢٩)، وهي تفسيراتٌ تسعى إلى بيان الصلة بين المشهدين، وتركِّز على ذكر نماذج من وجوه الخير وسبل الفضل التي حثَّ القرآن الكريم هذا الكافر على إنفاق ماله فيها بدلاً من تفاخره بغير ذلك، بوصفها العلاقة الوثيقة التي تربط بين المشهدين في السورة.

وقد توقَّف البقاعي عند هذا المشهد، وسعى إلى ربطه بالمشهدين السابقين، مشيراً إلى ذكر النموذج الذي استدعى المشهد الأخير منها، يقول: «ولما كان معنى ما مضى أنَّ هذا الإنسان عاجزٌ وإن تناهت قوته، وبلغت الذروة

قدرته،... وأنه معلومٌ جميع أمره، مفضوحٌ في سرِّه كما هو مفضوحٌ في جهره،... فهو موصولٌ إليه مقدورٌ عليه، وأنه كان يجب عليه الشكر على ما جعل له ﷺ من القوى التي جعلها لسوء كسبه آلات للكفر، سبب ﷺ عنه قوله تفصيلاً للأشياء الموصلة إلى الراحة في العقبي، نافياً لفعالها عنه على سبيل الحقيقة دلالة على عجزه: ﴿فَلَا افْتَحَمَ الْعُقْبَةَ﴾ (١٣٠).

ومن المواضع التي يرى المتدبر فيها ذكر النموذج بوصفه غرضاً من أغراض الانتقال بين مشهدين في السورة الكريمة قوله ﷺ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ ثم قال ﷺ بعد ذلك: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ (الشمس: ١، ٢، ١١).

فقد أقسم الله ﷺ في المشهد الأول ببعض خلائقه العظيمة والمشاهد الكونية المتقابلة، كما أقسم بالنفس وتسويتها وإلهامها الفجور والتقوى على حقيقة كبرى من حقائق النفس البشرية، وهي فلاح مَنْ زَكَّى نفسه ونَمَّأها بطاعة الله ﷺ، وخيبة من أخفاها وحقرها وصغرَّها بمعصية الله ﷻ.

ثم انتقل السياق القرآني إلى الحديث عن قصة ثمود وما حصل منهم حين كذَّبوا رسولهم وعقروا الناقة التي أرسلت لهم آية، فأهلكهم الله ﷻ بالصيحة، فلم يُبقِ منهم أحداً.

لقد كان المتلقي في المشهد الأول يصغي إلى قسمٍ عظيمٍ من أقسام المولى ﷻ، متفكراً في تلك المشاهد الكونية التي وردت في سياقه، ومستحضراً عظمته ﷺ وكبير قدرته، وقد شدَّه طول المقسم به إلى التعرف على جواب القسم، واشتاق نفسه إلى هذا الأمر الذي يقسم القرآن عليه بكلِّ هذه المخلوقات؛ لذا هو يرهف سمعه له، ويترقبه أشدَّ ترقب، فإذا وصل إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

رَكَاهَا (٩) وَقَدْ حَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿﴾ تَمَكَّنَ فِي نَفْسِهِ أَشَدَّ تَمَكَّنَ، وَاسْتَوْعَبَهُ قَلْبُهُ أَقْوَى اسْتَبْعَابَ، فَإِذَا مَا حَصَلَ لِلْمَتَلَقِّي ذَلِكَ تَفَاجَأَ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا بِتَبَدُّلِ السِّيَاقِ، وَتَغْيِيرِ الْمَوْضُوعِ، وَإِذَا بِالْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ تَنْتَقِلُ إِلَى مَشْهَدٍ جَدِيدٍ وَمَوْضُوعٍ مَغَايِرٍ، وَتَحَدَّثَتْ عَنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ بِرَسُولِهَا، وَكَيْفَ كَانَ عِقَابُهُمْ، وَهُوَ مَا يَثِيرُ فِي الْمَتَلَقِّي تَسَاوُلًا لَهُ مَا يُبْرِزُهُ، فَمَا مَسَوِّغٌ هَذَا الْإِنْتِقَالَ؟ وَمَا الصَّلَةُ الَّتِي بَيْنَ الْمَشْهَدَيْنِ؟ وَمَا الَّذِي جَعَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَعْقِبُ مَشْهَدَ الْقِسْمِ بِمَشْهَدِ قِصَّةٍ مِنَ الْقِصَصِ الْأُمَمِ الْبَائِدَةِ؟

إِنَّ الْمَتَأَمِّلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالْمُتَدَبِّرَ فِي الْمَشْهَدَيْنِ اللَّذَيْنِ تَكُونَتْ مِنْهُمَا سِيدْرُكَ أَنَّ هَذَا الْإِنْتِقَالَ لَمْ يَكُنْ عِبَثًا أَوْ اعْتِبَاطًا، وَحَاشَا أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، بَلْ لَهُ مَنَاسِبَةٌ لَطِيفَةٌ، وَسِرٌّ بَيَانِيٌّ بَلِيغٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا حَكَمَ بِفَلَاحِ مَنْ رَكَى نَفْسَهُ وَخِيْبَةَ مَنْ دَسَّاهَا ذَكَرَ فِي الْآيَاتِ الْبَاقِيَةِ فِرْقَةً خَابَتْ وَخَسِرَتْ لِتَكُونَ نَمُودَجًا مِنْ نَمَازِجِ الْخِيْبَةِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ يُدْسِي نَفْسَهُ فَيَحْجِبُهَا عَنِ الْهُدَى وَيَدْتَسُّهَا؛ حَتَّى يُعْتَبِرَ بِهِمْ، وَيُنْتَهَى عَنْ مِثْلِ فَعْلِهِمْ^(١٣١)؛ وَهَذَا ذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ اسْتِثْنَاءٌ وَارِدٌ لِتَقْرِيرِ مَضْمُونِ قَوْلِهِ: ﴿وَقَدْ حَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾؛ لِأَنَّ الطَّغْيَانَ أَعْظَمَ أَنْوَاعِ التَّدْسِيَةِ^(١٣٢)، بَلْ رَأَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْإِرْدَافَ بَحِيْبَةَ مَنْ دَسَّى نَفْسَهُ إِنَّمَا كَانَ لِتَهْيِئَةِ الْإِنْتِقَالِ إِلَى الْمَوْعِظَةِ بِمَا حَصَلَ لِثَمُودَ مِنْ عِقَابٍ عَلَى مَا هُوَ أَثَرُ التَّدْسِيَةِ^(١٣٣).

إِذَنْ فَقَدْ كَانَ الْمَوْلَى ﷺ يَقْسِمُ فِي الْمَشْهَدِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ بِفَلَاحِ مَنْ رَكَى نَفْسَهُ، وَخِيْبَةَ مَنْ حُرِّمَ مِنْ ذَلِكَ فَأَطَاعَ هَوَاهُ وَطَغَى وَتَكَبَّرَ، وَهُوَ الْمَوْضُوعُ الرَّئِيسُ الَّذِي قَامَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ، وَالْفِكْرَةُ الَّتِي كَانَتْ الْآيَاتُ تَسْعَى إِلَى تَأْكِيدِهَا وَتَرْسِيخِهَا فِي النُّفُوسِ، وَهِيَ حَقِيقَةُ تَكْوُّنِ مَنْ جَزَيْنَ رَئِيسِينَ، الْفَلَاحِ لِمَنْ رَكَى نَفْسَهُ، وَالْخِيْبَةَ لِمَنْ دَسَّاهَا، وَمَا ذَكَرَ الْجُزْءَ الثَّانِيَّ مِنْهُمَا اسْتَدْعَى ذَلِكَ

المشهد الثاني الذي سعى فيه القرآن الكريم إلى الإفصاح عن نموذج من النماذج التي توضّح هذا الجزء، وتكشف عن خطورة عاقبته، كي تحصل العبرة والعظة، وحينها يستوعب المتلقّي هذه الحقيقة المقرّرة تنظيراً وتطبيقاً، ويعيها قلبه وهو يصغي للعذاب الذي حلَّ بهؤلاء القوم الذين دسّوا أنفسهم وحرموها من الهداية، حيث كذّبوا برهم وعصوا أمر رسوله، فخابوا وخسروا، وحلَّ بهم الهلاك، ونزل بهم العذاب.

وذهب بعض المفسّرين إلى أنّ جواب القسم محذوف، وتقديره: ليدمدمنّ الله عليهم - أي على أهل مكّة لتكذيبهم الرسول ﷺ - كما دمدم على ثمود لأنهم كذّبوا صالحاً، وأوا أنّ قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء^(١٣٤)، ومهما يكن من شيء فإنّ المقصود من كلّ ذلك التعريض بتهديد المشركين الذين كذّبوا الرسول ﷺ طغياناً وكبراً، وذلك بتنظيرهم بتمود في أنّ سبب تكذيبهم هو الطغيان والتكبر عن اتّباع من لا يرون له فضلاً عليهم^(١٣٥).

أمّا تخصيص قصة ثمود هنا بالذكر دون بقية الأمم فقد تعدّدت أقوال المفسّرين في ذلك، فرأى بعضهم أنه تعالى «خصّهم لأنّ آيتهم مع أنّها كانت أوضح الآيات في نفسها هي أدّها على الساعة، وقربش وسائر العرب عارفون بهم؛ لما يرون من آثارهم ويتناقلون من أخبارهم»^(١٣٦)، ورأى بعضهم أنّ السبب في ذلك أنّهم أخفُّ الأمم المكذّبة ذنباً وعذاباً، فعاقبهم الله هذا العقاب الأليم، فكيف بمن هم مثلهم أو أشدّ منهم تكديباً^(١٣٧).

ورأى النيسابوري أنّ تخصيص قصة ثمود بالذكر مناسبٌ لسياق السورة الذي جاء لبيان مراتب النفس في السعادة والشقاء، فهذه القصة مناسبة لأحوال النفس الإنسانية^(١٣٨). ويقول ابن القيم: «المقصود أنّ الآية أوجبت لهم البصيرة فأثروا الضلالة والكفر عن علمٍ ويقين؛ ولهذا والله أعلم ذكر قصتهم من بين قصص سائر الأمم في سورة (والشمس وضحاها)؛ لأنه ذكر فيها انقسام النفوس إلى الزكية الراشدة المهتدية وإلى الفاجرة الضالة الغاوية، وذكر فيها الأصليين: القدر والشرع، فقال: (فألهمها فجورها وتقواها)، فهذا قدره وقضاؤه، ثم قال: (قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها)، فهذا أمره ودينه، وثمود هداهم فاستحبوا العمى على الهدى، فذكر قصّتهم ليبيّن سوء عاقبة من آثر الفجور على التقوى، والتدسية على التزكية»^(١٣٩).

ومن المواضع التي يرى فيها المتأمل ذكر النموذج بوصفه علاقةً يعتمد عليها القرآن الكريم في الانتقال من مشهدٍ إلى مشهدٍ في السورة ما جاء في قوله **وَعَلَيْكَ**: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، ثم قوله **وَعَلَيْكَ** بعد ذلك: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (٦) **وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى** (٧) **وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى** ﴿ (الضحى: ٥، ٦-٨).

فحين أقسم المولى **وَعَلَيْكَ** بالضحى والليل على أنه لم يترك نبيّه ﷺ ولم يبغضه، وأنه سوف يعطيه العطاء الذي يرضيه، انتقل السياق القرآني إلى الحديث عن نعم الله ﷻ على الرسول ﷺ، وتذكيره بالمنن التي أفاضها عليه.

وقبل بيان العلاقة بين المشهدين أرى أنّه لا بُدَّ من الكشف عن مناسبة نزول هذه السورة، فأغلب المفسّرين^(١٤٠) على أنّ سبب نزولها هو إبطاء الوحي في أوائله على الرسول ﷺ حتى شقَّ ذلك عليه، وقد قال له المشركون حينها: إنّ ربك قد قلاك وودّعك وتركك؛ وذلك شماتةً منهم وفرحاً بهذه المصيبة التي حلّت

على النبي ﷺ فأقضت مضجعه، وما بين هذه الشماتة التي أظهرها الكفار وذلك الكدر الذي حلَّ برسول الله ﷺ يأتي هذا القسم الإلهي ليُفَنِّدَ مزاعم المشركين، ويُبْطِلَ دعواهم، ويُعَرِّضَ بكذبهم وافتراءهم، ويؤكِّد أنَّ هذا الإبطاء ليس بسبب توديع أو قلى، وهذا الموقف من المشركين وذلك الشعور من النبي ﷺ لم يكن ينفَعُ معهما إلا القسم الذي هو من أقوى المؤكِّدات وأشهرها، فيأسُّ معه أولئك الشامتون، وتسكن معه نفس النبي ﷺ التي كانت في أشدِّ الحاجة إلى هذا التأكيد المطمئن، والملاحظ هنا أنَّ القسم في هذا المشهد لم يقف عند حدِّ ردِّ تلك الدعوى، بل تجاوز ذلك إلى بشارة النبي ﷺ بما ذكر ليزداد مع سكونه واطمئنانه فرحاً وبهجة، ولتعظم في الوقت نفسه مصيبة الكفار، ويزداد غيظهم وحنقهم.

وبذلك تتضح ملامح العلاقة بين المشهدين، إذ كان المولى الكريم في المشهد الأول يقسم على أنه لم يودِّع رسوله ولم ييغضه؛ تبشيراً لنفسه وتطميناً لقلبه ﷺ، بل زاد على ذلك بأن وعده بالعطاء حتى الرضى، ثم جاء المشهد الثاني ليرسم نماذج من نعمه السابقة، وفضائله القديمة، ليؤكِّد من خلالها أنه - كما لم يتخلَّ عنه في السابق - فإنه لن يتخلَّى عنه في المستقبل، وهو ما يبعث في قلب المصطفى ﷺ الراحة والطمأنينة في وقتٍ كان أشدَّ ما يكون احتياجاً لهما، خاصَّةً أنه كان حينها يمرُّ بفترةٍ عصبية، حيث انقطع عنه الوحي، فقال المشركون إنَّ ربه ودَّعه وقلاه، فجاءت هذه السورة الكريمة لتعيد إليه الأمل، وتشرح صدره بالبشارة، وتغيظ في الوقت نفسه المشركين، ليستمرَّ مجدداً في الدعوة الإسلامية كما كان في أول الأمر.

ويبيِّن الطاهر ابن عاشور -مفصلاً عن وشائج هذه العلاقة بين هذا المشهد وما قبله من مشاهد- أنَّ هذا المشهد: «استئناف مسوق مساق الدليل على تحقُّق الوعد، أي هو وعدُّ جارٍ على سنن ما سبق من عناية الله بك من

بداية نشأتك ولطفه في الشدائد باطِّراد، بحيث لا يحتمل أن يكون ذلك من قبيل الصدف؛ لأنَّ شأن الصدف أن لا تتكرَّر، فقد علم أنَّ اطراد ذلك مراد لله تعالى»^(١٤١)، ثم يكشف عن أنَّ من أغراض مجيء هذا المشهد بعد المشهد السابق «إيقاع اليقين في قلوب المشركين بأنَّ ما وعده الله به محقق الوقوع قياساً على ما ذكره به من ملازمة لطفه به فيما مضى، وهم لا يجهلون ذلك عسى أن يقلعوا عن العناد، ويُسرعوا إلى الإيمان، وإلا فإنَّ ذلك مساءةٌ تبقى في نفوسهم، وأشباح رعبٍ تخالج خواطرهم، ويحصل مع هذا المقصود امتنانٌ على النبي ﷺ، وتقويةٌ لأطمئنان نفسه بوعده الله تعالى إياه»^(١٤٢).

لقد أفصحت النماذج السابقة عن شدَّة الترابط بين مشاهد سور القرآن الكريم، وعن عنايته الكاملة بحسن الانتقال بينها، كما أفصحت عن اهتمامه بذكر النموذج بوصفه إحدى العلاقات التي تربط بين مشاهد، وتجعلها كاللحمة الواحدة، حيث تُقرَّر آيات المشهد الأول حقيقةً من الحقائق التي يغلب على السور المكية تناولها، ثم يأتي المشهد الثاني ليذكر نماذج على هذه الحقيقة، تكون بمثابة الدليل والبرهان، أو بمثابة البيان والكشف، وهو ما يسهم في تحريك نشاط المستمع، ويساعد على إصغائه واستيعابه لما يُتلى من آيات.

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة أن تكشف عن أبرز الجماليات التي أحدثتها حسن الانتقال والتخلص في المتلقين، خاصة في أولئك المشركين الذين كانت معظم هذه السور الكريمة توجه إليهم الخطاب في المقام الأول، حيث سعت إلى الوقوف عند الأسرار البلاغية واللفترات البيانية في انتقالات القرآن بين مشاهد سوره الكريمة، وانتهت الدراسة إلى مجموعةٍ من النتائج سأسعى إلى إجمالها في الآتي:

١- كشفت هذه الدراسة -من خلال النماذج التي وقفت عندها وحللتها- عن شدة ترابط المشاهد في سور جزء عم، وأنَّ القرآن الكريم لا ينتقل من مشهد إلى مشهد دون أن يكون بينهما علاقة وثيقة، ومناسبة لطيفة، تجعل هذا الانتقال في غاية الإعجاز والبلاغة.

٢- كما أفصحت عن أنَّ الإنكار والتقرير من أهمِّ العلاقات التي تربط بين المشاهد في سور هذا الجزء، ففي الوقت الذي يتحدَّث فيه المشهد الأول في السورة عن إثبات أصلٍ من أصول الإيمان، ويسعى إلى تأكيد مبدأ رئيس من مبادئ الدعوة الإسلامية، يُعقب القرآن بمشهدٍ ثانٍ يكون بمثابة تقرير هذه الحقائق.

٣- برز غرض الإنكار والتقرير بوصفه من أبرز أغراض الانتقال بين مشاهد سور هذا الجزء، حيث إنَّ سوره من أوائل ما نزل من الذكر الحكيم، وكان الخطاب فيها موجهاً نحو مشركي مكة، وكان من الطبيعي أن تؤكد مشاهد هذه السورة على حقائق الإيمان، وتقرر المشركين عليها، وتنكر عليهم جحدها والتكذيب بها، مع أنهم يرون الدلائل على صدقها، ويعاينون البراهين على صحتها.

٤- جاء غرض التدليل والتعليل وإثبات الحقائق بالحجة والبرهان من أبرز الأغراض والجماليات التي يؤدّيها الانتقال بين مشاهد سور جزء عمّ، وذلك من خلال تعليل ما يرد في المشهد السابق من إثباتٍ للدعائم والأصول التي قامت عليها الدعوة الإسلامية، أو من خلال التدليل على صحتها والتأكيد على صدقها، حتى تترسّخ في النفوس وتثبت في العقول، فيكون الإيمان بغيرها تبعاً لها.

٥- أوضحت الدراسة عن عناية القرآن الكريم بغرض التعليل والتدليل حين ينتقل من مشهد إلى مشهد، خاصة في سور هذا الجزء، حيث إنها تُمثّل في مجملها بدايات الدعوة الإسلامية التي كانت في ذلك الوقت تسعى إلى ترسيخ مبادئ الدعوة وأصول الإيمان لدى المخاطبين؛ ولذلك فقد كان تأييد هذه الأصول بالدليل القاطع والحجة الواضحة من أبرز وظائف الانتقال والتخلص من مشهد إلى مشهد في هذه السور الكريمة، وهو ما كان يحتاجه المخاطبون المنكرون في تلك الفترة.

٦- أفصحت النماذج المحللة في هذه الدراسة عن أنّ القرآن الكريم قد يسعى في بعض المواضع إلى تحقيق غرض التسليية والتبشير حين ينتقل من مشهدٍ إلى مشهد، حيث إنّ الفترة المكية المبكرة التي نزلت فيها كانت صعبة على المؤمنين لما لاقوه فيها من ضعف وذل وقلّة وفقر، فجاءت الآيات لتربط على قلوبهم، وتسليهم بذكر مؤمني الأمم السابقة وما لاقوه من أقوامهم، وكيف كانت نتيجة كل من الفريقين، كما جاءت الآيات لتكشف لهم عن النعيم المقيم الذي ينتظرهم، خاصة بعد مشاهد العذاب الأليم الذي ينتظر أعداءهم الذين كانوا يسخرون منهم، ويصدونهم عن سبيل الله واتباع رسوله ﷺ.

٧- بينت هذه الدراسة اهتمام القرآن الكريم بذكر النموذج بوصفه علاقة وثيقة بين مشهدين في السورة، فحين تتحدث آيات المشهد الأول عن موضوع معين، أو تقرر حقيقة محددة، ثم تأتي آيات المشهد الثاني لتذكر نموذجاً أو مجموعة من النماذج المتصلة بهذا الموضوع أو تلك الحقيقة، ويكون الهدف من ذلك التأكيد والتثبيت، أو إظهار عظمة المولى ﷺ وقدرته، أو التدليل على صدق ما تحدثت به آيات المشهد الأول، أو غير ذلك من الأغراض التي يريد القرآن الكريم تحقيقها من خلال ذكر هذه النماذج، وهو ما يسهم في تكوين صلة واضحة في ذهن المتلقي بين المشهدين في السورة الكريمة، ويكون الانتقال من الأول إلى الثاني فيها حاملاً لكثير من أسباب اللطافة والجمال.

هذا، ومن التوصيات التي يمكن تدوينها هنا ضرورة الاهتمام بدراسة انتقالات القرآن وتخلصاته، سعياً إلى تأكيد تماسك بنائه والتحام أجزائه، وهو وجه من وجوه إعجازه، كما توصي الدراسة بعقد موازات بين التخلصات المكية والمدنية.

الهوامش والتعليقات:

- (١) انظر: البرهان: ٣٥/١، الإتيان: ٧٢٤/٣، معترك الأقران: ٥٤/١ وما بعدها.
- (٢) انظر: الإيضاح: ٦٠٩/٢، ٦١٠، شرح عقود الجمان: ١٧٣، ١٧٤، علوم البلاغة: ٣٩١.
- (٣) انظر هذه التسميات في: العمدة: ٢٣٤/١، ٢٣٦، التبيان: ٥٤٦، ترجمان البلاغة: ٨٤، روضة الفصاحة: ١٥٥.
- (٤) انظر: البديع: ٧٥.
- (٥) انظر: كتاب الصناعتين: ٥١٣.
- (٦) انظر: المثل السائر: ٢٢٨/٢.
- (٧) انظر: البديع في نقد الشعر: ٢٨٨.
- (٨) انظر: بديع القرآن: ١٦٧.
- (٩) انظر: خزانة الأدب: ٣٩٩/٢.
- (١٠) المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع: ٤٧٢.
- (١١) انظر: الإيضاح: ٦٠٥/٢ وما بعدها.
- (١٢) بغية الإيضاح: ١٣١/٤.
- (١٣) انظر: حلية المحاضرة: ٢١٥/١، المثل السائر: ٢٤١/٢، الإيضاح: ٦١٠/٢، دراسات منهجية: ١٢٢.
- (١٤) انظر: الإيضاح: ٦١١/٢، علوم البلاغة: ٣٩٢، فنون بديعية: ٢٠٨.
- (١٥) انظر: البرهان: ٤٣/١، الإنصاف في المصطلحات البلاغية المنفية في القرآن: ١٠٠.
- (١٦) انظر: الطراز: ٣٣٠/٢، الأفضى القريب: ٨٤، بغية الإيضاح: ١٣٣/٤.
- (١٧) بديع القرآن: ١٦٨.
- (١٨) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم: ٤٤٥-٤٥٣، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن سورة: ١١٦.
- (١٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٩/١٩، فتح القدير: ٣٦٢/٥، تيسير الكريم الرحمن: ٩٠٦.
- (٢٠) انظر: في علوم القرآن: ٥٦، مباحث في علوم القرآن: ٤٦، ٤٧، المدخل لدراسة القرآن الكريم: ٢٢٨-٢٣٠، المعجزة الكبرى القرآن: ٢٤-٢٦، وانظر: بلاغة البديع في جزء عم: ١٨.

- (٢١) التحرير والتنوير: ١٥/٣٠.
- (٢٢) المرجع السابق: ١٦/٣٠.
- (٢٣) انظر: المرجع السابق: ١٩/٣٠.
- (٢٤) انظر تفسير هذه السور وسبب نزولها في: الكشاف: ١٢١٣، ١٢٢٠، ١٢٢٣، ١٢٢٧،
معالم التنزيل: ٤/٤٧٥، ٤٩٢، ٥٠١، ٥١٢، تفسير القرآن العظيم: ٤/٦٨٣، ٧١٠،
٧١٨، ٧٣١، فتح القدير: ٥/٤٦٩، ٤٩٩، ٥١١.
- (٢٥) انظر: التحرير والتنوير: ٦/٣٠.
- (٢٦) انظر: روح المعاني: ٤/٣٠.
- (٢٧) انظر: التحرير والتنوير: ٧/٣٠، ٨.
- (٢٨) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم: ٤/٣٣٧.
- (٢٩) انظر: تفسير أبي السعود: ٩/٨٤، التحرير والتنوير: ٩/٣٠.
- (٣٠) انظر: تفسير أبي السعود: ٩/٨٥، روح المعاني: ٦/٣٠.
- (٣١) انظر: التحرير والتنوير: ١٠/٣٠.
- (٣٢) انظر: تفسير أبي السعود: ٩/٨٥، روح المعاني: ٦/٣٠، التحرير والتنوير: ١٠/٣٠.
- (٣٣) انظر: الكشاف: ١١٧١، تفسير أبي السعود: ٩/٨٦، روح المعاني: ٧/٣٠، ٨، أضواء
البيان: ٥/٥٣٦.
- (٣٤) الكشاف: ١١٧١.
- (٣٥) نظم الدرر: ٨/٢٩٧.
- (٣٦) التفسير الكبير: ٣١/٤٢.
- (٣٧) تفسير أبي السعود: ٩/١٠١.
- (٣٨) أضواء البيان: ٥/٥٤٥.
- (٣٩) انظر: التفسير الكبير: ٣١/٧٣، التفسير المنير: ٣٠/٩٩.
- (٤٠) انظر: لباب النقول: ٢٠٩.
- (٤١) انظر: جامع البيان: ٢٤/١٣٢، التحرير والتنوير: ٣٠/١٥٣، التفسير المنير: ٣٠/٩٩.
- (٤٢) نظم الدرر: ٨/٣٤٨.
- (٤٣) التحرير والتنوير: ٣٠/١٥٣.
- (٤٤) تفسير أبي السعود: ٩/١٢١.
- (٤٥) نظم الدرر: ٨/٣٤٩.

- (٤٦) غرائب القرآن: ٧١/٣٠.
- (٤٧) انظر: التفسير الكبير: ٧٤/٣١.
- (٤٨) التحرير والتنوير: ١٥٤/٣٠.
- (٤٩) انظر: معالم التنزيل: ٤٢٥/٤، زاد المسير: ٢١٥/٨.
- (٥٠) تفسير القرآن العظيم: ٦١٩/٤.
- (٥١) المرجع السابق: ٦٢٠/٤.
- (٥٢) تفسير أبي السعود: ١٢١/٩، وانظر: روح المعاني: ١١٢/٣٠.
- (٥٣) التفسير الكبير: ٧٤/٣١.
- (٥٤) انظر: غرائب القرآن: ٤٣/٣٠، أنوار التنزيل: ٢٩٢/٥، التفسير الكبير: ٧٥/٣١.
- (٥٥) انظر: المحرر الوجيز: ٢٩٧/١٦.
- (٥٦) انظر: أنوار التنزيل: ٣١٠/٥، تفسير المراغي: ١٠/١٤٦/٣٠، التفسير الوسيط: ٣٨٩/١٥.
- (٥٧) انظر: التحرير والتنوير: ٢٨٦/٣٠، ٢٨٧.
- (٥٨) انظر: المرجع السابق: ٢٨٧/٣٠.
- (٥٩) نظم الدرر: ٢٩٩/٨.
- (٦٠) غرائب القرآن: ١٧/٣٠.
- (٦١) تفسير أبي السعود: ٨٨/٩.
- (٦٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٦/٣٠.
- (٦٣) انظر: نظم الدرر: ٣٨٠/٨، التحرير والتنوير: ٢٢١/٣٠.
- (٦٤) انظر: التفسير الكبير: ١١٤/٣١، تفسير المراغي: ١٠/١٠٤/٣٠.
- (٦٥) انظر: جامع البيان: ٢٨٢/٢٤.
- (٦٦) انظر: التحرير والتنوير: ٢٢٢/٣٠.
- (٦٧) التحرير والتنوير: ٢٢٢/٣٠.
- (٦٨) نظم الدرر: ٣٦٤/٨.
- (٦٩) التحرير والتنوير: ٢٢٢/٣٠.
- (٧٠) التفسير الكبير: ٩٤/٣١، وانظر: حاشية زاده: ٥٤٣/٨، والتفسير المنير: ١٣٢/٣٠.
- (٧١) غرائب القرآن: ١٦٨/٣٠، وانظر: المحرر الوجيز: ١١٢/١٦، التحرير والتنوير: ١٨٥/٣٠.
- (٧٢) فقد روى البخاري ذلك في صحيحه: كتاب التفسير، باب (قوله: خلق الإنسان من علق)، ح ٤٩٥٥، (٥٩٤/٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب (بدء الوحي =

- = إلى الرسول ﷺ)، ح ١٦٠، (١٦٨/٢)، وانظر: معاني القرآن، الفراء: ٢٧٨/٣، الجامع لأحكام القرآن: ١١٧/٢٠، التفسير الكبير: ٢١٥/٣٢، تفسير القرآن العظيم: ٦٨٢/٤، معالم التنزيل: ٤٧٤/٤، تيسير الكريم الرحمن: ٩٣٠.
- (٧٣) انظر: التحرير والتنوير: ٣٨٣/٣٠، أضواء البيان: ٨٨/٦.
- (٧٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٨٨/٣٠.
- (٧٥) انظر: البحر المحيط: ٤٨٩/٨، فتح القدير: ٤٦٨/٥، حاشية زاده: ٦٤١/٨، الفتوحات الإلهية: ٥٦٢/٤، التحرير والتنوير: ٣٩٠/٣٠-٣٩٢.
- (٧٦) انظر: التحرير والتنوير: ٣٩٠/٣٠.
- (٧٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٢٣/٢٠، التفسير الكبير: ٢١٩/٣٢.
- (٧٨) انظر: التفسير الكبير: ٢٢٠/٣٢، نظم الدرر: ٤٨٢/٨، ٤٨٣.
- (٧٩) انظر: جامع البيان: ٥٣٢/٢٤، حاشية زاده: ٦٤٠/٨.
- (٨٠) انظر: النكت والعيون: ٣٠٦/٦، ٣٠٧، تفسير القرآن العظيم: ٦٨٣/٤.
- (٨١) انظر: حاشية الشهاب: ٣٧٩/٨، روح المعاني: ٣٢٦/٣٠.
- (٨٢) انظر: غرائب القرآن: ١٣٥/٣٠، روح البيان: ٤٧٤/١٠.
- (٨٣) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٦٠٠/٤، معالم التنزيل: ٤١٠/٤.
- (٨٤) التفسير الكبير: ٣٨١/٣١، وانظر: أنوار التنزيل: ٢٨٣/٥، غرائب القرآن: ١٩/٣٠.
- (٨٥) انظر: البحر المحيط: ٤١٣/٨.
- (٨٦) التحرير والتنوير: ٧٤/٣٠.
- (٨٧) تفسير القرآن العظيم: ٦٠٢/٤.
- (٨٨) البحر المحيط: ٤١٣/٨.
- (٨٩) فتح القدير: ٣٧٥/٥.
- (٩٠) انظر: بحر العلوم: ٤٢٠/٣، أنوار التنزيل: ٢٧٨/٥.
- (٩١) انظر: غرائب القرآن: ٧٧/٣٠.
- (٩٢) نظم الدرر: ٣١٣/٨.
- (٩٣) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: ١٣٣/٤.
- (٩٤) البحر المحيط: ٤٥٤/٨.
- (٩٥) التفسير الكبير: ١٣٠/٣١.
- (٩٦) الدر المنثور: ٤٠٢/١٥.

- (٩٧) تفسير أبي السعود: ١٤٤/٩.
- (٩٨) فتح القدير: ٤٢٤/٥.
- (٩٩) انظر: التحرير والتنوير: ٢٤٨/٣٠.
- (١٠٠) انظر: جامع البيان: ٢٧٥/٢٤.
- (١٠١) انظر: صفوة التفاسير: ٥٥١/٣، التفسير المنير: ٢٠٢/٣٠، ٢٠٣.
- (١٠٢) انظر: تفسير أبي السعود: ١٤٨/٩، البحر المحيط: ٤٥٨/٨.
- (١٠٣) انظر: حاشية زاده: ٥٨٣/٨، روح البيان: ٤١٢/١٠.
- (١٠٤) وقرينة ذلك قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، انظر: التحرير والتنوير: ٢٦٢/٣٠.
- (١٠٥) وعلاقته الجزئية، انظر: تفسير الخازن: ٢٣٧/٦، صفوة التفاسير: ٥٥٤/٣، التفسير المنير: ٢٠٤/٣٠.
- (١٠٦) غرائب القرآن: ٨١/٣٠، وانظر: الفتوحات الإلهية: ٥٢٤/٤.
- (١٠٧) حاشية الشهاب: ٣٥٢/٨، وانظر: روح المعاني: ٢٠١/٣٠.
- (١٠٨) انظر: تفسير أبي السعود: ١٤٨/٩، أنوار التنزيل: ٣٠٧/٥.
- (١٠٩) انظر: التحرير والتنوير: ٢٦٣/٣٠.
- (١١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٥٩/٦، اللباب: ٣١٤/١٦، التحرير والتنوير: ٢٦٣/٣٠.
- (١١١) التسهيل: ٣٧٨/٤، ولا تعارض بين هذه الآية وقوله ﷺ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ﴾ (الحاقة: ٣٦)؛ لأنَّ النار على دركات وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات، فمنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد، انظر: بحر العلوم: ٤٧٣/٣، تفسير الخازن: ٢٣٨/٦، الفتوحات الإلهية: ٥٢٥/٤.
- (١١٢) انظر: الكشاف: ١١٩٧، إعراب ثلاثين سورةً من القرآن الكريم: ٦٧، اللباب: ٣١٦/١٦.
- (١١٣) انظر: غرائب القرآن: ٨١/٣٠، نظم الدرر: ٤٠٥/٨.
- (١١٤) انظر: تفسير أبي السعود: ١٤٩/٩، ١٥٠، روح المعاني: ٢٠٥/٣٠.
- (١١٥) انظر: التحرير والتنوير: ٢٦٤/٣٠.
- (١١٦) انظر: المرجع السابق: ٢٦٧/٣٠، بلاغة البديع في جزء عم: ١٩٠.
- (١١٧) انظر: التحرير والتنوير: ٢٦٨/٣٠، ٢٦٩.
- (١١٨) دراسات أسلوية في النصِّ القرآني: ٢٠.
- (١١٩) انظر: المقابلة في القرآن الكريم: ٢١٩.

- (١٢٠) نظم الدرر: ٣٩١٩/٦.
- (١٢١) التفسير الكبير: ٣٩١٩/٦.
- (١٢٢) انظر: فتح القدير: ٤١٤/٥.
- (١٢٣) انظر: روح المعاني: ١٦٦/٣٠، ١٦٧.
- (١٢٤) انظر: البحر المحيط: ٤٤٥/٨، روح البيان: ٣٩٥/١٠، تفسير الخازن: ٢٣١/٦.
- (١٢٥) انظر: غرائب القرآن: ٦٧/٣٠.
- (١٢٦) أضواء البيان: ١٩/٦، ٢٠.
- (١٢٧) نظم الدرر: ٣٨٢/٨.
- (١٢٨) التفسير الكبير: ١٦٨/٣١.
- (١٢٩) غرائب القرآن: ١٠٢/٣٠.
- (١٣٠) نظم الدرر: ٤٣١/٨.
- (١٣١) انظر: البحر المحيط: ٤٧٥/٨، المحرر الوجيز: ٣١٢/١٦.
- (١٣٢) انظر: تفسير أبي السعود: ١٦٤/٩، روح المعاني: ٢٥٨/٣٠، روح البيان: ٤٤٥/١٠.
- (١٣٣) انظر: التحرير والتنوير: ٣٢٧/٣٠.
- (١٣٤) انظر: الكشاف: ١٢٠٦، مدارك التنزيل: ٣٦١/٤.
- (١٣٥) انظر: التحرير والتنوير: ٣٢٨/٣٠، ٣٢٩.
- (١٣٦) نظم الدرر: ٤٤٢/٨.
- (١٣٧) انظر: بدائع التفسير: ٢٣٠/٥، ٢٣١.
- (١٣٨) انظر: غرائب القرآن: ١٠٦/٣٠.
- (١٣٩) مفتاح دار السعادة: ١١٩/١.
- (١٤٠) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٦٧٤/٤، البحر المحيط: ٤٨١/٨، الدر المنثور: ٤٨٠/١٥.
- (١٤١) التحرير والتنوير: ٣٥٢/٣٠.
- (١٤٢) المرجع السابق نفسه.

المصادر والمراجع

- الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، اعتنى به: صلاح الدين العلايلي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن سوره، أحمد يوسف قاسم، دار المطبوعات الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- إعراب ثلاثين سورةً من القرآن الكريم، ابن خالويه، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، ١٣٦٠هـ.
- الأقصى القريب في علم البيان، التنوخي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٧هـ.
- الإنصاف في المصطلحات البلاغية المنفية من القرآن، عبد المحسن العسكر، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).
- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي ود. عبد العزيز شرف، دار الكتاب المصري: القاهرة، ودار الكتاب اللبناني: بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٢٠هـ.
- بحر العلوم، السمرقندي، تحقيق: علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

- بدائع التفسير، ابن القيم، جمعه ووثق نصوصه: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).
- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: د. أحمد أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، (د.ط)، ١٣٨٠ هـ.
- البديع، ابن المعتز، شرحه وحققه: الأستاذ عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- بغية الإيضاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، مصر، الطبعة السابعة، ١٤١٠ هـ.
- بلاغة البديع في جزء عم، عمر بن عبدالعزيز الحمود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ.
- التبيان في علم البيان، الطيبي، تحقيق ودراسة: د. عبد الستار حسين زموط، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- ترجمان البلاغة، محمد بن عمر الرادوياني، ترجمة وتعليق: محمد نور الدين عبد المنعم، دار الثقافة، القاهرة، (د.ط)، ١٩٨٧ م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد الغرناطي، تحقيق: محمد اليونسى وإبراهيم عوض، دار الكتب الحديثة، (د.ط)، (د.ت).
- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مكتبة دار الفيحاء، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ.
- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر: بيروت، دار الفكر: دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد طنطاوي، دار نفضة مصر، (د.ط)، ١٩٩٨ م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية، تركيا، (د.ط)، (د.ت).
- حلية المحاضرة، الحاتمي، تحقيق: د. جعفر الكتاني، دار الرشيد، العراق، (د.ط)، ١٩٧٩ م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، دراسة وتحقيق: د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٢٦ هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- دراسات أسلوبية في النص القرآني، فايز القرعان، عالم الكتب، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
- دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد أبو ستيت، دار خفاجي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- روح البيان، البروسوي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٥ هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، قرأه وصححه: محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- روضة الفصاحة، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: د. خالد عبد الرؤوف الجبر، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
- زاد المسير، ابن الجوزي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

- شرح عقود الجمان، السيوطي، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، (د.ط)، ١٣٥٨هـ.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، مراجعة وضبط وتدقيق: جماعة من العلماء، مكتبة المعارف، الرياض، (د.ط)، ١٤٠٠هـ.
- علوم البلاغة، أحمد المراغي، المكتبة المحمودية، الطبعة الخامسة، (د.ت).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م.
- عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوه عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، شرح وتصحيح وترتيب: محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- فتح القدير، الشوكاني، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٣هـ.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي (الجمال)، مطبعة عيسى البابي، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- فنون بديعية، د. أحمد هلال، التركي للكمبيوتر، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- في علوم القرآن، محمد عبد السلام كفاي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود الزمخشري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علي محمد البغدادي (الخازن)، مطبعة مصطفى البابي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ.

- لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط.)، (د.ت).
- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة ١٩، ١٩٩٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: الشيخ كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: المجمع العلمي بفارس، (د.ط.)، ١٤١١هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، دار الفكر، بيروت، (د.ط.)، (د.ت).
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد أبو شهبه، دار اللواء، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- معالم التنزيل، البغوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- معاني القرآن، الفراء، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت).
- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت).
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، رئاسة إدارة البحوث العلمية، السعودية، (د.ط.)، (د.ت).
- المقابلة في القرآن الكريم، د. بن عيسى با طاهر، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، القاسم بن محمد السجلماسي، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، الدار العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- النكت والعيون، الماوردي، راجعه: عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب، (د.ط.)، (د.ت).

إشكالية النسخ في أقرب الموارد للشرتوني «دراسة في مادة المعجم والمداخل المعجمية»

د. عبدالله بن عيسى بن أحمد الفضيخ
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب - جامعة الملك فيصل

إشكالية النسخ في أقرب الموارد للشرطوني «دراسة في مادة المعجم والمداخل المعجمية»

د. عبدالله بن عيسى بن أحمد الفضيخ

الملخص:

ناقش البحث إشكالية النسخ في أقرب الموارد على مستوى المصادر والمداخل وترتيبها، وحاول تفنيد دعوى الاستنساخ التي وجهها بعض الباحثين إلى معجم «أقرب الموارد» للشرطوني، وذلك بوصفهم له بأنه «نسخة عن محيط المحيط»، وأكدت الدراسة من خلال الموازنات المتعددة والنظرات المُتعمِّقة استقلال شخصية الشرطوني، لتبرز مظاهر تميّزه فيما يأتي:

- ١- المخطّط الذي رسمه الشرطوني لمعجمه، والذي غاير به سلفه البستاني في إثبات ما أثبت من المادة المعجمية، وهو ما يكشف عن اختلاف بين المعجمين في الرؤية والهدف وطبيعة المادة المودعة في المعجم.
- ٢- المصادر التي اعتمدها الشرطوني والتي لم يرد أكثرها في محيط المحيط، وهو ما يبدو بشكلٍ جليٍّ في قسم الذيل من هذا المعجم.
- ٣- تعدّد وجوه المغايرة في كثيرٍ من المداخل الرئيسة والمداخل الفرعية، وفي وضعها الترتيبي، واحتفائه بها بصورةٍ تفوق نظائرها عند البستاني.
- ٤- استدراقات الشرطوني على المعاجم العربية المرموز إليها بالحرف (س) تدخّض فكرة الاستنساخ المزعومة، وتردّها على أصحابها بسبب خلو معجم البستاني منها أو من معظمها.

والحقيقة التي قرّرها البحث في هذا القسم، لا تنفي تأثر الشرطوني بالبستاني في قضية ترتيب المداخل، واقتفائه لأثره في إطار الترتيب الداخلي لفروع المادة

اللغوية الواحدة، تأسيسًا على أن كلا المؤلفين قد احتذى طريقة المستشرقين في معاجمهم المبكرة التي وضعوها للغة العربية.

الكلمات المفتاحية: الصناعة المعجمية- المادة المعجمية- المداخل المعجمية- الترتيب المعجمي.

The Issue»Copying» Aqrab al Mawaarid by Al shartooni: A Study in Lexis and Lexical Entries

Abstract:

This study discusses the issue of ‘copying’ or ‘plagiarism’ in «Aqrab al Mawaarid» by Al shartooni at the level of sources, entries, and their arrangement. Indeed, this work questions and nuances the claim, made by some researchers, that Shartooni’s dictionary is a mere copy of «MuheeT al MuheeT» by undertaking in-depth comparisons that show the different original aspects of his work. Some of these are:

- 1.The conception of his lexicon is different from Al Bostaani's in vision, goals, and lexical content.
- 2.The sources that Al Shartooni used have not been included in " MuheeT al MuheeT", as clearly shown in the Appendix of this dictionary.
- 3.There are many aspects of difference in many primary and secondary entries between the two works; in particular, in the way this data is ordered.
- 4.The x symbol used by Al Shartooni to refer to other dictionaries refutes the claim of plagiarism. The reason for this is that Al Bustaani's dictionary does not include most of this lexical data and was thus referenced to its originators.

All in all, the work has come to the conclusion that al Shartooni was indeed influenced by Al Bustaani in his ordering of lexical entries as well as in his internal ordering of the secondary ones, but it must be noted that in this both authors used the method used by orientalist in the writing of early Arabic dictionaries.

Key words: Lexicography, Lexical corpus, Lexical entries, Lexical arrangement.

المقدمة:

سبق لي أن درست بإفاضةٍ باكورة المعاجم العربية الحديثة في محيط المحيط لمؤلفه بطرس البستاني (ت ١٨٨٣م)، ومنذ ذلك الحين عقدت العزم على تتبع مسيرة المعجم العربي الحديث، ورصد ملامح التجديد في صناعته، كما تتبع الدارسون من قبل مسيرة المعجم العربي في ماضيه التليد، بدءاً بالعين للخليل (ت ١٧٥هـ)، وانتهاءً بتاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ).

ولا أستطيع أن أكتف عوائد دراستي للبستاني^(١) التي كانت من أبرز الدوافع إلى المضي قدماً في هذا السبيل، والسير بأمان في هذا الطريق الذي يتسنى من خلاله وضع قضايا المعجم الحديث في حاق موضوعها، ولاسيما ما تعلق منها بمظاهر التجديد أو التقليد في صناعته وإخراجه.

وفي القرن التاسع عشر الذي اعتبر ميشيل فوكو نهايته وبداية القرن العشرين «لحظة حاسمة في تاريخ الأفكار تتجلى في التحوّل العميق الذي شهدته المعرفة»^(٢)، شهد العالم العربي، وبخاصة القطر اللبناني دعوات إصلاحية على يد طائفة من رواد النهضة الحديثة في لبنان^(٣)، أمثال أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٧)، والمعلم بطرس البستاني (١٨١٩-١٨٨٣)، ورشيد الدحداح (١٨١٣-١٨٨٩)، والشيخ إبراهيم اليازجي (١٨٤٧-١٩٠٦)، والمعلم سعيد الشرتوني (١٨٤٩-١٩١٢)، وغيرهم ممن نادوا إلى التركيز على الفكر العلمي، والفلسفة اللغوية^(٤)، والرد على شبهة الجمود التي رُميت بها اللغة العربية.

وقد تمخّضت تلك الدعوات عن ظهور حركة معجمية إحيائية جديدة^(٥)، حاولت إبراز قدرة العربية على استيعاب ألفاظ الحضارة، وتدارك ما فات المعاجم القديمة، وتلافي أوجه النقص المنهجية^(٦)، ورغد المادة المعجمية بألفاظ جديدة

اقتضتها ظروف المرحلة، ولم تخلُ تلك الجهود من تباين في المواقف الفكرية والاجتماعية، والمنطلقات اللغوية^(٧).

وسعيد الشرطوني (١٨٤٩-١٩١٢م)^(٨)، بلا ريب، واحدٌ ممن حملوا لواء المعجم العربي الحديث بعد سلفه بطرس البستاني^(٩)، وبعد أن عهد إليه أهل العلم من اليسوعيين - كما قال - بإنجاز «معجم يُطلُّ بالطالب على طلبته، ويواجه المبتغي بُغيته، حرصاً على الزمان أن يذهب طلقاً، ويُعقَبَ خاسريه سامةً وأسفاً»^(١٠).

وقد شهد كثير من الباحثين لمعجم الشرطوني بأنه «أكثر الكتب اللغوية الحديثة تداولاً بين الأيدي، لسهولة مأخذه، وحسن ترتيبه»^(١١)، وبأنه «أضخم معجم ظهر في العصر الحديث»^(١٢)، و«أكبر معجم حديث في اللغة العربية»^(١٣) و«أكثر كتب المعاصرين رواجاً بين أيدي الكتّاب والطلاب»^(١٤) و«من أكبر المعاجم التي ألفها اليسوعيون اللبنانيون، ومن أجمعها للمفردات»^(١٥).

وفي مجال النقد والتقييم وصفه بعض الباحثين بأنه «خطوة حقيقية واسعة في عمل معجمي لغوي مُيسَّر حديث»^(١٦)، ولم تغب هذه الخطوة عن اللجنة التي كُلِّفت بتأليف المعجم الوسيط، فنصت في مقدمته على أنه «يكاد يزيد في حجمه على أقرب الموارد»^(١٧).

ومن الدارسين من تناول هذا المعجم وصاحبه تارةً بشكلٍ تعريفي سريع يظهر فيه أقرب الموارد كحلقة في سلسلة جامعة^(١٨)، ومعلم من معالم متعددة يكتفى في الدلالة عليها بالصورة الكلية التي تفتقر إلى الغوص في داخله، والكشف عن تفاصيل مكوناته، ومنهم من أفرد لنقده العديد من المقالات والصفحات، على نحو ما فعل إبراهيم اليازجي (ت ١٩٠٦) في مجلة «الضياء»^(١٩)، والأب أنستاس

ماري الكرمللي (ت ١٩٤٧) في مجلة «لغة العرب»^(٢٠)، وفي كتابه «أغلاط اللغويين الأقدمين»^(٢١)، والشيخ أحمد رضا العاملي (ت ١٩٥٣) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق^(٢٢)، والأستاذ محمد جميل الخاني في المجلة نفسها^(٢٣)، ومنهم من قصر نقده على مستدرك الشرتوني على المعاجم في ذيل أقرب الموارد^(٢٤).

ويلفت الانتباه في هذه الجهود النقدية تلك الأحكام التي أطلقها اليازجي ومن بعده أنستاس ماري الكرمللي ومَنْ سار على منوالهما^(٢٥)، فاليازجي في موضع من مجلة الضياء يحكم على «أقرب الموارد» بأنه «نسخة عن محيط المحيط للبستاني»^(٢٦)، وفي موضع آخر يجعل محيط المحيط النسخة الأصلية لأقرب الموارد^(٢٧).

ويذهب الكرمللي إلى أن «أقرب الموارد» هو النسخة الثانية من محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني^(٢٨)، بحيث غدا هذا الأخير «الدليل الوحيد» للشرتوني ولكل من جاء بعده من الآباء اليسوعيين^(٢٩).

وفيما عدا هذا التصريح تطالعنا في نقود هذين اللغويين عبارات تومئ إلى ذلك، وتشير إليه من طرفٍ خفي، وإزاء هذه الأحكام التي تجيء في سياق بعض الأمثلة الجزئية التي يبدو فيها تأثير الشرتوني الواضح بالبستاني، لا يسع الباحث المنصف إلا التوقف، ولا يمكنه أن يمرّ بها مرور الكرام، وفاءً بحق اللغة من جهة، وطلباً للحقيقة التي هي ضالّة الباحث ينشدها أتى وجدها من جهةٍ أخرى. وبدهي أن الوصول إلى هذه الحقيقة لا يكون من خلال بعض الإطلاقات الجزئية، أو الأمثلة العشوائية، ولا يتأتى إلا من خلال بحثٍ منهجيٍّ يضع مقومات الصناعة المعجمية نصب عينيه ما تعلّق منها بمادة المعجم، ومصادره، وترتيب الوحدات المعجمية بداخله، وما اتصل بالشرح والمعلومات، أو بغير ذلك من الجوانب.

وفي هذا البحث أتناول المادة المعجمية، وقضية المصادر، وترتيب المداخل في معجم الشرطوني، كاشفًا عن مظاهر التجديد أو الاستنساخ في هذه الأركان الأساسية من العمل المعجمي.

أولاً: المادة والمصادر في أقرب الموارد:

١- مادة المعجم:

إن المتتبع لكلام المحدثين من المؤلفين في صناعة المعجم العربي يرى أنهم يستعملون مصطلح «المادة» بعدة معانٍ، فمنهم من يطلقه على «الأصل الذي يكون منه تصارييف الكلمة واشتقاقاتها»^(٣٠)، أو بعبارة أخرى «الأصل الاشتقاقي للمداخل الفرعية»^(٣١)، وهو بهذا المفهوم يرادف لفظ «الجذر» الذي يمثل تجميعًا لكلمات متعددة، ويحمل معنًى أصليًا عامًا يظهر في جميع الكلمات المشتقة منه^(٣٢).

ومن الباحثين من يطلق المادة ليُعَبَّرَ بها عن «التعريف أو الترجمة والمعلومات الأخرى»^(٣٣)، في مقابل لفظ «المدخل» الذي يُعَبَّرُ به عن «الكلمة المراد تعريفها أو ترجمتها»^(٣٤) غير أننا نقصد بمادة المعجم في هذا البحث مفهومها الواسع، بحيث تشمل - كما يقول حلمي خليل - «الوحدات المعجمية التي يقوم المعجمي بجمعها وترتيبها وشروح دلالاتها، وهذه المادة تختلف من معجم إلى معجم آخر، تبعًا للغرض الذي وُضع من أجله»^(٣٥)، وهو الأمر الذي يؤكد الحمزاوي، حيث يشير مصطلح «مادة» (Substance) في اللسانيات البنوية إلى «الوحدات اللغوية الصوتية والدلالية الخام غير المنتظمة في نص جملة أو خطاب»^(٣٦).

وقد اعتمدت بعض الدراسات المعجمية الغربية هذا المفهوم حيث أكدت قيمة هذه الوحدات المعجمية بوصفها «المادة الأساسية في المعجمية، بل هي مادتها المُفردة الوحيدة»^(٣٧).

ولا يخفى على من يطلع على مقدمة أقرب الموارد وخاتمته ومقدمة ذيله أن المادة اللغوية قد استحوزت على تفكير الشرطوني^(٣٨)، ومثلت الشغل الشاغل له في هذا الجانب، إذ إن منها ما سقط في استعمال معاصريه، وكان اطراحه من المعجم الحديث أجدى من بقاءه، ومنها ما يجب الحفاظ عليه وتدوينه، وهناك الجديد الذي يمثل تطور اللغة وتجدها^(٣٩)، ويلائم روح العصر وحاجاته ومتطلباته، ولا يمكن الاستغناء عنه في هذا العمل، حتى يحقق الهدف الذي قصد إليه^(٤٠).

وقد نبّه الشرطوني في أكثر من موضع على أن عمله في «أقرب الموارد» مؤرّع على ثلاثة أقسام^(٤١):

الأول: في مفردات اللغة الصرّفة.

والثاني: في المصطلحات العلمية والكلم المولّد والأعلام.

والثالث: ذيل ينتظم ما كان قد أهمله، أو ذهل عنه من الكلم الوارد في كتب أهل البيان، ويضم الضّوّالّ أو الشوارد التي استدرّكها على المتقدمين، ويتضمن إصلاحًا لما وقع في عمله من الأغلاط اللغوية ونحوها.

وقد وثّق الشرطوني بما وعد به القارئ في القسم الأول، ولم يُعرّف شيء حتى اليوم عن القسم الثاني، على الرغم من إخراجه للقسم الثالث المعنون بذيّل أقرب الموارد، الأمر الذي يدفع إلى التساؤل عن السبب في عدم الوفاء بالمُخطّط الكامل بهذا المعجم، ويبدو من خلاله للوهلة فرق كبير بين عمل الشرطوني وعمل

البستاني الذي تسامح في هذا الجانب كثيراً، فَضَمَّ إلى «أصول الأركان فروعاً كثيرة، وتفصيل شتى»^(٤٦)، وألحق بها «اصطلاحات العلوم والفنون، وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد، وغير ذلك مما لا يتعلق بمتن اللغة»^(٤٧)، كما ضمَّه «كثيراً من كلام المولَّدين وألفاظ العامة، ليكون كاملاً شاملاً، وليجد فيه كل طالب مطلوبه»^(٤٨).

ولا إخالني مبالغاً إذا ذهبت إلى أن حرص الشرتوني على الفصل بين القسمين الأول والثاني من أقسام معجمه، فضلاً عن عدم ظهور القسم الثاني منه - يعكس نظرتَه إلى مادة المعجم الحديث وإلى وظيفته، فهذا المعجم لا يمكن أن يغفل عن تلك الأوضاع التي طرأت على اللغة في عصورها المتعاقبة في صورة مولدات يشيع استعمالها بين الخاصة، أو مصطلحات علمية يتم تداولها بين أصحاب العلوم والفنون، أو أعلام تذيع وتشكل جزءاً من المفردات التي يستعملها أبناء اللغة في مزاولتهم لها^(٤٩)، فأما العاميات الجارية على ألسنة الناس في البيئات المختلفة فلا مكان لها في المعجم العام - عند الشرتوني - إلا إذا دعت إلى ذلك ضرورة، كتدارك القصور في تعريف الألفاظ الدالة على النبات والحيوان، وهذا ما يفهم من قوله: «واعلم أن أقرب طريقة عندي لتعريف كل نوع من النبات والحيوان هي أن يُفسَّر اسمه في الفصحح بما يعرف به من الأسماء العامية في كل طرف من أطراف البلاد العربية، مع ذكر اسمه بالفرنسوية، فإن تأليف الإفرنج في ذلك على غاية الوضوح»^(٥٠).

وفي مرحلة التنفيذ العملي تُخَصَّص أجزاء من المعجم لمفردات اللغة الصِّرفة، ولا بأس في أن يتضمَّن ما شاع من المولَّدات والمصطلحات التي نفذت إلى حَرَم اللغة العامة^(٥١)، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من مفرداتها، كما تُخَصَّص أجزاء غيرها لتلك الأوضاع الطارئة على اللغة^(٥٢).

ومن هنا فقد «أفسح أصحاب المعاجم العربية الحديثة من عرب ومستشرقين معاجمهم للمولّد، ورأوا في تسجيل هذا النمط من الألفاظ استكمالاً لتطور اللغة العربية ونموها»^(٤٩).

فأما المعيار الذي استند إليه الشرتوني في إثبات ما أثبت من الرصيد اللغوي القديم، فهو كثرة الاستعمال، وبقاء الكلمة حيّة في الاستعمال الحديث^(٥٠)، وبراءتها من الدلالة على المعاني التي تחדش الحياء^(٥١)، ويظهر أنه لم يستند في تطبيق هذا المعيار إلى أساس إحصائي أو نحوه^(٥٢)، بل ترك الأمر فيه موكولاً إلى ذوقه الشخصي، وتقديره الذاتي^(٥٣)، وذلك مما يختلف باختلاف القائمين على صناعة المعجم.

وفي تقديري أن هذا الفصل أو التخصيص قد يكون أجدى من ترك الباب مفتوحاً على مصراعيه، ليدخله المولّد والعامي والملحون والأعلام والمصطلحات والرطانات والأوهام، وكذلك مظاهر التنوع اللساني للطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة، وغير ذلك ما لا ينتهي في العادة إلى غاية محدودة، إذ إن المعجم «لا يستطيع أن يُراعي مجموع هذا التنوع الغزير، وعليه أن يختار اختياراً له ما يُبَيِّرُهُ»^(٥٤).

ولهذا وجدنا المختصين يقترحون في هذا المنوال «وضع مدونات (Corpus) مصداقة عنها، وتنزيلها من المعجم ومدخله حسب مقاييس مُتَّفَق عليها، وحسب وظيفة كل معجم»^(٥٥). وهذه الطريقة التي سار عليها أصحاب المعاجم العربية القديمة في الأعم الأغلب من الحالات، حيث اقتصرت معاجمهم على المادة اللغوية الصرفة، وخصصوا للأعلام والمصطلحات والمولّدات مؤلفات تخصّها، ولا يتسع المقام لذكر معاجم المصطلحات والأعلام وكتب اللحن والأوهام والدخيل وغيرها^(٥٦).

ولعلّ من المناسب الإشارة هنا إلى أن مما أنكره الحمزاوي على بعض المعاجم العربية «اعتمادها ألفاظاً ووظائفية متنافرة في مستوى النوعية»^(٥٧).

إن نزعة التوفيق بين المحافظة والحداثة في أقرب الموارد تتراءى من الناحية النظرية على استحياء، ويتم تنفيذها بنوع من الحذر، ولم يكن الحال كذلك عند البستاني الذي جاهر بهذه النزعة، مُضْفِيًا على معجمه طابعًا من الموسوعية، بما أضافه إلى مواده من ألوان العلوم والمعارف التي ضحّمت مدونته حتى كادت تخرج بها عن كونها معجمًا لغويًا إلى اعتبارها معجمًا مختصًا أو كتابًا في الصرف أو في البلاغة أو في غيرها من فروع العلم والمعرفة، وصنيع البستاني في مادة (ج ن س)، وحديثه عن الجناس وأقسامه وشواهد مثلاً صريح لهذا الخروج الذي يطالعا في كثيرٍ من مداخل معجمه^(٥٨).

لقد أُلّف الشرطوني معجمه كما يظهر من عنوانه في فُصَحِ العربية وشواردها، واستهدف التيسير على طائفة الطلاب، واضطلع بسد حاجة مرسلي اليسوعية إلى معجم لغوي يواجه مقصودهم، ويشايح مرادهم، ولذا حذف منه ألفاظ العورات والألفاظ المبدوءة^(٥٩)، فجعل المعجم أداةً تربويةً وتهديبية^(٦٠)، في محاولةٍ منه للعودة بالمعجم الحديث إلى «صوابية الصحاح باسم الأخلاق وتربية الناشئة»^(٦١) من جهة، ولتفت الأنظار إلى مبدأ الانتقاء في اختيار المعاني والدلالات من جهة أخرى.

غير أنّ هذا الغرض يتسع حين ننظر إلى المعجم مقترنًا بذيله، ليشمل الوفاء بحاجات أبناء العربية على اختلاف طبقاتهم وثقافتهم من أدباء وباحثين، ولذا عدل عما كان أزمع عليه في أول الأمر من ميلٍ إلى الاقتصار على ما هو أكثر دورانًا، وأفشى استعمالًا، وألحق به الذيل الذي يضم ما فاتته، ويجمع للمتوغل في مطالعة الدواوين العربية كفايته، ويزيل عنه ما يغضُّ من قدره عند أولي العلم، وها هو ذا يصرح في مقدمة الذيل بقوله:

«من جملة ما ترقى به أقرب الموارد، والحمد لله إلى مقام الجدارة أن يُعَوَّل عليه، ويُطلَبُ فيه ما لا يوجد في سواه، ومن كان على ريبٍ من ذلك فليقابله بالتاج مادةً مادةً فيجد فيه حروفًا كثيرةً لا يجدها في التاج على طوله، وإذا قابلته باللسان وجد الزائد أكثر؛ لأن في التاج زيادات كثيرة على ما في اللسان... وإذا قوبل بسائر المعجمات كانت كالأنهار الكبيرة وهو كالبحر العباب»^(٦٢).

والخلاصة أن التحول الذي شهدته صناعة المعجم العربي الحديث عند البستاني قد شمل في مادته المشاع اللغوي العام والمصطلح العلمي وكلام المؤلدين وكلام العوام، وأن هذا التحول خفّت حدّته عند الشرتوني بتغاضيه النظري عن تسجيل العاميات، ولم يتجاوز فيما عدا ذلك التقرير النظري إلى التطبيق العملي، وذلك في حدود ما تمّ إنجازُه من أقرب الموارد.

ولنا أن نتساءل: أي الأمرين كان أولى بالعناية والإنجاز: إنجاز القسم الثاني المخصص للأعلام والمصطلحات والمؤلّدات، أو النظر في القسم الأول المخصص للغة الصرفة من أجل الزيادة والتصويب والاستدراك على الأقدمين؟

إن إمساك الشرتوني عن القسم الثاني، وتفرغه لمشتملات الذيل قبل هذا القسم يوحى إلى القارئ -ولو من طرفٍ خفي- أن المعجم المختص الذي يُعنى «برصد الأشياء كالأعلام والآثار والمصطلحات»^(٦٣)، إنما يأتي في المحل الثاني بعد المعجم اللغوي الذي يتناول الكلمة بالدرجة الأولى، والشيء أو المصطلح بالدرجة الثانية، وهو ما يعكس -ولو في الظاهر على الأقل- حرصًا منه على المستوى اللغوي الفصيح، وتعلُّقًا بأهدابه، وإدراكًا من الشرتوني لحاجة معاصريه إلى هذا اللون من التأليف بشكلٍ يفوق حاجتهم إلى المعاجم المختصة التي لا يُقبَلُ عليها في الغالب إلا أبناء التخصصات العلمية، كُُلٌّ في مجاله، ولا يرجع إليها جمهور المثقّفين إلا في الحالات النادرة، إذ كانت تركز على اللغة المختصة

وثعنى بالتصنيف الموسوعي^(٦٤)، و«تتم بضبط المنظومة الاصطلاحية التي يقوم عليها علم من العلوم، أو حقل معرفي مخصوص»^(٦٥).

٢- مصادر أقرب الموارد:

مما يسهم في حل الإشكالية المطروحة في عنوان البحث، المصادر التي اعتمد عليها الشرطوني في معجمه، وتحديد وجوه الاتفاق أو الاختلاف بينها وبين نظائرها عند البستاني في محيط المحيط.

وتكشف النظرة الفاحصة إلى مصادر أقرب الموارد مع ذيله، عن العديد من المصادر التي صرح الشرطوني بالرجوع إليها والاستمداد منها، والتي انتهت إليه من مصادر مختلفة شملت الشعر العربي والموسوعات الجامعة والمصادر التاريخية والطبية، وكتب التفسير والحديث، وكتب التراجم والطبقات، وكتب الرحلات والجغرافيا، وهي مصادر لم يشر إليها البستاني لا من قريب ولا من بعيد، وهي على النحو الآتي:

أولاً/ المصادر اللغوية، ومنها معاجم لغوية وغيرها، ويتضمنها الجدول الآتي:

اسم المصدر	اسم المؤلف	من صفحات الورود في أقرب الموارد
أدب الكاتب	ابن قتيبة (ت ٢٧٩هـ)	٦٣/١
الألفاظ الكتابية	عبدالرحمن الهمداني (ت ٣٢٧هـ)	الذيل، ١٢٢، ٢٣١، ٣٦٤، ٤١٢
تاج العروس	الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)	٣٨٣/١، ٦٢٨، ٨٧٧، ٩٨٧، ١٠٠٥، ١٢٠٧، ١١٣٦/٢
التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح	ابن بري (ت ٥٨٢هـ)	١٤٩٢، ١١٠٨/٢، ٣٢١، ٥٢/١
الjasوس على القاموس	الشدياق (ت ١٨٨٣م)	الذيل ٢٣٤، ٢٤٤

د. عبدالله بن عيسى بن أحمد الفضيخ

اسم المصدر	اسم المؤلف	من صفحات الورد في أقرب الموارد
كتاب الجرائيم	ابن قتيبة	الذيل ١٧٨
جمهرة اللغة	ابن دريد (ت ٣٢١هـ)	١٠٢٤، ٢٠٤/١
درة الغواص	الحريري (ت ٥١٦هـ)	الذيل ٢٧٢
رسالة الكلم الثمان	حسين المرصفي (ت ١٨٨٩م)	الذيل ٣٤٤.
شرح درة الغواص	الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)	١٩٧٨/١، ١٩٢، ٢٦٧، ٣٢٥
شرح الفصيح	أكثر من مؤلف	١٧٢، ٦٢٥/١، ١٧٢
شرح مقدمة القاموس المحيط	أبو نصر الهوريني (ت ١٨٧٤م)	الذيل ٣١٢، ٤٤٠
شفاء الغليل	الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)	١٣٠٦، ١٢٣٦/٢، ٣٦٨، ٢٨١، ٥٢، الذيل
الفصيح	ثعلب (ت ٢٩١هـ)	٥٦٨/١
القاموس العربي الفرنسي	كازيمرسكي (ت ١٨٦٥هـ)	الذيل ٣٤٤، ٦٩، ١١٦، ٣٥١، ٣٦٢
كفاية المُنَحِّظ	ابن الأجدابي (ت ٤٥٦هـ)	الذيل ١٦٢
مختار الصحاح	الرازي (ت ٦٦٦هـ)	١٦/١، ٦٧٥، ١٣٥٠/٢، ٣٣١، ٢٠، ١٨، الذيل
مختصر العين	الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)	٢٤٢/١
المزهر	السيوطي (ت ٩١١هـ)	الذيل ٢٨٤.
النوادر في اللغة	أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)	الذيل ١٣٣، ٣٧٧، ٤٠٢، ٤٣٩
المعجم العربي اللاتيني	جوليوس (ت ١٦٦٧م)	الذيل ١٣٦، ٢٥
نبيل الأرب في مُثَلَّثَات العرب	الخليلي (ت ١٢٦٢هـ)	الذيل ٢٢٤، ٣٨٦
الوشاح وتنقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح	التادلي (ت ١٢٠٠هـ)	الذيل ٣٩٥

ويلحق بتلك المصادر اللغوية القصيدة اللغوية التي نظمها في الغريب ضياء الدين بن إبراهيم القوصي (ت ٥٩٩هـ)^(٦٦)، وسمها «اللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة في الأسماء المنكرة»، والتي أوردها ابن شاعر الكتبي في فوات الوفيات في حرف الضاد من تراجمه^(٦٧)، ومطلعها:

وصفت الشعر مَنْ يَفْهَمُ يخبرني بما يعلم
يخبرني بألفاظٍ من الإغراب ما الدهنم؟

وهي طويلة تبلغ عدتها تسعة وخمسين بيتاً، وفي آخرها يقول ضياء الدين

ألا فاسمَعْ لألفاظٍ جَرَتْ عِلْمًا لمن يَعْلَمُ
فقد أنبأتُ في شعري بألفاظي الذي يفحم
فعارضتُ السجستا بيَّ في قولي ولم أعْلَمُ

ثانياً/ المصادر النحوية والصرفية التي يضمها الجدول الآتي:

اسم المصدر	اسم المؤلف	من صفحات الورد في أقرب الموارد
الاستدراك على سيبويه	أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)	الذيل ٢٠٤
الأفعال	ابن القطاع (ت ٥١٥هـ)	١، ١٠٢٤، ١٠٥٩/٢، ١٠٧١، ١١٢٥، ١٤٧٦.
بغية الآمال في معرفة مستقبلات الأفعال	أبو جعفر اللبلي (ت ٦٩١هـ)	١٤٥٦/٢
تهذيب الأبنية	ابن القطاع	١٤٥٦/٢
حاشية الصبان على الأشموني	الصبان (ت ١٢٠٦هـ)	الذيل ٩٠
حاشية الكعبية	البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)	١٤٨٨/٢
شرح ألفية ابن مالك	ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)	الذيل ١٩٤
شرح التسهيل	البدر الدماميني (ت ٨٢٧هـ)	الذيل ٦٦
شرح شواهد الكشاف	محب الدين أفندي	الذيل ٣١٢، ٣١٧، ٣٤٧، ٣٦٢
المنصف في شرح تصريف المازني	ابن جني (ت ٣٩٢هـ)	

ثالثاً/ المصادر الأدبية والنقدية، كما تظهر في هذا الجدول:

اسم المصدر	اسم المؤلف	من صفحات الورود في أقرب الموارد
الأغاني	أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)	١١٣٢/٢، ١٢٢٠، ١٤٤٢. الذيل ١٢٨، ٢٤٠، ٢٥٩.
بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات	مرعي الكرمي (ت ١٠٥٥هـ)	الذيل ٣٣٠
الدرة اليتيمة	ابن المقفّع (ت ١٤٣هـ)	الذيل ١٩٢، ٣٦٢
ديون الأخطل	الأخطل (ت ٩٢هـ)	الذيل ١٨٩، ٣٤٣، ٣٨٤، ٤٣٩.
ديوان أبي تمام	أبو تمام (ت ٢٣١هـ)	الذيل ١٥٧، ٢٠٩، ٢٦٥، ٣١٥
ديوان أبي العتاهية	أبو العتاهية (ت ٢١٣هـ)	الذيل ١٨٩، ٢٢٠
ديوان لزوم ما لا يلزم	المعري (ت ٤٤٩هـ)	الذيل ٢٩٣، ٣٧٦، ٣٩١، ٤١٥، ٤١٧، ٤١٩
رسائل البديع	بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٥هـ)	الذيل ٨٣، ٢٠٣، ٣١٢، ٣٤٨
رسائل الصابي	أبو إسحاق الصابي (ت ٣٨٤هـ)	الذيل ٣٦٧
شرح بانة سعاد	ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)	الذيل ٤١٥، ٤٣٠
شرح ديوان الأخطل	أنطون صالحاني اليسوعي (ت ١٩٤١م)	الذيل ١٩٤، ٢٩٩، ٣٦٥.
شرح ديوان الخنساء	لويس شيخو اليسوعي (ت ١٩٢٨)	الذيل ١٣٠، ٢٨٣، ٣٩٦، ٤١٦، ٤١٧.
شرح رسائل البديع	إبراهيم الأحدث (ت ١٨٩٠)	الذيل ٢٤٦، ٢٥١، ٢٦١، ٣٢٨

إشكالية النسخ في أقرب الموارد للشرتوني "دراسة في مادة المعجم والمدخل المعجمية"

اسم المصدر	اسم المؤلف	من صفحات الورد في أقرب الموارد
شرح المفضليات	أكثر من مؤلف	الذيل ٤٣٩
شرح مقامات الهمداني	محمد عبده (ت ١٩٠٥)	الذيل ٣٢٢، ٢٨٧
شرح مقصورة ابن دريد	ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)	الذيل ٣٨٢
شرح نَحج البلاغة	ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)	٢٤٩/١
شعراء النصرانية	لويس شيخو اليسوعي (ت ١٩٢٨م)	الذيل ٢٩٥، ٢٤٢، ٢٢٦، ١٣٠
العقد الفريد	ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)	الذيل ١١٧، ٤٩
الكامل في اللغة	المبرد (ت ٢٨٦هـ)	الذيل ٣٣٨، ٢٨٧، ١٦٧، ٩٨، ٤١٩
مَجْمَع البحرين	ناصريف اليازجي (ت ١٨٧١م)	الذيل ١٣٦.
مقامات الهمداني	بديع الزمان الهمداني (ت ٣٩٥هـ)	الذيل ٢٥٣، ٢٠٨، ١٦٢، ٩٢، ٤١٩
مقصورة ابن دريد	ابن دريد (ت ٣٢١هـ)	الذيل ١١٨
نقد الشعر	قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)	الذيل ١٦٠
نحاية الأرب في فنون الأدب	شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ)	١١٦٨/٢
نَحج البلاغة	جمع الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)	٦٤٤، ٤٨٤/١، الذيل ٣٢، ١٩٢، ٢٤٤، ٣١٩، ٤٣٧

رابعاً/ المصادر التاريخية والجغرافية، وهذا بيانها:

اسم المصدر	اسم المؤلف	من صفحات الورود في أقرب الموارد
تاريخ الأمم والملوك	الطبري (ت ٣١٠هـ)	الذيل ١٩٢، ٢٠٧.
تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية	أحمد بن زيني دحلان (ت ١٨٨٦)	الذيل ١٥٦.
تاريخ العُلم العثماني	أحمد تيمور (ت ١٨٧١م)	الذيل ٥١.
تاريخ الخميس في أحوال أئس النفس	حسين بن محمد الديار بكري (ت ٩٩٦هـ)	الذيل ٣٩٦
تاريخ مختصر الدول	غريغوريوس ابن العبري	الذيل ١٣٤
تقويم البلدان	اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ)	الذيل ٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٦٧، ٢٧٩
رسالة في فضائل الأتراك	الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)	الذيل ص ٤١٩
عجائب الآثار في التراجم والآثار	الجبرتي (ت ١٨٢٥م)	الذيل ٣٣٨
فوات الوفيات	محمد بن شاکر الكنتي (ت ٧٦٤هـ)	الذيل ٤٣٧
قلائد العقيان ومحاسن الأعيان	الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩هـ)	الذيل ٢٠٠، ٣١٢
الكامل في التاريخ	ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)	الذيل ١٣٥، ٢٦٧، ٣٤٤
مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)	١٤٤٤/٢، الذيل ٦٣.
نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب	المقري (ت ١٠٤١هـ)	١٤٤/١
وفيات الأعيان	ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)	٦٥٥/١، الذيل ٣٠٧

خامساً/ مصادر أخرى:

وتشمل بعض مختصرات الحديث النبوي الشريف، وبعض الكتب المؤلفة في الفقه وأصوله، وفي المِلل والنحل والفرق الدينية وعلم الكلام، مثل مختصر صحيح البخاري لأحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي^(٦٨) (ت ٨٩٣هـ)، والمِلل والنحل لأبي الفتح الشَّهرستاني^(٦٩) (ت ٥٤٨هـ)، والمواقف لعضد الدين الإيجي^(٧٠) (ت ٧٥٣هـ)، وشرحه للشريف الجرجاني^(٧١) (ت ٨١٦هـ)، وحجة الله البالغة للشاه ولي الله الدهلوي^(٧٢) (ت ١١٦٧هـ)، بالإضافة إلى الكتب المؤلفة في الطب مثل مفردات ابن البيطار^(٧٣)، والكتب المصنفة في النبات وحياة الحيوان^(٧٤).

وتبقى بعد هذا المصادر المتنوعة التي استمدَّ منها الرجلان، ما كان من قبيل المعاجم اللغوية التي ألفها العرب أو المستشرقون، وخاصة المعجم العربي اللاتيني لفريتاغ، وما كان من كتب اللغة، والنحو والصرف، والأدب، والمجموعات الشعرية، وشروحها، وكتب النبات، والمفردات الطبية، وكتب التراجم والبلدان، وغيرها.

وأول ما يلفت الانتباه في هذا الصدد، هو احتفاء الشرتوني بتاج العروس للزبيدي بشكلٍ ظاهر، ولاسيما في ذيل أقرب الموارد -بحيث لا تكاد تخلو صفحة من ذكر هذا المعجم التراثي- فهو يصرح بالنقل عنه قائلاً: «وفي التاج عن التهذيب»^(٧٥)، «وفي التاج وجدت في هامش نسخة الصحاح»^(٧٦)، «وفي التاج: هكذا في سائر النسخ»^(٧٧)، «ذكره السكري في شرح الديوان، التاج»^(٧٨)، «وفي التاج عن شُرَّاح الفصيح»^(٧٩)، «التاج عن تهذيب ابن القطاع»^(٨٠)، «نقلها السيوطي في المزهرة والاقتراح. التاج»^(٨١)، «التاج عن كتاب الأحجار لأحمد بن عبد الله التيفاشي»^(٨٢).

ولا شبهة في أن المراد بالتاج في هذه النقول هو تاج العروس، لمؤلفه السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي الواسطي (ت ١٢٠٥ هـ)، شارح القاموس المحيط للفيروز ابادي، وليس المراد به «تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري، لتأخر الأعلام الذين ينقل عنهم عن عصر الجوهري^(٨٣). وهذا التصريح بالغ الأهمية في إشكالية البحث، إذ لم ترد في محيط المحيط للبستاني إشارة واحدة إلى هذا المعجم أو إلى مؤلفه، على الرغم من النقول الكثيرة التي اقتبسها منه البستاني، كما بينت ذلك في موضعه من عملي المشار إليه في صدارة هذا البحث، وفي هذا ما يدحض -ولو بدرجةٍ ما- الزعم بأن الشرتوني استنسخ معجمه من معجم البستاني، ويقوّي هذا الاستنتاج تلك المصادر الأخرى التي لم يرجع إليها البستاني، كما هو مذكور في جداول هذا المبحث.

ومن الأدلة الأخرى التي تقود إلى هذه النتيجة بالإضافة إلى ما ذكر هذا الإلحاح الظاهر من الشرتوني -ولاسيما في الذيل- على توثيق مصادره، حتى ليتطوع في كثيرٍ من المواطن بذكر الصفحة والطبعة التي رجع إليها، ومكان طباعتها، كما يبدو في نقوله الآتية: «ورأيت في الكامل للمبرّد هذا البيت»^(٨٤)، ولم أجد في نسخة المصباح المطبوعة بمصر^(٨٥)، «نسخة الأساس المطبوعة في مصر»^(٨٦) رأيتها مكتوباً على هامش نسخة جيدة من المختار^(٨٧)، «لم أراه في نسخة المفردات التي بيدي»^(٨٨)، «ورأيت في نسخة خط من مفردات الراغب»^(٨٩)، «وقد عثرت عليه في نسخة من كتاب الجرائيم لعبدالله بن مسلم»^(٩٠)، «لم أراه في نسخة الأساس التي بيدي»^(٩١). «فقه اللغة من طبعة المطبعة الكاثوليكية»^(٩٢)، «مقامات البديع المطبوعة في المطبعة الكاثوليكية»^(٩٣)، «الألفاظ الكتابية نسخة الأستانة»^(٩٤)، «العلماء الذين وقفوا على طبع التاج غفلوا عن التنبيه»^(٩٥). «عن كتاب قديم مخطوط»^(٩٦).

وهي بلا شك نقول قاطعة بالرجوع إلى تلك المصادر، ونافيةً لشبهة النسخ في نطاقها من المواد اللغوية المتضمنة لها.

وأقوى مما تقدّم كله تعليقاته على ما ينقل من بعض المصادر، ولا سيما محيط المحيط للبستاني (ت ١٨٨٣)، والمعجم العربي اللاتيني لجوليوس^(٩٧) (ت ١٦٦٧ م) (Golius)، والمعجم العربي اللاتيني لفريتاغ^(٩٨) (ت ١٨٦١) (Freytag)، والقاموس العربي الفرنسي لكازيميرسكي (١٨٦٥) (Kazimirski)، بالإضافة إلى قوله في مقدمة الذيل: «واعلم أن كل ما أسندته في جانب الصواب إلى فريتغ أو محيط المحيط، فإنما ذلك إشارة إلى وجوب الفحص عنه والحذر منه ما لم يُر لثقة»^(٩٩).

وفي الجدول الآتي نماذج من تلك التعليقات:

المدخل	أقرب الموارد	ص	محيط المحيط	ص
الجُهَنْبَار	جملة الخلائق التي خلقها الله في ستة أيام.. (كازيميرسكي)	الذيل ١١٦	جملة الخلائق التي خلقها الله في ستة أيام	١٣٣
تَرَعَّنَ	بمعنى: تَعَنَّهُ، ورد في محيط المحيط في مادة (عته)، ولم أره لثقة فحززه	الذيل ١٩٢	تعتة فلان: تجنن وبالع في الملابس والمأكل، وفيه ترعن.	٥٧٥
السَّرْمُوج	نوع من الأحذية، والسَّرْمُوجَة أحص منه، دخيل نقله فريتاغ من كتاب ألف ليلة وليلة.	الذيل ٢٢١	نوع من الأحذية، والسَّرْمُوجَة أحص منه.	٤٠٨
السَّرْمَر	طائر يشبه السمان، أسود اللون، ينهزم الجراد من صوته... ولم أره للغوي.	٥٤٠/١	طائر يشبه السمان، أسود اللون ينهزم الجراد من صوته...	٤٢٧
المُسْهَر	طائر يلنذ به كل من يسمعه، فيسهر عليه، ولا يشتهي النوم من لذة سماعه. لم أجد	٥٥٢/١	طائر.. ويلنذ به كل من يسمعه، فيسهر عليه، ولا يشتهي النوم من لذة سماعه	٤٣٦

ص	محيط المحيط	ص	أقرب الموارد	المدخل
٤٢٧	طائر يشبه السمانى، أسود اللون ينهزم الجراد من صوته... صوتة...	٥٤٠/١	طائر يشبه السمانى، أسود اللون، ينهزم الجراد من صوته... ولم أره للغوي.	السَمْرَمَر
٤٣٦	طائر.. ويلتذ به كل من يسمعه، فيسهر عليه، ولا يشتهي النوم من لذة سماعه	٥٥٢/١	طائر يلتذ به كل من يسمعه، فيسهر عليه، ولا يشتهي النوم من لذة سماعه. لم أجد له	المُسْهَر
٤٤١	المُسْتَسَاغ: الساع	الذيل ٢٣٤	رأه سائغاً، يقال: هذه الألفاظ حوشية لا يَسْتَسِيغُهَا مَنْ لَه فِي الأَدب أَدْنَى مَزِيَّة. ذكرها صاحب الجاسوس.. ولا أدري من أين أخذها فحزرها.	استساعه
٩٨٧	الْوَهْدَة: الهوة في الأرض، وتُسَمَّى بِهَا عذيرة الحائك، وهي الحفرة التي يجعل فيها رجليه	الذيل ٢٨٩	الحفرة التي يضع رجليه فيها «محيط المحيط في مادة (وهد)، ولا أدري من أين نقلها فحزرها»	عذيرة الحائك
٦٧١	نوع من السمك	٨٩٤/١	نوع من السمك. نقله فريتاغ عن كتاب في وصف الحيوان، ولم أره	العَيْنَان
٧٥٧	ضرب من السفن	١٠٤٠/١	ضرب من السفن، ولم أر هذا في كتاب يوثق به	القَمَقَمَة
٨٧١	شراب السوس	١٢٥٥/٢	مركب شراب السوس، ولم أرها لثقة.	المَيْسُوسَن
٨٨٦	الكثير النَّدَّة، والشديده	١٢٨٧/٢	الكثير النَّدَّة والشديد، نقلها فريتاغ بلا إسناد	المِنْدَة
٩٢٩	نبت	١٣٧٠/٢	ضرب من النبت، وليس بثبت	المُهْتَلَى

ثانياً: المداخل وترتيبها في أقرب الموارد:

١- الترتيب الخارجي:

تحدث الشرطوني بإيجاز عن الطريقة التي اتبعها في ترتيب المداخل، فقال في المقصد الأول من مقدمة المعجم: «وأما ترتيبه فاتبعت فيه طريقة الجمل وما شاكله من حيث إيراد الألفاظ باعتبار أوائل أصولها، وهي نفس الطريقة التي سلكها مترجمو العربية باللاتينية وغيرها، كغوليوس وفريتغ، وتابعهم عليها من كان نموذج الجد والإقدام العالم الفاضل المرحوم المعلم بطرس البستاني في محيط محيطه وقطر محيطه»^(١٠٠).

وحديث الشرطوني هنا جانبه الصواب إلى حدّ ما، فمجمل ابن فارس مرتب بحسب الترتيب الهجائي الدائري الممتزج بنظام الأبنية، وبمقتضاه تقسم مواد المعجم إلى كتب بعدد حروف الهجاء، وتقسم مشتملات الكتاب الواحد إلى أقسام ثلاثة، قسم للثنائي المضاعف أو المطابق، وقسم للثلاثي، وقسم لما زاد على ثلاثة أحرف، فضلاً عن أنه في ترتيبه لا يذكر بعد الحرف الأول أو الثاني إلا الحرف الذي يليه في ترتيب الحروف الهجائية، حتى إذا وصل إلى الياء عاد إلى الأبواب التي تركها، كما هو معروف بين دارسي المعاجم العربية^(١٠١).

ولا يخفى علينا أن مدار الترتيب هنا هو الحروف الأصلية، لا الحروف الزائدة، على النحو المعهود في صناعة المعجم العربي في معظم أحواله، بالإضافة إلى مراعاة ما يلي الحرف الأول من حروف الهجاء في ترتيب المواد اللغوية.

وقسم الشرطوني معجمه إلى أبواب بعدد حروف الهجاء، فأولُه باب الهمزة وآخره باب الياء، وصدر كل بابٍ بتمهيد^(١٠٢) موجز عن الحرف المعقود له الباب، مشيراً إلى ترتيبه بين حروف الهجاء، وقيّمته العددية في حساب الجُمَّل،

ومعانيه الوظيفية، ومواضع زيادته في بنية الكلمة العربية، وقد يتطرق إلى حاله في النطق العامي^(١٠٣)، ولكنه لم يبلغ مبلغ البستاني في التعريف بهذه الحروف، ولم يعرض لحالها في اللغات السامية كما فعل صاحب محيط المحيط.

وحشد الشرتوني تحت كل باب المداخل المعجمية المبدوءة بحرفه، واستعان ببعض الرموز لتوضيح مداخله، فوضع المدخل الرئيس أو المادة - كما قال^(١٠٤) - في صدر السطر، مُكْتَنَفَةً بنجمتين، ووضع لكل فرع من فروع المادة الواحدة، أو المداخل الفرعية بين هلالين، على حين لجأ البستاني إلى تصدير مداخله الرئيسة - غالباً - بالجذر الافتراضي المتنوع بالخط العرْضِي القصير، والفصل بالنجمة بين المداخل الفرعية واتبع الشرتوني في إثباتها وتقديم بعضها على بعض منهجاً تظهر فيه بعض وجوه المغايرة بينه وبين سلفه بطرس البستاني:

أ- ففي أقرب الموارد تكاد تختفي المداخل الإحالية التي تقوم على الصورة المنطوقة للمفردات، لا على صورتها الجذرية المجردة من الحروف الزائدة خلافاً لما تنادي به الدراسات المعجمية الحديثة من ضرورة مراعاة الإحالات في الترتيب الألفبائي الجذري^(١٠٥)، وخلافاً لما جرى عليه البستاني في التسهيل على المبتدئين، فأبرزها في الترتيب الظاهري وأحال إلى مواضعها الحقيقية في الترتيب الصحيح لها، حيث تولى شرحها وتقديم المعلومات عنها.

وأذكر من هذا القبيل «الأب» الذي وضعه البستاني بعد المدخل الوظيفي «آ» وقبل «أباً»، معيّباً بقوله: «اطلب أب و»^(١٠٦)، وفي باب التاء ذكر البستاني «ترث» بعد «ترت»، وقبل «ترج»، قائلاً: «التراث: الإرث، وأصله الوارث»^(١٠٧)، وهو ما لم يفعله الشرتوني، بل ذكر كلاً من الأب والتراث في مادته «أ ب و»^(١٠٨)، و«و ر ث»^(١٠٩).

وتكاد تقتصر المداخل الإحالية عند الشرطوني على تلك الوحدات التي تتعدد صورها اللفظية والكتابية بسبب تعدد اللغات فيها، أو لكونها أعجمية نقلت إلى العربية بأكثر من صورة، إذ تُشرح الوحدة المعجمية المقصودة في الموضع الأول الذي يستوجه الترتيب الهجائي، ويعاد ذكرها في الموضع الآخر الذي تقتضيه صورتها الأخرى، وتتم الإحالة التي نتحدث عنها، على نحو ما نراه في النماذج الآتية:

- «فزد* لم يُحْرَمَ من فُزْدَ له، أي فُصِدَ. اطلب ف ص د»^(١١٠).
- «الكُدَيْتِق: الكُدَيْتِق، بالدال المهملة، ودُكِرَتْ في ترجمة (ك د ن ق)»^(١١١).
- «الألُوقة: اللُوقة، ودُكِرَتْ في باب الهمزة»^(١١٢).
- «الْمَنْجُونُو والمَنْجِنين: دُكِرَا في ترجمة (ج ن ج ن)»^(١١٣).
- «المُنْلا: القاضي، بلغة التتر، راجع المُلَّا في (م ل ل)»^(١١٤).
- «كغذ* الكاغذ والكاغذ: لغة في الدال المهملة»^(١١٥).
- «نودل: مرت في ترجمة (ن د ل)، وفاتنا شيء فذكرناه هنا»^(١١٦).
- «الأواغي: جمع الأوغية، ودُكِرَتْ في باب الهمزة»^(١١٧).
- «بَيْرَم النَجَّار: مَرَّ في مادة (برم)»^(١١٨).
- «جندر: دُكِرَ في ترجمة (ج د ر)»^(١١٩).

وفي المقابل لم يُعَنَّ الشرطوني بإثبات البدائل الكتابية للفظ الأعجمي في مداخل رئيسة، ومن هنا رأيناه يكتفي بذكر «الْقُمْرُق»^(١٢٠) في باب القاف ويعرفها بأنها «الجمرك»، ولم يثبت «الجمرك» في باب الجيم، ولا حتى «الكمرك»

في باب الكاف، ويعرض لتعريف «الإفنج»^(١٢١) في باب الهمزة دون ذكر للفظ «الفرنج» في باب الفاء، كما يثبت «الفيستان» في باب الفاء^(١٢٢)، ويهمل ذكر «الفُسطان»، في مخالفة صريحة لما دأب عليه سلفه البستاني من وضع البدائل المشار إليها في مداخل رئيسة من محيط المحيط^(١٢٣).

ب- وفي إطار ما قصد إليه الشرتوني من تحيّر في إثبات المداخل - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - رأيناه يسقط من مداخل معجمه كثيراً من المداخل المُثبتة في محيط البستاني، فعلى سبيل المثال تكشف الموازنة بين المداخل الرئيسة في باب الباء، أو باب الشين، أو باب القاف من أقرب الموارد ومحيط المحيط، عن إسقاط الشرتوني لـ «١٦٧ مدخلاً» من مداخل باب الباء، و«٣٥ مدخلاً» من مداخل باب الشين، و«٢٧ مدخلاً» من مداخل باب القاف^(١٢٤).

ونورد فيما يأتي هذه المداخل، مُوزَّعةً على مستوياتها اللغوية التي صرَّح بها البستاني^(١٢٥):

١- ما أسقطه الشرتوني من باب الباء:

أ- المداخل المولّدة والعامية والاستعمالات الإقليمية:

- (١) بائيّة*؛ (٢) باشة «عامي»؛ (٣) بِنْرَالَة «إقليمي»؛ (٤) بِجْمَاظ «إقليمي»؛ (٥) بَحَش «عامي»؛ (٦) بَحْشِيش «عامي»؛ (٧) بَدْرَق «مولّد»؛ (٨) بُرْقُوق «مولّد»؛ (٩) بَشْط «إقليمي»؛ (١٠) بَقَالَا «إقليمي»؛ (١١) بَكْرَج «عامي»؛ (١٢) بَكْش «إقليمي»؛ (١٣) بَلْطَجِي «عامي»؛ (١٤) بَلْكِبي «عامي»؛ (١٥) بِنَاقِيس «عامي»؛ (١٦) بُو «عامي»؛ (١٧) بُودَقَة «عامي»؛ (١٨) بَيْلَسَة؛ (١٩) بوقِينَار «إقليمي»

ب- المدخل الأعجمية، وهي:

(١) بَارْنَجٌ*؛ (٢) بَارُودٌ*؛ (٣) بَازَارٌ؛ (٤) بَازُوقٌ*؛ (٤) بَاسَلِيقٌ؛ (٥) بَاشَا
ص؛ (٦) بَاقَةٌ*؛ (٧) بَالَةٌ؛ (٨) بَامِيَا*، (٩) بَأُونَةٌ؛ (١٠) بَايَةٌ؛ (١١) بِيَّاجٌ؛
(١٢) بَتْلُوجِيَا؛ (١٣) بَتَانٌ؛ (١٤) بَدَاسَفَانٌ؛ (١٥) بَرْدِيُوتٌ؛ (١٦) بَرَشْتُوكٌ؛
(١٧) بَرَشَعْتَا؛ (١٨) بَرَشَانٌ؛ (١٩) بَرَطَانِيْقِي*؛ (٢٠) بَرَعَشْتٌ؛ (٢١) بَرُعِيٌّ؛
(٢٢) بَرُكُوسٌ؛ (٢٣) بَرْمَهَاتٌ؛ (٢٤) بَرْمُودَةٌ؛ (٢٥) بَرْنَجٌ*؛ (٢٦) بَرَنْجَاسَفٌ؛
(٢٧) بَرَنْبِطَةٌ؛ (٢٨) بَرَوَازٌ؛ (٢٩) بَرَوَانَةٌ؛ (٣٠) بَرُوتَسْتُوٌ؛ (٣١) بَرُومْتَرٌ؛
(٣٢) بَرَقَطُونَا*؛ (٣٣) بَرُزْكٌ؛ (٣٤) بَرُوزْنَكٌ؛ (٣٥) بَسْتَجٌ، (٣٦) بَسْتَقٌ؛
(٣٧) بَسْتِيْبَاجٌ*؛ (٣٨) بَسْدٌ*؛ (٣٩) بَسْطَرْمَا؛ (٤٠) بَسْطَرُونٌ؛ (٤١) بَسْفَاجٌ*؛
(٤٢) بَسْفَارْدَانَجٌ*؛ (٤٣) بُشْتٌ*؛ (٤٤) بِشْتَحْتَةٌ؛ (٤٥) بِشْكِيرٌ؛ (٤٦) (٤٦)
بَطَارِخٌ، (٤٧) بَطَارِسٌ؛ (٤٨) بَطَاطَا؛ (٤٩) بَطْرَاسَالِيُونٌ؛ (٥٠) بَطْسَةٌ؛ (٥١)
بَطْلِيْنُوسٌ؛ (٥٢) بَطْمَانٌ؛ (٥٣) بَفْتٌ؛ (٥٤) بَفْجَةٌ؛ (٥٥) بَقْسَمَاطٌ؛ (٥٦) بَقْمَشٌ؛
(٥٧) بَكْلِيْكٌ؛ (٥٨) بَلَاوٌ*، (٥٩) بَلْهَوَرٌ، (٦٠) بَلِيْلَاجٌ*؛ (٦١) بِنْدِيْكُسْتِيٌّ؛
(٦٢) بِنَاسَتٌ؛ (٦٣) بِنُضُولٌ؛ (٦٤) بِنَطَالُونٌ؛ (٦٥) بِنَقْمَشٌ؛ (٦٦) بُودِيْنُوٌ؛
(٦٧) بُورُعِيٌّ؛ (٦٨) بُورُقٌ؛ (٦٩) بُورُكٌ؛ (٧٠) بُورِيْنُطْسٌ، (٧١) بُوزَةٌ؛ (٧٢)
بُوزِيْدَانٌ؛ (٧٣) بُوسَلِيْكٌ؛ (٧٤) بُوشَادٌ*؛ (٧٥) بُوشَ دَرَبَنْدِي*، (٧٦) بُوصَلَةٌ؛
(٧٧) بُوعَازٌ؛ (٧٨) بُولِيْتِيْكَةٌ؛ (٧٩) بُوِيَا؛ (٨٠) بِيَانُوٌ؛ (٨١) بِيْرُوزٌ*؛ (٨٢)
بِيْجَادِقٌ*؛ (٨٣) بِيْرَا؛ (٨٤) بِيْرُونٌ؛ (٨٥) بِيْلَةٌ؛ (٨٦) بِيُوْرُلْدِي.

ج- المدخل العربية التراثية^(١٢٦)، وهي:

(١) بَأَزَلَةٌ؛ (٢) بَيْطٌ، (٣) بِيْرَمٌ؛ (٤) بِيْرِيْتٌ؛ (٥) بِيْرُصُومٌ؛ (٦) بِيْرُعْلٌ؛ (٧)
بِيْرِيْقٌ؛ (٨) بِيْرُكِيٌّ؛ (٩) بِيْرَنْ؛ (١٠) بِيْرْمَاجٌ؛ (١١) بِيْرَعَزَةٌ؛ (١٢) بِيْرَعَضُّضٌ؛ (١٣)

بُعْفُط؛ (١٤) بَغْس؛ (١٥) بَعَّاق؛ (١٦) بُلْعُص؛ (١٧) بَلْكَع؛ (١٨) بَنَبَان؛
(١٩) بُنْظُر؛ (٢٠) بَيْث؛ (٢١) بَيْح؛ (٢٢) بَيْلَم، (٢٣) بَيْنِيث.

د- المداخل الإحالية:

(١) بازَهْر؛ (٢) باقَلَى؛ (٣) بَرْدَقَان؛ (٤) بَرْنَكَان؛ (٥) بَرَوَق؛ (٦)
بَرُوَكَة؛ (٧) بَرْدَرَة؛ (٨) بِشَمَاط؛ (٩) بِلَادَر؛ (١٠) بَلْشُوم؛ (١١) ابْلَنْقُق؛
(١٢) بِلَان؛ (١٣) بَلَنْتَع؛ (١٤) بَلْنَد، (١٥) بَلَنْزَى؛ (١٦) ابْنَم؛ (١٧) بَهْوَر؛
(١٨) بَهْوَيْتَة؛ (١٩) بُود؛ (٢٠) بُوزَنك؛ (٢١) بُوسَيْر؛ (٢٢) بُوصَيْر؛ (٢٣)
بُولَاد؛ (٢٤) بَوْلَع؛ (٢٥) بَيِّن؛ (٢٦) بَيْدَخ؛ (٢٧) بَيْدَخ؛ (٢٨) بَيْدَق؛ (٢٩)
بَيْدَار؛ (٣٠) بَيْرُوح؛ (٣١) بَيَزْر؛ (٣٢) بَيْكَار؛ (٣٣) بَيْلُورْدِي؛ (٣٤) بَيَهَن.

ه- مداخل أخرى، وخصصها البستاني لثلاث وحدات معجمية طرأت عليها بعض التغيرات الصوتية الصرفية، وهي: بَلْحَارِث؛ بَلْعَنْبَر؛ بَلْقَيْن، وكذلك مدخلين من المداخل المُحَرَّفَة، وهي: بلغث «تصحيف بَلْعَث»، وبلَهْوَان «تحريف بَهْلَوَان»، بالإضافة إلى وحدتين وظيفتين، إحداهما مُفْرَدَة، وهي (بَن) لغة في بَل، والأخرى ناشئة عن التجمع والتضام، وهي «بِم»؟.

٢- ما أسقطه الشرطوني من باب الشين:

أ- المداخل المولدة والعامية:

(١) شَيْبِي «عامي»؛ (٢) شَتْلَة «عامي»؛ (٣) شَرْبَش «مولد»؛ (٤) شَرْبَط «عامي»؛ (٥) شَرْش «عامي»؛ (٦) شَرْمَط «عامي»؛ (٧) شَاطُومَة «عامي»؛ (٨) شَفْشَق «مولد»؛ (٩) شَقِيْط «عامي»؛ (١٠) شَلِي «عامي»؛ (١١) شَلْغِين «عامي»؛ (١٢) شَالُوف «عامي»؛ (١٣) شَلْفُوطَة «عامي»؛ (١٤) شَلْفُون «عامي»؛ (١٥) شَمَشْرِيْحَة؛ (١٦) شَنْبَر «مولد»؛ (١٧) شَنْبَك «عامي»؛

- (١٨) شُنْبُل «مولد»؛ (١٩) شند «عامي»؛ (٢٠) شُنْطَف «مولد»؛ (٢١) شَنْفَلَة؛ (٢٢) شِنْقَار*؛ (٢٣) شُنْكَ «عامي»؛ (٢٤) شِنْكَار «عامي»؛ (٢٥) شِنْكَل «عامي»؛ (٢٦) شُوْبَاصِي «عامي».

ب- المداخل الأعجمية وهي:

- (١) شَبْكَرَة؛ (٢) شَرَشَف؛ (٣) شَكْمَجَة؛ (٤) شَلِين؛ (٥) شَنْتَه؛ (٦) شَنْتِيَان؛ (٧) شَوْرَبَة.

ج- المداخل المُحَرَّفَة:

- (١) شَحُول «تصحيف» شَحُول؛ (٢) أَشْحَد «تصحيف» أَشْحَد؛ (٣) شَفْلَع «تصحيف» شَفْلَع؛ (٤) شَمْلَق «تصحيف» شَمْلَق.

٣- ما أسقطه الشرتوني من باب القاف:

أ- المداخل المولدة والعامية والاستعمالات الإقليمية:

- (١) قَأَش «إقليمي»؛ (٢) قَبِضِن «عامي»؛ (٣) قَرْفَد «عامي»؛ (٤) قَرْفَد «عامي»؛ (٥) قَرْقَد «عامي»؛ (٦) قَرْقَش «عامي»؛ (٧) قَرْقَط «عامي»؛ (٨) قَرْقَع «عامي»؛ (٩) قَيْطَان «عامي»؛ (١٠) قَيْمَاط «مصطلح للبنائين».

ب- المداخل الأعجمية، وهي:

- (١) قَبَاْجُور؛ (٢) قَبَقْ؛ (٣) قُشَلَة؛ (٤) قَفْشَلِيل؛ (٥) قُطْطَان؛ (٦) قَلْشِين؛ (٧) قِنْدَاق؛ (٨) قِنْدَلْفَت؛ (٩) قِنَاق.

ج- المداخل الإحالية، وهي:

- (١) قِرْنَبَاع؛ (٢) قِرْنَيْط؛ (٣) قِرْنُوَة؛ (٤) قَلْطَبَان؛ (٥) قِيرَاط.

هـ- مداخل أخرى:

(١) قَلْفُط «تخريف جَلْفُط»؛ (٢) قَنْبَس؛ (٣) قُنْشُورَة، «وهما مدخلان عربيان تراثيان» (٤، ٥، ٦، ٧) مداخل متعلقة بألفاظ العوارات^(١٢٧).

وظاهرٌ مما سبق أن أكثر المداخل التي أسقطها الشرتوني، هي من قبيل المداخل العامية التي لم تتجه هِمَّتُهُ إليها^(١٢٨)، أو المداخل الأعجمية التي انتهت إلى محيط البستاني من معاجم المستشرقين، على حين يتسم غير ذلك مما أسقطه بأنه «مولد» أو «استعمال إقليمي»، أو مدخل إحالي، أو مُحَرَّف عن صورته الأصلية، أو كان مراعاة لصورة صوتية طارئة، فأما المداخل العربية الصِّرفَة، فقلَّ أن تُسْتَبْعَد من أقرب الموارد؛ لأن الشرتوني يستهدف في الأساس هذا المستوى اللغوي دون غيره من المولّدات والعاميات والأعجميات.

ونرصد في هذه اللوحة موازنة بلغة الأرقام بين أقرب الموارد ومحيط المحيط من حيث عدد المداخل الرئيسة في كُلِّ منهما^(١٢٩):

الباب	أقرب الموارد	محيط المحيط	الباب	أقرب الموارد	محيط المحيط
الهمزة	٢٤٤	٣٧٦	الطاء	٢٩٣	٣٠٥
الباء	٣٨٣	٧١٤	الظاء	٤٤	٤٦
التاء	١٤٣	٢٤٠	العين	٦٦٨	٧١١
الثاء	١١٣	١٧٥	الغين	٢٧٣	٢٧٣
الجيم	٣٣٨	٥٤٠	الفاء	٤١٢	٤٢٦
الحاء	٤٤٢	٥٢٧	القاف	٦٢٨	٦٦٠
الخاء	٣٦٨	٤٣٨	الكاف	٤٨٣	٥٠٣
الدال	٤٧٦	٥٣٩	اللام	٣٤٢	٣٥٨
الذال	١٣٨	١٥٢	الميم	٣٦٤	٤٠٧
الراء	٣٦٨	٤١٠	النون	٤٩٥	٤٩٨

الباب	أقرب الموارد	محيط المحيط	الباب	أقرب الموارد	محيط المحيط
الزاي	٣٣٨	٣٩٠	الهاء	٤٦٩	٤٧٥
السين	٤٧٥	٥٣٧	الواو	٣٨٢	٣٨٢
الشين	٤٥٩	٤٩٧	الياء	٩٢	٩٧
الصاد	٣٢٢	٣٢٠	الإجمالي	٩,٧٩٢	١١,٢٠٠
الضاد	٢٠٤	٢٠٤			

ج- خالف الشرطوني سلفه البستاني في الوضع الترتيبي لبعض الوحدات المعجمية، ولاسيما تلك التي تعسّف البستاني في نظرتة إليها، والوحدات المتضمنة لزيادة إلحاقية، والوحدات المنقولة من اللغات الأعجمية، وبعض الوحدات الوظيفية.

فمن الوحدات التي تعسّف البستاني في نظرتة إليها، وردّها عليه النقاد^(١٣٠) الفعل «ألأت» في قولهم: «ألأته حقه»، أي نقصه، فقد وضعه في (ألت)^(١٣١)، ولم يذكره الشرطوني في هذا المدخل^(١٣٢)، ومثله الفعل «أؤأب»، بمعنى أغضب الذي وضعه البستاني في (أ و ب)^(١٣٣)، ثم ذكره في (و أ ب)^(١٣٤)، واكتفى الشرطوني بوضعه في (و أ ب) على غرار صنيع القاموس المحيط^(١٣٥). ولم يذكر الشرطوني «الأحوريّة» التي هي المرأة البيضاء الناعمة في (أ ح و ر)، كما فعل البستاني^(١٣٦)، ولكنه اكتفى بصيغة المذكر في موضعها الصحيح، وهو (ح و ر)، فقال: «الأحوريّ: الأبيض الناعم من أهل القرى»^(١٣٧).

أما عن الوحدات ذوات الزيادة الإلحاقية، فإنها تمثل حيّزًا لا يُستهان به من الخلاف بين الرجلين، وأبدأ بما ثالثه نون ساكنة من تلك الوحدات، وأسوق قول ابن جني «وإذا رأيت النون في كلمة خماسية ثالثة ساكنة فاقض بزيادتها، نحو قُرْنُفْلٍ وَسَلَنْطَحٍ وَبَلَنْدَحٍ وَجَرَنْبَذٍ وَجَرَنْفَسٍ»^(١٣٨).

وبموجب هذه القاعدة خالف الشرطوني البستاني في «الجَحْنُفَل»، فجعله مدخلاً فرعياً ووضعه بين هلالين لا بين نجمتين، وفسره بقوله «الغليظ الشَّفَّة بزيادة النون»^(١٣٩)، على حين قال البستاني في مدخل (جحفل): «الجَحْنُفَل في بابه»^(١٤٠)، وذلك في شبه إصرار منه على مخالفة القاعدة الصرفية في ترتيبه، قصداً إلى التيسير على المتعلمين.

ولم يراع الشرطوني هذا المبدأ في كل مداخله، فهذا هو ذا يذكر (الْقَرْنُفَل) في مدخل مستقل بين نجمتين^(١٤١)، ويذكر (قرفل) في مدخل مستقل كذلك^(١٤٢)، متابعاً في هذا الترتيب للبستاني^(١٤٣)، ومتغاضياً عن القاعدة المذكورة.

واتكأ على مذهب من يحكم بزيادة النون في «الجُنْدَب» جعلها الشرطوني مدخلاً فرعياً من مداخل (جذب)^(١٤٤)، مخالفاً سلفه في جعل (جذب) و(جندب) مدخلين رئيسين^(١٤٥)، واستناداً إلى تخطيط الصاغاني لصاحب القاموس في عدّه النون من «الجَانِب»^(١٤٦) - وهو القصير من الناس ومن الخيل - حرفاً أصلياً، غايرت نظرة الشرطوني إليها نظرة البستاني^(١٤٧)، فوضعها بعد (جأب) مباشرة، وصدر حديثه عنها بقوله: «وزنه فَعَنْل»، والنون زائدة، ولكنه مع ذلك عدّها مدخلاً مستقلاً، وذلك لعدم وضوح الاشتقاق المعنوي أو الرابطة المعنوية في ذهنه بين الجاب والجانب، وذلك على خلاف ما كانت عليه نظرة البستاني في معاملة النون في هذه الكلمة معاملة الحروف الأصلية، ووضعه لها بعد (جألل).

والنموذجان الأخيران يطرحان إشكاليةً ارتبط بها اختلاف الوضع الترتيبي لبعض الوحدات في المعجم العربي بشكل عام، وفي المعاجم الحديثة بوجه خاص، وإليها تنبّه علماءنا الأقدمون، فقال ابن جني: «واعلم أن للتاء ميزاناً وقانوناً يعرف به طريق القياس، كونها أصلاً أو زائدة، فإذا عَدِمَت الاشتقاق في كلمة

فيها تاء أو نون، فإن حالهما فيما أذكره لك سواء، فانظر إلى التاء أو النون، فإن كان المثال الذي هما فيه أو إحداهما على زنة الأصول فاقض بأنهما أصلان، وإن لم يكن المثال الذي هما فيه بهما أو بإحداهما على زنة الأصول فاقض بأنهما زائدتان، مثال ذلك قولنا: عنتر، فالنون والتاء جميعاً أصلان، لأنهما بإزاء العين والفاء من جَعْفَر، ألا ترى أن في الأصول مثال فَعَلَل، وكذلك النون في نحو خَنْزَرُ «القصيرة»، أصل؛ لأنها بإزاء الراء من جَرَدَحْل وقرطعب، وكذلك التاء في فرتاج، هي أصل؛ لأنها بإزاء الدال من سِرْدَاح، والطاء من قِرطَاس»^(١٤٨).

والاشتقاق الذي يتحدث عنه ابن جني في هذا الموضوع اشتقاق لغوي يراعى فيه أخذ إحدى الكلمتين من الأخرى بزيادة الحرف، بحيث تظهر الصلة اللفظية والمعنوية بينهما، باشتراكهما في معظم الحروف وفي المعنى العام، وهذا الاشتراك هو الذي حمل أصحاب المعاجم على جعل إحداهما مدخلاً رئيساً أو مادة أصلية، والأخرى فرعاً من فروع هذا المدخل أو تلك المادة اللغوية، على وجه تتجمع فيه المفردات العربية في شكل عائلات أو أسر لغوية^(١٤٩)، غير أن النظرات الذاتية تتفاوت في إدراك هذه الرابطة، وما يهتدي إليه باحث، قد يكون محل التوقف عند غيره من الباحثين، وبهذا الاعتبار يتيسر لنا فهم بعض جوانب المغايرة بين ترتيب البستاني وترتيب الشرطوني للوحدات المعجمية^(١٥٠)، وفي الجدول الآتي نماذج أخرى لتلك المغايرة:

الوحدة المعجمية	ترتيبها في أقرب الموارد	ص	ترتيبها في محيط المحيط	ص
يَأْفُوخ	مدخل رئيس موضوع بين نجمتين في باب الهمزة	١٣/١	مدخل فرعي تحت (أ ف خ)	١١
الأَنَانَة	مدخل رئيس موضوع بين نجمتين	٢١/١	مدخل فرعي ضمن مداخل (أنا)	١٨
الأَنَانِيَّة	مدخل رئيس موضوع بين نجمتين	٢١/١	مدخل فرعي ضمن مداخل (أنا)	٢٣

د. عبدالله بن عيسى بن أحمد الفضيخ

الوحدة المعجمية	ترتيبها في أقرب الموارد	ص	ترتيبها في محيط المحيط	ص
البئر	مدخل رئيس موضوع بين نجمتين	٢٧/١	مدخل فرعي تحت (ب أ ر)	٢٥
بُرْجاس	مدخل فرعي من مداخل (ب ر ج)	٣٦/١	مدخل رئيس (ب ر ج س)	٣٣
ابرنشق	مدخل رئيس موضوع بين نجمتين	٣٨/١	مدخل فرعي تحت (ب ر ش ق)	٣٥
الجؤشوش	مدخل فرعي من مداخل (ج أ ش)	٩٩/١	مدخل رئيسي (ج أ ش ش)	٨٩
جنأل	مدخل فرعي من مداخل (ج ث ل)	١٠٣/١	مدخل رئيس (ج ث أ ل)	٩٢
الجحظم	مدخل فرعي من مداخل (ج ح ظ)	١٠٤/١	مدخل رئيس (ج ح ظ م)	٩٣
الجنادف	مدخل فرعي تحت (ج د ف)	١٠٨/١	مدخل رئيس (ج ن د ف)	١٣٨
جدول	مدخل رئيس بعد (ج د ل)	١٠٨/١	مدخل فرعي تحت (ج د ل)	٩٦
جرجر	مدخل رئيس بعد (ج ر ر) وهو وضع خاطئ	١١٥/١	مدخل رئيس بعد (ج ر ج ب)، وقبل (ج ر ر)	٩٩
رهُوك	مدخل رئيس موضوع بين نجمتين، بعد (ر ه ك)، وقبل (ر ه ل)، وهو وضع خاطئ	٤٤٠/١	مدخل رئيس بين (ر ه و) وقبل (ر ه و ن)	٣٥٦
زلزل	مدخل رئيس بعد (ز ل ل) وقبل (ز ل م)، وهو وضع خاطئ	٤٧١/١	مدخل رئيس (ز ل ز) وقبل (ز ل ط)	٣٧٥
عصيلة	مدخل فرعي من مداخل (ع ص و د)، وهو وضع غير صحيح	٧٨٨/١	مدخل فرعي من مداخل (ع ص د)	٦٠٥
قَيصوم	مدخل فرعي من مداخل (ق ص م)	١٠٠٨/١	مدخل رئيس (ق ي ص م)	٧٦٥
القندأو	مدخل فرعي من مداخل (ق ن د)	١٠٤٢/١	مدخل رئيس بعد (ق ن د)	٧٥٨
الكديون	مدخل فرعي من مداخل (ك د ن)	١٠٧٢/٢	مدخل رئيس (ك د ي ن)	٧٧٤
كوثر	مدخل رئيس بين (ك ث ر) و(ك ث ع)	١٠٦٨/٢	مدخل رئيس بين (ك و ث) و(ك و ث ل)	٧٩٦

ومن نماذج المغايرة بين المعجمين في ترتيب الألفاظ الأعجمية:

ص	طريقة ترتيبه في محيط المحيط	ص	طريقة ترتيبه في أقرب الموارد	اللفظ الأعجمي
٢٣	تحت الجذر العربي (أ ي ق)	٢٦/١	ترتيب ألفبائي	الأَيْمُونَة
٢٣	تحت اللفظ الأعجمي (أ ي ل)	٢٦/١	ترتيب ألفبائي	أَيْلُول
٢٣	تحت الجذر العربي (أ ي ل)	٢٦/١	ترتيب ألفبائي	أَيْيَار
٢٥	ترتيب ألفبائي	٢٧/١	تحت الجذر العربي (ب أ ر)	البَاَزَة
٤٤	تحت الجذر العربي (ب ط ي)	٤٩/١	ترتيب ألفبائي	باطِيَة
٢٧٥	ترتيب ألفبائي	٣٣٠/١	تحت الجذر الوهمي (د ر ق س)	دُرْدَاقِس
٣٣٣	تحت الجذر الوهمي (رز د ق)	٤٠١/١	ترتيب ألفبائي	رُزْدَاق
٥١٠	تحت الجذر الوهمي (ص غ ن)	٦٤٩/١	ترتيب ألفبائي	صَعَانَة
٧٢٨	تحت الفعل المشتق من اللفظ الأعجمي (طَنَجَرَ)	٧١٨/١	ترتيب ألفبائي	طَنَجَرَة
٧٠٣	تحت الجذر الوهمي (ف ر ف ن)	٩٢٠/١	ترتيب ألفبائي	فَرَفِيُون
٧٢٨	تحت الفعل المشتق من اللفظ الأعجمي (قَرَطَقَ)	٩٨٧/١	ترتيب ألفبائي	قُرْطُق
٧٠٣	تحت الجذر الوهمي (ف ن ذ)	٩٤٦/١	ترتيب ألفبائي	فَانِيذ
٧٧٩	ترتيب ألفبائي	١٠٨٢/٢	تحت الجذر العربي (ك ز ز)	كِرَاعِنْد
٩٢٦	تحت الجذر الوهمي (ن ي ي)	١٣٦٤/٢	ترتيب ألفبائي	نَاي
٩٤٠	تحت الجذر الوهمي (ه ف ت ق)	١٣٩٤/٢	ترتيب ألفبائي	هَفْتَق

ومن نماذج المغايرة بينهما في ترتيب الوحدات الوظيفية:

الوحدة المعجمية	ترتيبها في أقرب الموارد	ص	ترتيبها في محيط المحيط	ص
أولى	مدخل مستقل موضوع بين نجمتين	٢٥/١	مدخل فرعي من مداخل (أولو)	٢٢
الآن	مدخل مستقل موضوع بين نجمتين	٢٦/١	مدخل فرعي من مداخل (أ ي ن)	٢٣
أَيْنَ	مدخل رئيس موضوع بين نجمتين	٢٦/١	مدخل فرعي من مداخل (أ ي ن)	٢٣
تِيكَ	مدخل مستقل موضوع بين نجمتين	٨٢/١	مدخل فرعي من مداخل (ت ي ك)	٧٦
كذا	مدخل مستقل موضوع بين نجمتين ومثبت بعد (كذو)	١٠٧٣/٢	مدخل فرعي من مداخل (ك ذو)	٧٧٤
ليت	مدخل مستقل موضوع بين نجمتين	١١٧٤/٢	مدخل فرعي من مداخل (ل ي ت)	٨٣٣

وعلى الرغم من هذا المنحى التطبيقي الساعي إلى ترك بصمة في ترتيب المعجم العربي الحديث، لم يسلم الشرتوني من بعض وجوه التقصير، ومن هذه الوجوه متابعته لبعض الأخطاء التي ارتكبها البستاني في الترتيب، ومروره بها مرَّ الكرام، وذلك على مستوى المداخل الرئيسة أو الأفقية، ومن أمثلتها اتحاد الترتيب بين المعجمين في المداخل التالية^(١٥١):

«جعشب - جعشم - جعشش - * الجعشوش» وحق هذا الترتيب أن يكون هكذا: «جعشب - جعشش - جعشم»؛ إذ أن الشين سابقة في الترتيب الألفبائي لحرف الميم.

وهذا ظاهرٌ أيضاً في وضع^(١٥٢) (شزر) قبل (شزر)، ووضع (عنهج) قبل (عنن)، ووضع (كتر) قبل (كتدر) وكذلك وضع (بوى يَبْوِي بَوِيًا) قبل «البُوبَانِس».

ليس هذا فحسب، بل إن الشرطوني ليعدل عن صواب البستاني إلى خطأ يرتكبه سهواً أو تقصيراً، كما نراه في ترتيبه للمداخل الرئيسة الآتية^(١٥٣):
جمل - جمحل - جمثر - جمم، والصواب: جمثر - جمحل - جممل - جمم، أو في وضعه^(١٥٤) لمدخل (لكش) قبل (لكد).

وكما نراه أيضاً في تحريف بعض الألفاظ، ففي باب الباء يورد الشرطوني المدخل الافتراضي على هذا النحو «تبجلس»^(١٥٥)، والصواب يقتضي رسم الجذر مجرداً عن كل الزوائد (بجلس)، كما هو الأمر المتبع في كل المعاجم العربية القديمة منها والحديثة، ومن ذلك أيضاً إثباته مدخل «البئر» بباء واحدة تليها همزة، فيقول: «البئر»: وزن قلب وكبِد: الأسد الهندي. دخيل»^(١٥٦)، والصواب رسم الكلمة ببائين، هكذا «البئر أو البئر» كما في القاموس المحيط ومحيط المحيط^(١٥٧).

ويبلغ القصور مداه في ترتيب الشرطوني، حين تحمله مخالفته للبستاني على الوقوع في التناقض، فيكرر الوحدة المعجمية الواحدة - عن غير قصد - مرتين، مرة تكون فيها مدخلاً فرعياً، وأخرى تكون فيها مدخلاً رئيساً، وهذا ما فرط منه في «الجدمر»، حيث تَوَسَّم زيادة الميم والواو فيها، وعدّها مدخلاً فرعياً للمدخل الرئيس (جذر)^(١٥٨)، ثم عاد عن قريب ليرزها مدخلاً رئيساً مسبوفاً بأصله الافتراضي الموضوع بين النجمتين (جدمر)^(١٥٩).

ويضاف إلى ما تقدّم متابعتة للبستاني في وضع^(١٦٠) «أُكْسَجِين» بين «أَوْقِيَانُوس» و«أول»، ووضع «إِيدُرُوجِين» بين «أيد» و«أيار»، والصواب وضع الأول بين «أكر» و«أكف» ووضع الثاني بين «أدر» و«أدل»^(١٦١)، وخاصةً أن الشرطوني رسم «الأكسجين» بهمزة بعدها كاف، كما أنّ رسمه «الإيدروجين» بهمزة بعدها ياء، لا يعفيه من القصور أيضاً، إذ كان المفترض ذكرها أولاً بصورة «الإدروجين»، بهمزة بعدها ألف وشرحها وتعريفها في هذا

المدخل، ثم إعادة ذكرها بالصورة البديلة «إِيدُرُوجِين» في مدخلٍ إحالي، كما هو الأمر في بعض المعاجم العربية المعاصرة^(١٦٢).

وتبقى الإشارة إلى تأثير الشرتوني بالبستاني في إظهار الجذور الافتراضية في صدارة العديد من مداخله، ووضعها بين النجمتين في أول السطر، على غرار ما نراه في الجذور الآتية^(١٦٣):

- «*جرند* الجرنُندة: الذي لأمه زوج».
- «*جرث* الجرثاة: الحنجرَة».
- «*جرثم* جرثَم: اجتمع».
- «*جرجم* جرجم الشيء: الحدر في البئر».

وطريقته في إظهار هذه الجذور لا تستند إلى معالم يتضح من خلالها ما تظهر صورته الجذرية، وما لا تظهر صورته، وإن كان الغرض منها واضحًا، وهو الدلالة على الحروف الأصلية من أول الأمر.

وامتدَّ هذا التأثير إلى مجموعة من الألفاظ الأعجمية التي وضعها تحت جذور وهمية، فقد دفعه تقليده للبستاني إلى وضع عددٍ من الألفاظ الأعجمية تحت جذور وهمية مخترعة ليس لها صلة بظاهرة الاشتقاق في العربية، فعامل اللفظ في هذه الطريقة على أنه مؤلف من حروفٍ أصلية ومن حروف زائدة، ورتبه تحت ما اعتبر -توهماً- أنه حروف أصلية تمثل الجذر، ولم يراع ما اعتبره زائدًا من تلك الحروف، ونتج عن ذلك أن صُرِّفَت هذه الألفاظ عن مواضعها التي كان ينبغي أن ترتب فيها، ومن هذه الألفاظ:

- «إِيلِيز»، ووصفه بأنه «أعجمي»، ورتَّبه بحسب الجذر الوهمي (بلز)، بين «البُلُور» و«بلس»^(١٦٤)، و«تِرْيَاق»، وهو لفظ يوناني، ورتبه بحسب الجذر الوهمي

(تريق)، بين «تره» و«تسع»^(١٦٥) و«أزْمَعَان»، وهو لفظ أعجمي، ووضعه بحسب الجذر الوهمي (رمغن)، بين «رمغل» و«رمق»^(١٦٦)، و«شاذكُونَة»، وهو لفظ فارسي، وتوهم له جذر (شدكن)، بين «شذف» و«شذم»^(١٦٧)، و«فَرَمَان»، وهو لفظ فارسي أيضاً، ورتبه بحسب الجذر الوهمي (فرمن)، بين «فرن» و«فرنأ»^(١٦٨) و«فَارِسْطُون»، ووصفه بأنه يوناني، وقد توهم له الجذر (قرسط)، بين «قرس»، و«قرش»^(١٦٩)، و«كَادِيك»، وهو لفظ أعجمي، ورتبه تحت الجذر الوهمي (كدك)، بين «كدف» و«كدم»^(١٧٠)، و«كاشان»، وهو لفظ فارسي، وقد رتبه تحت الجذر المتوهم (كشن)، بين «كشَمَلخ» و«كشني»^(١٧١)، و«مَامِيثَا»، ووصفه بأنه دخيل، ورتبه تحت الجذر الوهمي (ممت)، بين «مَمَم» و«ممر»^(١٧٢)، و«يَارِق»، وهو لفظ فارسي، وتوهم له: الجذر (يرق)، بين «يرع» و«يرقع»^(١٧٣).

ومما لاشك فيه أن الوضع الصحيح لهذه الألفاظ الأعجمية أن تُرتَّب في مداخل مستقلة بحسب تسلسل حروفها الألفبائي، وتميَّز عن طريقة ترتيب الألفاظ العربية، فلا تُخضع لظاهرة الاشتقاق في العربية^(١٧٤).

٢- الترتيب الداخلي في أقرب الموارد:

أمَّا عن الترتيب الداخلي للمداخل، أو الفروع للمواد اللغوية، فإن دائرة التشابه بين الرجلين تتسع بوجه عام، وتضيق دائرة الاختلاف بينهما^(١٧٥)، إذ جرى كل منهما في المداخل الفرعية على البدء بالمداخل الفعلية، وترتيبها على نسق القواعد التي وضعها الفرنجة للغة العربية^(١٧٦) ليحجى ترتيبها في المعجمين على هذا النحو:

١- فَعَل. ٢- فَعَّل. ٣- فَاعَل.

- ٤ - أَفْعَلَ . ٥ - تَفَعَّلَ . ٦ - تَفَاعَلَ
٧ - انْفَعَلَ . ٨ - افْتَعَلَ . ٩ - افْعَلَّ .
١٠ - افعالاً . ١١ - اسْتَفْعَلَ .

وذلك في الفعل الثلاثي ومزیده، وفي الفعل الرباعي المجرد ومزیده يقدم
(فَعَّلَ) على (تَفَعَّلَ)

وفي ضوء ما تقدّم جاءت المداخل الفعلية الفرعية في (أبد) على هذا
الترتيب في أقرب الموارد^(١٧٧): (أَبَدَ) بسياقاته - أَبَدَ - أَبَدَ - تَأَبَّدَ، ولم يختلف الحال
عن ذلك في محيط المحيط، سوى أنه قدّم (أَبَدَ) على (أَبَدَ).

وفي مدخل (حمد) رتب الشرطوني المداخل الفعلية على هذا النحو^(١٧٨):
حَمَدَ - حَمَدَ - أَحْمَدَ - تَحَمَّدَ - تَحَمَّدَ - تَحَامَدَ - احْتَمَدَ، ولم يخص البستاني مدخلاً لصيغة
المطاوعة (تَحَامَدَ).

وفي باب الراء من أقرب الموارد جاءت فروع (رمز) الفعلية مرتبة بهذه
الطريقة^(١٧٩): رَمَزَ (بسياقاته) - رَمُزَ - تَرَمَزَ - ترامز - ارْتَمَزَ - ارْمَازَ .

وفي باب الصاد من أقرب الموارد رتبت الفروع الفعلية للمدخل (صبح)
هكذا^(١٨٠): صَبَحَ - صَبَحَ - صَبَحَ - صَبَّحَ (بالبناء للمعلوم) - صُبِّحَ (بالبناء
للمجهول) - أَصْبَحَ - أَصْبَحَ لَنَا مِصْبَاحًا - تَصَبَّحَ - تَصَابَحَ - اصْطَبَّحَ - اصْبَاحٌ -
اسْتَصَبَّحَ وبقریب من هذا الترتیب ذكرها البستاني في محيط المحيط، غير أنه ترك
(تَصَابَحَ)، ولم يفرق بين المعلوم والمجهول، ولم يخص الأبواب التي يورد عليها
الفعل الثلاثي (صبح) مداخل بعددها، بل جمعها في مدخل واحد^(١٨١).

فهل يمكن القول بعد ذلك بأن الشرطوني أكثر احتفاءً بالمداخل الفرعية من
سلفه؟

إن جزءاً من الإجابة عن التساؤل المطروح يقدمه صنيع الشرطوني في المدخلين الأخيرين (رمز) و(صبح)، حيث تظهر عنايته بأبواب الأفعال الثلاثية، فيخصص لكل باب منها مدخلاً فرعياً قائماً برأسه، ويضعه بين الهلالين، كما يخصص لما كان مبنياً للمعلوم من الأفعال مدخلاً، ولما بني منها للمجهول مدخلاً غيره.

وثمة جزء آخر من الإجابة يظهر في طريقة التجنيس التي تتعدد فيها المداخل بتعدد السياقات والمعاني المرتبطة بها^(١٨٢)، وهذا ما فعله في (أصْبَح) الموضوع بين هلالين في أول السطر -على عاداته في اصطناع الرموز- والمسند في عبارته إلى الرجل ومعناه: دخل في الصباح، وفي المدخل الآخر (أصْبَحْ لَنَا مَبْصَاحًا)، بمعنى: أَسْرِجْه.

وفي ترتيبه للمداخل الاسمية، وإيراد بعضها في إثر بعض لم يختلف عمل الشرطوني عن عمل البستاني كثيراً، إذ جرى الرجلان على البدء بالمداخل ذوات الزيادة الحشوية والظرفية، وتليها المداخل الخالية من الزيادة، وروعي في ترتيبها صورتها الظاهرة، واحتلت الألف موقع الصدارة كالمهزمة، ولذلك قدّم «الصَّبَاح» على «الصباح»، كما قدم «الصَّبَاحِيَّة» على «الصَّبَاحِي»، و«الصُّبْح»^(١٨٣).

وعلى هذا النحو أيضاً رتبت المداخل الاسمية ذوات الزيادة الصدرية، ولكنها جاءت تالية للمزيدات الحشوية والمجردات، ولذلك سبق «الإصباح» «الأصْبَح»، وسبق «الأصْبَحِي» «الأصْبُوْحَة» و«التصبيح»، وختمت هذه المداخل بالمداخل الميمية، ويتضح لنا صنيعه من ترتيبه للمداخل الاسمية في (صبح) على هذا النحو^(١٨٤): الصَّبَاح - الحق الصَّبَاح - الصَّبَاح - يا صَبَاحَاهُ - الصُّبَاح - فلان صُبَاح - الصَّبَاحِيَّة - الصُّبَاحِيَّة - الصُّبَاحِي - الصُّبْح - صُبْح خَامِسَة - الصَّبْحَان - رجل صَبْحَان - الصَّبْحَة - الصُّبْحَة - الصَّبُوح - الصُّبُوْحَة - الصَّبِيْح - الصَّبِيْحَة - الإصْبَاح - الأصْبَح - الأصْبَحِي - الأصْبُوْحَة - التَّصْبِيْح - المُصْبَح (بمعنى الإصباح). المُصْبَح - المُصْبَاح - مَصَابِيْح النجوم.

ومؤدى النظر في المعجمين أن هنالك وحدات اسمية خصّص لها الشرطوني مداخل، وكتبها بين هلالين في أوائل السطور، على حين لم يضعها البستاني في هذه المرتبة، بل ذكرها تابعة لغيرها من المداخل، أو ترك ذكرها في جملة الفروع، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المداخل الفعلية.

وعلى الرغم مما سبق يخالف الشرطوني بين الحين والآخر هذا النسق العام من تقديم المداخل الفعلية وتأخير المداخل الاسمية، ففي مادة (أبر) يذكر بعد الأَبَار والإبري المدخل الفعلية (أَتَبَّرُهُ) بمعنى سأله أَبْرَ نَحْلِهِ أو زرعه، وأتَبَّرَ البئر، بمعنى احتفرها، ولم يكن في هذا الموضوع إلا ساهياً، فالمدخل الفعلية المذكور مكانه بين المداخل الفعلية في محيط المحيط^(١٨٥).

وقد يؤتى الشرطوني في هذه المخالفة من جهة مغايرة نظره لنظرة البستاني في الأصلي والزائد من الحروف، فقد عدَّ (اجْتَأَلَ) مدخلاً فرعياً لِحَثْلٍ خلافاً للبستاني الذي وضعه في مدخل مستقل^(١٨٦)، واقترن ذلك بسهوه عن إدراجه ضمن المداخل الفعلية، فذكره بعد الفراغ من المداخل الاسمية ليكون ترتيبه بعد «الْجُثَالَةِ»، على حين قدم البستاني «جَثْلًا» على «جَثْلٍ»، وذكر فيه «اجْتَأَلَ الطائرُ»، وعلى الجملة فإن هذه المخالفات من القلة بمكان في معجم الشرطوني، ومردّها في معظم أحوالها إلى السهو والنسيان اللذين هما من جملة طباع النفس البشرية.

٣- المداخل المُستَدْرَكَة في أقرب الموارد:

وتأتي بعد هذا تلك المداخل الرئيسة أو الفرعية التي انفرد بها الشرطوني في ذيل معجمه، ولم يذكرها البستاني في محيط المحيط، وعدّها الشرطوني استدراكاً على المعاجم العربية، ولاشك أن هذه المداخل من أظهر وجوه المغايرة بين المعجمين، ودليلٌ ساطع على أن «أقرب الموارد» لم يكن نسخةً ثانيةً من «محيط

المحيط»، خلافاً لما ذهب إليه بعض منتقديه.

ويكشف استقرار قسم الذيل من أقرب الموارد عن وجود (٧١٠) مداخل مُسْتَدْرَكَة، وقد توزَّع هذا العدد على الأبواب التالية:

١- باب الهمزة:

(١) الأثنية، ص ٣؛ (٢) تأدَّم بكذا، ص ٦؛ (٣) أسفَّ التمرة، ص ١١،
(٤) أنسه، ص ٢١.

٢- باب الباء:

(١) بَحَّث، ص ٢٨؛ (٢) بارَح، ص ٣٣، (٣) أُبْرِدَ، ص ٣٣؛ (٤) بَرَّقُ
بريع، ص ٣٥؛ (٥) مِبْرَاق، ص ٣٦؛ (٦) أَبَاسِق، ص ٣٨؛ (٧) النخل المُبَسَّق،
ص ٣٨، (٨) ابْتَشَّر الشيء، ص ٣٩؛ (٩) بصبص منه، ص ٣٩؛ (١٠) استبطنه،
ص ٤١؛ (١١) اسْتُبِطِنَ بكذا، ص ٤١؛ (١٢) تَبَعَّد، ص ٤٣؛ (١٣) البَقْرِيَّات،
ص ٤٤؛ (١٤) بَقَّلَه، ص ٤٥؛ (١٥) باقاه، ص ٤٥؛ (١٦) البَلَج، ص ٤٦؛
(١٧) استبلى، ص ٥١؛ (١٨) بَنَدَر، ص ٥١؛ (١٩) أجم الصباغ، ص ٥٤؛
(٢٠) بَيَّع، ص ٥٩.

٣- باب التاء:

(١) التجارة، ص ٦١؛ (٢) تَرَكَ، ص ٦٣؛ (٣) مِثْرَاق، ص ٦٣؛ (٤) تَفَرَّات،
ص ٦٥؛ (٥) تفاريج، ص ٦٥.

٤- باب الثاء:

(١) تَثَانَى عليه، ص ٧٩؛ (٢) الثناية، ص ٧٩؛ (٣) مُثَوِّب، ص ٨٠.

٥- باب الجيم:

(١) جَبَنَه، ص ٨٣؛ (٢) مَجْبَنَةٌ، ص ٨٣؛ (٣) جدوله، ص ٩٠؛ (٤) الجِذْر، ص ٩١؛ (٥) الجُدَام، ص ٩١؛ (٦) أَجْرِيَّةٌ، ص ٩١؛ (٧) مُجْرَم، ص ٩٦؛ (٨) جَرَوْهَق، ص ٩٦؛ (٩) بَجَزَعَه، ص ٩٨؛ (١٠) بَجْرِيَّةٌ، ص ٩٩؛ (١١) جَلِيْبِيَّةٌ، ص ١٠٤؛ (١٢) جُلٌّ، ص ١٠٨؛ (١٣) انجم الشيء، ص ١١٠؛ (١٤) الجمعة، ص ١١٠؛ (١٥) الحي الجنبابة، ص ١١٢؛ (١٦) مُجَنَّب، ص ١١٢؛ (١٧) تَجَهَّد عَدُوَّهُ، ص ١١٤؛ (١٨) مَجْوَاب، ص ١١٦؛ (١٩) اسْتَجَوْرُهُ، ص ١١٧.

٦- باب الحاء:

(١) انقطع السلا، ص ١١٨؛ (٢) تَجَبَّب اللبن، ص ١٢٠؛ (٣) حَبِر، ص ١٢١؛ (٤) أَحْبَلٌ، ص ١٢٤؛ (٥) تَحَبَّل، ص ١٢٥؛ (٦) مُحَدِّث، ص ١٢٦؛ (٧) حِدْفَةٌ، ص ١٢٨؛ (٨) حُدَاوَةٌ، ص ١٢٨؛ (٩) احتربه، ص ١٢٨؛ (١٠) حَرِيْث، ص ١٢٩؛ (١١) حَرَدَه، ص ١٣٠؛ (١٢) مَحَارِد، ص ١٣٠؛ (١٣) حار العظام، ص ١٣٠؛ (١٤) حَرَّ، ص ١٣٠؛ (١٥) تحارضوا عليه، ص ١٣١؛ (١٦) انحرفت المطية، ص ١٣١؛ (١٧) حِرْزَان، ص ١٣٣؛ (١٨) حساسات الحياء، ص ١٣٣؛ (١٩) تحسَّب، ص ١٣٣؛ (٢٠) الحسِّن، ص ١٣٣؛ (٢١) الحشائشي، ص ١٣٤؛ (٢٢) استحصر القوم، ص ١٣٥؛ (٢٣) حَضَار، ص ١٣٦؛ (٢٤) الحواطب، ص ١٣٦؛ (٢٥) حفا الحرب، ص ١٣٧؛ (٢٦) حافله، ص ١٣٧؛ (٢٧) تحقَّق به، ص ١٣٨؛ (٢٨) استحقَّقه، ص ١٣٨؛ (٢٩) حَاقَدَه، ص ١٣٨؛ (٣٠) حاكمه، ص ١٣٩؛ (٣١) تَحَاجَّجْنَا بالكلام، ص ١٣٩؛ (٣٢) تَحَلَّزَّ بالمكان، ص ١٤٠؛ (٣٣) المحاميس، ص ١٤٢؛ (٣٤) حَمَّض، ص ١٤٢؛ (٣٥) أحمش الحرب، ص ١٤٢؛ (٣٦) احْتَمَلَ الحنظل، ص ١٤٣؛ (٣٧) احتنَّق، ص ١٤٤؛ (٣٨) تحائى، ص ١٤٤؛ (٣٩) استحاز المكان، ص ١٤٥؛ (٤٠) احتازُهُ، ص

١٤٥؛ (٤١) مُجِيل، ص ١٤٦؛ (٤٢) مستحيل القنا، ص ١٤٦؛ (٤٣) احتوى، ص ١٤٦؛ (٤٤) تَحَيَّدت الناقة، ص ١٤٦؛ (٤٥) حَيَّران، ص ١٤٧؛ (٤٦) مَحْيَار، ص ١٤٧؛ (٤٧) مُسْتَحْيِق، ص ١٤٧.

٧- باب الخاء:

(١) حَبَّبْتَهُ، ص ١٤٨؛ (٢) تَخَابَرَا، ص ١٤٩؛ (٣) خَابَرُهُ، ص ١٤٩؛ (٤) استخجل، ص ١٥٠؛ (٥) حَرِبَ، ص ١٥٢؛ (٦) انْحَرَّتْ إِلَيْهِ، ص ١٥٢؛ (٧) نَحَّرَسَنَ، ص ١٥٣؛ (٨) حَرَفَ، ص ١٥٤؛ (٩) انْحَرَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ، ص ١٥٤؛ (١٠) حِرَقُ الْحَتُوفِ، ص ١٥٤؛ (١١) مُتَحَرِّزٌ، ص ١٥٥؛ (١٢) خَشَّاهُ، ص ١٥٦؛ (١٣) خَصَائِلُ، ص ١٥٧؛ (١٤) حَضَبَ الظَّلِيمِ؛ ص ١٥٧؛ (١٥) حَاضِبُ الْأَطْلَافِ، ص ١٥٧؛ (١٦) نَحَّضَرَ، ص ١٥٧؛ (١٧) أَخْضَرَ النَعْلَ، ص ١٥٧؛ (١٨) حَطَّاءُ، ص ١٥٨؛ وَقَعَ الْمَطَرُ خِطَطًا، ص ١٥٨؛ (١٩) خَطَاطِيفُ، ص ١٥٨؛ (٢٠) أَخْفَتَهُ، ص ١٥٩؛ (٢١) خَقَّفَ الثُوبَ، ص ١٥٩؛ (٢٢) تَحَقَّفَ، ص ١٥٩؛ (٢٣) أَخْفَقَ الْقَادِحُ، ص ١٦٠؛ (٢٤) تَخَلَّجَ النَهْرُ، ص ١٦٠؛ (٢٥) خَلَنَجَ، ص ١٦٠؛ (٢٦) ذَنِبَ خَلَّاسٌ، ص ١٦٠؛ (٢٧) خِلَافٌ، ص ١٦١؛ (٢٨) تَخَلَّفَ الْقَوْمُ، ص ١٦١؛ (٢٩) اخْلُوقِ الْأَجَلَ، ص ١٦٢؛ (٣٠) خَلِيَّةٌ، ص ١٦٢؛ (٣١) تَخَالَى الْقَوْمُ، ص ١٦٢؛ (٣٢) مُخَمَّلٌ، ص ١٦٣؛ (٣٣) اخْتَانَ الْمَالُ، ص ١٦٤؛ (٣٤) مَحْيَبَةٌ، ص ١٦٤؛ (٣٥) حَانَةٌ سَيْفُهُ، ص ١٦٤؛ (٣٦) خِينَاكِرِينَ، ص ١٦٤.

٨- باب الدال:

(١) دَبُورٌ، ص ١٦٦؛ (٢) دَبَّاسٌ، ص ١٦٦؛ (٣) دَثُوثٌ، ص ١٦٦؛ (٤) دَجُوبٌ، ص ١٦٦؛ (٥) دَاحِضٌ، ص ١٦٧؛ (٦) دَحَّالٌ، ص ١٦٨؛ (٧) مُدَاخِلٌ، ص ١٦٨؛

(٨) درب، ص ١٦٨؛ (٩) اندرج في كذا، ص ١٦٨؛ (١٠) در دب بالشيء، ص ١٦٩؛
(١١) مَدْرَم، ص ١٦٩؛ (١٢) دستاران، ص ١٧٠؛ (١٣) دساتين، ص ١٧٠؛ (١٤)
داسر، ص ١٧٠؛ (١٥) دَعَار، ص ١٧٠؛ (١٦) تداعمه الأمر، ص ١٧١؛ (١٧)
دفع الحاج، ص ١٧٢؛ (١٨) دَقْدَقَة المطارق، ص ١٧٢؛ (١٩) أدكن، ص ١٧٣؛
(٢٠) دالَج، ص ١٧٣؛ (٢١) مِدْلَاج، ص ١٧٣؛ (٢٢) تَدْمَشَق، ص ١٧٤؛ (٢٣)
تَدَمَّنَ الدِّمَن، ص ١٧٥؛ (٢٤) تَدَاهَى، ص ١٧٦؛ (٢٥) الدَّوْرَة، ص ١٧٦؛ (٢٦)
دَوَارَة، ص ١٧٦؛ (٢٧) دَاوَسَ القَوْمُ، ص ١٧٦.

٩- باب الذال:

(١) ذَيْمَة، ص ١٧٧؛ (٢) مُتَدَبِّذِيَة، ص ١٧٩؛ (٣) اسْتَدْرَعَتْ فراخها،
ص ١٧٩؛ (٤) تَذَاكَّرَ، ص ١٧٩؛ (٥) ذكير، ص ١٧٩؛ (٦) استذكى النار،
ص ١٨٠؛ (٧) انذاع الخبر، ص ١٨١.

١٠- باب الراء:

(١) رأس طويل، ص ١٨١؛ (٢) تَرَأَّمَتْ ولد غيرها، ص ١٨٢؛ (٣) رَيْب،
ص ١٨٢؛ (٤) استريح، ص ١٨٢؛ (٥) ترابعوا الحجر، ص ١٨٣؛ (٦) تراجعوا
الكلام، ص ١٨٥؛ (٧) رَجَّاع، ص ١٨٥؛ (٨) رَجَّع، ص ١٨٥؛ (٩) فعله رَجَاءً
بكذا، ص ١٨٦؛ (١٠) رحلت البلاد، ص ١٨٦؛ (١١) رَزَمَ بوله، ص ١٨٩؛
(١٢) رَزَمُ المقالة، ص ١٨٩؛ (١٣) ترَسَّخ في التقى، ص ١٨٩؛ (١٤) ترَسَّل،
ص ١٨٩؛ (١٥) رَسَمَان، ص ١٨٩؛ (١٦) رسا يرسو، ص ١٩٠؛ (١٧) رشادة،
ص ١٩٠؛ (١٨) مرضيع، ص ١٩١؛ (١٩) رَضَم، ص ١٩١؛ (٢٠) رَضَمَ في
قعوده، ص ١٩١؛ (٢١) رَطْلِيَّة، ص ١٩٢؛ (٢٢) رَطَمَ، ص ١٩٢؛ (٢٣) رَعَابَة،
ص ١٩٢؛ (٢٤) أَرَعَفَ القَلَمَ، ص ١٩٢؛ (٢٥) تَرَعَّنَ، ص ١٩٢؛ (٢٦) رَعَبَ،

ص ١٩٢؛ (٢٧) مُتْرَعِب، ص ١٩٢؛ (٢٨) مُرَاعِدَة، ص ١٩٣؛ (٢٩) تَرَقَّت، ص ١٩٣؛ (٣٠) رَافِضَة، ص ١٩٣؛ (٣١) تَرَفَعْنَا، ص ١٩٤؛ (٣٢) تَرَقَّبَا، ص ١٩٤؛ (٣٣) رَوَّقَش، ص ١٩٥؛ (٣٤) تَرَقَّع البلاد، ص ١٩٥؛ (٣٥) رُقَاة، ص ١٩٦؛ (٣٦) مُتْرَمِّز، ص ١٩٧؛ (٣٧) رَمَق الباب، ص ١٩٧؛ (٣٨) أَرَاخ الليل عليّ ضيفاً، ص ١٩٩؛ (٣٩) مَرَاوِيد، ص ١٩٩؛ (٤٠) أَرُوِّضت الأرض، ص ٢٠٠؛ (٤١) تراوِضاً في الأمر، ص ٢٠٠؛ (٤٢) الروائع الخضرة، ص ٢٠٠؛ (٤٣) الإراغة، ص ٢٠٠؛ (٤٤) رَوَّى فيه خاطره، ص ٢٠٠.

١١- باب الزاء:

(١) تَرَّخار، ص ٢٠٣؛ (٢) زَرَّع البزر، ص ٢٠٣؛ (٣) مَزْرَفَة، ص ٢٠٣؛ (٤) زَرْدَان، ص ٢٠٣؛ (٥) زَرَّاقَة، ص ٢٠٤؛ (٦) أزعجه إلى المعصية، ص ٢٠٤؛ (٧) زَقَّاف، ص ٢٠٥؛ (٨) تَرَقَّاء، ص ٢٠٦؛ (٩) ازلَعَبَّ رَأل النعام، ص ٢٠٧؛ (١٠) زِمَام، ص ٢٠٨؛ (١١) زَهَب، ص ٢٠٩؛ (١٢) تَزَاهَرَ السراج، ص ٢٠٩؛ (١٣) زَهَّار، ص ٢٠٩؛ (١٤) زُهَّور، ص ٢٠٩؛ (١٥) مُزَوَّر، ص ٢١٠.

١٢- باب السين:

(١) سَبُوب، ص ٢١٢؛ (٢) سَبُغ السفينة، ص ٢١٣؛ (٣) سَبَّاع، ص ٢١٣؛ (٤) تَسَاجَعُوا به، ص ٢١٥؛ (٥) تساجمت الدموع، ص ٢١٥؛ (٦) سَحْلِيَّة، ص ٢١٧؛ (٧) تَسْحَال، ص ٢١٧؛ (٨) ساخَر، ص ٢١٧؛ (٩) سَدِرَة، ص ٢١٨؛ (١٠) تَسْرَح الكتان، ص ٢١٩؛ (١١) أَسِرَة، ص ٢٢٠؛ (١٢) سَرَّاعَة، ص ٢٢٠؛ (١٣) سَعْطَة الدواء، ص ٢٢٢؛ (١٤) سغاب، ص ٢٢٢؛ (١٥) أَسْفَت، ص ٢٢٣؛ (١٦) تَسْفَر به، ص ٢٢٣؛ (١٧) تَسْفَة، ص ٢٢٤؛ (١٨) سَفْنَة، ص ٢٢٤؛ (١٩) سُفْط، ص ٢٢٤؛ (٢٠) مُتَسَاكِب، ص ٢٢٥؛

(٢١) سُكْر، ص ٢٢٦؛ (٢٢) سُكَانَات، ص ٢٢٦؛ (٢٣) تَسَلَّس الشيء، ص ٢٢٧؛ (٢٤) مُسَلِّفَات، ص ٢٢٧؛ (٢٥) سُلَّك، ص ٢٢٨؛ (٢٦) مَسَلَاة، ص ٢٢٨؛ (٢٧) انسمح بكذا، ص ٢٢٩؛ (٢٨) تَسَمَّسَر، ص ٢٢٩؛ (٢٩) سُمِيط، ص ٢٢٩؛ (٣٠) سَمِن الكيس، ص ٢٣٠؛ (٣١) سَنَّحَه، ص ٢٣٠؛ (٣٢) سَنِيح، ص ٢٣٠؛ (٣٣) مُسَنَّح، ص ٢٣٠؛ (٣٤) مِسْنَاع، ص ٢٣١؛ (٣٥) تَسَنَّم عليهم، ص ٢٣١؛ (٣٦) يَدُه من الجُبْن سَنَمَة، ص ٢٣١؛ (٣٧) تَسَنَّت العُقْدَة، ص ٢٣٢؛ (٣٨) مِسْهَار، ص ٢٣٣؛ (٣٩) سَهُوم، ص ٢٣٣؛ (٤٠) سَهِيم، ص ٢٣٣؛ (٤١) سَهَاه، ص ٢٣٣؛ (٤٢) سَوَاد، ص ٢٣٣؛ (٤٣) أَسودان، ص ٢٣٣؛ (٤٤) استساغَه، ص ٢٣٤؛ (٤٥) مُسْتَأَف، ص ٢٣٤؛ (٤٦) استام في كذا، ص ٢٣٤؛ (٤٧) أسباب، ص ٢٣٥.

١٣ - باب الشين:

(١) لا تزال في التصوير والتشريح، ص ٢٣٦؛ (٢) شَبَّك بين أصابعه، ص ٢٣٧؛ (٣) شَجَر الشجرة، ص ٢٣٨؛ (٤) شَجَّار، ص ٢٣٨؛ (٥) شَحَّاحِدَة، ص ٢٣٨؛ (٦) إِشْخِيص، ص ٢٣٩؛ (٧) تَشَارَبَا، ص ٢٤٠؛ (٨) الشرايبي، ص ٢٤٠؛ (١٠) مُشِير، ص ٢٤١؛ (١١) شِرْكَة، ص ٢٤٢؛ (١٢) تَشْطَى، ص ٢٤٣؛ (١٣) تَشَاعَى، ص ٢٤٤؛ (١٤) شَعُوب، ص ٢٤٤؛ (١٥) استشفَّ، ص ٢٤٥؛ (١٦) تَمَشَّقَع، ص ٢٤٦؛ (١٧) شَاقُوا ثيابهم، ص ٢٤٦؛ (١٨) مِشْقَن، ص ٢٤٦؛ (١٩) شِلُو، ص ٢٤٧؛ (٢٠) تَشْمَار، ص ٢٤٧؛ (٢١) أَشْفَقَت الرِيح، ص ٢٤٥؛ (٢٢) اشْمَعَلَّت الحرب، ص ٢٤٨؛ (٢٣) شَنَّبَثَة، ص ٢٤٨؛ (٢٤) شوانيز، ص ٢٤٩؛ (٢٥) يَدٌ شَهْرَة، ص ٢٥٠؛ (٢٦) تَشَهَّق عليه، ص ٢٥٠؛ (٢٧)، شَهَى الزرع، ص ٢٥٠؛ (٢٨) الشاشة، ص ٢٥١؛ (٢٩) شَاطَ به الغضب، ص ٢٥٠؛ (٣٠) تَشَاوَلُوا الحجر، ص ٢٥١؛ (٣١) شال، ص ٢٥١.

١٤ - باب الصاد:

(١) المصباح، ص ٢٥٣؛ (٢) المَصْحَح، ص، ٢٥٣؛ (٣) تصابروا، ص ٢٥٣؛
(٤) كأسٌ مُصَيَّرَةٌ، ص ٢٥٣؛ (٥) مُصَحِّفٌ، ص ٢٥٣؛ (٦) صوادح، ص ٢٥٤؛
(٧) صَدَّادَةٌ، ص ٢٥٤؛ (٨) صَدَفٌ، ص ٢٥٤؛ (٩) تَصَدَّى، ص ٢٥٤؛ (١٠)
صُرْحَاءٌ، ص ٢٥٥؛ (١١) انصرع، ص ٢٥٥؛ (١٢) صرماء، ص ٢٥٥؛ (١٣)
أَصْعَبَةٌ، ص ٢٥٦؛ (١٤) اسْتَصْعَدَ، ص ٢٥٦؛ (١٥) صَعَادٌ، ص ٢٥٦؛ (١٦)
استصغى إليه الأسماع، ص ٢٥٧؛ (١٧) صفيح، ص ٢٥٧؛ (١٨) صَقِرَةٌ،
ص ٢٥٨؛ (١٩) تصأَّتْ الركب، ص ٢٥٨، (٢٠) أصكٌ، ص ٢٥٨؛ (٢١)
صَلَّبَ النبعة، ص ٢٥٨؛ (٢٢) بلاد مُسْتَصْلِحَةٌ للإقامة، ص ٢٥٩؛ (٢٣)
مُصْنَدَلٌ، ص ٢٦١؛ (٢٤) صَوَّبَ المكانُ، ص ٢٦٢؛ (٢٥) صَوَّتِ الطست،
ص ٢٦٣؛ (٢٦) أصاخ عنه، ص ٢٦٣؛ (٢٧) آصع، ص ٢٦٣.

١٥ - باب الضاد:

(١) مِضْبَابٌ، ص ٢٦٥؛ (٢) ضَابَرَ فِي العَدُوِّ، ص ٢٦٥؛ (٣) أَضْبَرَ،
ص ٢٦٥؛ (٤) مِضْبَرٌ، ص ٢٦٥؛ (٥) ناقةٌ مُضْبَرَةٌ، ص ٢٦٥؛ (٦) ضَجَّاجٌ،
ص ٢٦٦، (٧) ضَرَبَ المظلة، ص ٢٦٧، (٨) تَضَرَّبَ، ص ٢٦٧؛ (٩) مِضْرَابٌ،
ص ٢٦٧؛ (١٠) ضُرَّ بَصْرُهُ، ص ٢٦٧؛ (١١) ضَارًا مَرَأَتُهُ، ص ٢٦٧؛ (١٢)
أَضَرَ، ص ٢٦٧؛ (١٣) ضِرَّاسٌ، ص ٢٦٧؛ (١٤) الضَّغَابَةُ، ص ٢٦٨؛ (١٥)
المُتَضَاعِطَةُ، ص ٢٦٨؛ (١٦) ضَمَّمٌ، ص ٢٧٠.

١٦ - باب الطاء:

(١) تَطَارَبَ، ص ٢٧٤؛ (٢) مُطَّرِحٌ، ص ٢٧٤؛ (٣) استطرد إليه الأمر،
ص ٢٧٤؛ (٤) مَطَارِدٌ، ص ٢٧٤؛ (٥) مَطَّارَةٌ، ص ٢٧٤؛ (٦) طَرَّقَ طريقةً،

ص ٢٧٥؛ (٧) تَطْلَاب، ص ٢٧٧؛ (٨) اَطْلَوْلَى، ص ٢٧٨؛ (٩) طَلِي، ص ٢٧٩؛
(١٠) مَطْمَع، ص ٢٧٩؛ (١١) تَطَانَب القوم، ص ٢٨٠؛ (١٢) مُطَهَّج،
ص ٢٨٠؛ (١٣) طوق لثوب، ص ٢٨١؛ (١٤) طَيْرَ نومه، ص ٢٨١؛ (١٥)
أَطَابَ بالإبل، ص ٢٨١؛ (١٦) استطاره، ص ٢٨١؛ (١٧) طَيَّارَة، ص ٢٨١.

١٧- باب الظاء:

(١) كَسَّرَ أظفاره في فلان، ص ٢٨٢؛ (٢) تَظَلَّفَ، ص ٢٨٢.

١٨- باب العين:

(١) تَعَبَّقَس، ص ٢٨٤؛ (٢) النجوم العواتم، ص ٢٨٦؛ (٣) عتا العود،
ص ٢٨٦؛ (٤) استعجزه، ص ٢٨٧؛ (٥) عَجَمَ السيفَ بهامات الرجال،
ص ٢٨٧؛ (٦) تَعَاَجَمَ، ص ٢٨٧؛ (٧) عذيرة الحائك، ص ٢٨٩؛ (٨) مِعْدَار،
ص ٢٨٩؛ (٩) لا يُعَرِّجَ على قوله، ص ٢٩٠؛ (١٠) عَرَّجَلَة، ص ٢٩٠؛ (١١)
أعرض المسؤول، ص ٢٩٠؛ (١٢) تَعَرَّقَبَ البعير، ص ٢٩١؛ (١٣) عَوَّارِم،
ص ٢٩١؛ (١٤) عوسج، ص ٢٩٣؛ (١٥) عَشَّبه، ص ٢٩٤؛ (١٦) عصف الإثم،
ص ٢٩٥؛ (١٧) عصمئها بيده، ص ٢٩٥؛ (١٨) عصيم، ص ٢٩٥؛ (١٩) عَضَّ
ملكهم، ص ٢٩٦؛ (٢٠) عَطَّفَ الناقة على ولدها، ص ٢٩٦؛ (٢١) عَظَّم المطر،
ص ٢٩٧؛ (٢٢) عُظِّمَ، ص ٢٩٧؛ (٢٣) عفير الخد، ص ٢٩٧؛ (٢٤) عاقِر،
ص ٢٩٩؛ (٢٥) عَلَّلَه، ص ٣٠٢؛ (٢٦) اعتلَّ، ص ٣٠٢؛ (٢٧) مُتَعَالَم، ص ٣٠٢؛
(٢٨) أعلنه، ص ٣٠٢؛ (٢٩) عَلِيَّة، ص ٣٠٣؛ (٣٠) أَعْمَرُ، ص ٣٠٤؛ (٣١)
عَنَّت في الجبل، ص ٣٠٥؛ (٣٢) مُعِيد، ص ٣٠٦؛ (٣٣) عُودَات، ص ٣٠٧؛
(٣٤) عَايَيْه، ص ٣٠٩؛ (٣٥) تعايوا، ص ٣٠٩؛ (٣٦) مُعِيش، ص ٣٠٩؛ (٣٧)
تَعَيَّنَت الأخفاف، ص ٣٠٩؛ (٣٨) عين جَلِيَّة، ص ٣١٠.

١٩ - باب الغين:

(١) تَغَبَّط، ص ٣١١؛ (٢) استغباه، ص ٣١١؛ (٣) تَعَبَّاه، ص ٣١١؛ (٤) غذيي، ص ٣١٢؛ (٥) غرابية، ص ٣١٢؛ (٦) مُعَارِب، ص ٣١٢؛ (٧) غِرَاسَة، ص ٣١٢؛ (٨) غَرَضُه، ص ٣١٢؛ (٩) تَعَزَّز الرجل، ص ٣١٣؛ (١٠) تَعَشَّم، ص ٣١٤؛ (١١) غَضًا الجمل، ص ٣١٤؛ (١٢) اغتلب، ص ٣١٥؛ (١٣) مُعَمَّر العيش، ص ٣١٦؛ (١٤) عَنَّم، ص ٣١٧؛ (١٥) تَغْنَى، ص ٣١٧؛ (١٦) تَعَوَّر ظاهر العين، ص ٣١٧.

٢٠ - باب الفاء:

(١) فَاتَح الرجل، ص ٣١٨؛ (٢) فَاتَح البيع، ص ٣١٨؛ (٣) فَتَحَة، ص ٣١٩؛ (٤) فَجَل، ص ٣١٩؛ (٥) استفحش، ص ٣٢٠؛ (٦) أفحصه عنه، ص ٣٢٠؛ (٧) استفحله، ص ٣٢٠؛ (٨) انفرج القوم عنه، ص ٣٢١؛ (٩) استفرخ اليمام، ص ٣٢١؛ (١٠) فَرَّاس، ص ٣٢١؛ (١١) فريضة القوس، ص ٣٢٢؛ (١٢) مفروضة، ص ٣٢٢؛ (١٣) انفسد، ص ٣٢٤؛ (١٤) تَفَصَّل، ص ٣٢٥؛ (١٥) تفاصلت الأشياء، ص ٣٢٥؛ (١٦) اسْتَفْصَل، ص ٣٢٥؛ (١٧) مِفْصَال، ص ٣٢٥؛ (١٨) افتطر فِطْرَتَه، ص ٣٢٦؛ (١٩) تَفَالَج، ص ٣٢٨؛ (٢٠) تَفَلَّق فائِلُهُ، ص ٣٢٨؛ (٢١) مُفْلِفِل، ص ٣٢٩؛ (٢٢) فات الشيء، ص ٣٣٠؛ (٢٣) فَاوَح الزهر، ص ٣٣٠؛ (٢٤) فاصه يفيصُه، ص ٣٣١؛ (٢٥) أَفْعَمَه، ص ٣٢٦؛ (٢٦) فَيَّش عن الأمر، ص ٣٣٠.

٢١ - باب القاف:

(١) مقتور، ص ٣٣٣؛ (٢) مُسْتَقْتِلَات، ص ٣٣٣؛ (٣) قَتَمَان، ص ٣٣٣؛ (٤) قِدْحَان، ص ٣٣٤؛ (٥) اقتدر به، ص ٣٣٤؛ (٦) أقدمه البلد، ص ٣٣٤

(٧) مُسْتَقْدِمٌ إِلَيَّ، ص ٣٣٥؛ (٨) اقْتَرَأَ، ٣٣٦؛ (٩) قَرِبَ، ص ٣٣٦، (١٠) تَقَارَبَهُ، ص ٣٣٦؛ (١١) تَقَرَّرَتِ الْإِبِلُ، ص ٣٣٦؛ (١٢) الْأَقْرَبُ، ص ٣٣٦؛ (١٣) تَقَارَصَتِ الشَّفَةُ عَنْ كَذَا، ص ٣٣٧؛ (١٤) قَرَّطَلُهُ فِي الْمَاءِ، ص ٣٣٨؛ (١٥) قَرَّرَ عَلَى الْكِتَابِ، ص ٣٣٨؛ (١٦) مُقَرَّبٌ، ص ٣٣٨؛ (١٧) مُقَرَّبٌ، ص ٣٣٩؛ (١٨) قَرَّتَهُ، ص ٣٤٠؛ (١٩) قُشَارِيَّ الْحَدِيدِ، ص ٣٤١؛ (٢٠) تَقَشَّعَ الشَّجَرِ، ص ٣٤١؛ (٢١) قَصَّدَ الشَّعْرَ، ص ٣٤٢؛ (٢٢) الْمَقْصِي، ص ٣٤٢؛ (٢٣) مَقْصُومَةٌ، ص ٣٤٣؛ (٢٤) اقْتَضَبَ الْأَمِيرُ فَلَانًا، ص ٣٤٣؛ (٢٥) قَاطَعُوا لِحُومَهُم بِالسِّيفِ، ص ٣٤٤؛ (٢٦) انْقَطَعَ الطَّرِيقُ، ص ٣٤٤؛ (٢٧) ظَهَرَ قَاطِعٌ، ص ٣٤٤؛ (٢٨) الْقِطْعُ، ص ٣٤٤؛ (٢٩) الْقَطُوعُ، ص ٣٤٤؛ (٣٠) مِقْطَاعُ الْكَلَامِ، ص ٣٤٤؛ (٣١) قَطَفَ مَعْسَلَتَهُ، ص ٣٤٤؛ (٣٢) قَطَنَ، ص ٣٤٥؛ (٣٣) قَعَدَ بَنُو فَلَانٍ، ص ٣٤٥؛ (٣٤) مُقْفِرٌ، ص ٣٤٦؛ (٣٥) تَقَافَزَ السَّهْمُ، ص ٣٤٦؛ (٣٦) قُفِّلَ، ص ٣٤٧؛ (٣٧) تَقَافَى الْقَوْمُ، ص ٣٤٧؛ (٣٨) قَلَّصُوا، ص ٣٤٨؛ (٣٩) قَلِيصٌ، ص ٣٤٨؛ (٤٠) قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا، ص ٣٤٨؛ (٤١) الْقَلَّاعُ، ص ٣٤٨؛ (٤٢) تَقَلَّعَ عَنْهُ الشَّيْءُ، ص ٣٤٨؛ (٤٣) تَقَلَّقَ، ص ٣٤٨؛ (٤٤) الْقَلَّاقَةُ، ص ٣٤٨؛ (٤٥) لَا يَحْفَلُ ضَوْءُ الْقَمَرِ، ص ٣٥٠؛ (٤٦) الْقَمَزُ، ص ٣٥٠؛ (٤٧) قُمَاشُ النَّاسِ، ص ٣٥٠؛ (٤٨) قَنَّ، ص ٣٥٢؛ (٤٩) اقْتَادَهُ، ص ٣٥٣؛ (٥٠) مُتَقَاوِدٌ، ص ٣٥٣؛ (٥١) قَالَ عَنْهُ، ص ٣٥٤؛ (٥٢) قَامَ بِي وَقَعْدًا، ص ٣٥٤؛ (٥٣) قَوَامُ السِّنَاتِ، ص ٣٥٦.

٢٢- باب الكاف:

(١) كَبَّةُ النَّارِ، ص ٣٥٦؛ (٢) شَجَرَةٌ مُتَكَبِّبَةٌ، ٣٥٦؛ (٣) الْأَكْبَدُ، ص ٣٥٦؛ (٤) الْمُتَكَبِّدُ، ص ٣٥٦؛ (٥) كَبَارِجَةٌ، ص ٣٥٦؛ (٦) الْمِكْبَاسُ، ص ٣٥٦؛ (٧) الْكُتَّامُ، ص ٣٥٨؛ (٨) تَكَشَّرَ، ص ٣٥٨؛ (٩) كَوَادِي، ص ٣٥٩؛ (١٠) الْمِكْرَبُ،

ص ٣٦٠؛ (١١) الكَرْزَم، ص ٣٦٢؛ (١٢) اسْتَكْسَدَ الشَّيْءَ، ص ٣٦٢؛ (١٣) تَكْسَرَهُ، ص ٣٦٢؛ (١٤) الْكَسَالَةُ، ص ٣٦٢؛ (١٥) كَشَّمَ الْأَنْفَ، ص ٣٦٣؛ (١٦) كَافَّهُ، ص ٣٦٤؛ (١٧) الْكَافَّةُ، ص ٣٦٤؛ (١٨) الْكِفَافُ، ص ٣٦٤؛ (١٩) الْكِفَافَةُ، ص ٣٦٤؛ (٢٠) الْكَلْفَاءُ، ص ٣٦٥؛ (٢١) كَلَّلَ، ص ٣٦٥؛ (٢٢) أَكَلَوُلَى، ص ٣٦٦؛ (٢٣) اسْتَكَمَتِ الْعُرَى، ص ٣٦٦؛ (٢٤) الْكِنَافَةُ، ص ٣٦٧؛ (٢٥) الْكُهْنُ، ص ٣٦٧؛ (٢٦) الْكُوكَبُ، ص ٣٦٨؛ (٢٧) الْكُونُ، ص ٣٦٨؛ (٢٨) الْمُسْتَكِينُ، ص ٣٦٨؛ (٢٩) الْكَيْيَادُ، ص ٣٦٨؛ (٣٠) كَيْدَجُ، ص ٣٦٩.

٢٣ - باب اللام:

(١) التَّلْيِبُ، ص ٣٧٠؛ (٢) أَلْبُوبُ، ص ٣٧٠؛ (٣) لَثَائِثُ، ص ٣٧١؛ (٤) تَلَخَّلَحَ عَلَيْهِ، ص ٣٧٢؛ (٥) تَلَازَبَ الشَّيْءُ، ص ٣٧٣؛ (٦) مِلْزَابُ، ص ٣٧٣؛ (٧) تَلَصَّقَ، ص ٣٧٥؛ (٨) لَعَطَةُ مَنْ خَبِرَ، ص ٣٧٥؛ (٩) لَفُوتُ، ص ٣٧٦؛ (١٠) لَفَّتْ الرِّيحُ الْعُشْبَ، ص ٣٧٦؛ (١١) لُفْظُ، ص ٣٧٦؛ (١٢) لَفِحَتْ أَيْدِي الْخُصُومِ، ص ٣٧٧؛ (١٣) مَلْهُوبُ، ص ٣٧٧؛ (١٤) لُوِّحَتْ، ص ٣٧٩؛ (١٥) مِلْوَاحُ، ص ٣٧٩؛ (١٦) تَلَوَّذَ، ص ٣٨٠؛ (١٧) تَلَاوِيَا، ص ٣٨٠؛ (١٨) اللَّيَانَةُ، ص ٣٨١.

٢٤ - باب الميم:

(١) الْمَاقَةُ، ص ٣٨١؛ (٢) مَجَّاجُ الثَّرَى، ص ٣٨٢؛ (٣) مَحَّصَةُ عَنْهُ، ص ٣٨٣؛ (٤) أَمْحَصُهُ عَنْهُ، ص ٣٨٣؛ (٥) مَمَدَّرُ، ص ٣٨٣؛ (٦) الْمَمْدَلَةُ، ص ٣٨٤؛ (٧) مَرَّارُ، ص ٣٨٤؛ (٨) مَمَرَّحَ بِهِ، ص ٣٨٥؛ (٩) امْتَرَقَ، ص ٣٨٥؛ (١٠) الْمُسْنَكُ، ص ٣٨٦؛ (١١) مَسْهَلُهُ، ص ٣٨٦؛ (١٢) الْمَشِيقُ، ص ٣٨٦؛ (١٣) أَمْضَى، ص ٣٨٧؛ (١٤) مَضَّاءُ، ص ٣٨٧؛ (١٥) مَمْكُورَةٌ، ص ٣٨٩.

(١٦) الأمكن، ص ٣٨٩؛ (١٧) ملاً سمعه، ص ٣٨٩؛ (١٨) مِمْلَاق، ص ٣٩٠؛
 (١٩) مُنَّاع ص ٣٩١؛ (٢٠) المَيْتُوتَةُ، ص ٣٩٢؛ (٢١) المَمَّوَج، ص ٣٩٢؛
 (٢٢) مال سَرْجُك، ص ٣٩٢؛ (٢٣) مَايَطُ بين الشيئين، ص ٣٩٢؛ (٢٤)
 مَايَلُهُ، ص ٣٩٣.

٢٥ - باب النون:

(١) نَابَتِ الكمأة، ص ٣٩٣؛ (٢) الثُبوت، ص ٣٩٣؛ (٣) نَبَعَان،
 ص ٣٩٤؛ (٤) نَبَعِيَّة، ص ٣٩٤؛ (٥) نُبُل عن الشيء، ص ٣٩٤؛ (٦) هو
 نابِلٌ إِلَيَّ، ص ٣٩٤؛ (٧) النابي، ص ٣٩٤؛ (٨) مِنتَاج، ص ٣٩٤؛ (٩) استنثل،
 ص ٣٩٥؛ (١٠) مُسْتَنَجَل، ص ٣٩٦؛ (١١) أُنْحِيَّة، ص ٣٩٦؛ (١٢) تَنَاحِلَ
 مَنْسَمَاهَا، ص ٣٩٦؛ (١٣) تَنَادَرُوا الشيء، ص ٣٩٦؛ (١٤) اسْتَنَدَرَهُ، ص ٣٩٨؛
 (١٥) تَنَازَحَ، ص ٣٩٩؛ (١٦) نَادِرٌ إلى بعينه، ص ٣٩٩؛ (١٧) نَزَعَتْ الشمس،
 ص ٣٩٩؛ (١٨) تَنَزَّعَ الشيء، ص ٣٩٩؛ (١٩) نَازَلَ الناس، ص ٤٠٠؛ (٢٠)
 تَنَازَلَ القوم في السفر، ص ٤٠٠؛ (٢١) مرعى مُنَزِل، ص ٤٠٠؛ (٢٢) تناسبوا
 إلى، ص ٤٠٠؛ (٢٣) نَسَابَةٌ، ص ٤٠٠؛ (٢٤) حسيب نسيب، ص ٤٠٠؛ (٢٥)
 تَنَسَّرَ، ص ٤٠٠؛ (٢٦) نِسَار، ص ٤٠٠؛ (٢٧) أنسار، ص ٤٠١؛ (٢٨) نُسُور،
 ص ٤٠١؛ (٢٩) يده نَسِيقَةٌ، ص ٤٠١؛ (٣٠) يده نَسِيقَةٌ، ص ٤٠١؛ (٣١) نُسَال،
 ص ٤٠١؛ (٣٢) نَسَمَ الأسير، ص ٤٠١؛ (٣٣) تَنَسَّمَ الجمر، ص ٤٠١؛ (٣٤)
 احفظي بيتك ممن لا تَنَشُدِين، ص ٤٠٢؛ (٣٥) أَنَشَرَ، ص ٤٠٢؛ (٣٦) مُنْتَشِر
 عنه، ص ٤٠٢؛ (٣٧) ناصبة الشجاع، ص ٤٠٣؛ (٣٨) تَنَاصَلَ، ص ٤٠٤؛ (٣٩)
 ناصاه، ص ٤٠٤؛ (٤٠) نُضَبَ، ص ٤٠٤؛ (٤١) نَضَّجَهُ، ص ٤٠٤؛ (٤٢)
 نَضَّدَهُ، ص ٤٠٥؛ (٤٣) النَّضْدَ، ص ٤٠٥؛ (٤٤) النَّطَّاعَ، ص ٤٠٥؛ (٤٥)
 النَّظَّارَ، ص ٤٠٦؛ (٤٦) تَنَاعَتَهُ الناس، ص ٤٠٦؛ (٤٧) اسْتَنَعَشَ، ص ٤٠٦؛

(٤٨) النَّعَال، ص ٤٠٧؛ (٤٩) نَعِيْثُهُ الشَّيْءُ، ص ٤٠٧؛ (٥٠) أُنْعِيْثُهُ الشَّيْءُ، ص ٤٠٧؛ (٥١) اِنْتَعَاهُ، ص ٤٠٧؛ (٥٢) نَفَسَ عَلَيْهِ، ص ٤٠٨؛ (٥٣) رَجَلَ نَافِسًا، ص ٤٠٨؛ (٥٤) أَرْضٌ مُنْقَضَةٌ، ص ٤٠٩؛ (٥٥) نَفَسَتْ نَفْسَهُ، ص ٤١١؛ (٥٦) نَفَسَ النَّصَارَى، ص ٤١١؛ (٥٧) نَقَّضَ الْأَرْضَ، ص ٤١١؛ (٥٨) نَقَطَ عَلَيْهِ، ص ٤١١؛ (٥٩) مَنَاكِيْرٌ، ص ٤١٢؛ (٦٠) نَمَسَ الْجَسَدَ، ص ٤١٢؛ (٦١) مُسْتَنْكِشُ الْبَحْرِ، ص ٤١٢؛ (٦٢) يَدِي مِنْ الْجَيْنِ نَمَسَةً، ص ٤١٢؛ (٦٣) فِيهِ نَمَسَةٌ، ص ٤١٢؛ (٦٤) النَّمَشُ، ص ٤١٣؛ (٦٥) نَمَائِمٌ، ص ٤١٣؛ (٦٦) اسْتَنْهَأَ، ص ٤١٣؛ (٦٧) أَهْرُ الْحَافِرِ، ص ٤١٤؛ (٦٨) النَّهَّاضُ، ص ٤١٤؛ (٦٩) ثَوْبٌ مُنْهَنَةٌ، ص ٤١٤؛ (٧٠) نَوَّارٌ، ص ٤١٥؛ (٧١) قَطَعَ نِيَّاطَ الْبَلَدِ، ص ٤١٥؛ (٧٢) أَنْافَ بِقَدْرِهِ، ص ٤١٥؛ (٧٣) التَّنْوِيلُ، ص ٤١٥؛ (٧٤) النَّاَوِي، ص ٤١٦؛ (٧٥) مُنْتَوٍ عَنْهُ، ص ٤١٦؛ (٧٦) النَّيَّارُ، ص ٤١٦.

٢٦ - باب الهاء:

(١) الْهَبَّابُ، ص ٤١٧؛ (٢) الْمُهْبَبُ، ص ٤١٧؛ (٣) الْهَبَّاشَاتُ، ص ٤١٧؛ (٤) الْهَبَّاطُ، ص ٤١٧؛ (٥) سَاعَدَ هَيْئَتَهُ، ص ٤١٧؛ (٦) هَاجَرَ عَنْ وَطَنِهِ، ص ٤١٨؛ (٧) تَهَاجَرُوا الْمَاءَ، ص ٤١٨؛ (٨) هَاجَسَهُ، ص ٤١٩؛ (٩) تَهَجَّمَ عَلَيْهِ، ص ٤١٩؛ (١٠) اهْتَجَمَ الْفَحْلُ الشَّوْلَ، ص ٤١٩؛ (١١) الْمَهْجُومُ، ص ٤١٩؛ (١٢) تَهَادَرَ عَرَقًا، ص ٤١٩؛ (١٣) الْمُهْتَدِرُ، ص ٤١٩؛ (١٤) يُتَهَادَى، ص ٤٢٠؛ (١٥) هَرَّ الْكَلْبُ الضَّيْفَ، ص ٤٢١؛ (١٦) أَهَّرَهُ، ص ٤٢١؛ (١٧) أَهْرَفَ، ص ٤٢٢؛ (١٨) تَهَرَّمَ، ص ٤٢٢؛ (١٩) تَهَلَّهَلَ الثَّوْبُ، ص ٤٢٥؛ (٢٠) انْهَمَلَتِ الْإِبِلُ، ص ٤٢٦؛ (٢١) الْهُمْلُوسُ، ص ٤٢٦؛ (٢٢) التَّهْمَامُ، ص ٤٢٦؛ (٢٣) هَنَّأَهُ النِّعْمَةَ، ص ٤٢٦؛ (٢٤) اهْتَنَعَهُ عَرَقٌ سَوْءٌ، ص ٤٢٦؛ (٢٥) تَهَوَّجَ الْحَرُّ، ص ٤٢٧؛ (٢٦) خَذَ الْأَمْرَ بِمُؤَدَّتِهِ، ص ٤٢٧؛ (٢٧) هَايَلُهُ، ص ٤٢٨.

٢٧- باب الواو:

(١) المُتَّيِّد، ص ٤٢٩؛ (٢) وثَقَّ، ص ٤٣٠؛ (٣) أخو ثقة، ص ٤٣٠؛
(٤) استوجزه، ص ٤٣١؛ (٥) الموجزة، ص ٤٣١؛ (٦) الإيراد، ص ٤٣٤؛ (٧)
تورَّكه، ص ٤٣٤؛ (٨) الوسوط، ص ٤٣٥؛ (٩) المُوسِّق، ص ٤٣٦؛ (١٠) عِظَّة
مُوصَلَّة، ص ٤٣٧؛ (١١) المُوصَم، ص ٤٣٧؛ (١٢) أَكْوَاهُ تَوَضَّعَتْ، ص ٤٣٧؛
(١٣) وطن به توطيئًا، ص ٤٣٧؛ (١٤) توطَّن به توطئًا، ص ٤٣٧؛ (١٥)
المُوعَّب، ص ٤٣٨؛ (١٦) أوعثه، ص ٤٣٨؛ (١٧) استوعده، ص ٤٣٨؛ (١٨)
المُوعَّس، ص ٤٣٨؛ (١٩) المُواعِد، ص ٤٣٨؛ (٢٠) الوَعَّال، ص ٤٣٨؛ (٢١)
اتفق الأمر، ص ٤٣٨؛ (٢٢) أوفى في الشيء، ص ٤٣٨؛ (٢٣) توافت الأمور إلى
الشقاق، ص ٤٣٨؛ (٢٤) وَقَبَّ وَقَبَّةً، ص ٤٣٨؛ (٢٥) الوَقَع، ص ٤٣٩؛ (٢٦)
الوِقَاع، ص ٤٣٩؛ (٢٧) الوَقَّافَة، ص ٤٣٩؛ (٢٨) المَوْقِفَة، ص ٤٣٩؛ (٢٩)
اتقاني بحقي، ص ٤٣٩؛ (٣٠) تواكلوا، ص ٤٤٠؛ (٣١) اتكلوا على الولايج،
ص ٤٤٠؛ (٣٢) تولَّع به، ص ٤٤٠.

٢٨- باب الباء:

(١) أَيْسَ العود، ص ٤٤٢؛ (٢) استَيْسَ الرِيْقُ، ص ٤٤٢؛ (٣) الإِيْشَ،
ص ٤٤٢

وفي الجدول الآتي بيان إحصائي بلغة الأرقام لما سبق من المادة المستدركة في معجم الشرطوني:

المداخل المُستدركة	الباب	المداخل المُستدركة	الباب
١٦	الضاد	٤	الهمزة
١٧	الطاء	٢٠	الباء
٢	الظاء	٥	التاء
٣٨	العين	٣	الثاء
١٦	الغين	١٩	الجيم
٢٦	الفاء	٤٧	الحاء
٥٣	القاف	٣٦	الخاء
٣٠	الكاف	٢٧	الذال
١٨	اللام	٧	الذال
٢٤	الميم	٤٤	الراء
٧٦	النون	١٥	الزاي
٢٧	الهاء	٤٧	السين
٣٢	الواو	٣١	الشين
٣	الياء	٢٧	الصاد
٧١٠		المجموع	

وفي ضوء ما تقدّم كله لا يسع الباحث إلا أن يثبت للشرطوني شخصيته المستقلة التي تطل على القارئ من خلال هذا البحث وتطالعه من جهاتٍ متعددة، لتبرز تارةً في مخطوطه الذي رسمه لمعجمه، والذي غاير به سلفه في إثبات ما أثبت من المادة المعجمية، ولتبدو تارةً أخرى في مصادره وفي تعليقاته على ما ينقل منها، بحيث لا يمكن لمنصف عدّه من هذه الجهة مستنسخًا لمصادر البستاني أو محبوبًا في إطارها.

واستدراكات الشرتوني المرموز إليها بالحرف (س) في ذيل معجمه تدحض فكرة الاستنساخ المزعومة^(١٨٧) وتردّها على أصحابها بسبب خلو معجم البستاني منها أو من معظمها، فضلاً عن وجوه المغايرة التي كشف عنها البحث في عددٍ من المداخل الرئيسة والمداخل الفرعية، وفي وضعها الترتيبي بما لا يسه من اختلاف النظرة إلى أصالة بعض الحروف أو زيادتها أو سهو وقع فيه البستاني أو الشرتوني أو غير ذلك من الملاحظ والاعتبارات.

والبحث إذ يخلص إلى هذه النتيجة المتصلة بالمادة المعجمية وترتيب المداخل في أقرب الموارد لا يسعه أن يغض الطرف عن تأثر الشرتوني بالبستاني واقتفائه لأثره في إطار الترتيب الداخلي لمفردات المادة اللغوية الواحدة أو المداخل الفرعية، على الرغم من احتفائه بهذه المداخل بصورة تفوق نظائرها عند البستاني، ولكن الأمر مع هذا لم يخرج عن حدّ التأثير، واقتفاء اللاحق لأثر السابق، ولا سيما أن البستاني والشرتوني كليهما قد احتذى طريقة الفرنجة في معاجمهم المبكرة التي وضعوها للغة العربية، ومثل هذا يقال عن ترتيب الألفاظ الأعجمية، وذكر الجذور الوهمية أو الافتراضية، دون أن يصل الأمر إلى حد التقليد الأعمى أو النسخ الحرفي، على النحو الذي تصوّره بعض المنتقدين.

الهوامش والتعليقات:

- (١) عنوانها «الصناعة المعجمية عند البستاني في محيط المحيط»، من إصدارات كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، الرياض، ط ١، ٤٣٨ هـ.
 - (٢) خطابي، محمد: المصطلح والمفهوم والمعجم المختص، دراسة تحليلية نقدية في المعاجم الأدبية العربية الحديثة، ص ٤٢
 - (٣) ينظر: نخلة، أمين: الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الأول من القرن العشرين، ص ص ٤١-٣٨
 - (٤) ينظر: حوراني، ألبرت: الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، ترجمة كريم عزقول، ص ١٠٨، وفاضل، جهاد: الأدب الحديث في لبنان، ص ٢٨.
 - (٥) ينظر: الدريسي، فرحات: منزلة الحركة المعجمية في القرن التاسع عشر، ضمن كتاب: «في المعجمية العربية المعاصرة»، ص ٢٣٩.
 - (٦) ينظر: غلفان، مصطفى: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، ص ص ١١-١٥.
 - (٧) ينظر: قاسم، رياض: اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، لبنان في القرن التاسع عشر، ١٨٠١-١٩٠٠، ١/١٢.
 - (٨) سعيد بن عبدالله بن ميخائيل بن إلياس الماروني، لغويُّ باحث، ولد بقرية شرتون (منطقة الشوف في لبنان)، عام ١٨٤٩، وتلقَّى تعليمه في مدرسة عبية التي أنشأها المبشرون الأمريكيون، ثم اشتغل بتدريس اللغة العربية في كلية الآباء اليسوعيين، ومدرسة راهبات الناصرة ببيروت، وكان يعمل بتصحيح مطبوعات المطبعة الكاثوليكية لمدة اثنين وعشرين عامًا. وللشرطوني مؤلفات في علوم اللغة وفنون الأدب والكتابة والتاريخ والاجتماع وغيرها، ومن أشهرها: «أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ونجدة اليراع»، وهو معجم مرتَّب ترتيبًا موضوعيًا، و«السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب»، و«الشهاب الثاقب في الترسل»، و«المعين في صناعة الإنشاء» و«حدائق المنثور والمنظوم». كما قام بتعريب عددٍ من الكتب، ومنها «السفر العجيب إلى بلاد الذهب» و«الرحلة السورية في أمريكا المتوسطة والجنوبية»، وله أيضًا قصائد ومقطوعات تخلَّلت مقالاته التي وضعها في كتابه «نفحة الوردتين»، نال الشرطوني النيشان العثماني، وحصل على لقب «شيخ العلم» بعد إهدائه نسخة من معجمه وعددٍ من مؤلفاته إلى السلطان عبد الحميد.
- ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ١٥١/٣، وداغر، يوسف أسعد: مصادر الدراسة الأدبية، ٤٨٢/٢، وآل جندي، أدهم: أعلام الأدب والفن، ص، وكحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، ١/.

- (٩) يشير الودغيري إلى المحطات الأساسية التي أسهمت في تطوّر الصناعة المعجمية في العصر الحديث، (من بداية النهضة إلى سنة ١٩٩٩)، وهي بحسب ترتيبها التاريخي: محيط المحيط للبستاني (صدر سنة ١٨٨٦)، والمُنْجِد للويس معلوف (١٩٠٨)، والمعجم الوسيط (١٩٦٠)، والمعجم العربي الأساسي (١٩٨٩).
- ينظر: الودغيري، عبدعلي: نحو قاموس للغة العربية حديث ومتجدد، ضمن كتاب «المعجمية العربية قضايا وآفاق»، ١/٢٣-٢٤.
- (١٠) الشرتوني، سعيد: أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد، مقدمة المعجم، ص ٦.
- (١١) العاملي، أحمد رضا: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٢١، الجزء ١، ص ١١٨.
- (١٢) الصوفي، عبد اللطيف: اللغة ومعجمها في المكتبة العربية، ص ٢٨٢.
- (١٣) كشلي، حكمت: تطور المعجم العربي من مطلع القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٠، ص ١٧٤.
- (١٤) العاملي، أحمد رضا: متن اللغة، مقدمة المؤلف، ١/٧٦.
- (١٥) نصار، حسين: المعجم العربي نشأته وتطوره، ٢/٥٧٣.
- (١٦) قاسم، رياض: المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، ص ٨٢.
- (١٧) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، تصدير الطبعة الأولى، ص ٢٤.
- (١٨) ينظر على سبيل المثال: الصوفي، عبد اللطيف: اللغة ومعجمها في المكتبة العربية، ص ص ٢٨٢-٢٨٦، وقاسم، رياض: المعجم العربي، ص ص ٨٠-٨٢، والفحام، شاكِر: نظرة في المعاجم العربية الحديثة، ص ص ١٤٩-١٥٠، والحر، عبد المجيد: المعجمات والمجامع العربية، ص ص ١١٤-١١٧، وأحمد عبدالسميع: المعاجم العربية دراسة تحليلية، ص ص ١٤٤-١٥٢، وكشلي، حكمت: تطور المعجم العربي، ص ص ١٧٤-١٨٣.
- (١٩) ينظر: اليازجي، إبراهيم: مجلة الضياء، ١٩٠٠-١٩٠١، السنة (٣)، ص ص ٣٤٠، ٣٤١، السنة (٤)، ١٩٠١، ١٩٠٢، ص ص ٣١١، ٣٧٣، ٤٣٧، ٤٦٨، السنة (٥)، ١٩٠٢-١٩٠٣، ص ص ٣٧٥، السنة (٦)، ١٩٠٣-١٩٠٤، ص ص ٣٤٣، السنة (٧)، ١٩٠٤-١٩٠٥، ص ص ٤٠٣، ٤٣٤.
- (٢٠) ينظر: الكرملي، أنستاس: مجلة لغة العرب، الجزء (٧) السنة (٥)، ص ص ٤٢٤، الجزء (١٠) السنة (٥)، ص ص ٦١٦-٦١٩، الجزء (٢) السنة (٦)، ص ص ١٢٩، الجزء (٥) السنة (٦)، ص ص ٣٧٩.
- (٢١) الكرملي، أنستاس: أغلاط اللغويين الأقدمين، ص ص ٨١، ١٠٣، ٢٠٥، ٢٤٢، وينظر أيضًا: السامرائي، إبراهيم: الأب أنستاس ماري الكرملي في معجماته ومستحدثاته، ص ص ٧٩-٨٤.

- (٢٢) ينظر: العامل، أحمد رضا: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٤٦، المجلد (٢١)، الجزء (١)، (٢)، ص ص ١١٨-١٢٥، ٢١٨، ٢٢٦، ٣١٧، ٣٢٨، المجلد (٢٢)، الجزء (١)، (٢)، ١٩٤٧، ص ص ٣٤٥-٣٥١.
- (٢٣) الخاني، محمد: المعجمات الحديثة، ص ٧٨، وما بعدها.
- (٢٤) ينظر: العفيفي، محمد: مستدرک الشرطوني على المعاجم العربية، دراسة لغوية ناقدة.
- (٢٥) ينظر: أبو أسعد، أحمد: المعاجم العربية في واقعها الراهن وخطة لتطويرها، ص ٣٧.
- (٢٦) ينظر: البازجي، إبراهيم: مجلة الضياء، السنة (٥)، ١٩٠٢-١٩٠٥، ص ٣٧٦.
- (٢٧) ينظر: المصدر السابق، ص ٤٤٠.
- (٢٨) ينظر: الكرمل، أنستاس: مجلة لغة العرب، السنة (٥)، الجزء (١)، ص ٦١٣.
- (٢٩) المصدر السابق، السنة (٦)، الجزء (٢)، ص ١٢٩.
- (٣٠) رضوان، محمد: دراسات في القاموس المحيط، ص ٨٩، ويشير محمد رضوان في السياق ذاته إلى أن علماء اللغة كانوا يعتبرون الأصل وتصاريفه واشتقاقاته وملحقاته مادة لغوية، ص ٩١.
- (٣١) يوسف، مصطفى: المواد والمداخل في المعجم التاريخي، ص ٦٤.
- (٣٢) الشريف، شكري: مظاهر من انتظام المعجم، ص ٤٦.
- (٣٣) القاسمي، علي: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص ٢٣٢.
- (٣٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
- (٣٥) خليل، حلمي، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص ٢١.
- (٣٦) الحمزاوي، محمد رشاد: المعجمية - مقدمة نظرية ومطبقة - مصطلحاتها ومفاهيمها، ص ٣٦٩.
- (٣٧) مالتشوك، إيغور، وكلاس، أندري، وبولغار، آلان: مقدمة لمعجمية الشرح والتأليفية، ترجمة هلال بن حسين، ص ٣٦.
- (٣٨) ينظر: الشرطوني، أقرب الموارد، مقدمة المعجم، ص ٦، ٧.
- (٣٩) بناءً على «أن اللغة لا تقوم على القرار المعنوي، ولا على التحجّر في مضمون اللفظ، وإنما تقوم على إثراء حصيلتها اللفظية سواءً بإدخال كلمات جديدة، أو بتوسيع مدلول الكلمة»، ينظر: الشريف، شكري: مظاهر من انتظام المعجم، ص ٤٢٤.
- (٤٠) ينظر في أهداف الصناعة المعجمية: خليل، حلمي: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص ٢٥.
- (٤١) ينظر: الشرطوني: أقرب الموارد، مقدمة المعجم، ص ٦، ٧.
- (٤٢) البستاني، بطرس: محيط المحيط، فاتحة المعجم، صفحة غير مرقمة.

- (٤٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
- (٤٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
- (٤٥) تُتيح المولّدات بشقي صورها -من التوليد الشكلي، أو التوليد الدلالي، أو التوليد بالافتراض- للمعجم حيويته وتجديده المعجمي، وفي المقابل فإن المعجم يمنح المولّدات الصبغة الرسمية، باعتباره أهم الجهات المخوّلة بالاعتراف بهذا المستوى اللغوي وإقراره. ينظر بريفو، جان، وسابليرول، جان فرانسوا: المولّد، دراسة في بنا الألفاظ، ترجمة خالد جهيمة، ص ص ٣٧-٣٥
- (٤٦) الشرتوني: أقرب الموارد، المقدمة، ص ٩.
- (٤٧) تبه الشدياق على أهمية الألفاظ المولّدة والاصطلاحية التي جرت على ألسنة كبار الكتاب والشعراء، ونادى إلى مساواتها بالألفاظ العربية القديمة، ينظر: الشدياق، أحمد فارس: الجاسوس على القاموس، ص ٥٢٠.
- (٤٨) ينظر في هذه الأوضاع: عيد، محمد: المظاهر الطارئة على الفصحى، ص ص ٨٨-٩٨، وخلييل، حلمي: المولّد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، ص ص ٣٢٩ وما بعدها.
- (٤٩) خليل، حلمي: المولّد في العربية، ص ١٩٤، وينظر في هذا الصدد أيضاً: المقدسي، أنيس: الكلام المولّد في معاجمنا الحديثة، ص ص ١٧٦-١٨١، والعاملي، أحمد: متن اللغة، مقدمة المؤلف، ١/٧٥.
- (٥٠) من أهم ما يميز الطريقة الحديثة في جمع مادة المعجم، احتواؤه على كثير من الاستعمالات التي تحيا خارج المعجم، وتتردّد في النصوص الحيّة. ينظر: عمر، أحمد مختار: صناعة المعجم الحديث، ص ٧٦، وحجازي، محمود فهمي: اتجاهات معاصرة في صناعة المعجمات العامة، ص ١٣٧.
- (٥١) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، مقدمة المعجم، ص ٨، وقد تبعه في هذا المبدأ بعض المعاجم اليسوعية، مثل معجم «المنجد»، حيث جاء في مقدمة طبعته الأولى «وأغفلنا ذكر ما يمسّ حُرْمَة الأدب من الكلمات البذيئة التي لا يضُرُّ جهلها، وقلّما أفاد علمها»
- (٥٢) يقارن: الحمزاوي، محمد رشاد: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ٥٠٥.
- (٥٣) ينظر: زفنكي، صافية: التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، ص ١٢٤، ١٢٩.
- (٥٤) مالتشوك، إيغور، وكلاس، أندري، وبولغار، آلان: مقدمة لمعجمية الشرح والتأليفية، ص ٨٨
- (٥٥) الحمزاوي، محمد رشاد: المعجم العربي المعاصر في نظر المعجمية الحديثة، ص ١٠٥٢.

- (٥٦) ينظر: فهمي، خالد: معاجم المصطلحات في تراث العربية مدخل للاستثمار المعاصر. وينظر في كتب الدخيل وكتب لحن العامة: عيد، محمد: المظاهر الطارئة على الفصحى، ص ص ١١١-١١٤، وإبراهيم، رجب عبدالجواد، معجم لغة العامة في تاج العروس، ص ص ١٧-٢٠.
- (٥٧) الحمزاوي، محمد رشاد: المعجم العربي إشكالات ومقاربات، ص ٢٨٩، ويمثّل الحمزاوي لهذه التنوعات بالألفاظ العامة، والمهنية، والفنية، والتقنية، والعادية، والمعربة، والدخيلة، والعامية، والسريّة، والبديئة، والحوشية، والملاحنات.
- (٥٨) لمزيد من التوثق ينظر تعريف البستاني للمصطلحات الآتية «البيع، الحرية، الحقيقة، الحلول، الدوام، السناد، الظاهر، الفساد، التفسير، القصر، القوة، الإمكان، التنوين، الهزل»
- (٥٩) ينظر: الشرطوني: أقرب الموارد، مقدمة المعجم، ص ٨، وينظر: أيضاً: نصار، حسين: المعجم العربي، ٥٧٢/٢.
- (٦٠) ينظر في الدور التربوي للمعاجم: بولغير، آلان: المعجمية وعلم الدلالة المعجمية، مفاهيم أساسية، ص ص ٢٧١-٢٧٣، والجيلالي، حلام: تقنيات التعريف بالمعجم العربية المعاصرة، ص ١١، ٧٣، وعقلي، مصطفى: القدرة المعجمية وآفاقها التعليمية، ص ص ٢١٦-٢٢٩.
- (٦١) الحمزاوي، محمد رشاد: المعنى في المعجم إحيائه وإماتته، ص ٢١.
- (٦٢) الشرطوني: أقرب الموارد، مقدمة الذيل، ص ٥.
- (٦٣) الجيلالي، حلام: المعجم العربي القديم المختص مقارنة في الأصناف والمناهج، ص ٥٣.
- (٦٤) ينظر: بيجوان، هنري، وتوارون، فيليب: المعنى في علم المصطلحات، ترجمة ريتا خاطر، ص ص ١٩١-١٩٣.
- (٦٥) الحمامي، مينة: المعجم العربي المختص وعلاقته بالنظريات اللسانية والمصطلحية، ص ٤٣، وينظر في هذا الصدد: خطابي، محمد: المصطلح والمفهوم والمعجم المختص، ص ١٩.
- (٦٦) ينظر: الشرطوني: أقرب الموارد، الذيل، ص ٤٢٦، ٤٣٧، ٤٤٢، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٨.
- (٦٧) ينظر في التعريف بهذه القصيدة: الكتي، محمد بن شاعر: فوات الوفيات، ٣٩٨/١-٤٠٨.
- (٦٨) ينظر: الشرطوني: أقرب الموارد، الذيل، ص ١١٦، ٢٢٩، ٢٣٧.
- (٦٩) ينظر: المصدر السابق، ص ١٢٩.
- (٧٠) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٣٦، ٣٢٥، ٣٦٢، ٣٩٢.
- (٧١) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٣٤.
- (٧٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٢٩.
- (٧٣) ينظر المصدر السابق، ص ١٦، ١١٠، ١٤٨، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٩٤.

- (٧٤) ينظر: المصدر السابق، ٦٠١/١، ٦٢٢، ١٢٨٨/٢، ١٢٩٥، ١٣٨٧، الذيل ص٤٦، ٥١، ٦٢، ٦٣.
- (٧٥) المصدر السابق، ٥٣/١.
- (٧٦) المصدر السابق، ٨٥٨/١.
- (٧٧) المصدر السابق، ١٢٠٧/٢.
- (٧٨) المصدر السابق، الذيل، ص٢٤٤.
- (٧٩) المصدر السابق ص٣٢٦.
- (٨٠) المصدر السابق، ص٢٨٦.
- (٨١) المصدر السابق، ص٣٢٠.
- (٨٢) المصدر السابق، ص٢١٩.
- (٨٣) ينظر في مصادر الزبيدي: شلاش، هاشم طه: الزبيدي في كتابه تاج العروس، ص ص ٢٧١-٣٨٨.
- (٨٤) الشرتوني: أقرب الموارد، ١١٧٧/٢.
- (٨٥) المصدر السابق، الذيل، ص٢٥٠.
- (٨٦) المصدر السابق، ص ٧٥، ١٤٠.
- (٨٧) المصدر السابق، ص ٣٣٠.
- (٨٨) المصدر السابق، ص ٢٢٨، وينظر أيضاً ص ٢٢١.
- (٨٩) المصدر السابق، ص ٤٢٢.
- (٩٠) المصدر السابق، ص ٣٣٧.
- (٩١) المصدر السابق، ص ٣٠٨، وينظر أيضاً ص ٢٥٧.
- (٩٢) المصدر السابق، ص ٢٢٤.
- (٩٣) المصدر السابق، ص ٢٥٣.
- (٩٤) المصدر السابق، ص ٤٢٢.
- (٩٥) المصدر السابق، ص ٤٠٤.
- (٩٦) المصدر السابق، ص ٤٤١.
- (٩٧) صدر هذا المعجم سنة (١٦٥٣)، وكان مرجعاً للمستشرقين طيلة (١٧٥) سنة، حتى ظهر معجم فريتاغ.
- (٩٨) صنّف المعجم العربي اللاتيني في أربعة أجزاء، وأصدره سنة (١٨٣٠)، وعنه أخذ كازيميرسكي في قاموسه العربي الفرنسي. ينظر: العقيلي، نجيب: المستشرقون، ٣٠٤/٢، ٣٥٩، ٤٩٩.
- (٩٩) الشرتوني: أقرب الموارد، مقدمة الذيل، ص ٥.

- (١٠٠) المصدر السابق، ٨/١.
- (١٠١) ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩، مقدمة المحقق، ٤٣/١، ٤٤.
- (١٠٢) استفدنا هذه التسمية من الدكتور حلمي خليل، فقد سُمي المعلومات الواردة في صدارة أبواب المعجم بالمدخل أو التمهيد، وذلك في كتابه: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص ٢٦٠.
- (١٠٣) ينظر على سبيل المثال تمهيد لباب التاء: الشرطوني: أقرب الموارد، ٨٤/١.
- (١٠٤) ينظر: الشرطوني: أقرب الموارد، المقدمة، ٦/١.
- (١٠٥) ينظر الأشقر، محمد: الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي، ص ٥٦.
- (١٠٦) البستاني: محيط المحيط، ص ١.
- (١٠٧) المصدر السابق، ص ٦٩.
- (١٠٨) ينظر: الشرطوني: أقرب الموارد، ٣/١.
- (١٠٩) ينظر: المصدر السابق، ١٤٤١/٢.
- (١١٠) ينظر: المصدر السابق، ٩٢٣/١.
- (١١١) ينظر: الشرطوني: أقرب الموارد، ١٠٧٣/٢.
- (١١٢) المصدر السابق، ١١٧٢/٢.
- (١١٣) المصدر السابق، ١٢٤٤/٢.
- (١١٤) المصدر السابق، ١٢٤٥/٢.
- (١١٥) المصدر السابق، ١٠٩٠/٢.
- (١١٦) المصدر السابق، ١٣٥٧/٢.
- (١١٧) المصدر السابق، الذيل، ص ٥٨.
- (١١٨) المصدر السابق، ص ١١٣.
- (١١٩) المصدر السابق، ١٤٧٠/٢.
- (١٢٠) ينظر: المصدر السابق، ١٠٣٧/١.
- (١٢١) ينظر: المصدر السابق، ١٣/١.
- (١٢٢) ينظر: المصدر السابق، ٩٢٤/١.
- (١٢٣) ينظر: البستاني: محيط المحيط، «فرنج»، ص ٦٨٨، «فُسْطَان»، ص ٦٩٠، «فُمرُق» ص ٧٥٦.
- (١٢٤) يشار هنا إلى أن هذه المدخل لم يثبتها الشرطوني مطلقاً، لا في المعجم ولا في الذيل أيضاً.
- (١٢٥) تدل علامة النجمة (*) على المدخل التي لم يصرح البستاني بمستواها اللغوي.

- (١٢٦) يقارن: الفيروزابادي: القاموس المحيط، «بَأَزَلَة» ٤٥٣/٣، «بُحْرَم» ١٠/٤، «بُحْرِيْت» ١٩١/١، «بُرْصُوم» ١٢/٤، «بُرْغَل» ٤٥٦/٣، «بُرْزِيْق» ٢٨٨/٣، «بُرْزِيْ» ٤٠١/٣، «بُرْن» ١٨٣/٤، «بُرْمَاج» ٢٤٣/١، «بُرْعُقُط» ٥٣٦/٢، «بُرْعُس» ٣٢٠/٢، «بُرْكَع» ١٠/٣، «بُرْث» ٢٢٠/١، «بُرْث» ٢٩٦/١، «بُرْثِيْت» ٢٢٠/١.
- (١٢٧) ينظر: البستاني: محيط المحيط، ص ٧٣٤، ٧٤٠.
- (١٢٨) يقارن: ظبيان، نشأة: حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام، ص ١٠٣.
- (١٢٩) اقتصر في إحصاء المداخل الرئيسة عند الشرتوني على ما ورد في المعجم، دون الذيل، تفاديًا للتكرار.
- (١٣٠) ينظر: اليازجي، إبراهيم: تنبيهات اليازجي على محيط البستاني، ص ٤٤.
- (١٣١) ينظر: البستاني: محيط المحيط، ص ١٣.
- (١٣٢) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد ١٥/١.
- (١٣٣) ينظر: البستاني: محيط المحيط، ص ٢١.
- (١٣٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٩٥٤.
- (١٣٥) ينظر: الفيروزابادي: القاموس المحيط، ١٨١/١.
- (١٣٦) ينظر: البستاني: محيط المحيط، ص ٤، وضبطها البستاني هكذا «الأخوريّة»، وهو ضبط غير صحيح.
- (١٣٧) الشرتوني: أقرب الموارد، ٢٤٣/١.
- (١٣٨) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٦٩/٢.
- (١٣٩) الشرتوني: أقرب الموارد، ١٠٤/١.
- (١٤٠) البستاني: محيط المحيط، ص ٩٣، وينظر «الجَحْنَقْل»، ص ٩٤.
- (١٤١) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ٩٩٣/١.
- (١٤٢) ينظر: المصدر السابق، ٩٩٠/١.
- (١٤٣) ينظر: البستاني: محيط المحيط، ص ٧٣٠، ٧٣٣.
- (١٤٤) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١٠٥/١.
- (١٤٥) ينظر: البستاني: محيط المحيط، ص ٩٤، ١٢٧.
- (١٤٦) ينظر: الزبيدي: تاج العروس، (جأب)، وتعليقات الشيخ نصر الهوريبي على القاموس المحيط، ٥٧/١.
- (١٤٧) ينظر: البستاني: محيط المحيط، ص ٨٩، والشرتوني: أقرب الموارد، ٩٩/١.
- (١٤٨) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٦٨/٢.

- (١٤٩) ينظر: فليش، هنري: العربية الفصحى، تعريب وتحقيق عبدالصبور شاهين، ص ٥٢،
والصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص ص ١٧٤-١٨١، والعاملي، أحمد رضا:
متن اللغة، مقدمة المؤلف، ٧٣/١.
- (١٥٠) بحسب هذه النظرة الذاتية -على سبيل المثال- رأينا الشرتوني يضع لفظ «فَنَدَاوُ»
-وهو السياء الغداء- في مدخل فرعي تحت (ق ن د)، متابعاً للجوهري في الصحاح،
وابن منظور في اللسان، في حين جعل البستاني هذا اللفظ في مدخل رئيس، متابعاً
للفيروابادي في القاموس المحيط، حيث أثبت اللفظ في باب الهمزة من فصل القاف،
وشرحه في هذا الموضوع.
- (١٥١) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١/١١١، ويقارن: البستاني: محيط المحيط، ص ١٢٥،
١٢٦.
- (١٥٢) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١/٥٨٨، ٨٤٠، ١٠٦٤/٢، الذيل ص ٥٨، ويقارن:
البستاني، ص ٤٦٤، ٦٣٩، ٧٧٠، ٦٢.
- (١٥٣) ينظر الشرتوني: أقرب الموارد، ١/١٣٩، ويقارن: البستاني: محيط المحيط، ص ١٢٠.
- (١٥٤) ينظر الشرتوني: أقرب الموارد، ٢/١١٥٨، ويقارن: البستاني: محيط المحيط، ص ٨٢٣.
- (١٥٥) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١/٣١.
- (١٥٦) ينظر: المصدر السابق، ١/٢٨.
- (١٥٧) يقارن: الفيروزابادي: القاموس المحيط، ٩/٢، والبستاني: محيط المحيط، ص ٢٦.
- (١٥٨) الشرتوني: أقرب الموارد، ص ١١٠.
- (١٥٩) ينظر: المصدر السابق، ص ١١١، ويقارن: البستاني: محيط المحيط، ص ٩٧، ٩٨.
- (١٦٠) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١/٢٤، ٢٦، ويقارن: البستاني: محيط المحيط، ص ٢١، ٢٢.
- (١٦١) ينظر: اليازجي، إبراهيم: تنبيهات اليازجي على محيط البستاني، ص ٨٢.
- (١٦٢) ينظر على سبيل المثال: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم العربي الأساسي،
ص ٧٨، ١٢٣.
- (١٦٣) الشرتوني: أقرب الموارد، ص ١١٢.
- (١٦٤) ينظر: المصدر السابق، ١/٥٨.
- (١٦٥) ينظر: المصدر السابق، ١/٧٦.
- (١٦٦) ينظر: المصدر السابق، ١/٤٣٣.
- (١٦٧) ينظر: المصدر السابق، ١/٤٧٩.
- (١٦٨) ينظر: المصدر السابق، ١/٩٢٢.
- (١٦٩) ينظر: المصدر السابق، ١/٩٨٤.

- (١٧٠) ينظر: المصدر السابق، ١٠٧١/٢.
- (١٧١) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١٠٨٧/٢.
- (١٧٢) ينظر: المصدر السابق، ١٢٤٢/٢.
- (١٧٣) ينظر: المصدر السابق، ١٤٩٧/٢.
- (١٧٤) ينظر: ابن حسين، هلال: منهج معالجة اللفظ الأعجمي في المعجم العربي الحديث، تطبيق على المعجم الوسيط، ص ٨٠، وابن مراد، إبراهيم: دراسات في المعجم العربي، ص ١٨٨-١٩٠.
- (١٧٥) يقارن: نصار، حسين: المعجم العربي، ٥٧٦/٢، وكشلي، حكمت: تطور المعجم العربي، ص ١٨٠، وقاسم: رياض: اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، ١/٣٢.
- (١٧٦) ينظر: دوزي، رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، مقدمة المؤلف، ١/٩-١٠، والمطوي، محمد الهادي: أحمد فارس الشدياق، ١/٥٣٨، ٥٥٠، ٥٥٢، والطيباوي، عبداللطيف: المعلم بطرس البستاني، ص ٦٠٨.
- (١٧٧) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١/١، ويقارن: البستاني: محيط المحيط، ص ١.
- (١٧٨) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١/٢٢٨، ويقارن: البستاني: محيط المحيط، ص ١٩٢.
- (١٧٩) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١/٤٣١.
- (١٨٠) المصدر السابق، ١/٦٢٩.
- (١٨١) ينظر: البستاني: محيط المحيط، ص ٤٩٥، ٤٩٦.
- (١٨٢) تقوم طريقة الترتيب بالتجنيس على تخصيص مدخل مستقل لكل معنى، في حين تقوم طريقة الترتيب بالاشتراك على ترتيب دلالات كثيرة تحت المدخل الواحد، باعتبار أن كل المعاني المذكورة تعود إلى جذر معنوي مشترك. ينظر: الحمزاوي، محمد رشاد: من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، ص ١٦١-١٦٤. والشريف، شكري: مظاهر من انتظام المعجم، ص ٤٩.
- (١٨٣) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، مقدمة المعجم، ص ٦.
- (١٨٤) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١/٦٢٩، ٦٣٠، والبستاني: محيط المحيط، ص ٤٩٥، ٤٩٦.
- (١٨٥) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ٢/١، ويقارن: البستاني: محيط المحيط، ص ١.
- (١٨٦) ينظر: الشرتوني: أقرب الموارد، ١/١٠٣، ويقارن: البستاني: محيط المحيط، ص ٩٢.
- (١٨٧) استعمل المؤلف هذا الرمز للدلالة على اسمه «سعيد الشرتوني».

المصادر والمراجع

- إبراهيم، رجب عبدالجواد، معجم لغة العامة في تاج العروس، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨.
- أبو أسعد، أحمد: المعاجم العربية في واقعها الراهن وخطة لتطويرها، مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد (٧٢)، السنة (١٤)، ١٩٩٣.
- أحمد، عبدالسميع: المعاجم العربية دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٧.
- الأشقر، محمد: الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي، ط ١، دار البحوث العلمية، الكويت، الدار العلمية، بيروت، ١٩٧٢.
- بريفو، جان، وسابليرول، جان فرانسوا: المولّد، دراسة في بناء الألفاظ، ترجمة خالد جهيمة، ط ١، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠.
- البستاني، بطرس: محيط المحيط، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧.
- بولغير، آلان: المعجمية وعلم الدلالة المعجمية، مفاهيم أساسية، ترجمة هدى مقنص، ط ١، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٢.
- بيجوان، هنري، وتوارون، فيليب: المعنى في علم المصطلحات، ترجمة ريتا خاطر، ط ١، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩.
- آل جندي، أدهم: أعلام الأدب والفن، مطبعة الاتحاد، بيروت، ١٩٥٨.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥.
- الجيلالي، حلام:
- المعجم العربي القديم المختص مقارنة في الأصناف والمناهج، ضمن كتاب «المعجم العربي المختص»، وقائع الندوة الدولية الثالثة التي نظمتها جمعية المعجمية بتونس، أبريل ١٩٩٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦.
- تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة، ط ١، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩.
- حجازي، محمود فهمي: اتجاهات معاصرة في صناعة المعجمات العامة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد (٩٨)، ٢٠٠٣.
- الحر، عبدالمجيد: المعجمات والمجامع العربية، ط ١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤.

- ابن حسين، هلال: منهج معالجة اللفظ الأعجمي في المعجم العربي الحديث، تطبيق على المعجم الوسيط، مجلة المعجمية، تونس، العدد ١١، ١٩٩٥.
- الحمامي، مينة: المعجم العربي المختص وعلاقته بالنظريات اللسانية والمصطلحية، ضمن كتاب «المعجم العربي المختص»، وقائع الندوة الدولية الثالثة التي نظمتها جمعية المعجمية بتونس، أبريل ١٩٩٣، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦.
- الحمزاوي، محمد رشاد:
 - من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦.
 - المعجم العربي إشكالات ومقاربات، ط١، بيت الحكمة، تونس، ط١، ١٩٩١.
 - المعنى في المعجم - إحياءه وإماتته، (أعمال الندوة التي نظمتها قسم العربية في أبريل ١٩٩١)، ضمن كتاب: صناعة المعنى وتأويل النص، منشورات كلية الآداب بمتونة، تونس، ١٩٩٢.
 - أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨.
 - المعجم العربي المعاصر في نظر المعجمية الحديثة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٨)، الجزء (٤).
 - المعجمية - مقدمة نظرية ومطبقة - مصطلحاتها ومفاهيمها، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٤.
- حوراني، ألبرت: الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، ترجمة كريم عزقول، مؤسسة نوفل، بيروت، ٢٠٠١.
- الخاني، محمد: المعجمات الحديثة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء (١)، المجلد (٢٣)، ١٩٤٨.
- خطابي، محمد: المصطلح والمفهوم والمعجم المختص، دراسة تحليلية نقدية في المعاجم الأدبية العربية الحديثة، ط١، كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٦.
- خليل، حلمي:
 - المولّد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
 - مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ط١، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٧.
- داغر، يوسف أسعد: مصادر الدراسة الأدبية، ط٢، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٠.

- الدريسي، فرحات: منزلة الحركة المعجمية في القرن التاسع عشر، ضمن كتاب: «في المعجمية العربية المعاصرة»، جمعية المعجمية العربية بتونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٧.
- دوزي، رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠.
- رضوان، محمد: دراسات في القاموس المحيط، ط ١، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧٣.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، نسخة مصورة عن المطبعة الخيرية بمصر، سنة ١٣٠٦هـ.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢.
- زفكي، صافية: التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، ط ١، الهيئة العامة السورية للكتاب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط ١، ٢٠٠٧.
- السامرائي، إبراهيم: الأب أنستاس ماري الكرملي في معجماته ومستحدثاته، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠١.
- الشدياق، أحمد بن فارس: الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، القُسْطَنْطِينِيَّة، ١٢٩٩هـ.
- الشرتوني، سعيد: أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد، ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢.
- الشريف، شكري: مظاهر من انتظام المعجم، ط ١، منشورات مجمع الأثرش للكتاب المختص، تونس، ٢٠١٥.
- شلَّاش، هاشم طه: الزبيدي في كتابه تاج العروس، ط ١، دار الكتاب للطباعة، بغداد، ١٩٨١.
- الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، ط ١٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧.
- الصوفي، عبداللطيف: اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ط ١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦.
- الطيباوي، عبداللطيف: المعلم بطرس البستاني، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء (١)، المجلد (٤٥)، ١٩٧٠.
- ظبيان، نشأة: حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام، دمشق ١٩٧٦.

- العاملي، أحمد رضا:
- متن اللغة، ط ١، دار ومكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨.
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٢١)، الجزء (١)، (٢)، المجلد (٢٢)، الجزء (١)، (٢)، ١٩٤٧.
- العفيفي، محمد: مستدرک الشرتوني على المعاجم العربية، دراسة لغوية ناقدة، ط ١، مطبعة الجريسي، القاهرة ١٩٩٦.
- العقيلي، نجيب: المستشرقون، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.
- عقلي، مصطفى: القدرة المعجمية وآفاقها التعليمية مقارنة لسانية وظيفية، ط ١، دار كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٨.
- عمر، أحمد مختار: صناعة المعجم الحديث، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨.
- عيد، محمد: المظاهر الطارئة على الفصحى، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠.
- غلفان، مصطفى: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، ط ١، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩.
- فاضل، جهاد: الأدب الحديث في لبنان، ط ١، مطبعة الرّيس، بيروت، ١٩٩٦.
- الفحام، شاكر: نظرة في المعاجم العربية الحديثة، مجلة العرب، الرياض، الجزء ٣-٤، ١٩٨٩.
- الفضيخ، عبدالله: الصناعة المعجمية عند البستاني في محيط المحيط، ط ١، من إصدارات كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٨هـ.
- فليش، هنري: العربية الفصحى، تعريب وتحقيق عبدالصبور شاهين، ط ١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦.
- فهمي، خالد: معاجم المصطلحات في تراث العربية مدخل للاستثمار المعاصر، ط ١، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠١٣.
- الفيروزآبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

- قاسم، رياض:
- اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، لبنان في القرن التاسع عشر، ١٨٠١-١٩٠٠، ط١، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٢.
 - المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧.
 - القاسمي، علي: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٣.
 - كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.
 - الكرمللي، أنستاس:
 - مجلة لغة العرب، مطبعة الأيتام للآباء الكرمليين المسلمين، بغداد، الجزء (٧) السنة (٥)، الجزء (٢) السنة (٦)، الجزء (٥) السنة (٦).
 - أغلاط للغويين الأقدمين، ط١، دار الوراق، لندن، ٢٠١٠.
 - كشلي، حكمت: تطور المعجم العربي من مطلع القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٠، ط١، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٢.
 - مالتشوك، إيغور، وكلاس، أندري، وبولغار، آلان: مقدمة لمعجمية الشرح والتأليفية، ترجمة هلال بن حسين، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠.
 - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٨.
 - ابن مراد، إبراهيم: دراسات في المعجم العربي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧.
 - المطوي، محمد الهادي: أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩.
 - المقدسي، أنيس: الكلام المولّد في معاجمنا الحديثة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء (١)، المجلد (٤٠)، ١٩٦٥.
 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم العربي الأساسي، لاروس، بيروت، ١٩٩١.
 - نخلة، أمين: الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الأول من القرن العشرين، ط٢، دار الكتب، بيروت، ١٩٥٨.
 - نصار، حسين: المعجم العربي نشأته وتطوره، ط٤، دار مصر، القاهرة، ١٩٨٨.
 - الودغيري، عبدالعلي: نحو قاموس للغة العربية حديث ومتجدّد، ضمن كتاب «المعجمية العربية قضايا وآفاق»، سلسلة المعرفة اللسانية، كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٤.

- اليازجي، إبراهيم:
 - تنبيهات اليازجي على محيط البستاني، جمعها وحلّ رموزها سليم شمعون وجبران النحاس، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، ١٩٣٣.
 - مجلة الضياء، السنة (٣)، ١٩٠٠-١٩٠١، السنة (٤)، ١٩٠١، ١٩٠٢، السنة (٥)، ١٩٠٢-١٩٠٣، السنة (٦)، ١٩٠٣-١٩٠٤، السنة (٧)، ١٩٠٤-١٩٠٥.
- يوسف، مصطفى: المواد والمداخل في المعجم التاريخي، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٤

نحو أفق تلقٍ في أدب الأطفال
دراسة نقدية في أسس نظرية التلقي
عند «ياوس»

د. منى محمد صالح الغامدي

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل - الدمام

نحو أفق تلق في أدب الأطفال دراسة نقدية في أسس نظرية التلقي عند «ياوس»

د. منى محمد صالح الغامدي

الملخص:

وجدتُ نظرية التلقي رواجًا في الدراسات الأدبية والنقدية، ولم تخل ساحة أدب الأطفال من سبر لأبعاد عملية التلقي عند الطفل في أثناء استقباله لنصوص الأدب، متخذة في معظمها طابع التطبيق على فنون الأدب الموجهة إلى الطفل؛ إلا أن المنجز النقدي لا يزال بحاجة إلى الدراسات النقدية النظرية التي تُعنى بالوقوف على أبعاد نظرية جمالية التلقي لتأسيس مقاربات نظرية لها في أدب الأطفال، تمتاح الأصول ذاتها والمفاهيم عينها التي تعتمد في الأدب الموجه للكبار بعد أن تطوعها لتلاءم مع خصوصية أدب الطفل.

من هنا كان التوجه إلى إعداد هذه الدراسة المعنونة بـ: «نحو أفق تلق في أدب الأطفال دراسة نقدية في أسس نظرية التلقي عند ياوس» التي اعتدت بنظرية التلقي عند الناقد (هانز روبرت ياوس) في تفسيره لجمالية عملية التلقي، وقد جهدتُ في إيجاد مقاربات بينها وبين عملية تلقي الطفل واستقباله لنصوص الأدب، من خلال وضع مخطط للعناصر المشكلة لأفق الانتظار في أدب الأطفال ومناقشتها في ظل متطلبات أدب الأطفال وخصوصيته بوصفه فنًا قائمًا بذاته يسير جنبًا إلى جنب مع أدب الكبار؛ معتمدة في ذلك على المنهج الوصفي القائم على أدوات منهج نظرية التلقي عند ياوس وأسسها، ومن ثمّ تطبيقها على عملية تلقي الطفل للأدب الموجه إليه.

نحو أفق تلقٍ في أدب الأطفال دراسة نقدية في أسس نظرية التلقي عند "ياوس"

ولا أزعجني أنني استوفيت درجات الكمال أو سبقت غيري فيما قدمته في هذه الدراسة، إلا أنني حاولت أن أضع لأدب الطفل مرتكزاً في الدراسات النقدية النظرية أملاً في تطوير مجالات البحوث النقدية ذات الصلة بأدب الأطفال.

الكلمات المفتاحية: أدب الأطفال - نظرية التلقي - أفق التلقي - أفق التلقي في أدب الأطفال - ياوس.

Towards Horizons of Reception in Children's Literature

A Critical Study on the Foundations of Jauss's Reception Theory

Abstract:

Reception theory was popular in both critical and literary studies. The children's literary scene, in particular, aimed to understand the different dimensions in children's reception of literary texts. Thus, it mostly relied heavily on literary applications targeted towards children.

However, the critical body of works are still in need of theoretical critical studies that focus on the dimensions of the aesthetic of reception theory to establish a theoretical approach in children's literature. For analyzing children's literature, the same process and concepts used in analyzing adults' literature are applied, although special consideration is taken on account of the suitability and relevance to children's literature.

Therefore, this study titled with *"Towards Horizons of Reception in Children's Literature- A critical study in the Fundamental Principles in Jauss's Reception Theory"* The study was based on Jauss's reception theory (Robert Hans Jauss) in his interpretation of the aesthetic of reception.

I have made a sincere effort to find common ground between this theory, and the process of children's reception of literary texts; I have tried to achieve this through mapping the constituting elements of the Horizon of Expectation in children's literature, and discuss them within the context of said literature and its traits, as a standing independent art that is on equal footing with adults' literature; I have attempted to do this by using a descriptive approach that is based induction of the reception theory terminology.

In closing, I dare not say that I have provided an unprecedented study that none before me have. However, I have tried to present a foundation to children's literature for theoretical critical studies in an effort to develop relevant critical researches.

Key words: *children's literature, reception theory, horizon of expectation, reception theory in children's literature, Jauss.*

المقدمة:

يعد أدب الأطفال مصدرًا من مصادر المعرفة الإنسانية العامة، فهو تجسيد فني للثقافة، ولا يختلف عن أدب الكبار إلا في تمكنه من تطويع التجسيديات الخيالية والفنية لحاجات الأطفال وقدراتهم، فبالقدر الذي يزخر به المنجز النقدي من نظريات وتأويلات لا بد لأدب الأطفال أن يمتاح منه بالمقدار ذاته ما يمكنه من تحقيق غاياته، وتأصيل مفاهيمه وأدواته الإجرائية التي تتوافق مع خصوصيته في الإبداع والتأليف.

ويتيح أدب الأطفال للناقد الأدبي في العصر الحديث فرصًا عديدة يجاري فيها الأدب العام في نقوده ومعاييره، ومن ضمنها «نظرية جمالية التلقي» التي أولت اهتمامها بالمتلقي، بعد أن امتدت سطوة الأديب والنص حتى سيطرا على ميدان النقد أمدًا طويلًا وغدا معهما دور المتلقي منسيًا أو هامشيًا.

وفي السنوات الأخيرة اتجهت الجهود على مستوى الدراسات والبحوث إلى سبر أبعاد عملية التلقي عند الطفل في أثناء تلقيه أو استقباله نصوص أدب الطفل، سواء التحرير منها أو المرئي أو المسموع، لتقف بمحاذاة الدراسات التي عنيت بالكشف عن استراتيجية التلقي في الإبداع الموجهة للراشدين، غير أنها أولت اهتمامها وعنايتها الكبرى بمسرح الأطفال؛ وذلك لسهولة رصد تفاعل الطفل وردود أفعاله أثناء العرض المباشر، ومنها على سبيل التمثيل:

- التلقي الدرامي لدى الأطفال، (لطارق علي سعد).
- المسرح الموجه للطفل الجزائري من منظور نظرية التلقي، رسالة دكتوراه، (لكريم بالقاسي).
- المسافة الجمالية في مسرح الطفل، (الحبيب ظاهر).

- جماليات التلقي في مسرح الأطفال: دراسة تطبيقية على مسرحية الطائر الأزرق تأليف: (موريس ميتلنك)، (لحسام محمد عطا).
- الطفولة بين الابداع والتلقي، (لهاني درويش).

ولا يزال المنجز في مجال دراسات عمليات التلقي في أدب الأطفال بحاجة إلى دراسات تنظيرية تقنن لمثل هذه التوظيفات والمقاربات، وترسخ مكانة أدب الأطفال وموضعه في ميدان النقد الأدبي، مع اعتبار الخصوصية التي يتمتع بها أدب الأطفال وتميزه عن فنون الأدب الرئيسة المتمثلة في تطويع مفاهيم المنجز النقدي ورؤاه ونظراته لمستوى الطفولة وهو ما يلزم الباحث والأديب - على حد سواء في أدب الأطفال إلمامًا كافيًا بالتفسيرات النفسية والتربوية التي تساعد على تطويع اتجاهات النقد وفنون الأدب وأساليبه لمستوى الطفولة تطويعًا لا يخرج الدراسات عن مسار الأدب وجمالياته؛ فيغرقها في نظريات التربية وتفسيراتها.

وستولي هذه الدراسة الموسومة بـ (نحو أفق تلقٍ في أدب الأطفال - دراسة نقدية في أسس نظرية التلقي عند «ياوس») اهتمامها بنمط تفاعل الطفل مع النص في عملية التلقي من خلال التركيز على استقراء مفهوم أفق الانتظار (عند هانز روبرت ياوس) بإجراءاته وأدواته وما يتعالق به من مفاهيم أخرى نهضت على أساسها نظرية جمالية التلقي عنده، وذلك من خلال توظيف مفهوم أفق الانتظار في عملية تلقي الطفل لنصوص أدب الأطفال، في صورة مقارنة نقدية محكمة بمنظور يستقي عناصره من خصوصية أدب الأطفال، فالتقاء طريقي المقاربة - النظرية عند ياوس والتلقي في أدب الأطفال - وتطابقهما في إعلاء شأن القطب الثالث في الإبداع - وهو المتلقي - لا يعني التطابق التام في الإجراءات والأدوات، بل سيسترفد أدب الأطفال عناصر النظرية بعمومها ليوظفها بما يتساق مع طبيعة أدب الأطفال في التأليف والتلقي؛ مما قد يتطلب

-أحياناً- الاستعانة بأدوات علم نفس الطفولة لتفسير أبعاد هذه العلاقة وبلورة مفاهيم خاصة بأدب الأطفال تتساير مع المفاهيم الإجرائية لنظرية جمالية التلقي عند يابوس؛ من أجل إنشاء أدوات إجرائية تتناسب مع الطبيعة الجمالية لنصوص الطفل الأدبية.

وقد استلزمت خطة الدراسة مناقشة المحاور الآتية:

عملية التلقي وخصوصية أدب الأطفال ومدى أهمية تطبيق نظرية التلقي على أدب الأطفال، ومفهوم أفق الانتظار عند «هانز روبرت يابوس» الذي شغل حيزاً كبيراً من الدراسات التي أجراها في تفسير نظريته جمالية التلقي، ثم الانتقال إلى تفسير أفق الانتظار في أدب الأطفال من خلال محاولة تحديد تعريف لهذا الأفق في أدب الأطفال، وحاولت -بناء على هذا التحديد- أن أضع مخططاً للعناصر المشكلة لأفق الانتظار في أدب الأطفال، وتمثلت في أربعة مستويات:

أولاً: مستويات الممارسة السابقة لعملية التلقي الأدبي.

ثانياً: الرصيد المعرفي

ثالثاً: الاستعداد المرحلي

رابعاً: الخبرة الجمالية والخبرة الحياتية.

ولعلاقة أفق الانتظار بعدة مفاهيم إجرائية عند يابوس من مثل: المسافة الجمالية وما يترتب عليها من توافق مع أفق الانتظار أو تخييب أو تغيير، جرت دراستها وسبر علاقتها بأدب الأطفال من خلال ثلاثة محاور: الاستجابة بين أفق النص وأفق الانتظار، وخيبة الانتظار، وعلاقة التغيير (بناء أفق جديد).

عملية التلقي وخصوصية أدب الأطفال:

إن المقصود بمفهوم التلقي الذي يشكل القطب الأخير في ثالوث الإبداع الأدبي المؤلف من: الأديب والنص والمتلقي هو «تلقي الأدب أي العملية المناظرة لإبداعه وكتابته وإنشائه»^(١)، ويمكن تحديد المقصود بتلقي النص بأبسط صورة بأنه: «شكل من أشكال الفهم والتذوق والتفسير والتقييم والتجاوب، وهو بهذا المعنى، فعل لازم لظهور النص، وضامن لاستمراريته؛ لأن عملية الكتابة تستوجب غالبًا عملية القراءة والتلقي»^(٢)، وهذه العملية تنهض على مبدأ الإيصال أو الإرسال، أي: إيصال الرسالة الأدبية إلى المتلقي، ليمعن النظر فيها؛ ليظفر بفهم أبعادها الجمالية ويدرك المعارف التي تضمنتها «لذلك فهي تصب اهتمامها على آلية الاستجابة والأدوات التي يحملها المتلقي عندما يواجه نصًا ما»^(٣). فهذه العملية - أي التلقي - مرحلة تالية للإرسال و متممة له ليباشر بعد ذلك المتلقي الأفعال الأخرى: الفهم والتذوق والتفسير والتقييم والتجاوب.

و حين تحدث رائد نظرية جمالية التلقي - (هانز روبرت ياوس) - عن طبيعة نظريته ومفاهيمها، فهو لم يعمد إلى تفسير التلقي من حيث هو عملية آلية يقصد بها الاستقبال أو الفهم والتجاوب وحسب، بل سعى إلى إرساء نظريته على أسس من مقومات الجمال المتباينة عما كان سائدًا في عصره، إذ يقول في تفسيره لجمالية التلقي: «يعني مفهوم التلقي هنا معنى مزدوجًا يشمل الاستقبال (أو التملك) والتبادل معًا، كما أن مفهوم الجمالية هنا يقطع كل صلة بعلم الجمال وكذا بفكرة جوهر الفن القديمة؛ ليحيل بدل ذلك على هذا السؤال المهمل منذ عهد طويل: كيف نفهم الفن بتمرسنا بذاتنا، أي بالدراسة التاريخية للممارسة الجمالية التي تأسس عليها، ضمن سيرورة الإنتاج - التلقي - التواصل كافة تجليات الفن»^(٤)، فياوس ومن معه من أصحاب نظرية جمالية التلقي

يشتركون مع المهتمين بفعل التلقي في عمومته في أنهم ينطلقون من عملية الفهم والإدراك في التعرف على جمالية العمل الأدبي أو تقييمه، يجعل ردة فعلهم تجاه النص من: استقبال، أو فهم، أو خلافه بنية من بنيات العمل الأدبي نفسه؛ ليصبح الفهم عملية بناء للمعنى وإنتاج له، إلا أن أصحاب نظرية جمالية التلقي يتجاوزون غيرهم في أن الفهم المقصود هنا لا يقنع بمجرد الكشف عن المعنى في النص أو الانتهاء عنده.

وانطلاقاً من مساهمة أدب الأطفال لنظريات النقد ومقولاته، فإنه سيكون له موضع لا يستهان به في دائرة التلقي متأثراً بما تناوش عملية التلقي من رؤى ونظرات، منها نظرية جمالية التلقي التي أرسى مفاهيمها وأدواتها الإجرائية (هانز روبرت يابوس) رائد مدرسة كونستانز الألمانية ومن بعده معاصره وتلميذه (موفولفانج أيزر) ومجموعة من النقاد في العصر الحديث، بعد أمد طويل قضته الدراسات الجمالية في العناية والاهتمام بالمبدع والنص، وهذا الاهتمام في مناداة المدرسة بالانتقال في الدراسة من العلاقة بين الكاتب ونصه إلى العلاقة بين القارئ ونصه في العملية الإبداعية وفي اعتدادها بالمتلقي مرتكزاً للأحكام والمعايير في تقييم الإبداع- يمثل نقطة الالتقاء بالنوع الأدبي الذي تتساقق تحت ظلاله النصوص الأدبية الموجهة إلى الطفل، فيما يعرف «بأدب الأطفال»؛ وعلى أساسه تنعقد الوشائج بين نظرية التلقي وبين أدب الأطفال انطلاقاً من الفكرة الرئيسة التي نهض عليها مبناها؛ إذ أن أدب الأطفال يولي عنايته المتلقي الطفل مهما تباينت وسائل التواصل مع الطفل: سواء عبر الوسائط المكتوبة، أو المرئية، أو المسموعة، أو المباشرة، عناية تسترشد طبيعة هذا التلقي المرتبط بطبيعة الأطفال وخصوصيتهم الفطرية الأصيلة أو خيراقتهم اليسيرة المكتسبة من بيئتهم ومجتمعهم، أو متطلباتهم واحتياجاتهم خلال مراحل نموهم وما تشغله من مدى زمني من

تطور عمر الإنسان، وهؤلاء الأطفال المتلقون يمثلون سلطة قوية لا يستهان بها في مسار الكتابة والإنتاج في أدب الأطفال؛ ومن هنا جاءت تسمية هذا النوع الأدبي «بأدب الأطفال» تأسيسًا على الدور الذي يمارسه المتلقي الطفل في عملية التلقّي، وهو التأسيس نفسه الذي قامت عليه نظرية جمالية التلقّي، فكلاهما جعل المتلقي في دائرة الاهتمام ومنحه السلطة والنفوذ.

وتأتي المقاربة بين النظرية الجمالية في التلقّي والكتابة الإبداعية الموجهة للطفل من الإيمان بأنه إذا استطاعت الدراسات النقدية سبر أعماق عملية تلقّي الأطفال للأدب وفنونه، وكشفت عن ملامحها وإجراءاتها وعن آفاق تلقّي الطفل وتوقعه- ساعد ذلك في إنتاج أدب أطفال متطور يتجاوز المأمول منه، ويفتح الأبواب نحو أنماط جديدة ترتقي بذائقة الطفل الأدبية والفنية، إذ إن للطفل المتلقي سطوة بالغة تأتي مما يضيفه من خصوصية على عملية التلقّي والقراءة، فحتى يجد النص أو العمل الأدبي قبولًا أو تجاوزًا من قبل الطفل كان لازمًا أن يتوافق مع استعداده وخبرته على قلتها وبساطتها؛ إذ يجد الأديب نفسه ملزمًا -مع هذه الخصوصية- باشتراطات ومعايير في الكتابة والتأليف لا تكفي معها جمالية الأدب وتأثيره إن لم تطوع لمستوى المتلقي، وتناسب حاجاته وتنطلق منها في الإبداع والخيال والتأثير، وبالمقابل كذلك لا يمكن الاعتداد بأدبية الكتابة للطفل وفنيته إن لزمنا حد الاكتفاء بالأسس التربوية في خطاب الطفل دون أن تكون لجماليات الفن وإبداعات أجناسه في النص أبعاد تأثيرية.

وتعريجًا على ماسبق فإنه يمكن القول بأن إجراء هذا الضرب من المقاربات بين أدب الأطفال ونظرية التلقّي يحمل في ثناياه ردًا مباشرًا على أنماط عدة من التأليف للأطفال جرى تصنيفها ضمن إطار أدب الأطفال، وهي بعيدة عنه كل بعد، إذ لاتعدو أن تكون -في الغالب- نظمًا تعليميًا أو سردًا مثقلًا بالتوجيهات

والإرشادات المباشرة، وقد يكون ولوج الكاتب مجال أدب الأطفال من منظور التنافس التجريبي، بخطابات أدبية وسرديات تظهر مقدرته وتمكنه الفني في سياقات أعلى من مستوى أفق توقع المتلقي الطفل واستعداداته وخبراته، والعكس صحيح فقد يخيب توقع الطفل بخطاب ساذج يعكس قصور فهم الكاتب في التعامل مع أدب الطفل، إذ يخطئ كثير ممن يكتب للأطفال حين يتوهمون أن خصوصية التلقي في أدب الأطفال تعني التبسيط المخل في الكتابة الأدبية، فلا تكاد تتجاوز كتاباتهم مجرد رصف الكلمات القليلة في عددها والسهولة في نطقها؛ لذا تسقط كثير من النصوص الموجهة للطفل في شرك النظم أو الغاية التعليمية، ولا تبلغ مستوى الإجادة الفنية في السبك والتأليف والصياغة؛ فتسقط نصوصها من حساب أدب الأطفال لأن مؤلفها عجز عن فهم «تركيبية الإبداع الأدبي اللازم لأدب الأطفال»، فموقع الطفل كمتلقٍ للعمل الأدبي يحتم على الأديب لزوم أمرين: مقدرة أدبية، ومعرفة أو خبرة بقدرات الطفل واستعداداته، والعلاقة بين الأمرين انصهارية نلمس أثرها ولا نقف على حدودها، بمعنى: أن الأديب ملزم لا مخير في تطويع جماليات الأدب لتحقيق التناسب والتوافق مع خصوصية المتلقي العمرية سواء على مستوى الطفولة بشكل عام، أو على مستوى المرحلة العمرية من الطفولة المعنية بالخطاب والتأليف.

وتحقق الغاية في أدب الأطفال لا ينتهي مقياسه عند حد شعور الأطفال بالرضا أو الحية أو بولوج الطفل دائرة الاندماج في أثناء التلقي أو الاتصال، بل تحصل من خلال مقارنة النص لشروط التأليف والإبداع الموجه للأطفال فيما يتعلق بفنية الإبداع أو السمات التربوية؛ ومن هنا يتعين على أدب الأطفال أن يساير التقدم النقدي الذي استوطن الدراسات الأدبية والنقدية مسaire لا تحلو من تباين وتقارب في الوقت نفسه، يحدد مسارها خصوصية أدب الطفل وما

يلائمه من إجراءات وأدوات تحقق له هذا الضرب من المقاربة، وقد يستدعي هذا الوضع أحياناً ابتكار بعض الأدوات والإجراءات التي تعمل على تفسير عملية التلقي في أدب الأطفال.

ولم تنبثق نظرية «جمالية التلقي» من فراغ، بل كانت ذات صلة وشيجة بتطور مناهج عدة سابقة لها، فقد بدأت الارهاصات الأولى لنشوء النظرية إبان تفاعل روادها مع ما يسري من مناهج نقدية ونظريات جمالية في ذلك الوقت، وردود أفعالهم تجاهها وما أفرزته من تفسيرات مقننة وإجراءات مختلفة.

وعليه يمكن القول بأن التوجه إلى استرداد نظرية التلقي لكشف ملابسات عملية التلقي والاتصال وصوره في أدب الأطفال ينبئ بأن الصورة التفاعلية بين النظرية والمناهج الأخرى لم تقف عند ما انتهى إليه الرواد ومن تبعهم بل لاتزال سنن التفاعل تتطور بين هذه النظرية والاتجاهات والأجناس، إذ لا مفر من أن تتجه نحو الطفل لتمعن النظر إليه من زاوية التلقي والقراءة بعد أن نخصت بدور فاعل في تفسير الآداب العالمية والشعبية.

ولتفسير نظرية جمالية التلقي عمد رواد النظرية إلى حزمة من الأدوات والمفاهيم والإجراءات وظفوها لشرح مفردات النظرية، من مثل: أفق الانتظار، المسافة الجمالية، والقارئ الضمني، والفراغات...

ويتقاسم المفاهيم الإجرائية لنظرية التلقي رائدا هذه النظرية (هانز روبرت ياوس) رائد مدرسة كونستانز الألمانية وتلميذه (وفولفانج أيزر) ومن تبعهما من النقاد في العصر الحديث، و استقل ياوس بمفهوم «أفق الانتظار» فبلوغ الغاية من إجراء مفهوم أفق الانتظار في عملية التلقي على النحو المرجو يتطلب متلقيًا نموذجيًا وبارعًا على النحو الذي قرره ياوس، وهذه النموذجية والبراعة ستحمّل

المؤلف مسؤولية كبيرة في العناية بإنتاجه الأدبي، وهي مسؤولية يلتقي فيها أدب الأطفال مع صاحب النظرية، أما الرائد الآخر في نظرية التلقي - (وهو وفولفانج أيزر) - فقد أولى عنايته بالقارئ من خلال جمالية التجاوب، فلا يتعامل مع النصوص الأدبية إلا على أنها «تقترح أبنية لتوليد معانٍ محتملة، ولذلك فهذه الأبنية المقترحة نفسها معروضة ومكيفة لإدماج القارئ ليعيد بنيتها من جديد انطلاقاً من فعاليته الذهنية الخاصة»^(٥).

ولاريب في أن عملية الاندماج بين النص والطفل من مطامح أدب الأطفال، إلا أن الطفل قد يعجز عن أن يلج مرحلة توليد معانٍ أخرى جديدة بعد فهمه للنص، ويكتفي بحدود التفاعل ومستويات التوحد مع النص وحسب، فمرحلة الطفولة مرحلة تلقٍ أكثر من كونها مرحلة إرسال، إذ يأخذ من محيطه الاجتماعي والمدرسي والبيئات المحيطة به بحكم طبيعته وانفتاحه التدريجي لتكوين شخصيته وبنائها؛ مما يتيح لمن حوله مجالاً واسعاً لبث مختلف الرسائل^(٦).

من هنا أثرنا أن يكون التركيز على جهود يابوس وآرائه في محاولة لتقريب نظريته في جمالية التلقي من عملية تلقي الطفل في أدب الأطفال، لذا اعتمدنا مفهوم «أفق الانتظار»: محوراً رئيساً في الكشف عن آلية التفاعل والتلقي التي تمثل العلاقة الجدلية المتبادلة بين الطفل والنص.

مفهوم أفق الانتظار عند هانز روبرت يابوس:

شغل مفهوم «أفق الانتظار» حيزاً كبيراً من الدراسات التي أجراها يابوس في تفسير نظريته «جمالية التلقي» التي هيمنت على الساحة الأدبية والنقدية، وتنهض هذه النظرية على ما مفاده «بأنه لا يستقيم فهم العمل الأدبي إلا إذا شارك المتلقي في بناء وإنجاز المعنى مشاركة فعالة وقوية تجعله طرفاً في تأويله

مستخدمًا في ذلك خبرته الجمالية ومرجعياته الثقافية والأيدولوجية»^(٧)، ولتحقيق هذا المفهوم يتعين تخطي الهوة بين التاريخ والأدب بغية تحسين أساسيات لفهم تاريخ الأدب، لذا طرح ياوس مفهومًا إجرائيًا جديدًا سماه: «أفق انتظار القارئ» الذي عدّه الركيزة المنهجية لنظريته «جمالية التلقي»^(٨)، ومع ذلك لم يضع له تعريفًا محددًا؛ معتمدًا في ذلك على بدهية القارئ في إدراك مفهومه الرئيس «مفهوم أفق الانتظار»، حيث أن المفهوم استخدمه في أنساق عدة من مثل: أفق التوقع، أفق خبرة الحياة، أفق البناء، التغيير الأفقي، الأفق المادي للحالات، وكأن ياوس بذلك «يشير إلى نظام التبادل الذاتي أو بناء التوقعات، كنظام مرجعي، أو نظام ذهني حيث افتراضات الفرد تصح في أي نص»^(٩)، «وعلى هذا الوجه يكون الأفق عبارة عن مجموعة من خبرات وكفاءة يختزنها القارئ الفعلي حين يتناول نصًا من النصوص»^(١٠). وبناء على هذه الأنساق المتعددة التي وظف فيها ياوس المفهوم حاول (مراد حسن فطوم) أن يحدده بقوله: «هو جماع المكونات الثقافية والاجتماعية لدى القارئ والمتلقي ومن خلال هذا المفهوم يدخل في قلب العملية الأدبية، ويكون في تواصل دائم مع شروط الإنتاج، والعلاقات الأدبية في النص؛ وهو ما يؤهله لتفسير الإبداع الجمالي من خلال قياس تلك المسافة بين أفق توقعه، والأثر الحقيقي المنتج»^(١١).

وقد استند ياوس في توظيفه «لأفق الانتظار» على استنطاق مفهوم الأفق التاريخي عند سابقه (هانز جورج غادمير) إذ استعار منه مفهوم «الأفق»، وركب مفهومه «أفق الانتظار»، ومن مفهوم «خيبة الانتظار» عند (كارل بوبر)، وقد وجد ياوس أن هذين المفهومين يحققان رغبته في البرهنة على أهمية عملية التلقي في تفسير الأدب وفهمه والتأريخ له^(١٢)، فمفهوم الأفق عند غادمير ينحصر في «أنه لا يمكن فهم أي حقيقة دون أن تأخذ بعين الاعتبار العواقب التي ترتبت

عليها، إذ لا يمكن الفصل بين فهمنا لتلك الحقيقة وبين الآثار التي ترتبت عليها، لأن تاريخ التفسيرات والتأثيرات الخاصة بحدث أو عمل ما هي التي تمكنا - بعد أن اكتمل هذا العمل وأصبح ماضيًا - من فهمه كواقعة ذات طبيعة تعددية المعاني، وبصورة مغايرة لتلك التي فهمها معاصروه بها»^(١٣)، وهو بذلك يحصر الأفق في رؤية المؤلف وقصيدته التي يرسلها للقارئ، بحيث تكون ملزمة للقارئ بما هو متوافر فقط، أما ياوس فيذهب إلى ما هو أبعد من ذلك «حين يرى أن كل جنس أدبي يخلق بالضرورة أثرًا، وكل أثر يفترض قطعًا أفق توقع، الذي قصد به مجموع القواعد السابقة لوجود النص وتوجه القارئ إلى الكيفية التي يتلقاها بها»^(١٤)، وعرف (كارل بوبر) الذي استعار منه ياوس مفهوم «خيبة الانتظار» مفهومه لهذه الخيبة بقوله: «العامل الأساسي في إنجاز أي مشروع علمي بصفة خاصة أو في تجربة إنسانية بصفة عامة، يتمثل في «تخيب الانتظار» على اعتبار أنه عندما نستخلص بأن فرضياتنا خاطئة نكون آنذاك مهينين أكثر للاحتكاك بالواقع»^(١٥)، و زاد عليه ياوس بأن تخيب أفق الانتظار لا يقتصر على المعايير الشكلية بل كذلك يشمل القواعد الاجتماعية، فياوس يرى أن على المبدع السعي لتحقيق انتماء المتلقي للعمل الأدبي عبر إخضاعه الأدبي للذات المتلقية، ودفعها لتأسيس تاريخ جديد للأدب، «وعلى الرغم أنه يعترف بتأثير كل من غدامير وكارل بوبر في تشييد مفهومه أفق الانتظار إلا أنه يحرص على تأكيد افتراق مفهومه وخصوصيته في مجال الأدب عن مفهوميهما»^(١٦).

لقد عمد ياوس من خلال مفهومه «أفق الانتظار» إلى «إعادة التاريخ إلى المركز من الدراسات الأدبية»^(١٧)، قاصدًا بذلك بناء تاريخ أدبي جديد يوثق الصلة بين الأدب والتاريخ العام، بردم الهوة بين المقاربتين التاريخية عند المدرسة الشكلانية، والمقاربة الجمالية عند المدرسة الماركسية؛ لذا اتجه ياوس إلى القارئ

المتلقي موضعًا دوره المنسي في تفعيل الأعمال الأدبية، فالعمل الأدبي في نظره ما هو إلا ضرب من الجدل والحوار مع تاريخه الخاص المؤلف من سلسلة متعاقبة من حوارات أجيال القراء، وفي خضم هذا الجدل يتضح دور النص تاريخيًا وتتبدى قيمته جماليًا، «فما كان ياوس يتوسمه هو تاريخ يؤدي دورًا واعيًا يصل الماضي بالحاضر، وسوف يطلب من مؤرخ التلقي الأدبي -بدلاً من مجرد أن يتقبل الموروث بوصفه معطى- أن يعيد التفكير على الدوام في الأعمال المعترف بها مبدئيًا، في ضوء كيفية تأثرها بالظروف والأحداث الجارية وتأثيرها فيها»^(١٨)، فالأفق يقوم على القارئ الذي يعد نقطة الارتكاز في وصف المعايير التي يحكم بها على النتاج الأدبي في أي فترة زمنية، وهو بذلك يعمل على تأسيس تاريخ أدبي جديد للأدب، حيث ينبري التاريخ الجديد لرصد ردود أفعال المتلقين تجاه النص وإعادة قراءته لتوليد قراءة جديدة جيلاً بعد جيل عن طريق جعل باب التأويل مفتوحًا، عبر سلسلة من تراكمات القراءة المولدة لقراءة جديدة في حدود وعاء النص «الذي يفرض طبيعة التلقي المكتسبة للمتلقي عند تعامله مع نصوص سابقة لنصه، وبذلك يكون تاريخ ياوس تاريخ تلقي نص أدبي لا وقائع أدبية حدثت في مرحلة زمنية وانتهت»^(١٩).

ومن هنا فإن إرساء تاريخ أدبي جديد ينهض عند ياوس على تحديد أفق توقعات القراء وحصرها وتحديدها، كما يقترح لإنشاء الأفق ثلاثة أشكال من المقاربة العامة للنموذج الجديد، أو ثلاثة مطالب منهجية، وهي على النحو الآتي:

أولاً/ معرفة الجمهور القبلية بنوعية الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه العمل وتمرسهم بمعاييره المعهودة وجمالياته، ويكون ذلك من خلال «المعايير المألوفة أو الشعر الموروث داخل النوع الأدبي»^(٢٠).

ثانياً/ شكل الأعمال السابقة وثيمتها ومضامينها التي يفترض معرفتها في العمل، ويجري ذلك «من خلال علاقات العمل الأدبي الضمنية بالأعمال المألوفة في السياق الأدبي- التاريخي نفسه»^(٢١).

ثالثاً/ التعارض بين اللغة الشعرية واللغة التطبيقية التجريبية، أي التعارض بين وظيفة اللغة الجمالية ووظيفتها العملية، أو بين العالم المتخيل والعالم اليومي^(٢٢)، «ويشمل العامل الثالث إمكانية أن يقوم قارئ جديد ما بإدراك العمل ليس فحسب من داخل أفق ضيق من توقعاته الأدبية بل من داخل الأفق الأوسع لخبرته الحياتية كذلك»^(٢٣).

وقد أوجزت (مها سالم طه) العناصر السابق المكونة لأفق الانتظار في: الجنس الأدبي، والتناس، والتخييل»^(٢٤).

«أفق الانتظار» في أدب الأطفال:

لا تخرج التحديدات النظرية لمفهوم أدب الاطفال عن كونه: كل نص أدبي وجه للطفل ابتداءً، وعليه يمكن القول بأنه خطاب أدبي لا يخلو من التجسيدات الفنية والخيالية الموجه للأطفال، وقد عرفه (ناصر شبانة) بقوله: «هو بناء لغوي فني جمالي، يصدر عن وجدان المبدع على هيئة شكل أدبي من أشكال الأدب المعروفة شعراً أم نثرًا، كالقصيدة والقصة والرواية والمسرحية، يبدعه كاتب صاحب موهبة وخبرة، ويتوجه به للأطفال غير الراشدين، مراعيًا المراحل العمرية المختلفة لهم، فيخاطب وجدانهم، ويخلق بخيالهم، ويقدم لهم القيم والخبرات في ثوب فني معجب، ولغة مؤثرة مشوقة، مصورة موحية»^(٢٥)، وهذا التعريف يلزم أدب الأطفال بمعايير عديدة؛ فأدبية النص تلزمه بتوافر المتعة الفنية والتأثير الجمالي، ولا تلزمه بالنصية التحريرية، بقصره على الوسيط الكتابي التحريري بل المجال مفتوح

للسائط المسموعة والمرئية والشفهية، كما يلزمه ربط التلقّي فيه بالطفل النظر إلى طبيعة هذا المتلقّي، ليس على نحو انتقائي أو اختياري بل إلزامي، وهذا مايسم أدب الأطفال بالخصوصية والتفرد عن الأنواع الأدبية الأخرى، إذ أن منشأ مسماه آتٍ من إسناد عملية التلقّي فيه إلى الأطفال وقصرها عليهم، والمتلقّي الطفل يمثل مرحلة محدودة من عمر الإنسان لها خصائصها وسمات نموها، وسبق أن أشرنا إلى ضرورة أن يراعي الأديب خصوصية التأليف لمرحلة الطفولة بشكل عام، والمرحلة العمرية من الطفولة التي يوجه لها نصه على وجه الخصوص، فهو بذلك يحافظ على خصائص الجنس الأدبي الذي يوجه للطفل، ويعمل على تطويعه ليكون مناسباً لجمهور الأطفال في الوقت نفسه، وهذه المسألة التناسبية التي يقتضيها أدب الطفل تلزم الأديب الذي ينبري للكتابة للطفل والتأليف له -من أحد الوجوه- معرفة واطلاعاً بخصائص مراحل الطفولة التي تمده بالعون في تحديد ملامح الأدب المناسب لقدرات الطفل وميوله في كل طور من أطوار نموه، ولقد تكلفت ميادين علم نفس الطفولة ومراجع التربية ببسط هذه الخصائص وتفصيلها، إذ صنف العلماء والتربويون مرحلة الطفولة أربع مراحل هي: مرحلة الرضاعة أو مرحلة المهد، مرحلة الطفولة المبكرة، مرحلة الطفولة المتوسطة، مرحلة الطفولة المتأخرة، وهذه المراحل تشمل عمر الطفل منذ لحظة الميلاد إلى بلوغه سن الحلم^(٢٦).

إن المزية التي تطبع التأليف للأطفال بطابع الخصوصية المنبثقة عن خصوصية المتلقّي تتخذ في أدب الأطفال سمة المعيار الملزم الذي يحفظ للأدب على مد العصور سمته الفنية التأثيرية المتعاقبة وخصوصيته النوعية المرتبطة بطبيعة المتلقّي، وهو ارتباط الإبداع بمتلق محدد ذي خصائص تفرض على المنتج مراعاتها؛ ومن هنا كان الاشتراط في أدب الأطفال أن يكون النص مؤلفاً للأطفال ابتداءً لتخرج

بذلك النصوص التي لم تكتب للطفل في أصلها إنما للكبار إلا أنه لاعتبارات عديدة تعود إلى بساطة المعنى، و قرب مستواها اللغوي، وإلى قلة الإنتاج الأدبي المؤلف للطفل - جرى توجيهها للأطفال.

ولا ندعي بأن تاريخ أدب الأطفال عبر الأجيال المتلاحقة قد راعى أو التزم بهذه المعيارية، لكن صياغة مفهوم هذا النوع من التأليف تتطلب تحديد النموذج والوضع المثالي.

ولقد سبقت الإشارة إلى نقاط الالتقاء بين نظرية جمالية التلقي وأدب الأطفال، وما سيأتي الآن هو مقارنة لأحد مفاهيم النظرية - وهو أفق انتظار القارئ- من الآلية الإجرائية التي توظف عملية تلقي الطفل للإنتاج الأدبي التي توظف المسمى نفسه، وهو «أفق الانتظار في أدب الأطفال» لكن بإسنادها إلى الطفل تحديداً لنوع المتلقي وتخصيصاً له، فكلما نالت عملية التلقي عند الطفل اهتماماً ودراسة وتفنيداً استطعنا وضع يدنا على الأدوات الملائمة والأقيسة الموضوعية التي قد ترتقي بأدب الأطفال، وتعمل على تحسين جودة الإنتاج الأدبي الموجه إلى الطفل؛ وعليه يمكن صياغة أفق الانتظار في أدب الأطفال استناداً على ما استعمله يابوس من أدوات إجرائية في تحديده «لأفق الانتظار» وذلك على النحو الآتي: «أفق انتظار الطفل يعني: ما يمتلكه الطفل المتلقي من خبرة واستعداد يمكنانه من تحديد موقفه من النص الأدبي الجديد»^(٢٧)، ولعل هذا التحديد يختلف في بعض مناحيه عن أفق الانتظار عند يابوس اختلافاً في البعد والمدى، لكنه لا يتعارض معه في مفهومه الكلي والمعنى العام، إذ مال التحديد لـ «أفق الانتظار في أدب الأطفال» إلى العمومية والاتساع، أما عند يابوس فقد انحصر الأفق في الأجناس الأدبية ومحتواها الموضوعي واللغوي، فضلاً عن أن الاحتفاء بالفروق بين لغة الأدب وخياله ولغة الحياة اليومية لم يظهر في تعريفنا،

بيد أن مفهومي الخبرة والاستعداد يقتضيان ما أشار إليه ياوس من الارتداد إلى آثار المتلقين عبر سلسلة التاريخ الأدبي، فالبعد الزمني السابق لاستقبال الطفل للنص هو المعتد به، لا لذاته إنما لما يحويه من تجارب وخبرات في التعامل مع النصوص الأدبية وإن كانت خبرات يسيرة وبسيطة، ويمكن تجاوزاً أن نطلق على هذا البعد الزمني مسمى «التاريخ الثقافي» في مقابل التاريخ الأدبي لأنه لا يرتبط بالأدب وحده وتمفصلاته، بل قد يشمل الأفق المعرفي والثقافي كذلك، وسيأتي تفسير ذلك حين الحديث عن عناصر هذه النظرية في أدب الأطفال، كما أن أفق الانتظار في أدب الأطفال لا تستقيم معه تلك الآلية التي اتبعتها ياوس في تقييم العمل الأدبي باعتماده على تجارب المتلقين عبر التاريخ في إدراك التجربة الأدبية الحالية، بل يتمركز أفق الانتظار في أدب الأطفال حول ذاتية الطفل، وما لديه من ماض قريب أو بعيد يعينه على فهم النص الأدبي الموجه إليه سواء في شكله أو مضامينه المعرفية والثقافية أولغته الأدبية، وتصويره الخيالي.

ومن هنا نستطيع أن نحدد تعريف أفق الانتظار في أدب الأطفال بإجراءين اثنين تضمنهما تعريفنا السابق لأفق انتظار الطفل، أحدهما: مكتسب والآخر فطري وهما: «الخبرة المكتسبة، والاستعداد الفطري» مع اختلاف مصادر تلك الخبرة في حياة الطفل وكذلك اتجاهاتها، ومع تطور استعدادات الطفل الفطرية ونموها مع تتابع مراحل الطفولة، ويمكن أن نؤسس -بناء على هذين الإجراءين- العناصر المشكلة لأفق الانتظار في أدب الأطفال، وهي على النحو الآتي:

أولاً: مستويات الممارسة السابقة لعملية التلقي الأدبي

ثانياً: الرصيد المعرفي

ثالثاً: الاستعداد المرحلي

رابعاً: التجارب الجمالية والخبرة الحياتية.

أولاً/ مستويات الممارسة السابقة لعملية التلقي الأدبي:

لقد جعل ياوس ممارسة الجمهور للنوع الأدبي عبر سلسلة التاريخ الأدبي وتعرفهم عليه أول العناصر التي ينهض عليها أفق الانتظار، وهذه الركيزة لا تنطلق عن فراغ ذهني لدى القارئ، بل من تراكم معرفي وخبرة بالأجناس الأدبية (قصيدة، مسرحية، قصة، مقالة...) فضلاً عما يتعلق به من إلمام معرفي أو ذخيرة تطبيقية آلية بمعايير كل جنس من هذه الأجناس، «وهذه الأمور لا يصرح بها النص، وإنما يكتشفها القارئ عندما تتم عملية التفاعل العميق بين القارئ والنص»^(٢٨).

إن خلق هذا النمط المتقدم من التمرس بالنوع الأدبي، والمعرفة السابقة للنص في تاريخه ولونه الأدبي عند ياوس لا يتحقق بالمهارة عينها مع المتلقي الطفل، لاسيما وأن حدود التلقي في أدب الأطفال محدودة بقدرات الطفل وإمكاناته التي تهيئه لفهم النص الأدبي المكتوب له ابتداءً، مما يعجز عن مجارة العمل الأدبي الموجه للكبار في عمقه وتمظهراته الفنية والإبداعية؛ وعليه يمكن رسم حدود ممارسة تلقي الأدب عند الطفل بالاكْتفاء باطلاعهم على النصوص الأدبية، اطلاعاً يتواءم مع طبيعة طور طفولته الزمني وما يتهيأ له في هذا الطور من أدوات وتجارب تمكنه من تصنيف النصوص الأدبية، وتمييزها عن الأنواع النصية الأخرى خارج دائرة الأدب؛ إذ يكفي وفاءً بمتطلبات هذا العنصر أن يتوافر لدى الأطفال أثناء تلقيهم للنصوص الأدبية الموجهة إليهم معرفة سابقة بأنماط أخرى من التأليف تركز على تحقيق اندماجه، وتعمل على استقطاب ذهنه وإثارة انفعاله، وهذه الخبرة السابقة مرتبطة بعمر الطفل الزمني فكلما تقدمت مراحل الطفولة تعين العمق والبعد في مستوى ممارسة التلقي الأدبي واتسعت تجارب القراءة الأدبية عند الطفل، إذ لا يمكن أن تتساوى ذخيرة الطفل من تجارب

التلقّي الأدبي عند طفل مرحلة الطفولة المبكرة الممتد بين الثالثة والخامسة من عمر الطفل، وعند طفل المرحلة المتأخرة من عمر الطفولة الذي جاوز عمره تسع سنوات.

وهذه الممارسة لعملية التلقّي الأدبية عند الطفل تشمل نوعين من الأدب:

١- الأدب العام. ٢- أدب الأطفال.

ولعل السؤال البدهي الذي سي طرح هنا هو: لماذا وسّعنا إطار العمل الأدبي في ممارسة الطفل لعملية التلقّي بحيث شملت أدب الأطفال وأدب الكبار، مع أننا بصدد وضع خطة لأفق انتظار في أدب الأطفال تميزه عن أفق الانتظار في أدب الكبار؟

والحق أن عملية تلقّي الطفل للنصوص في أدب الأطفال تختلف عن الأدوات التي تعينه على فهم نصوص أدب الأطفال، فالتلقّي والاستقبال مرحلة أولية أو ممهدة لعملية الإدراك والفهم، كما أن النص وهو أحد أقطاب الإبداع الأدبي في أدب الأطفال - مع قطبي المؤلف والمتلقّي الطفل - محكوم باشتراطات عدة سنّها ووضعها أدب الأطفال لبلورة جماليته وتطويعها، حتى تكون متوافقة مع طبيعة الطفل المتلقّي ومناسبة لاستعداد الطفل المرحلي وخبرته اليسيرة في كل طور، أما فهم الطفل لهذه النصوص فيرتد إلى تطور خبرته اليسيرة في الحياة وما يسفر عنها من معارف ومفاهيم، فضلا عن استعداده الفطري للفهم والإدراك الذي يتطور بتقدم مراحل الطفولة.

وحمولة أدب الأطفال من الجماليات الأدبية والأساليب الفنية والمفاهيم والمعاني الضمنية متعلقة بخصائص المرحلة العمرية المعنية بالتأليف، ولا يتجاوزها المؤلف إلا بمقدار مدروس أشارت إليه الدراسات النقدية في أدب الأطفال، بحيث يحتوي

النص على ما يساعد على استمرار استيعاب الطفل له واستقطاب حواسه وفق الحد الزمني لمرحلته العمرية، وهذا التناسب في التأليف للطفل بين مستوى النص الفني والمستوى العمري يأتي لضمان حسن الاستجابة والتأثر المفضيين إلى اندماجه مع النص وعدم شعوره بالملل من المتابعة أو النفور من ارتفاع مستواه.

بيد أن تغذية العملية التراكمية من الممارسة الأدبية بالأنواع الأدبية المطلوبة لتحقيق مفهوم أفق الانتظار لا تقتصر على ما يوجد به أدب الأطفال وحده من نصوص سابقة لعملية التلقي الحالية، حتى يتأسس رصيد تاريخي للطفل أثناء ممارسة فعل التلقي، وربما تهيأ للطفل ممارسات تلقى مع نصوص أدبية خارجة عن إطار أدب الأطفال، وبمعنى آخر إن الرصيد من خبرات الأجناس الأدبية في أفق الانتظار في أدب الأطفال قد يأتي من اطلاع الطفل على نصوص أدبية كُتبت في أصلها للكبار وليس للأطفال، ولا مرأى في أنها تصنف خارج أدب الأطفال إلا أن لها تأثيرها في جودة الممارسة في عملية التلقي، فهي مع نصوص أدب الأطفال تعملان على تغذية خبرات الأطفال بمستويات متعددة من الأعمال الأدبية تتفاوت في جودتها، فقد يستدعي أفق الانتظار في ذهن القارئ أشكال الأعمال السابقة وموضوعاتها لإجراء ضرب من المقارنة معها، وهو ما يعرف بـ«القدرة التناسبية وعلاقة العمل بغيره من الأعمال»^(٢٩)، وأدب الأطفال لا بد أن يحمل إلى الطفل المتلقي قدرًا من التصورات الجمالية والأدبية التي قد تتوافق في مستواها الإبداعي والجمالي مع ما قد مرّ بخبراته المحدودة من ممارسات تلقى سواء على مستوى أدب الأطفال أو على مستوى الأدب العام، وإن كان أدب الأطفال هو الأكثر مدًا للطفل بهذه الخبرات التطبيقية التفاعلية مع النصوص سواء الفنية أم الجمالية أو الفكرية إذا ما أحسن إنتاجه وصنعه فإن ذخيرته التطبيقية تتضاءل مع نصوص الأدب العام لصعوبة إدراك الطفل لسياقاتها اللغوية ومضامينها،

إذ تقتصر عملية تلقّي الطفل لها في الغالب الأعم على حدود الحفظ دون الفهم والإدراك، فتكون الاستفادة منها في زيادة معجمه اللغوي وحسب، وفي الحالين يكون أدب لأطفال وأدب الكبار معًا مصدرًا لزيادة ذخائر الطفل من الأعمال الأدبية، إلا أن المرجعية الرئيسة في تكوين أفق الانتظار تعود إلى ماسبق وتفاعل معه من نصوص أدب الأطفال أكثر مما تلقاه من نصوص أدب الكبار، ويصنف ذلك تحت ما يعرف بالفروق الفردية التي تختلف فيها حظوظ الأطفال.

و لم يعد من غير المؤلف أن نجد طفلًا لا يتجاوز مرحلة الطفولة المتوسطة -أي أن عمره لم يتخطَ الثماني سنوات من الطفولة- يحفظ معلقات شعرية، فهي ليست من الأدب المناسب له أو المكتوب له -أدب الأطفال- بل ضرب من اتساع ثقافة الطفل وكثافة المعرفة تدخل ضمن إطار الأدب العام، وربما يكون ذلك من جراء اهتمام الوالدين بمحفوظ الطفل الشعري ورغبتهم في ربط الطفل بموروثه الأدبي العام، والطفل -في حقيقة الأمر- قد لا يكون ملما بأساليب المعلقة الشعرية ومضامينها والمعايير الفنية لهذا الجنس الأدبي، ولعل معرفته بها تقتصر على الإدراك الكلي لجنسها ونوعها، سواء من ناحية مستواها اللغوي، أو طولها، أو مضامينها التي تتباين مع المحتوى الفكري المعهودة في مخاطبات أدب الأطفال له، وبهذا يشترك المصدران -الأثر الأدبي العام وأدب الأطفال- معًا في تشكيل أفق انتظاره؛ فيزداد محصوله اللفظي من محفوظه الشعري لدواوين الكبار، فهذا العنصر وهو الممارسة الأدبية لا يقف في تشكيله وفي تكوينه على أدب الأطفال، بل كل أنواع الأدب الراقية الموجهة للصغار والكبار تبلوره وتصلقه، لكنها ليست ملزمة، إذ إن سلوك المتلقّي الحقيقي من: تفاعل، واندماج يظل مقصورًا على أدب الأطفال مستمتعًا بجماليات نصوصه التي تتجانس مع استعداده، وتثري محصوله اللغوي والأدبي بشكل تدريجي.

ولا ريب في أن تفاوت مستويات الممارسات الأدبية السابقة عند الأطفال في عملية التلقي في أدب الأطفال يناظره تفاوت مماثل في تفاعل الطفل وتلقيه لنصوص أدب الأطفال المتميزة بالجودة والفنية العالية التي يستطيع الطفل إدراكها والاستمتاع بها.

ولقد فسر ياوس «جمالية نظرية التلقي» ووضح كيف أن هذه العملية «ذات وجهين أحدهما: الأثر الذي ينتجه العمل في القارئ و الآخر: كيفية استقبال القارئ لهذا العمل - أو استجابته له- فباستطاعة الجمهور -أو المرسل إليه- أن يستجيب للعمل الأدبي بطرق مختلفة، حيث يمكنه: الاكتفاء باستهلاكه، أو نقده، أو الاعجاب به، أو رفضه، أو الالتذاذ بشكله، أو تأويل مضمونه، أو تكرار تفسير له مسلم به، أو محاولة تفسير جديد له، كما يمكنه أن يستجيب للعمل بأن ينتج بنفسه عملاً جديداً»^(٣٠)، ولا يخرج موقف الطفل إزاء النص الجديد عن الخيارات التي حددها ياوس.

ولقد أشار (أحمد نجيب) في معرض حديثه عن مواقف الأشخاص من الأعمال الأدبية والفنية إلى أربعة أنماط من الشخصيات هي: **النوع الترابطي** الذي يقدر الإنتاج الفني من ناحية ما يثيره في ذهنه من ارتباطات وذكريات، **والنوع الفسيولوجي** الذي يزن الإنتاج الفني بمقدار تأثير هذا النتاج على النواحي: الجسمية، والحسية، والفسيولوجية عنده، **والنوع الاندماجي** الذي يندمج في الدور، وهو الذي يضع نفسه في الموقف، **والنوع الرابع الموضوعي** وهذا النوع من الأشخاص عنده خبرات متنوعة، وهو ينظر إلى الأمور نظرة موضوعية، ويحكم على الأمور حكماً واقعياً بلا تأثير كبير^(٣١)، وحدد نجيب نمط تفاعل الأطفال مع الأعمال الأدبية بقوله: «الأطفال أقرب ما يكونون إلى النوع

الاندماجي و أبعد ما يكونون عن النوع الموضوعي، وإن النوعين الباقيين يقعان في مكان متوسط بين الاندماجي والموضوعي»^(٣٢).

والنوع الاندماجي من الأطفال هو الذي يياشر ردود الأفعال التي حددها ياوس وهي: الإعجاب به أو رفضه، أو اللتذاذ بشكله أو تأويل مضمونه أو تكرار تفسير له مسلم به أو محاولة تفسير جديد له، أما نقده فرحلة من التفاعل نطمح أن يصل إليها الأطفال، وهي ليست متعذرة التحقق، لكنها تعتمد على الخبرة الأدبية لدى الطفل - التي تتفاوت نسيبًا بين الأطفال - وعلى تقدم عمره؛ فكلما تقدم عمر الطفل، واقترب من المرحلة الطفولة المتأخرة التي تتسع فيها آفاق خبرته، وتتطور استعداداته - أصبح متهيئًا لنقد العمل الأدبي؛ إذ يصبح أكثر قدرة على الاستمتاع بجماليات الفن والأدب قياسًا بالمراحل السابقة، وبالإمكان توجيه خيال الطفل في هذه المرحلة إلى: الرسم، والتشكيل، والتمثيل، والاستماع إلى القصص^(٣٣)؛ فهذه السن هي سن تربية الذوق الجمالي^(٣٤)، أما الاكتفاء باستهلاك الطفل المتلقي للنص، فهو مما لا يطمح إليه أدب الأطفال؛ لأنه يتخالف مع طبيعة الطفل، وحدثه مرتبط في الغالب بقلة خبرات الطفل.

وتفاعل الطفل مع النص الأدبي واندماجه مرحلة لاحقة يسبقها ما سماه ياوس بالعملية الجدلية «السؤال والجواب» فالطفل ذو الخبرات القرائية السابقة بالأدب ستسعه ذاكرته وأفق انتظاره بتناظرات أدبية وخيالية تساعده على إدراك النص الجديد وفهمه وتفسيره، كما أن وضع الاندماج أو التوحد مع النص وشعوره باللذة والمتعة الجمالية متعلق بنمط تفاعله مع النص؛ لذا يمكن تفسير رد فعل الطفل وسلوكه سواء أكان الاندماج أو الارتياح والرضاء أو الاكتفاء بالقياس على ما يعرف بالمسافة الجمالية، إذ أن «أفق انتظار الطفل» في أدب الأطفال - كما أشرنا آنفًا - ناجم عن تفاعل الذخيرة الجمالية من نصوص

سابقة أدبية مع نصوص وأعمال جديدة، ومستوى هذا التفاعل هو الذي يحدد درجة توافق ما لدى الطفل من الخبرات الجمالية الأدبية مع الموقف الأدبي في النص الجديد.

ثانيا/ الرصيد المعرفي:

يشكل الرصيد المعرفي للطفل أداة مهمة في تشكيل «أفق انتظار الطفل» في أدب الأطفال، إذ أن مكونات ذلك الاستعداد وتلك الخبرة المتعلقة بالزمن السابق في اللحظة التي يستقبل فيها الطفل النص ما هو إلا تراكم معرفي من: تجارب حياتية، واجتماعية، وثقافية، وتعليمية قد تكون ممنهجة أو تلقائية يتلقاها الطفل باستمرار، ولن تخرج حمولة النص الأدبي الموجهة إليه عن حدودها إلا فيما يتعلق بالمنهجيات المتبعة عند أدباء الأطفال في الارتقاء درجةً عن مستوى الخطاب لمرحلة الطفولة المعنية بالنص.

ومن هنا كان الأساس الذي يبنى عليه أدب الأطفال هو التناسب مع خبرات الاطفال ومعارفهم التي غالبًا ما تحددتها: المراجع التربوية، ودراسات علم نفس الطفل، ومراحل نموه، فالكاتب النموذجي أو المتمرس في مجال أدب الأطفال لا يركن إلى براعته الأدبية، واقتداره الفني في التأليف وحسب في أدب الأطفال، بل على معرفته كذلك بطرق التعامل مع ما يتنامى عند الطفل من مفاهيم وخبرات في مراحل الطفولة المتعاقبة، فضلاً عن رصده للأحداث والوقائع المتعلقة بالمجتمع العام أو بالعصر التي لا بد وأن الطفل قد تأثر بها أو أثرت عليه أو اطلع عليها عرضًا دون تأثر.

فالطفل يعتمد على ذاكرته وخبرته حين يكون في حال الجدلية المتبادلة مع النص أو ما سماه يابوس بالسؤال والجواب وما تمدانه به -أي الذاكرة والخبرة-

من المعارف والخبرات التعليمية وغير التعليمية التي تمكنه من إجراء تلك العلاقة التبادلية من الجدل، ويغذي هذا الرصيد المعرفي والثقافي عند الطفل مصادر عديدة تختلف بحسب اتجاه نمو الطفل الإدراكي والاجتماعي والمعرفي، وبحسب قوة المؤثر في حياة الطفل، من هذه المصادر: الأسرة، والبيئة القريية، والمدرسة، والأقران، وبيئة اللعب، والنوادي والمساجد، والمكتبات، ووسائل الإعلام، والوسائط الاجتماعية المتاحة، والوسائط المتعددة، ويمكن إيجاز بعض مجالات المعرفة التي لا بد أن يلم بها الطفل وفق استعداده الفطري والمكتسب في مراحل طفولته في النقاط الآتية: (٣٥)

- ما يناسبه من تعاليم دينه وفهمه لها، في الجوانب: العقائدية، والتشريعية، والعبادات، والمعاملات، والآداب، والأخلاقيات.
- تاريخ أمته، وتراثه، وكيفية المحافظة عليه.
- تجسيدات مفاهيم الحرية، والعدالة، والمساواة، والانتماء للوطن، والتعايش مع روح العصر، والعلاقة مع الآخر.
- المجتمع، ومقوماته، ومؤسساته، وما يتعلق بها من قيم وآداب وسلوكيات.
- قيمة العمل، واحترام المواعيد، وأهمية الادخار، وجدوى ترشيد الاستهلاك.
- بعض الحقائق، والنظريات العلمية، والاكتشافات الحديثة، والانجازات.
- بعض الأساليب الصحيحة للمحافظة على البيئة وحمائتها.
- وسائل المحافظة على الصحة والوقاية من الأمراض، وخطورة بعض العادات الضارة بالصحة، من مثل: التدخين، والمخدرات.

ثالثاً/ الاستعداد المرحلي:

إذا كانت الخبرات المعرفية التي يتلقاها الطفل خلال تعاقب مراحل طفولته لها عظيم الأثر في رسم ملامح أفق الانتظار لديه في أثناء التعامل مع النصوص الجديدة؛ فإن استيعاب هذه الخبرات واكتسابها مرتبط باستعداد الطفل الفطري لتقبلها من خلال منظومة من الخصائص: الفكرية، واللغوية، والوجدانية، والاجتماعية تميز مراحل الطفولة الأربع، وينعكس أثرها في تحديد ملامح أدب الأطفال المناسب لكل طور، وهذه المراحل على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة الرضاعة (أو مرحلة المهد):

تشمل هذه المرحلة السنتين - الأولى والثانية - من عمر الطفل، وتعد المظاهر العقلية لنمو الرضيع محدودة وبسيطة^(٣٦)، ووصف «جان بياجيه» ذكاء الطفل في هذا الطور بأنه حسي حركي^(٣٧). وتشهد ذاكرة الطفل تطوراً ملحوظاً في السنة الثانية من عمر الطفل؛ فيصبح قادراً على تمييز والديه^(٣٨).

ولعل التراقيص وأغاني المهد التي تقوم الأم أو من يحل محلها بترديدها على مسامع الطفل الرضيع هي الأكثر تلاءماً مع خصائص نمو هذه المرحلة؛ لما تتمتع به من توقيع موسيقي يأتيها من تجانس أجراس الحروف، والسجعات، ومن تصويت القافية المتكرر بين الأبيات والأشطر.

المرحلة الثانية: مرحلة الطفولة المبكرة:

وتشمل السنوات من الثالثة حتى الخامسة من عمر الطفل، وسميت هذه المرحلة بمرحلة (ما قبل المدرسة) ويطلق عليها أحياناً «مرحلة الحضانه»، ويتميز النمو العقلي في هذا الطور بصعوبة الإدراك الحسي للأشياء وعلاقتها.

ويلاحظ في هذه المرحلة نمو حاسة الإيقاع؛ إذ يفضل الطفل الإيقاع السريع^(٣٩)، ويطلق (جان بياجيه) على هذه المرحلة اسم «مرحلة الذكاء الحدسي»^(٤٠) وتعرف هذه المرحلة «بمرحلة ما قبل العمليات العقلية العليا»^(٤١)؛ وذلك لأن العمليات العقلية المنطقية وقوانين التفكير لم تتطور عند الطفل بعد^(٤٢)، كما يطلق على هذه المرحلة مرحلة «ما قبل المفاهيم»؛ فالأطفال لا يكونون بعد قادرين على صياغة المفاهيم كما يصوغها الأكبر سناً، كما يميل الأطفال في هذا الطور إلى تكوين بعض المفاهيم الحسية المرتبطة بالحجم والشكل، لكنه في المقابل لا يزال غير قادر على إدراك المفاهيم المجردة والمعاني الكلية^(٤٣).

ومن سمات هذا الطور سيطرة الأنوية أو ما يعرف بحب الذات على نمو الطفل إذ لا يعي وجهات نظر الآخرين، ومن جراء ذلك يخيم على تفكير لطفل ما يعرف بـ «الإحيائية والاصطناعية»^(٤٤)، أما ذكاؤه فيطرد نموه، فيصبح قادراً على إدراك العلاقات بعيداً عن التجريد^(٤٥)، كما يميل الطفل إلى التعميم ولكن في حدود ضيقة، كما يطغى الخيال في هذه المرحلة على الحقيقة ويختلط الواقع بالخيال، وهو ما يفسر جزءاً من أكاذيب الطفل، إذ هي لا تعدو كونها تخيلات وأحلاماً، لذا يتصف لعب الطفل بأنه «إيهامي أو خيالي».

ويمر التعبير اللغوي في سنوات الطفولة المبكرة بثلاث مراحل، وهي: «مرحلة الجملة القصيرة»^(٤٦)، ثم «مرحلة السؤال»^(٤٧)، ثم «مرحلة تكوين الجملة الكاملة»^(٤٨)، كما تتميز لغة الطفل في مرحلة الحضانة بالتجرد، إذ يستطيع الطفل أن يستخدم كلمات الجنس العام ويطلقها على كل ما يماثلها في سماتها الأساسية^(٤٩)، كما تتمركز لغة الطفل حول ذاته نتيجة لسيطرة الأنوية على تفكير الطفل^(٥٠).

أما النمو الانفعالي لأطفال مرحلة الطفولة المبكرة، فيتميز بالشدة والتنوع، والتقلب والانتقال من انفعال إلى آخر^(٥١)، حتى إن بعض علماء النفس أطلق على هذه المرحلة اسم «مرحلة الطفولة الصاخبة»^(٥٢).

ولاتزال التنشئة الاجتماعية للطفل محدودة في هذا الطور بالأسرة، ويتطور وعيه الاجتماعي حين يتحلى ببعض القيم الأخلاقية والمعايير السلوكية^(٥٣)، كما يلاحظ نمو الصداقة في هذا الطور بشكل ملحوظ.

والأدب المناسب لأطفال المرحلة المبكرة من الطفولة ينطلق من خصائص نمو الطفل الوجدانية والإدراكية والاجتماعية، إذ لا بد أن تكون الفكرة في هذه الأعمال الأدبية مقتبسة من مألوفات الطفل في هذا الطور، ومن الممكن إضفاء نوع من الحياة على الجوامد المألوفة، أو إنطاق الحيوانات والطيور بالكلام البشري تلبية لميول الطفل الإحيائية، وتظل القصص المصورة الأنسب لأطفال فترة الطفولة المبكرة، كما أن الأدب المحكي يتناسب مع قدرات طفل مرحلة الحضانه، ويميل الطفل في هذا الطور إلى الأناشيد الموجزة القابلة للرقص، والأداء بحركات إيقاعية منظمة، وتستهو به القصص الغنائية الإخبارية.

وتلبية لنزعة الطفل الذاتية فإن القصة الذاتية التي تُروى على لسان الطفل هي الأنسب لهذه السن: وجدانياً وعقلياً، ولغوياً، ولعل السمات الأسلوبية الرئيسية التي لا بد أن يتحلى بها أدب الأطفال الموجه إلى هذه المرحلة هي: بساطة المعاني، وقربها، والإيجاز في اللغة والتراكيب، وسهولتها، وقلة عدد كلماتها.

المرحلة الثالثة: مرحلة الطفولة المتوسطة:

تشمل مرحلة الطفولة المتوسطة السنوات ما بين السادسة و الثامنة من عمر الطفل، وهي تقابل الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية، وقد

يكون أهم ما يميز هذه المرحلة هو شروع الطفل بتعلم المهارات الأساسية للقراءة والكتابة^(٥٤).

ويتطور تفكير الطفل من الحسي نحو المجرد في مرحلة الطفولة المتوسطة؛ ويبدأ تفكيره باتخاذ الصبغة الواقعية^(٥٥) فينمو لديه التفكير الناقد، ويصبح حساساً تجاه نقد الآخرين^(٥٦)، كما يتسم تفكيره بالإدراك الكلي، أي: أنه يدرك الموضوعات من حيث هي كل، ولا يعنى كثيراً بالجزئيات التي تتركب منها هذه الموضوعات^(٥٧)، ومع أن انتباه الطفل يزيد، وكذلك مدته، وحدته، إلا أن الطفل في سن السادسة والسابعة لا يمكنه أن يركز انتباهه على موضوع معين مدة طويلة.

وطابع التمرکز حول الذات لا يزال مخيماً على الطفل في هذا الطور وهو ما يطبع معظم مفاهيمه بالبساطة، وإن كانت تشهد تقدماً تجاه: التعقد، والتجرد، والموضوعية مقارنة بسنوات طفولته السابقة^(٥٨).

وفي الطفولة المتوسطة يتسع قاموسه اللغوي؛ إذ تزداد مفرداته زيادة كبيرة مقارنة بالسنوات الماضية نتيجة لالتحاقه بالمدرسة، كما أن تقدم مداركه يتيح له فهم العديد من المصطلحات والمفاهيم التي سبق وأن مرت به، ويكتسب مصطلحات أخرى جديدة.

وتتجه انفعالات الطفل في هذا الطور نحو الاستقرار بدلاً من الانتقال من انفعال إلى آخر، كما يغدو للمدرسة دور مهم جداً في العملية الاجتماعية وصقل ميوله ومهاراته، وتهذب كثيراً من سلوكياته الاجتماعية وأخلاقه^(٥٩)، كما يظهر - بشكل جلي - تأثير جماعات اللعب على الطفل؛ فيتمثل بأرائها، ويأخذ بقراراتها^(٦٠).

ومرحلة الطفولة المتوسطة تتطلب نمطاً من الفن والأدب يتوافق مع خصائص الطفل النفسية والإدراكية، وربما يكون أول ما يلفت النظر من سمات أطفال هذه المرحلة ما يتمتعون به من: خيال مجنح، وحب سماع للقصص الخارقة القائمة على الإيهام، وتخيل الساحرات والعمالقة والملائكة والمخلوقات الغريبة؛ لهذا يجمع أكثر الأدباء على تسمية هذه المرحلة باسم «مرحلة الخيال الحر»، وعلى أدب الأطفال التعامل بحذر مع هذه الميول فلا يذكرها ولا يتجاهلها تماماً بل يحاول أن يسايرها بقطع أفق الاندماج أحياناً لربط الطفل بالواقع.

وعلى أدب الاطفال مراعاة أن الطفل أصبح أكثر إحساساً بالعدل ويطلب بتطبيق القوانين دون اعتبار للأسباب والظروف^(٦١)، فيعطي من وجود هذه القيم في النصوص.

ومرحلة الطفولة المتوسطة سن مناسبة لاشتراك الطفل في أداء تمثيلي مع زملائه الأطفال لاسيما أن تخلل هذا الأداء عنصر الفكاهة، ويقدر ما تُعجب الطفل الفكاهة والتسلية في مرحلة الطفولة المتوسطة- تجذبه كذلك الألغاز خاصة إن جاءت في قالب شعري يساعد الطفل على ترديده وتكراره وغنائه.

المرحلة الرابعة (والأخيرة): مرحلة الطفولة المتأخرة:

تمتد هذه المرحلة من سن التاسعة إلى سن الثانية عشرة من الطفولة، وهي بذلك تشمل الصفوف الثلاثة الأخيرة من المرحلة الابتدائية، وتتميز هذه المرحلة بنضج مدارك الطفل وتطورها مقارنة بالمراحل السابقة؛ فيصبح الطفل قادراً على إدراك التابع التاريخي للأحداث والترتيب الزمني لها^(٦٢).

يتطور تفكير الطفل في هذا الطور تطوراً ملحوظاً؛ فيصبح معتمداً على المفاهيم والمدرجات الكلية، كما يغدو قادراً على التعميم في أفكاره وأحكامه،

وتبرز قدرته في أواخر الطفولة على الابتكار^(٦٣)، وتبدو عليه كذلك بوادر التفكير الفرضي أي: الاستدلالي المنطقي، بمعنى أن التفكير يكون متجهاً نحو غاية وهدف معين يريد الطفل تحقيقه^(٦٤). ويدفعه حب الاستطلاع نحو البحث عن الحقيقة ومحاولة فهم مظاهر الطبيعة وإدراك ما يجري في بيئته من ظواهر وأحداث^(٦٥).

ويزداد مدى انتباه الطفل ومدته وحدته في المرحلة المتأخرة من الطفولة، أما خيال الطفل في هذه الفترة فيميل إلى الخيال الإبداعي التدوقي.

ويتعلم الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة: المعايير الخلقية، وقيم الخير والحق والشرف دون حاجة إلى الخبرة أو التطبيق العملي لجلاء غموضها^(٦٦)، كما يتسع معجمه اللغوي؛ وذلك لكثافة المفردات اللغوية التي أصبح الطفل قادراً على فهمها واستعمالها، ويصبح بإمكان الطفل في أواخر هذه المرحلة التمييز بين القدرات الكلامية والتعبيرات الشفهية، فضلاً عن قدرته على الجدل المنطقي^(٦٧).

ويشهد النمو الانفعالي لدى الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة نضجاً واتزاناً يميزه عن المراحل السابقة^(٦٨)، وإذا كان طفل الطور المتوسط يحب المرح فإن هذا الحب يزداد في مرحلة الطفولة المتأخرة حين يصبح الطفل أكثر قدرة على فهم النكت والطرائف^(٦٩).

ويتجه الطفل إلى التزود ببعض المعارف والمعلومات حول المهنة التي يجب مزاوتها من مثل: الطب، والطيران والتعليم، والهندسة^(٧٠). ولعل أهم ما يميز النمو الاجتماعي في مرحلة الطفولة المتأخرة هو توحيد الطفل مع الدور الجنسي المناسب له؛ فالذكور يكتسبون صفات الذكورة، وتكتسب الإناث صفات الأنوثة^(٧١)، أما أخطر ما يظهر في هذه السن فهو ما يعرف «بالتعصب»^(٧٢).

وعلى ضوء هذه الخصائص يمكن الوصول إلى بعض ملامح الأدب المناسب لأطفال هذا الطور، إذ يتعين تقديم القيم والمبادئ التي تكفل للطفل تعايشاً مع مجتمعه وأمته بعيداً عن مبالغات التعصب وجنوح التيارات المتطرفة، كما يتعين على نصوص أدب الأطفال إذكاء روح الاستقلال والشعور بالثقة في النفس، وكل ما من شأنه أن يساعد في إثراء الموضوع بنقاش أو جدال، ويؤدي إلى سوق الأدلة وإنماء الحس النقدي والثبات على الرأي، مع مراعاة الفروق بين الذكر والأنثى من الأطفال، وذلك فيما يقدم إليهم من أعمال فنية وأدبية.

ويُعد تقديم الموضوعات التاريخية ذات القوالب القصصية والنماذج البطولية المؤثرة من الأفكار المناسبة لمدارك أطفال المستوى المتأخر من الطفولة، من جراء ميلهم إلى تقمص شخصيات البطولة، وإلى اتخاذ المثل الأعلى والقودة.

وتعد هذه المرحلة من الطفولة هي سن الاستمتاع الفني؛ إذ يصبح بمقدوره الموازنة بين تعبير وآخر مرادف له وبين صورة خيالية وتعبير حقيقي، حيث تتطور مهارات الطفل اللغوية والقرائية، ويصبح أكثر قدرة على فهم معاني الرموز اللغوية المقروءة^(٧٣).

إن استعداد الطفل الفطري المتمثل في الخصائص والسمات السابقة التي ميزت أطوار نمو الطفل الأربعة هي التي تحدد طبيعة الأدب المناسب له في كل مرحلة، وهي التي تلزم الأديب في خطابه الأدبي الموجه للأطفال بمراعاتها والتوافق معها، وهي نفسها المعيار الذي على أساسه تتشكل عناصر أفق الطفل؛ فالممارسة الأدبية والرصيد المعرفي والخبرة تصدر عن الطفل الذي لا ينفك عن استعداداته المرحلية المتطورة التي تطبع مراحل نموه بتلك الخصائص والسمات ولا ينفصل عنها.

وإذا كان ياوس أراد من نظريته جمالية التلقّي الابتعاد عن التأثير النفسي في تعليل جمالية التلقّي؛ فإن أدب الأطفال يسترشد علم نفس الطفل في سير غور خصائص الطفولة المرحلية، لتشكيل مفهوم أفق الانتظار لدى الطفل، يسترفده ليس في صورة عامل مساعد بل هو الأساس والمنطلق في تشكل مفهوم أفق الانتظار في أدب الأطفال.

ولا يتقل علم النفس أدب الأطفال بالمعارف النفسية أو المفاهيم التربوية سواء في أثناء إبداع الأديب أو أثناء تلقّي الطفل؛ لأن البراعة تكمن في التوظيف والتطويع، بحيث يكون الظهور البارز لنظرات النقد واتجاهات الأدب وأفانينه الجميلة لكن تحت سطوة علم نفس الطفولة والاتجاهات التربوية، فكما أن الخبرة الاجتماعية والمجارة الحياتية لا تخرج العمل الأدبي عن دائرة الأدب إلى الدراسات الاجتماعية فإن أدب الأطفال لا يخرج - كذلك - علم النفس عن دائرة الأدب، بل يمكنه من تشكيل مفهومه ويسهل عليه تقنين إجراءاته ليتناسب مع طابعه في التلقّي.

رابعاً/ الخبرة الجمالية والخبرة الحياتية:

أو ما يعرف بالتعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية، وبين ما هو خيالي وواقعي، وهو ما فسره ياوس - حين تحدث عن تأثير هذا العنصر في تشكيل أفق الانتظار العامل - بقوله: «... يتضمن بالنسبة للقارئ إمكانية إدراك العمل الجديد وفق الأفق الضيق لتوقعه الأدبي، مقابلة بالأفق الواسع الذي توفره له تجربته في الحياة»^(٧٤).

ومع أن الواقع يشير إلى استخدام الأطفال في أحاديثهم لغة تختلف عن الكتابة، فهو ليس بمبرر لاستساغة استخدام العامية في خطاب الطفل الأدبي والثقافي؛ فانتشار العامية في حياتنا اليومية ليس لضعف في أساس لغتنا، وإنما

ضعف نتحمل جريرته في تقصيرنا في المحافظة على استخدامها في الأحوال كافة، ولعل أول الحلول يبدأ بتكثيف استخدام الفصحى في خطاب الطفل لاسيما الخطاب الرسمي عبر: الوسائط الأدبية والثقافية، ووسائل الإعلام، والمناهج التعليمية والتربوية.

والاعتداد في عملية التلقي والتفاعل للطفل لا يكون إلا بالنصوص ذات اللغة الفصيحة السليمة في مبانيها وتراكيبها، ولا مكان في أدب الاطفال للعامية.

ولا تتوقف قراءة المتلقي الجيد للعمل الأدبي عند حد استخلاص معنى باطن من معنى ظاهر؛ إذا لا بد أن يتمتع باستراتيجية خاصة به في القراءة تمكنه - كذلك - من صنع المعنى في إطار العملية الجدلية المتبادلة بين النص والقارئ في صورة أسئلة وأجوبة، وحتى يضطلع القارئ بمهمة صناعة المعنى في أثناء عملية التلقي يتعين على المبدع النهوض بمهمته في هذا الجانب التي تتمثل «في تحقيق انزياح عن المعنى المتعارف عليه لكون البنية النصية هنا خالية من الإبداع، وتكون الوظيفة اللغوية إبلاغية تداولية، أما انزياح المبدع عن المعنى التداولي فتكون الوظيفة اللغوية إبلاغية بلاغية تحتاج إعمال الذهن من لدن المتلقي للكشف عن شفرة النص، فينبغي على المبدع أن ينتقل إلى المستوى الذي يخلق اللغة الشعرية لأنها لغة لها وظيفة غير وظيفتها في الكلام المتداول»^(٧٥).

وتمييز الطفل للغة الشعرية عن الأخرى التداولية، وتفريقه بين التعبير الحقيقي والآخر المجازي لا يحصل له بصورة جلية إلا في مرحلة الطفولة المتأخرة، وهذا لا يعني مجافاة نصوص أدب الاطفال للغة الجميلة الإبداعية الموحية في المراحل الثلاث الأخرى، فمخاطبة الطفل بلغة أدبية جميلة قائمة على الإيجاء والتأثير مطلب رئيس في أدب الأطفال، وليس بجديد إذا قلنا بأن الأديب ملزم في

أدب الأطفال ببذل كل جهوده وخبراته الفنية والتربوية في محاولة تطويع تلك الجماليات لتناسب مع قدرات الطفل المتلقي في كل مرحلة من مراحل الطفولة.

وهنا يتضح أثر التجارب الأدبية السابقة التي مر بها الطفل في التعامل مع الأعمال الجديدة الموجهة إليه؛ فكلما مارس الطفل قدرًا من عمليات التذوق الفني للصور الخيالية والأساليب البلاغية التي يتقن الأديب توظيفها في أدب الأطفال، وزادت ذخيرة الطفل الجمالية، وألفته للغة الأدب الموحية - زاد استمتاعه بنصوص الأدب، وغدا أكثر قدرة على التفاعل معها.

وهذه الجهود الإبداعية التي يقوم بها الأديب في أدب الأطفال من إجادة في التأليف وفي التطويع على مستوى اللغة الأدبية ومقوماتها الجمالية على حد سواء؛ هي - مع بعض الوسائط - ما يضطلع بتأسيس معجم الطفل اللغوي والأدبي وتغذية أفق انتظاره؛ فيصبح بمقدوره التمييز بين اللغة المباشرة واللغة المؤثرة.

وتفاعل الطفل مع النص: إما بالتقبل أو الاندماج أو الرفض أو عدم التأثير مرتحن بالكاتب ومهارته في توظيف أدوات وأساليب اللغة وخصائصها ومقوماتها المباشرة وغير المباشرة في جذب انتباه الطفل، ولا يكفي أن يقدم الأديب للأطفال ما يتوافق مع خصائص نموهم المرحلية بحيث يجمد عند حد التناسب مع الطفولة وينتهي عنده، بل عليه أن يتجاوزها بخطوة؛ لإنشاء مجال للارتقاء بذائقة الطفل وتوسيع مداركه ولغته.

ولا يمكن التغاضي عن الدور الرئيس الذي تنهض به تجارب الطفل الاجتماعية وتربيته الأخلاقية والدينية ومعارفه في تكوين أفق انتظاره ورسم ردة فعله في أثناء عملية التلقي في أدب الأطفال، وهنا نردد ما أشار إليه ياوس من أن العمل الأدبي الجديد «لا يُتلقى ويحكم عليه فقط بتعارضه على خلفية

أشكال فنية أخرى، ولكن أيضا تبعًا لخلفية تجربة الحياة اليومية؛ مما يفرض على جمالية التلقي أن تتناول كذلك البعد الأخلاقي لوظيفة الأدب الاجتماعية بمنطق: السؤال والجواب، المعضلة والحل، كما يبدو في السياق التاريخي، تبعًا للأفق الذي يندرج فيه أثره»^(٧٦)، فالقارئ يعتمد إلى إجراء عدد من الموازنات في أثناء القراءة لفهم العمل الأدبي تبعًا لأفق توقع أوسع تشكله التجربة الحياتية للقارئ بما فيها من القيم والقوانين الاجتماعية وما يعتمل في ذاته من رغبات وطموحات «وفي هذا السياق يكتسب أفق التوقعات مغزى جديدًا»^(٧٧).

إذا لا يكتفي الطفل باسترفاد إرثه المعرفي والثقافي -على بساطته ومحدوديته- إبان قراءته للنص أو تلقيه له، بل إن تجاربه اليسيرة من قيم وسلوكيات وخبرات يسيرة ومعرفية في المرحلة العمرية التي يمثلها ستتعقد بينها وبين مضامين النص مستويات مختلفة من المقارنة والموازنة والمقاربة، وستكون مترامنة أيضا مع تلك الخبرات الأدبية والممارسات الجمالية التي شكلتها الأنواع الأدبية السابقة للحظة تلقيه النص الجديد، واستنادًا إلى درجة تأثيرها وهيمنتها سيتحدد رد فعل الطفل ومستوى تأثيره ودرجته ونوعه، «وبهذا يكون أفق التوقع مزدوجًا لدى ياوس، فهو أدبي اجتماعي، يمكن الافصاح عنه من خلال التوسل بهرمينوطيقية السؤال والجواب وفق تعبيره»^(٧٨)، إذ لا يقتصر تفسير العمل الأدبي أو تقييمه أو الانفعال به أو رفضه على العوامل الخارجية التي تعتد بالقراءات الخارجية المتعلقة برؤية المتلقي تجاه الأعمال المتناصبة مع العمل الجديد باعتبار التاريخ الأدبي لجنس النوع أو تشكيلات موضوعاته، بل تنهض ردة فعل القارئ -سواء أكان طفلًا أو راشدًا- بناء على رصيد خبراته في الحياة على اختلاف مشاربها، واتجاهاتها، ومستوياتها، فضلًا عن: ميوله، وانطباعاته، ورغباته، ومطامحه، وتكاد هذه الذاتية تسيطر على ردة فعل الأطفال وتفسيرهم سيطرة يتضاءل معها أثر الخبرة الأدبية،

لكون ذاتيتها جامعة للسلمات المكتسبة والفطرية في كل مرحلة من مراحل الطفولة، بينما المعرفة الأدبية تتعلق بمستوى رصيده الأدبي والفني من نصوص سابقة محكمة بظروف وملايسات عدة قد لا تتوافر لجميع الأطفال بالكثافة والنسبة ذاتها، فضلا عن سطوة انفعالات الطفل وطباعه الأنوية التي تسيطر على مراحل نموه فكريًا ولغويًا واجتماعيًا ووجدانيًا.

وهذه العناصر الأربعة هي التي تشكل مفهوم أفق الانتظار عند الأطفال إزاء نصوص أدب الأطفال المخاطبين به، وهي في معظمها لا تكاد تخرج عن العناصر التي وضعها ياوس في تحديده لمفهوم أفق الانتظار، إلا ما تطلبته خصوصية التلقي والخطاب في أدب الأطفال من: إعادة صياغة، وإلغاء، وزيادة؛ ليحصل التوافق والتساير من جهة، وليحتفظ أدب الأطفال بطبيعته المخصصة في الانتاج والتلقي.

المسافة الجمالية:

يتعلق مفهوم «أفق الانتظار» عند ياوس مع مفاهيم إجرائية أخرى منها: المسافة الجمالية، فقد حاول ياوس أن يهذب نظريته «جمالية التلقي»، فدعمها بمفهوم آخر هو مفهوم «المسافة الجمالية»، ويعني بها: «البعد القائم بين ظهور الأثر الأدبي نفسه وبين أفق انتظاره، ويمكن الحصول على هذه المسافة من خلال استقراء ردود أفعال القراء على الأثر، أي من خلال تلك الأحكام النقدية التي يطلقونها»^(٧٩).

تسمى المسافة الجمالية أيضا بمسمى «بؤرة التوتر»، وكذلك «بالانزياح الجمالي» الذي على أساسه تقاس درجة الأصالة ويُعدت بقيمة العمل الفنية «فالمهم أن يكون مقياسًا للتلقي عبر التاريخ بمعنى أن يكون مقياسًا لدرجة

الأصالة والقيمة الفنية في كل نص جديد»^(٨٠)، فارتباط عملية بناء أفق انتظار المتلقين يقتضي - كما ذكرنا آنفًا - الوقوف عند المقاييس والمعايير الداخلية والخارجية التي استخدمها المتلقون في استقبالهم للعمل الأدبي، وفيما جرى من جدلية بين النص وقارئه؛ وهذا يقتضي بوجه من الوجوه تفسير طبيعة التأثير أو الجدلية بحيث ينجلي على أساسه مدى التخييب للأفق ومستواه أو قدر الاستجابة له، فحينما يتفاجأ الجمهور المعاصر للعمل الأدبي بوجود مسافة بين أفق الانتظار السائد وبين الأفق المستحدث في العمل الجديد - فإنهم تلقائيًا يندفعون إلى القيام بردود أفعال مختلفة وفق تلك المسافة الفاصلة من مثل: رفض العمل، أو الاعتراف به، أو التسليم به والانتهاه عنده، أو الإعجاب به، أو فهمه على نحو تدريجي، فبحسب ردود الأفعال تقاس درجة جمالية العمل الأدبي.

وتقاس المسافة الفاصلة بين أفق انتظار الطفل والنص بما يعتمل فيها من: توتر، وانزياحات جمالية، وأحوال جدل تعمل كلها على تفسير عملية التأثير والتفاعل، وهذه الأنماط التفاعلية ومستوياتها هي المعيار في تحديد المسافة الجمالية وما يترتب عليها من توافق مع أفق الانتظار أو تخييب أو تغيير، وهي بالتالي المعيار الذي يستند إليه في الحكم على النص وجماليته.

و تعريجيًا على ماسبق فإن أفق الانتظار في عملية التلقي عند الأطفال، سيكون في ثلاثة مستويات أو ثلاث درجات، وهي:

١- الاستجابة بين أفق النص وأفق الانتظار:

يتكون نمط الاستجابة أو وضع التوافق بين أفق النص وأفق انتظار القارئ من التوافق بينهما، إذ يتطابق العمل الجديد مع أفق انتظار الطفل المتألف مما يملكه من رصيد سابق له في مطالعة أعمال أدبية أو ما لديه من خبرة حياتية

تشكل مفاهيمه وقيمه، فضلاً عن استعداداته الفطرية وميوله الذاتية؛ فيأتي النص متطابقاً معها ومتماثلاً، وهذا يعني أن النص الأدبي قد يتلاءم مع متطلبات الطفولة واحتياجاتها؛ فلا يشعر الطفل بتغيير أو شذوذ يجعله في موضع غير المتقبل للنص بسبب ارتفاع مستواه اللغوي أو عدم تقبله لمضامينه أو عدم توافقه مع اهتماماته الذاتية، فإنتاج ثقافة الطفل أو أدبه «مسألة علمية تقوم على دراسة خصائص: الطفولة، واحتياجاتها وقدراتها، وميولها، وتزداد فعالية الوسائط الثقافية بمقدار تلاؤمها مع هذه الخصائص وتبنيها لهذه الاحتياجات»^(٨١) أما على المستوى النقدي والأدبي فقد يؤول مثل هذا التوافق بالنص إلى التكرار أو عدم تقديم جديد نظراً لعدم مده سلسلة التلقّي التاريخية بجديد.

وقد أطلق ياوس على هذا النمط من التجاوب بين أفق التلقّي وأفق النص المقروء «اندماج الأفق»، حيث تتطابق العلاقة بين الانتظارات الأولى التاريخية للأعمال الأدبية، والانتظارات المعاصرة التي قد يحصل معها نوع من التجاوب، وهو اندماج تنعدم فيه المسافة الجمالية «وتكون عملية القراءة أقل فاعلية في إحداث عملية التفاعل»^(٨٢).

٢- خيبة الانتظار:

في هذا الضرب من التفاعل بين المتلقّي الطفل والعمل الأدبي يخيب ظن المتلقّي في مطابقة معاييرها التي اكتسبها من إبداعات سابقة؛ بسبب انزياح الكاتب عن الأسلوب الذي تعود الطفل على فهمه وإدراكه من نصوص أدبية سابقة، وهذه الخيبة لها مصادرها في أدب الأطفال، تقوم في جُلّها على عدم اتساق النص مع مستويات الطفولة بشكل يحول دون تفاعل الطفل معه، وقد يعود ذلك لأحد الأحوال الآتية:

- ارتفاع المستوى اللغوي والأسلوبي للنص على المستوى العمري للطفل
- عدم توافق محتوى النص مع قدرات المرحلة العمرية الموجه لها أو اهتماماتها، سواء بميله إلى السذاجة والبساطة؛ فيشعر الطفل بأن النص من لوازم الأطفال الأصغر سنًا، أو بتضمين النص قيمًا وأفكارًا عالية في تجريدها تناسب مرحلة متقدمة من الطفولة؛ فينفر الطفل من النص جراء شعوره بالعجز والضعف عن استيعاب أفكار النص.
- اتجاه النص إلى إثارة انفعالات لا تناسب الطفل أو تثير فيه الرعب والقلق، من مثل: المغالاة في تصوير مشاهد القتل والدماء، والمبالغة في إضفاء صفات التشوه الجسدي على الشخصيات التي تجسد مواقف الشر في القصة، وتضمين النص مشاعر الهوى المشبوب وانفعالات الحب الحادة.
- طغيان أسلوب الوعظ والإرشاد المباشرين على النص.
- طول النص وكثافته بشكل لا يناسب مرحلة الطفولة.

إن الأساليب السابقة قد تؤدي إلى تخييب أفق انتظار الطفل لكونها لا تتناسب مع نمط التأليف الملزم به الخطاب الأدبي الموجه للأطفال، كما أنها لا تتوافق مع خبرات الطفل الحياتية ولا أفق توقعه المعرفي والاجتماعي، فضلًا عن أنها تتنافر مع ميوله واستعداداته الذاتية.

وقد تتخلل أنماط التفاعل بين الطفل والنص حالات من التجاوب النسبي مع تخطي النص لأفق انتظار الطفل اللغوي، وتفسير ذلك قد يُرد إلى ما يعرف بالفروق الفردية التي تمكن بعض الأطفال من التفاعل مع نص أعلى في أسلوبه ولغته من مستوى الطفل، ولقد سبقت الإشارة إلى أثر الفروق الفردية في عملية التلقي عند الأطفال، فحمولة أفق الانتظار اللغوية والأدبية عند الطفل المتميز

أعلى في مستواها اللغوي من مكونات أقرانه، فلربما تهيأ له من الأسباب ما مكن من زيادة حصيلته من محفوظ الشعر العربي أو نصوص الأدب بشكل عام، فتوافرت له فرصة تفاعل مع النص دون أقرانه الآخرين، فأصيب أفق انتظارهم بالخيبة، وبالمقابل وجد هو في النص ما يتوافق مع قدراته، ويساعده على الاندماج.

ومن الأسباب السابقة التي قد تؤدي إلى خيبة انتظار الطفل ما ليس للفروق الفردية سبيل في الحؤول دون خيبة الانتظار، من مثل ما قد يتخلل نصوص أدب الأطفال من أساليب: كأسلوب الوعظ والإرشاد، والأسلوب التعليمي، والصور المجسمة للمشاهد المؤلمة والمرعبة، والهوى المشبوب والعواطف الحادة. فإذا انطوى النص على مثلها فهي كفييلة بإخراج النص عن دائرة أدب الاطفال، لا مجرد تخيب أفق انتظار الطفل.

ج- علاقة التغيير (بناء أفق جديد):

ينهض مفهوم تغيير الأفق على: «التعارض الذي يحصل للقارئ أثناء مباشرته النص الأدبي بمجموعة من المرجعيات الفنية والثقافية، ويبين عدم استجابة القارئ للتوقعات؛ ومن ثم محاولته بناء أفق جديد، عن طريق اكتساب وعي جديد»^(٨٣)، ففي هذا الضرب من التلقي تكون خيبة الانتظار مرحلة سابقة تليها مرحلة بناء الأفق الجديد الذي عرفته (بشرى سالم) بقولها: «مفهوم يشيده المتلقي لقياس التغيرات أو التبدلات التي تطرأ على بنية التلقي عبر التاريخ»^(٨٤).

وتغيير أفق الانتظار عند المتلقي ينتج عنه اتجاهان أساسيان: إما أن يعمل على تعديل سلوك المتلقي، وعاداته؛ فينزاح أفق انتظاره نحو تصور مغاير أو جديد، وهو أرفع مستوى يصل إليه القارئ، وإما أن يؤدي بالجمهور المعاصر إلى

رفض مطلق أو استنكار واضح للعمل الأدبي^(٨٥)، وهذا الأخير هو الذي تحدثنا عنه سابقاً تحت مفهوم «خيبة الانتظار»، والاتجاهان: التغيير أو الاستنكار ينطبقان على أدب الأطفال كما في أدب الكبار، بل إن أدب الأطفال قد يقنن للأدباء الآلية في تخطي أفق انتظار الطفل من خلال اتباع بعض الأساليب التي لا تجعل النص في انطباق لغوي تام مع مستوى الطفولة المعني بالخطاب، بغية النهوض بذائقة الطفل والارتقاء بقدراته، وذلك حينما حُدد للأديب ما نسبته خمسة في المائة (٥٪) من عدد الكلمات الجديدة بالنسبة للطفل في الصفحة الواحدة^(٨٦)، بغض النظر عن مفهوم جدتها، سواء أكان من خلال طرقها لمسامع الطفل لأول مرة، أو من جراء ارتفاع مستواها التجريدي عن مرحلة الطفولة المعنية بالخطاب، أو لعدم ألفتها في محيط الطفل الاجتماعي والبيئي في تلك المرحلة.

ففي الوقت الذي ينادي المربون والمهتمون بالطفولة بتقديم اللغة المناسبة لمستوى الطفل العقلي - فإن غالبيتهم يشجعون على تقديم المزيد من الألفاظ الجديدة التي تفوق مستوى الطفل العقلي حتى يستطيع أن يثري حصيلته اللغوية درجة درجة^(٨٧)، وهذا المعيار الكمي قد يكسر أفق توقعات الطفل إلا أنه ينتقل به إلى آفاق جديدة تزيد من حصيلته اللغوية بشكل متجانس مع قدراته الإدراكية واللغوية، وقد يمتلك بعض أدباء الأطفال اقتداراً لا يتأتى لغيرهم في جذب انتباه الطفل وبالتالي اندماجه مع النص مع أنهم تجاوزوا حد التتابع بين أفق النص وأفق انتظار الطفل، فيضمنون نصوص الأطفال الأساليب والسياقات المتعددة، من: إيجاءات، ومعان مألوفة، وصور جذابة تسترعي انتباه الأطفال، وتعمل على جذبهم واستقطابهم، وفي خضم هذه الإثارة الانفعالية يمكن الطفل من الاندماج مع النص، والظفر بما يساعده على فهم تجريد بعض الحقائق وإدراك ما استغل عليه فهمه من المعاني.

والتغيير في الأفق يحدث لكلا الطرفين المنتج الذي أنتج شيئاً مغايراً يتباين عما قد اعتاد عليه القارئ، والمتلقي الذي خاب أفق انتظاره وعليه بناء أفق يلائم خيبة انتظاره في الظهور الأول للإنتاج، وإلا انقطع الاتصال بين الطرفين^(٨٨)، فبناء أفق انتظار جديد قد لا يأتي من خلال النص بل قد ينجم عن مغادرة المتلقي حدود واقعه المعرفي إلى وعي جديد لا يتطابق مع النص الراهن؛ فيكون المتلقي هو الصائغ لهذه المعرفة، وهو المصدر لهذه الأحكام، وقد يستقيم ويسري الوضع بشكل مألوف في غير أدب الأطفال.

ويقرر ياوس في تفسيره لعملية التلقي أن الجودة في العمل الأدبي هي معيار الجمال، ولقد حاول (روبرت هولب) أن يلتمس لياوس مبررات في هذا الحكم بقوله: «إن تأكيد الجودة يبدو أنه جانب من التحيز المحدث الذي يرجع في أغلب الظن إلى توغل آليات السوق في المجال الجمالي، لقد كانت الأصالة والعبقرية وافدين جديدين إلى قائمة التصنيفات التقييمية المفضلة، ومن المحتمل أن يكون التغيير الذي اكتسح نظام الإنتاج - من الإقطاع بتأكيده لنظام الطبقيّة وانتظام الأمور، والتكرار، إلى الرأسمالية بإيديولوجيتها الخاصة بالمهارة، وحاجتها إلى تثوير الإنتاج على الدوام - قد أدى دوراً واسع النطاق كذلك في مجال إبداع الفن وتلقيه»^(٨٩)، وإذا كانت «نظرية جمالية التلقي» عند ياوس قد اعتدت بالجدة مقياساً، في عزوها جمال الأعمال الأدبية إلى مدى قدرة المتلقي على بناء أفق جديد من منظوره وإرثه، فإن أدب الأطفال قد لا يوظف المقياس عينه،، فبناء أفق جديد في أدب الأطفال سواء أكان ناجماً عن انزياح النص الجمالي أو تجاوز أفق انتظار الطفل لا يعنى انتفاء الجمال عما دون ذلك المقياس، فلا ريب أن الجودة مندوحة لاسيما وأنها تشي بولادة ناقد أدبي من الأطفال قادر على مجازاة الأدباء وتخطيهم، لكنه وضع عالي المثالية من الصعب تحقيقه على

الدوام، كما أن تكلفه كأحد مقاييس أو مقومات جمال نصوص أدب الأطفال قد يسفر عن نتائج عكسية منها: نفور الأطفال من نصوص أدب الأطفال لشعورهم بالعجز عن تتبع جمالياتها على النحو المطلوب، كما أن إصدار الحكم النقدي ليس من مستويات الإرسال الرئيسة عند الطفل المتلقي - كما سبقت الإشارة- ولا يتحقق إلا من قبيل الفروق الفردية عند بعض المتلقين الأطفال.

ومن هنا يمكن القول بأن التعويل في فهم العلاقة التفاعلية بين أفق انتظار الطفل والنص سيقصر على التأثير والاندماج الذي يمارسه الطفل - إذا ما توافر الوضع المثالي بالنسبة لعناصر العمل الأدبي من: كاتب مبدع، ونص مؤثر جيد- وأن عدم الجدة لا يعنى انتفاء الجمال عن هذه العلاقة، بل هي براعة واقتدار تحسب للأديب الذي تمكن من مجازاة أفق انتظار الطفل بتلبية استعدادته الفطرية ومكتسباته ورؤاه وأحلامه؛ وهو بذلك حقق الهدف المرجو منه، فتطبيق أدوات نظرية جمالية التلقي عند ياوس في نصوص أدب الأطفال قد لا تلتقي في الإجراءات نفسها والغايات ذاتها مع إعمالها في أدب الأطفال إلا أن أهميتها تكمن في كونها ضابطاً ملزماً تتحدد على ضوءه متطلبات عملية التلقي ولوازمها عند الطفل، فيكون الأديب ملزماً بمراعاتها والأخذ بما يحققها وعدم الحيدة عنها لضمان تفاعل الطفل معها على النحو المرجو.

الخاتمة:

لقد حاولت هذه الدراسة أن تجد لها موضعًا في التيار الماد من الدراسات النقدية التي هي عرضة لقانون: الظهور والخفوت، والنقاش، والأخذ، والرد، وذلك بإجرائها لأدب الأطفال - مع ماله من خصوصية في إبداعه وتلقيه - في ميدان نظرية جمالية التلقّي، واعتمادها مفهوم «أفق التلقّي عند ياوس» أداة مقارنة بين حقلي أدب الأطفال وأدب الكبار، وعليه يمكن الخروج ببعض النتائج والتوصيات من مثل:

- ليس من الصعب أن يجاري أدب الأطفال نظريات النقد الأدبي، ولكن الإجراء الصحيح هو أن تكون المعالجة متاخمة لخصائص الطفولة وسماتها.

- ألا تقف المجازاة بين الدراسات المتعلقة بأدب الأطفال ونظريات النقد الأدبي العامة عند حدود التطبيق والتحليل في ضلال منها، بل تدخل معترك التنظير والتقنين؛ حتى يتأصل مفهوم الإبداع الأدبي في مجال أدب الأطفال مثلما تطور في الأدب العام.

- ضمان جودة عملية التلقّي في أدب الأطفال مرتّنهٌ بجمال الإبداع للطفل وجودة الخطاب الأدبي الموجه له، فمن خلال هذه التراكمات الإبداعية يتطور إدراك الطفل المتلقّي للأدب وتنمو ذائقتَه الأدبية التي تهيئه إلى مستوى متقدم في عملية التلقّي.

- تساوق المفهومين: أفق الانتظار عند ياوس، وأفق انتظار الطفل في أدب الأطفال يكون في المنظور الكلي لنظرية التلقّي، ويفترقان في خصوصية التلقّي المتعلقة بالأدوات والإجراءات.

- تباين درجات الجودة في المنجزين: النقدي وأدب الأطفال، ففي الوقت الذي يرى ياوس أن سمة الجمال والإبداع تنتهي بأن يبتكر القارئ أفقًا جديدًا يُتمّ به سلسلة القراءة التاريخية- فإن أدب الأطفال يرى الجودة في حدوث الاندماج والتأثر من المتلقي الطفل، أما ابتكار معنى جديد فهو من قبيل الاستثناء والتفرد، كما أن الخروج بنظرات نقدية لا يتوافق مع استعداد الطفل الذي يخيم عليه التلقي أكثر من الإرسال.

- عنيت هذه الدراسة بمحاولة المقاربة مع رائد نظرية جمالية التلقي الأول (ياوس)، لكن ميدان الدراسات الجمالية والنقدية بوجه عام لا يزال بحاجة إلى دراسة عملية التلقي عند الأطفال من خلال رؤية الرائد الثاني لنظرية جمالية التلقي (وفولفانج أيزر).

الهوامش والتعليقات:

- (١) نظرية التلقّي مقدمة نقدية، روبرت هولب: ٩.
- (٢) المقامات والتلقّي، نادر كاظم: ٦٤.
- (٣) تلقّي في النقد العربي، مراد فطوم: ٥.
- (٤) جمالية التلقّي، ياوس: ١٠١.
- (٥) فعل القراءة، أيزر: ٧.
- (٦) المسافة الجمالية في مسرح الطفل، حبيب ظاهر: ٢٢٩.
- (٧) تأثير جمالية التلقّي الألمانية في النقد العربي، علي بخوش: ٧.
- (٨) نظرية التلقّي مقدمة نقدية، روبرت هولب: ١٠٤.
- (٩) نظرية الاستقبال مقدمة نظرية، روبرت سي هول: ٧٧.
- (١٠) مقولات نظرية التلقّي بين المرجعيات المعرفية والممارسة الإجرائية، محمد عبد البشير: ٧.
- (١١) التلقّي في النقد العربي: مراد حسن فطوم: ٣٣.
- (١٢) الأصول المعرفية لنظرية التلقّي، ناظم خضر: ١٣٨.
- (١٣) المرجع السابق: ١٣٨.
- (١٤) مفهومات نظرية القراءة والتلقّي، خالد علي وربي عبد الرضا: ١٦٧.
- (١٥) الرواية من منظور نظرية التلقّي مع نموذج تحليلي حول رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ، سعيد عمري: ٣٣.
- (١٦) تأثير جمالية التلقّي الألمانية في النقد العربي، علي بخوش: ٨.
- (١٧) نظرية التلقّي مقدمة نقدية، روبرت هولب: ٩٧.
- (١٨) المرجع السابق: ١٠٣.
- (١٩) مفهومات نظرية القراءة والتلقّي، خالد علي وربي عبدالرضا: ١٦٨.
- (٢٠) قراءة الآخر، قراءة الأنا، حسن البنا: ٢٨.
- (٢١) المرجع السابق: ٢٨.
- (٢٢) نظرية التلقّي مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة عزالدين اسماعيل: ٩٧.
- (٢٣) قراءة الآخر، قراءة الأنا، حسن البنا: ٢٨ - ٢٩.
- (٢٤) التلقّي في العرض المسرحي، سها طه سالم: ٥٩٤.
- (٢٥) أدب الأطفال دراسة في المفهوم، د. ناصر شبانة: ٣٣.

- (٢٦) استناداً إلى التصريف المعجمي لكلمة (طفل) فالصبي يسمى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم. لسان العرب للعلامة ابن منظور،: ٨ / ١٧٤ (الطفل).
- (٢٧) اجتهدت في سياق المفهوم بناء على استقراي لمفهوم ياوس في أفق الانتظار، وعلى خصوصية التأليف والإبداع في أدب الأطفال.
- (٢٨) مفهومات نظرية القراءة والتلقي، خالد علي و ربي عبد الرضا: ١٦٩.
- (٢٩) كسر أفق التوقع في الشعر الجاهلي، إخلاص عيدان: ٢٥٤.
- (٣٠) جمالية التلقي، ياوس: ١١٠.
- (٣١) أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب: ٦١-٦٣.
- (٣٢) المرجع السابق: ٦٣.
- (٣٣) علم نفس النمو،. حامد زهران: ٢٧١ / علم نفس النمو، مريم سليم: ٣٣٠.
- (٣٤) تربية الذوق الجمالي هو: تميؤ الطفل للانفعال بالجمال ومظاهره من خلال تربية متوازنة تنمي المدركات الحسية، وذلك بتدريب ملكة الإحساس على التذوق الفني وتمييز عناصره داخل المدرسة وخارجها.
- معجم الطفولة، أحمد زلط: ٨٣ (تربية الذوق الجمالي Education of aesthetic).
- (٣٥) أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سميرة عبدالوهاب: ١٢٧.
- (٣٦) الأسس النفسية للنمو، فؤاد السيد: ١٤١ / علم نفس النمو، حامد زهران: ١٣٠.
- (٣٧) تطور الطفل عند بياجيه، غسان يعقوب، ٧٢-٧٣.
- (٣٨) علم نفس النمو، حامد زهران: ١٦٨.
- (٣٩) المرجع السابق: ٢٠٢.
- (٤٠) تطور الطفل عند بياجيه، غسان يعقوب: ٧٩.
- (٤١) التفكير عند الأطفال تطوره وطرق تعليمه، محمود غانم: ٨٧ / علم نفس النمو، مريم سليم: ٢٦٤.
- (٤٢) علم نفس الطفولة، عبد المجيد منصور وزكريا الشربيني: ٢٤٦ / علم نفس النمو، مريم سليم: ٢٦٦.
- (٤٣) علم نفس النمو، حامد زهران: ٢٠٤ / النمو الإنساني، محمود عطا: ١٥١.
- (٤٤) تطور الطفل عند بياجيه، غسان يعقوب: ٢٠، ٢٣ / التفكير عن الأطفال، محمود غانم: ٨٨. الإحيائية إضفاء الحياة على الأشياء من حوله، أما الاصطناعية فالمقصود بها: أن كل شيء مصنوع من كذا أو بواسطة كذا.

- (٤٥) علم نفس النمو، حامد زهران: ٢٠٤.
- (٤٦) تطور اللغة، عبدالرحيم صالح: ١٣١-١٣٢ / علم نفس النمو، حامد زهران: ٢٠٩ / نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، علي وافي: ١٨٨.
- (٤٧) تطور اللغة، د. عبدالرحيم صالح: ١٣٦-١٣٧.
- (٤٨) المرجع السابق: ١٣٨ / علم نفس النمو، حامد زهران: ٢١٠.
- (٤٩) علم النفس التكويني، صباح حنا و يوسف حنا: ٢١٣ - ٢١٤.
- (٥٠) تطور اللغة، د. عبد الرحيم صالح: ١٤٤.
- (٥١) الأسس النفسية للخبرات التربوية وتطبيقاتها لتعلم وتعليم الأطفال، نادية شريف: ٣٣٠.
- (٥٢) علم نفس النمو، هشام مخيمر: ١١٠.
- (٥٣) علم نفس النمو، حامد زهران: ٢١٧.
- (٥٤) علم نفس النمو، د. حامد زهران: ٢٤٤ / علم نفس النمو، هشام مخيمر: ١٣٤.
- (٥٥) علم نفس النمو، هشام مخيمر: ١٣٣ / النمو النفسي للطفل والمراهق، محمد زيدان: ١٣٥.
- (٥٦) علم نفس النمو، حامد زهران: ٢٤٥.
- (٥٧) النمو النفسي للطفل والمراهق، محمد زيدان: ١٣٥.
- (٥٨) علم نفس النمو، حامد زهران: ٢٤٥.
- (٥٩) علم نفس النمو، مريم سليم: ٣٤٥، ٣٤٧ / النمو النفسي للطفل والمراهق، محمد زيدان: ١٣٧.
- (٦٠) علم النفس التكويني، صباح حنا، ويوسف حنا: ٤٢١.
- (٦١) أدب الطفل وحاجاته وخصائصه ووظائفه في العملية التعليمية، هدى قناوي: ١٣٥.
- (٦٢) علم نفس النمو، حامد زهران: ٢٧٠.
- (٦٣) المرجع السابق: ٢٧١، ٢٧٠.
- (٦٤) علم نفس النمو، د. مريم سليم: ٣٢٩.
- (٦٥) علم النفس التربوي، عبدالحميد جابر: ١١٩.
- (٦٦) علم نفس النمو، د. حامد زهران: ٢٧١.
- (٦٧) تطور الطفل عند بياجيه، غسان يعقوب: ٨٤ / تطور لغة الطفل، عبدالكريم الخلايلة: ٧٨ / علم نفس النمو، د. حامد زهران: ٢٧٤، ٢٧١.
- (٦٨) علم نفس النمو، حامد زهران: ٢٧٥ / النمو الانفعالي عند الأطفال، مفيد حواشين و زيدان حواشين: ٢٧ / ١٤٠.

- (٦٩) علم نفس النمو، حامد زهران: ٢٧٥ / النمو النفسي للطفل والمراهق، محمد زيدان: ١٤٠.
- (٧٠) علم نفس النمو، حامد زهران: ٢٧٧ / النمو النفسي للطفل والمراهق، محمد زيدان: ١٤٢.
- (٧١) علم النفس التربوي، جابر عبد الحميد: ١١٦ / علم نفس النمو، د. حامد زهران: ٢٧٧.
- (٧٢) علم نفس النمو، حامد زهران: ٢٧٩-٢٨٠.
- التعصب: اتجاه نفسي مشحون انفعاليا نحو أو ضد جماعة أو فكرة معينة.
- (٧٣) أدب الأطفال، د. هادي الهيبي: ٤٣.
- (٧٤) أفق التوقع عند يابوس مابين الجمالية والتاريخ، خير الدين دعيش: ٧٩.
- (٧٥) مفهومات نظرية القراءة والتلقي، خالد علي و ربي عبد الرضا: ١٦٩.
- (٧٦) جمالية التلقي، يابوس: ٦٦.
- (٧٧) نظرية التلقي مقدمة نقدية، روبرت هولب: ١١٦.
- (٧٨) سياق التلقي وتاريخ الأدب عند يابوس، نضال القصيري: ٦٩.
- (٧٩) تأثير جمالية التلقي الألمانية في النقد العربي، علي بخوش ١٣.
- (٨٠) مفهومات نظرية القراءة والتلقي، خالد علي و ربي عبد الرضا: ١٧٢.
- (٨١) مريم سليم أدب الطفل وثقافته، مريم سليم: ٤٤.
- (٨٢) مفهومات نظرية القراءة والتلقي، خالد علي و ربي عبد الرضا: ١٧٣.
- (٨٣) المرجع السابق: ١٧١.
- (٨٤) نظرية التلقي أصول وتطبيقات، بشرى موسى صالح: ٤٧.
- (٨٥) مفهومات نظرية القراءة والتلقي، خالد علي و ربي عبد الرضا: ١٧٠.
- (٨٦) قراءات الأطفال، حسن شحاته: ١٦٤.
- (٨٧) أدب الأطفال في ضوء الإسلام، نجيب الكيلاني: ١٤٥.
- (٨٨) مفهومات نظرية القراءة والتلقي، خالد علي و ربي عبد الرضا: ١٧١.
- (٨٩) نظرية التلقي مقدمة نقدية، روبرت هولب: ١١٢.

المصادر والمراجع

الكتب:

- أحمد، سميرة عبدالوهاب: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ط ١، دار المسيرة، عمان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- أيزر، فولفغانغ: فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ترجمة: حميد لحمداني والجلالي الكندية، د.ط، مكتبة المناهل، فاس، ١٩٩٤م.
- جابر، عبد الحميد: علم النفس التربوي، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ط، ١٩٦٨م.
- عزالدين، حسن البنا: قراءة الآخر، قراءة الأنا نظرية التلقي وتطبيقاتها في النقد الأدبي العربي المعاصر، ط ١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- حنا، صباح، وحنا، يوسف: علم النفس التكويني، د.ط، مديرية دار الكتب، الموصل، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- حواشين، فيد وحواشين، زيدان حواشين: النمو الانفعالي عند الأطفال، د.ط، دار الفكر، عمان، ١٤٢٠هـ - ١٩٨٩م.
- خضر، ناظم: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ط ١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧م.
- الخلايلة، عبد الكريم: تطور لغة الطفل، ط ٢، دار الفكر - عمان، ١٩٩٥م.
- زلط، أحمد: معجم الطفولة في أدب الطفل وتربيته وفنونه وثقافته، ط ١، دار الوفاء - الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- زهران، حامد: علم نفس النمو، ط ٦، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- زيدان، محمد: النمو النفسي للطفل والمراهق، ط ٤، دار الشروق، جدة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- سليم، مريم: أدب الطفل وثقافته، ط ١، دار النهضة العربية - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- علم نفس النمو، ط ١، دار النهضة العربية - بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- السيد، فؤاد البهي: الأسس النفسية للنمو، ط ٣، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٩٧٧م.

- شحاته، حسن: قراءات الأطفال، ط ٢، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- شريف، نادية: الأسس النفسية للخبرات التربوية وتطبيقاتها لتعلم وتعليم الأطفال، ط ١، دار القلم، الكويت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- صالح، بشرى موسى: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠١م.
- صالح: عبدالرحيم: تطور اللغة عند الطفل وتطبيقاته التربوية، ط ١، دار النفائس، عمان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- عطا، محمود: النمو الإنساني، د. ط، دار الخريجي، الرياض، جدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- عمري، سعيد: الرواية من منظور نظرية التلقي مع نموذج تحليلي حول رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ، ط ١، مشروع البحث النقدي نظرية الترجمة - كلية الآداب ظهر المهرز، فاس، ٢٠٠٩م.
- غانم، محمود: التفكير عند الأطفال تطوره وطرق تعليمه، ط ١، دار الفكر - عمان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- فطوم، مراد حسن: التلقي في النقد العربي، ط ١، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ٢٠١٣م.
- قناوي، هدى: أدب الطفل وحاجاته وخصائصه ووظائفه في العملية التعليمية، مكتبة الفلاح-الكويت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- كاظم، نادر: المقامات والتلقي بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الكيلاني، نجيب: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ط ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- مخيمر، هشام: علم نفس النمو، ط ١، إشبيلية، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- منصور، عبد المجيد سيد أحمد و الشرييني، زكريا أحمد: علم نفس الطفولة، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م.
- ابن منظور: لسان العرب للعلامة، تحقيق: أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- نجيب، أحمد: أدب الأطفال علم وفن، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- هول، روبرت سي: نظرية الاستقبال مقدمة نظرية، ط ١، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٩٢م.
- هولب، روبرت: نظرية التلقّي مقدمة نقدية، ترجمة: عزالدين إسماعيل، ط ١، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- الهيّتي، هادي: أدب الأطفال، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٩٧م.
- وافي، علي: نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، دار نفضة مصر، القاهرة، د.ط.ت.
- ياوس، هانز روبرت: جمالية التلقّي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ترجمة رشيد بنحدو، ط ١، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- يعقوب، غسان: تطور الطفل عند بياجيه، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م.

المجلات والدوريات:

- دعيش، خير الدين: أفق التوقع عند ياوس ما بين الجمالية والتاريخ، مجلة المخبر- مخبر وحدة التكوين في نظريات القراءة ومناهجها- جامعة بسكرة، ع ١، ٢٠٠٩م، ٧٣-٩١.
- سالم، سهام طه: التلقّي في العرض المسرحي دراسة تحليلية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع ٧٢، ٢٠١١م، ٥٩١-٦٢٢.
- شبانة، ناصر يوسف جابر: أدب الأطفال- دراسة في المفهوم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات والآداب، ع ٦، ٢٠١١م، ١١-٤٢.
- ظاهر، حبيب المسافة الجمالية في مسرح الطفل، مجلة كلية التربية الأساسية، مج ٢٠، ع ٨٥٤، ٢٠١٤م، ٢٢٧-٢٦٨.
- عبد البشير، محمد: مقولات نظرية التلقّي بين المرجعيات المعرفية والممارسة الإجرائية، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع ٤٤، ٢٠١٤م، ٨٣-١٠٠.
- عيدان، إخلاص محمد: كسر أفق التوقع في الشعر الجاهلي، مجلة الأستاذ، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الرابع، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، ٢٤٩-٢٧٢.

- القصيري، نضال: سياق التلقي وتاريخ الأدب عند ياقوس، مجلة الموقف الأدبي، مج ٤٥، ٥٤٥٤، ٢٠١٦، ٧٥-٦٣.
- مصطفى خالد علي، و عبدالرازق، ربي عبدالرضا: مفهومات نظرية القراءة والتلقي، مجلة ديالي، ع٦٩٤، ٢٠١٦، ١٥٨-١٨٢.

المواقع الإلكترونية:

- بخوش، علي: تأثير جمالية التلقي الألمانية في النقد العربي، ٢٠٠٢/ذو القعدة/١٤٤٠هـ
<http://k-tb.com/book/Arabi05382>

النَّكْرَة

حقيقتها وأقسامها واختلاف أحكامها النحوية

د. حسن بن عُرم بن محمّد الكعبيّ العُمريّ

الأستاذ المساعد بقسم اللغة والنحو والصرف
كلية اللغة العربية - جامعة أمّ القرى - مكّة المكرّمة

النِّكْرَةُ.. حقيقتها وأقسامها واختلاف أحكامها النحوية

د. حسن بن عُرم بن محمد الكعبي العمري

الملخص:

يقصد البحث إلى الكشف عن حقيقة النكرة من حيث التصور النحوي والأصولي معاً، باعتبار اشتراكهما في مباحث عقلية ولغوية، وباعتبار أن كتب الأصول عُنيت أكثر من غيرها بالمصطلحات والمفاهيم، مع حاجة النظر النحوي إلى تحرير بعض تلك المفاهيم، ورغم الحاجة إلى ذلك في البحث النحوي فإن التنظير للنكرة في كتب النحو محدود جداً، وإنما كان الاهتمام في غالبه منصباً على أحكامها النحوية، وافتراقها عن المعرفة من جهة تلك الأحكام.

وجاء البحث ليكشف عن حقيقة النكرة، ويسعى إلى تحرير العلاقة بينها وبين غيرها من المصطلحات المتداخلة معها، معتبراً في ذلك النظر الأصولي، والنظر النحوي، ويؤصّل لتقسيم النكرة ثلاثة أقسام، وبيان دلالة كل قسم، وضابطه، وسياقه. ويعرض عدداً من النماذج لمسائل النحو التي تأثر فيها الحكم تبعاً لانقسام النكرة إلى تلك الأقسام الثلاثة.

الكلمات المفتاحية: النكرة - أقسام النكرة - المطلق - الإطلاق - العام، العموم - الخاص - الخصوص - نحو - أصول.

Unspecified name: its truth, sections, and different grammatical provisions

Abstract:

The research is intended to reveal the truth of the unknown name in terms of both grammatical and fundamentalist conception, because they are involved in mental and linguistic investigations, and because the works of the origins of jurisprudence are more concerned with terms and concepts, with the need for grammatical consideration to edit some of these concepts, despite the need for this in grammar research. The theorizing of the unknown name in the books of grammar is very limited, and the attention was mostly focused on its grammatical provisions, and the difference between it and knowledge in terms of those provisions.

The research reveals the truth of this unspecified name, and seeks to liberate the relationship between him and other terms overlapping with him, while combining the fundamentalist and grammatical consideration in it.

The research divides the unspecified name into three sections and explains the significance and context of each section.

The paper presents a number of examples of the grammar issues that affected the provision according to those three sections.

Keywords: Principles of Jurisprudence, Grammar, Unknown Name, Unspecified Name, General, Special, Absolute.

المقدمة:

من أهم قضايا العلم تحرير المفاهيم، والكشف عن التقاسيم، ولا سيما ذات التأثير في التصورات، وما يترتب على تلك التصورات من أحكام ومسائل.

ومن تلك القضايا المهمة قضية النكرة؛ لما تمثّله من خطورة في تصوّر العقلي واللغوي لمدلولات الألفاظ، فإن أشرف الألفاظ الاسم، وهو لا يخرج عن كونه نكرة أو معرفة، بل إن النكرة هي الأصل والغالب فيه، فالحاجة إلى التأصيل لها ربما تكون أهمّ وأولى.

وقد عُني علماء الأصول بالكلام على كثير من مسائل النكرة النظرية، وحوث كتبهم تأصيلًا لمختلف أحوالها، لكن ذلك في غالبه مرتبط بما يتفق مع التصور الأصولي لها، ومراعى فيه حاجة النظر الفقهي لفروعها ومسائلها.

وأما كلام النحاة فغالبه متّجه إلى المسائل التطبيقية للنكرة، وما لها من الأحكام النحوية الفرعية، وقلّ في كلامهم التنظير للنكرة من حيث كونها مفهومًا من المفاهيم، أو التأصيل لها من حيث حقيقتها، ودلالاتها في السياقات المختلفة، وما يستلزم ذلك من تنوع الأحكام النحوية، واختلافها من هذه الجهة، إضافة إلى أن هذا الكلام القليل الوارد عند النحاة في التنظير للنكرة متفرّق في تراثهم النحوي، وغير كاف في إعطاء الصورة الكاملة لها.

وقد رأيت الحاجة داعية إلى التأصيل للنكرة بما يناسب النظر النحوي، ومسائله، وأحكامه، فكان هذا البحث معتمداً على تراث النحاة والأصوليين معاً، أما اعتماده على التراث النحوي فظاهر؛ إذ الهدف منه التأصيل للنكرة بما تتطلبه مسائل النحو، وفروعه، وأما اعتماده على تراث الأصوليين فاضطرار؛ لعنايتهم الظاهرة بالنكرة خاصة، وبالمفاهيم بعامة.

وقد جاء هذا البحث ليكشف عن حقيقة النكرة، ويجرر العلاقة بينها وبين غيرها من المفاهيم المتداخلة معها، أو الملتبسة بها، أو القريبة منها، وذلك من وجهة النظر الأصولية العقلية، ومن جهة النظر اللغوية النحوية، وكذا التأصيل لتقسيم النكرة لثلاثة أقسام، كل قسم منها له دلالتة، وسياقه، وضابطه، مع الحرص على أن يكون هذا التأصيل لهذه الأقسام بما يتحقق معه تصوّر النكرة على اختلاف دلالتها؛ لما يستتبع ذلك من الكلام على أحكامها النحوية، دون التفريع بمسائل، أو تفصيلات لا تتصل بقضية البحث. وأخيرا عرض البحث عددًا من النماذج لمسائل نحوية اختلف الحكم النحوي فيها تبعًا لاختلاف نوع النكرة. ولم يكن المقصد من هذا العرض تتبع مسائل النكرة في النحو، فهذا أمر واسع، وليس غرضًا للبحث، وإنما القصد إيضاح أثر تقسيم النكرة في اختلاف الحكم النحوي، مما يؤكد أهمية الجانب التأصيلي للنكرة، من حيث حقيقتها، وأقسامها.

حقيقة النكرة:

ثمة عدد من المصطلحات تتقارب دلالاتها، وتتداخل مفاهيمها، فيما يتصل بموضوع البحث، وهي: النكرة، والمطلق، واسم الجنس، وعلم الجنس، وقد تعدّد نظر العلماء في تصوّر مفاهيم هذه المصطلحات، واختلف كلامهم في تصويرها، من جهة اتّحاد هذه المفاهيم في مدلولاتها أو اختلافها.

فيرى أكثر الأصوليين أن هذه المصطلحات ليست جميعها بمعنى واحد، وإنما جعلوا المطلق واسم الجنس شيئًا واحدًا^(١)، وفرّقوا بينهما وبين النكرة من جهة^(٢)، وبينهما وبين علم الجنس من جهة أخرى^(٣).

فَعندهم يراد بالمطلق واسم الجنس (اللفظُ الدالُّ على الماهية من غير قيد)^(٤)، أي (الدالُّ على الماهية من حيث هي هي)^(٥).

والمراد بالماهية حقيقةُ الشيء المتصورةُ في الذهن، المدركة بالعقل، مع صرف النظر عن أفراد ذلك الشيء في الخارج^(٦)، كدلالة لفظ (إنسان) على جنس الحيوان الناطق من حيث تصوُّر حقيقته في الذهن، دون النظر إلى أفرادهِ في الخارج، وكدلالة لفظ (رجل) على الجنس المعروف من البشر، دون النظر إلى أفرادهِ في الخارج، وكدلالة لفظ (عربي) على الجنس المعروف كذلك^(٧).

والمراد بكونه (من غير قيد) مجردُ دلالة اللفظ على تلك الماهية والحقيقة دون اعتبار شيء آخر، كاعتبار كونه واحداً من أفراد هذه الماهية وإن لم يكن متعيّناً، أو كونه متعيّناً في الذهن أو في الخارج، فهذه الاعتبارات كلها تخرج اللفظ عن كونه مطلقاً واسم جنس^(٨).

فإن دلالة اللفظ على واحدٍ من أفرادهِ في الخارج يصرف الكلام من المطلق واسم الجنس الدالين على الماهية الذهنية إلى النكرة، وهذا هو محل الفرق بينهما وبين النكرة عندهم؛ لأنَّ النكرة عندهم هي (اللفظ الدال على الماهية مع قيد الوحدة)^(٩)، أي بكونه دالاً على واحد غير معين من أفراد جنس من الأجناس، بحيث يصدق اللفظ على أي فرد من أفراد تلك الماهية، كدلالة لفظ (رجل) -مثلاً- على واحد من أفراد هذا الجنس غير متعين، وهذا المعنى الذي تدل عليه النكرة -وهو الدلالة على فرد واحد من أفراد جنس ما- يغيّر مقتضى الدلالة على الماهية من حيث هي هي الذي يدل عليه المطلق واسم الجنس^(١٠).

كما أن دلالة اللفظ على التعيين الذهني للماهية يصرف الكلام من المطلق واسم الجنس إلى علم الجنس، فإنَّ علم الجنس عندهم يعني (اللفظ الموضوع

للماهية بقيد التعيين الذهني^(١١)، أي بكون اللفظ موضوعاً بإزاء ماهية متعينة في الذهن عن سائر الماهيات، دون اعتبار بالأفراد في الخارج.

فالفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس هو أن اسم الجنس - كما سبق - يراد به اللفظ الدال على الماهية من حيث هي دون اعتبار كون ذلك مقيداً بالمعنى الذهني دون الخارجي أو الخارجي دون الذهني، بل هو معنى كلي يصدق على الذهني والخارجي معاً، بينما علم الجنس يراد به ماهية الشيء وحقيقته من حيث تميزها عن غيرها من الماهيات الأخرى الكائنة في الذهن، دون النظر إلى أفرادها في الخارج، وإنما باعتبار حضورها في الذهن مجردةً وتعيينها فيه^(١٢)، ولعله إنما كان علماً مع كونه غير معين لفرد من الأفراد بل هو متناولٌ للماهية بعامه من جهة تعيينه لتلك الماهية في الذهن، وفصله لها عن غيرها من الماهيات والحقائق الأخرى، كما يسمى العلم الشخصي علماً لتعيينه مسماه، وفصله له عن غيره من الأشخاص^(١٣).

فدلالة اسم الجنس والمطلق على حقيقة الشيء غير مقيدة لا بالذهن ولا بالخارج، بل هي مطلقة فيهما، ودلالة النكرة عليها مقيدة بكونها تقع على واحد غير متعين من أفراد تلك الماهية، ودلالة علم الجنس عليها مقيدة بالتعين الذهني لتلك الماهية، وتميزها عن بقية الماهيات، وسائر الحقائق، مع عدم النظر إلى ارتباطها بشيء من أفرادها في الخارج.

أما دلالة اللفظ على الحقيقة بقيد التعيين الخارجي - أي بقيد كون تلك الماهية مدلولاً بما على واحد متعين من أفرادها في الخارج - فذلك هو المعرف بـ(أل)^(١٤)، ولا اشتباه بينها وبين شيء من المصطلحات السابقة؛ لخروجها من التنكير إلى التعريف.

وبيان مفاهيم هذه المصطلحات بالمثل على النحو الآتي:

لفظ (أسد) حين يكون مرادًا به ماهية الأسد، وحقيقته الماثلة في الذهن لذلك الحيوان المعروف مع اعتبار أن هذه الماهية لها أفراد في الخارج كلهم منتمون لهذه الماهية يكون لفظ (أسد) بهذا المعنى مطلقًا، واسم جنس.

وحين يراد بهذا اللفظ واحدًا من الأسود غير متعين من أفراد هذه الماهية في الخارج يكون هذا اللفظ نكرة.

وحين يطلق لفظ (أسامة) مرادًا به الأسد يكون المقصود منه ماهية الأسد، وحقيقته الحيوانية الماثلة في الذهن، الممتازة عن غيرها من الماهيات الأخرى، دون النظر إلى اعتبار أن لهذه الماهية أفرادًا في الخارج، وإنما الشأن في التصور الذهني لتلك الماهية، وتعيّنها فيه من بين سائر الماهيات، وهذا هو علم الجنس.

وحين يطلق لفظ (الأسد) على أسد معين بالعهد الذهني أو الذكري المفهوم من (أل) العهدية فإنه يراد به المعرفة، لا النكرة، ويكون مدلوله معينًا في الخارج مع ما دل عليه اللفظ من الماهية، والحقيقة الذهنية للحيوان المعروف.

فهذه الفروق المتحصل عليها بين كلٍّ من النكرة، والمطلق، واسم الجنس، وعلم الجنس هي أوضح ما وقفت عليه في كلام الأصوليين والمتكلمين، ولم أرد الدخول في تصورات غامضة، وتقريرات بعيدة عن الغرض؛ وإلا فقد ذكر بعضهم معاني أخرى في التفريق بين بعض هذه المصطلحات تشوبها الصعوبة، ويكتنفها الغموض، كما قال المرادوي: «والفرق بين علم الجنس واسم الجنس من أغمض مسائل النحو»^(١٥)، وقال القراني في هذا المعنى وتصوير غموض تحرير بعض هذه المصطلحات من بعضها: «وتحرير الفرق بين علم الجنس وعلم الشخص، وعلم الجنس واسم الجنس هو من نفائس المباحث، ومشكلات المطالب، وكان

الخسرو شاهي يقرره، ولم أسمع من أحد إلا منه، وكان يقول: ما في البلاد المصرية من يعرفه»^(١٦)، ثم أورد في بيان الفرق بينها كلامًا غامضًا! وقد عقب الشاطبي الأصولي النحوي على ذلك الكلام بعد أن نقله وكلام القراني السابق بقوله: «...وتصريحه بأن أهل قُطره لا يعرفه منهم أحدٌ سواه شاهد بأنه لا يعرفه!»^(١٧).

وأما عامة النحويين وبعض الأصوليين فيرون أنه لا فرق بين النكرة والمطلق واسم الجنس في دلالاتهما^(١٨)، فجميعها تعني اللفظ الدال على واحد غير معين، وإنما هو شائع في جنسه^(١٩).

بل صرَّح الأمدي في تعريفه للمطلق بأنه «النكرة في سياق الإثبات»^(٢٠)، فجعل المطلق هو نفس النكرة.

وعرّفه ابن الحاجب الأصوليُّ بأنه: «ما دل على شائع في جنسه»^(٢١)، وهذا نفسه ما تُعرّف به النكرة في بعض كتب النحاة^(٢٢).

يقول عباس حسن في التنبيه على عدم تفريق النحاة بين دلالة هذه المصطلحات، وكونها عندهم بمعنى واحد: «النكرة تسمى أيضًا (اسم جنس) عند جمهرة كبيرة من النحاة، لا ترى فرقًا بينها وبين اسم الجنس»^(٢٣).

وإنما لم يفرّق النحاة بين هذه الثلاثة فعبروا بها جميعًا عن معنى واحد؛ لأن التفريق بينها ليس من مقتضيات الصنعة النحوية، ولا من متطلبات القواعد اللغوية، فلم يكونوا بحاجة إلى تلّمس تلك الفروق العقلية الغامضة التي حَقّق فيها الأصوليون، إذ لا تأثير لها في أحكام النحو، لكنها مما تدعو إليه حاجة الأصولي لتصوّر القضايا العقلية التي تعنيه في علم الأصول^(٢٤).

بل إن هذا المعنى - وهو عدم الحاجة إلى التفريق بين النكرة والمطلق - قد دافع به بعض الأصوليين عن ابن الحاجب فيما أخذ عليه من عدم تفريقه بينهما من وجهة النظر الأصولية، فذكر أن الذي حمل ابن الحاجب على عدم التفريق كونُ مناطِ الحكم الشرعي هو الأفرادُ في الخارج لا الماهيات في الذهن^(٢٥).

لكن أكثر الأصوليين على التفريق بين النكرة والمطلق؛ لما تتطلبه حاجة النظر العقلي في المباحث الأصولية، وما تستتبع من فروع فقهية، يقول الزركشي عند مناقشته تعريف بعض الأصوليين للمطلق، وموافقته لجمهور النحاة في عدم تفريقهم بينه وبين النكرة، ومنتقداً طريقة ابن الحاجب في موافقته النحاة في عدم التفريق، مع تسوية ذلك للنحويين؛ لاختلاف طبيعة مسائل العُلمين: «وأما الأمدى وابن الحاجب فقالا: (إنه الدال على الماهية بقيد الوحدة الشائعة كالنكرة)... وبنحو ذلك عرّف النكرة في كتب النحو، إلا أن الذي دعا الأمدى إلى ذلك هو أصله في إنكار الكلّي الطبيعي، وأما ابنُ الحاجب فإنه لا ينكره، بل هو مع الجمهور في إثباته، لكنّ الداعي له إلى ذلك موافقة النحاة في عدم التفرقة بين المطلق والنكرة... ولا ينبغي ذلك، (يعني موافقة ابن الحاجب للنحاة)، فإن النحاة إنما دعاهم إلى ذلك أنه لا غرض لهم في الفرق؛ لاشتراك المطلق والنكرة في صياغة الألفاظ من حيث قبول (أل)، وغير ذلك من الأحكام، فلم يحتاجوا إلى الفرق، أما الأصوليون والفقهاء فإنهما عندهم حقيقتان مختلفتان»^(٢٦).

فكلامه ظاهر في أن كلاً من النكرة والمطلق - الذي هو اسم الجنس - حقيقةً مختلفةٌ عن الأخرى فيما يعني النظر الأصولي، والأحكام الفقهية، لكنهما من جهة النظر النحوي لا يفتقان؛ لأن مجال النظر فيه إنما هو في الصناعة اللفظية، والنكرة والمطلق متّحدان في الأحكام اللغوية، ولا يختلفان.

أما علم الجنس فهو مختلف عن النكرة من جهة حكمه اللفظي، الجاري فيه على حكم المعرفة؛ لأنه عومل معاملةً في عدد من الأحكام، كمنعه من الصرف إذا كان مع علميته علة أخرى، ومجيء الحال منه، وامتناعه من الإضافة، ومن دخول (أل) عليه، ولا ينعى بالنكرة، ويصح وقوعه مبتدأً، ونحو ذلك من الأحكام التي تختص بها المعرفة^(٢٧).

أما من جهة المعنى فقد اختلف كلامهم فيه، فمن النحاة من عدّه في المعنى نكرة، وإن كان لفظه معرفة؛ لأنه لا يعيّن فرداً من الجنس، فحالته في ذلك حال اسم الجنس، ف(أسامة) مراداً به الأسدُ صالح لكل أسد^(٢٨).

يقول الرضي راداً على من رأى تعريف العلم الجنسي في المعنى - كما سيأتي - ومنظراً لثبوت التعريف اللفظي للعلم الجنسي دون التعريف المعنوي، وأن هذا مما لا يستنكر: «...وأقول: إذا كان لنا تأنيث لفظي، ك(غرفة، وبشرى، وصحراء)، ونسبة لفظية، نحو (كرسي)، فلا بأس أن يكون لنا تعريف لفظي، إما باللام، كما ذكرنا قبل، وإما بالعلمية، كما في (أسامة، وثعالة)»^(٢٩).

بل إن أبا حيان تجاوز ذلك إلى القول بأن تسمية العلم الجنسي معرفة إنما هو من قبيل المجاز، قال وهو يشرح كلام ابن مالك عند حديثه عن المعرفة: «وأما قوله: (كأسامة) فهذا ونحوه يطلق عليه أنه معرفة على طريق المجاز، إذ لا يخالف في معناه دلالة (أسد)، إنما يخالفه في أحكام لفظية، ألا ترى أنه داخل تحت حدّ النكرة، فلما وجدنا فيها أحكام المعارف أطلقنا عليها معارف... هذه الأسماء شائعة شياع النكرات»^(٣٠).

لكنّ كثيراً من النحاة عدّوا العلم الجنسي معرفة في المعنى كما هو كذلك في اللفظ، من جهة أن المقصود به - كما تقدم عند الأصوليين - تعيين الحقيقة

الذهنية لجنس ما من بين سائر الحقائق، فلم يدل اللفظ الموضوع لذلك على الفرد من الجنس إلا ضمناً لا قصدًا؛ كدلالة لفظ (أسامة) على واحد من جنس الأسد، فإن المقصود من لفظ (أسامة) عند وضعه للأسد نفس الماهية المتعينة في الذهن، الممتازة عن غيرها من الماهيات، ثم لزم من إطلاقه على تلك الماهية مع تعدد أفرادها في الخارج دلالته على متعدد^(٣١)؛ فهو في تعريفه بمنزلة الاسم المعرف ب(أل) الجنسية، الدالة على الحقيقة، فلا هو بمنزلة العلم الشخصي في تعيين مسمّى خارج الذهن، ولا بمنزلة المعرف ب(أل) العهدية الدالة على واحد بعينه في الخارج، لكنه أيضًا ليس من قبيل النكرة، بل من قبيل المعرفة^(٣٢).

يقول الشاطبي في تحرير هذا المعنى: «فإن قلت: هل العلم الجنسي يرادف اسم الجنس النكرة أم لا؟ فالجواب: أنه ليس بمرادف له من حيث هي واقعة على واحد غير معيّن في جنسه، كما أن زيدًا لا يرادف النكرة كذلك، وإنما هو مرادف لاسم الجنس المعرف باللام الجنسية... فإن ذكر أحد من النحويين أنه مرادف للنكرة فعلى لحظ معنى الجنس فيها، لا على لحظ وقوعها على واحد من أفراد الجنس لا بعينه، وهما مقصدان متباينان... فقد ظهر إذًا أن علم الجنس مرادف في المعنى لاسم الجنس المعرف باللام العهدية في الجنس»^(٣٣).

فكلامه هذا صريح في أن علم الجنس يعيّن الحقيقة الذهنية من بين سائر الحقائق من جهة، ويفصلها عن أفرادها الخارجية التي تدل عليها النكرة من جهة أخرى، فهو في ذلك مساو لاسم الجنس المعرف ب(أل) الجنسية، فإن اسم الجنس حين لا تكون فيه (أل) يكون معناه معنى النكرة بما تدل عليه من واحد غير معيّن من أفرادها في الخارج، وليس معناها حينئذٍ متّجهًا إلى الحقيقة الذهنية في نفسها، فإذا دخلت عليه (أل) كان مدلوله حضور الحقيقة الجنسية في الذهن، وتعيّنها فيه دون اعتبار بالأفراد^(٣٤).

ولهذا عرّف بعض النحويين عَلمَ الجنس بأنه «اسم يعيّنُ مُسمّاه بغير قيدٍ تعيين ذي الأداة الجنسية، أو الحضورية»^(٣٥)، فحين يقال: (جاء رجل) يكون لفظ (رجل) نكرةً مرادًا منها الدلالة على واحدٍ غير معيّن من أفراد هذا الجنس، فإذا دخلت عليه (أل) الجنسية في نحو: (الرجل أقوى من المرأة) لم يكن الواحد المفرد خارج الذهن مقصودًا، بل المقصود الماهية المتعينة في الذهن لهذا الجنس دون النظر إلى أفرادها، فكذلك الفرق بين اسم الجنس من غير (أل) وعلم الجنس، ك(أسد) و(أسامة)، فإن الفرق بينهما هو الفرق نفسه بين (أسد) مرادًا به فردٌ من الجنس، وبين (الأسد) مرادًا به حقيقة الجنس.

يقول سيبويه في بيان عَلمَ الجنس: «هذا بابٌ من المعرفة يكون فيه الاسم الخاصُّ شائعًا في الأمة ليس واحدٌ منها أولى به من الآخر، ولا يُتوهّم به واحد دون آخر له اسم غيره، نحو قولك للأسد: (أبو الحارث، وأسامة)، وللثعلب: (ثُعالة، وأبو الحصين، وسَمَسَم)، وللذئب: (ذألان، وأبو جَعْدَة)... فكل هذا يجري خيره مجرى خبر (عبدالله)، ومعناه إذا قلت: (هذا أبو الحارث) أو (هذا ثُعالة) أنك تريد: (هذا الأسد) و(هذا الثعلب)، وليس معناه كمعنى (زيد)، وإن كانا معرفة، وكان خبرهما نصبًا، من قبَل أنك إذا قلت: (هذا زيد)، ف(زيد) اسمٌ لمعنى قولك: (هذا الرجل)، إذا أردت شيئًا بعينه، قد عرفه المخاطب بحليته، أو بأمر قد بلغه عنه قد اختُص به دون من يعرف... وإذا قلت: (هذا أبو الحارث) فأنت تريد هنا (الأسد)، أي هذا الذى سمعتَ باسمه، أو هذا الذى قد عرفتَ أشباهه، ولا تريد أن تشير إلى شيء قد عرفه بعينه قبل ذلك، كمعرفته زيدًا، ولكنه أراد هذا الذى كل واحد من أمته له هذا الاسم، فاختُصَّ هذا المعنى باسم كما اختُصَّ الذى ذكرنا ب(زيد)؛ لأن (الأسد) يتصرف تصرف (الرجل) ويكون نكرة، فأرادوا أسماء لا تكون إلا معرفة، وتلزم ذلك المعنى»^(٣٦).

ومع أن أبا حيان استشهد بتفريق سيبويه في هذا النص بين (أسامة) و(زيد) على كون العلم الجنسي نكرة، فإن الحق أن في هذا النص لسيبويه ما يشير إلى أن المقصود بعلم الجنس ما سبق بيانه من كونه دالاً على الحقيقة الجنسية دون أفرادها، وكونه في ذلك مساوياً لاسم الجنس المعرف ب(أل) الجنسية، فإن حديثه هنا لم يقتصر على الأحكام اللفظية للمعرفة، وجريانها على علم الجنس حتى يقال بأن حكم التعريف فيه مقتصر على الجانب اللفظي، وإنما ذكر ذلك، وتعدّاه إلى الكلام على الحكم المعنوي لعلم الجنس، ففرّق بينه وبين العلم الشخصي والمعرف ب(أل) العهدية من جهة كونهما يعيّنان فرداً بعينه، أما علم الجنس فهو يعين حقيقة جنسية صالحة لكل فرد ينتمي إليها، وليس شائعاً شياع النكرة في أفرادها، فإن قوله: «وإذا قلت: (هذا أبو الحارث) فأنت تريد هنا (الأسد)» قد ساوى فيه بين علم الجنس وبين اسم الجنس الذي دخلت عليه (أل) الجنسية، وهو لا يريد ب(أل) في (الأسد) التي للعهد، بدليل قوله بعد هذا: «ولكنه أراد هذا الذي كل واحد من أمته له هذا الاسم»، فالكلام ليس عن واحد غير معين، كما هو حال النكرة، ولا هو عن واحد بعينه فتكون (أل) في قوله (الأسد) عهدية، وإنما الكلام على حقيقة هذا الجنس، ومجموع هذه الأمتة.

وبدليل أنه قابل بين ما فيه (أل) العهدية المعينة وبين هذا بقوله: «ومعناه إذا قلت: (هذا أبو الحارث) أو (هذا ثعالبة) أنك تريد: (هذا الأسد) و(هذا الثعلب)، وليس معناه كمعنى (زيد)... من قبيل أنك إذا قلت: (هذا زيد)، ف(زيد) اسمٌ لمعنى قولك: (هذا الرجل)، إذا أردت شيئاً بعينه»، ف(أل) في (الرجل) للعهد؛ لأنه أريد منها شيءٌ بعينه، بخلافها في (الأسد) فإن المقصود منها هذه الأمة، وفي هذا كله دليل على أن علم الجنس لا هو من قبيل النكرة في المعنى، ولا هو بمنزلة المعين لفرد من الجنس، وإنما هو متّجه إلى الحقيقة الجنسية في ذاتها.

وللمرادي كلام حسن يؤكد هذا المفهوم من كلام سيبويه، ويرد فيه على من عدّ العلم الجنسي معرفة لفظاً نكرة معنى؛ بحجة شياعه، ودخوله في حدّ النكرة، ويلخّص المقصود بالعلم الجنسي، والفرق بينه وبين النكرة، يقول: «وإجراء العرب (أسامة) ونحوه مجرى المعارف، و(أسداً) ونحوه مجرى النكرات دليل على افتراق مدلوليهما؛ إذ لو اتّحدا معنى لما افترقا لفظاً، والقواعد تأبى ذلك، فتعيّن إذ ذاك طلب الفرق بينهما، وقد فرّق بعض أهل المعقول بأن (أسداً) وضع على شخص لا يمتنع أن منه أمثلاً فوضع على الشّيع، و(أسامة) وضع على معنى الأسدية المعقولة التي لا يمكن أن توجد خارج الذهن، ولا يمكن أن يوجد منها اثنان في الذهن، ثم صار (أسامة) يقع على الأشخاص لوجود ذلك المعنى في الأشخاص... وقال سيبويه: (هذا باب من المعرفة فيه الاسم الخاص شائعاً في أمته ليس واحداً منها أولى به من الآخر)، فجعله معرفة خاصة، والظاهر أن ذلك في المعنى، ولا ينافي وصفه بكونه خاصاً وصفه بالشيوع إذا حُمّل على المعنى المتقدم»^(٣٧).

وخلاصة القول أن النكرة والمطلق واسم الجنس يجمعها حقيقة واحدة في التصور النحوي وهي دلالة اللفظ على فردٍ غير معين في جنسه، وإن اختلفت مفاهيم هذه المصطلحات في تصورات أخرى.

أقسام النكرة:

مدلول الاسم النكرة لا يدخل تحت أي قسم من أقسام المعرفة المحصورة في كتب العربية؛ لأن من شأن المعرفة أن تُعيّن المقصود منها، فتحديدَه من بين بقية أفراد جنسه، ومن غيرهم، وعلى هذا فالاسم النكرة لا يُعيّن فرداً، ولا يحدّد شخصاً، وإنما يتناول جنساً، يدخل فيه أفراد متعددون، ليس واحداً منها بأولى بذلك الاسم من غيره من أولئك الأفراد الذين يتناولهم اللفظ.

غير أن النكرة في تناولها للأفراد المتعددة الداخلة تحت لفظها ليست على حدّ سواء، ولا دلالتهَا على اتساع دائرة تلك الأفراد وضيقتها أو انطلاق ذلك اللفظ على مجموعهم، أو أيّ منهم شيئًا واحدًا، ولا أحكامها - سواء أكانت أحكامًا شرعية أم لغوية - متّحدة، وإنما يختلف الأمر تبعًا لاختلاف نوع النكرة من حيث دلالتها في نفسها، أو فيما تعلّق بها، أو في سياقها الذي وردت فيه. ومن هذه الجهة - وهي دلالة النكرة على أفرادها على اختلاف أحوالها - يمكن تقسيم النكرة ثلاثة أقسام: النكرة المطلقة، والنكرة العامة، والنكرة الخاصة، وفيما يلي عرضٌ وتأصيلٌ لهذه الأنواع الثلاثة، سواء من جهة النظر العقلية الأصولية، أو من جهة النظر اللغوية النحوية؛ لما يستتبع ذلك من أحكام نحوية يكون عرضها ومناقشتها في المبحث التالي.

أولاً/ النكرة المطلقة:

سبق الكلام في الفصل الأول على أن ما يُسمّىه الأصوليون (مطلقًا) يسميه النحاة (نكرة) دون وصف زائد غالبًا، وليس تفريق الأصوليين بين المطلق والنكرة؛ بكون المطلق هو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي دون قيد، وكون النكرة هي اللفظ الدال على الماهية مع قيد الوحدة الشائعة بمشكل على هذا المعنى؛ فإن النحاة لا يفرقون بينهما، بل يعدون المطلق والنكرة شيئًا واحدًا، ووافقهم على ذلك بعض الأصوليين كما سبق، ثم إن تفريق من فرّق من الأصوليين تفريق اعتباري نظري، لا ثمره له فيما يعني الأثر الكلامي، وقواعد اللغة؛ لأن «الحقائق الذهنية المطلقة قد توجد في الخارج في ضمن أفرادها، فالأفراد إذا تدخل في المطلق؛ لضرورة عدم وجوده في الخارج إلا في ضمنها»^(٣٨).

ومن هنا فإن النحاة إذا عبّروا بالنكرة دون وصفها بشيء فهم يعنون بذلك ما تقرّر من كون اللفظ دالًّا على واحد غير معين، فيكون شائعًا في جنسه^(٣٩)، ويكون أيُّ فرد من أفراد جنس ما مقصودًا من ذلك اللفظ، وداخلًا فيه، دون تعيين لفرد من الجنس، ودون تعميم لمجموع الجنس، ودون تخصيص فئة من أفراد الجنس دون سائر فئاته، وهذا هو حقيقة النكرة المطلقة، التي تفيد توجُّه اللفظ إلى مفرد واحدٍ شائعٍ غير متعيّن، بحيث يكون أيُّ فرد من أفراد الجنس الذي تدل عليه تلك النكرة قابلاً لذلك اللفظ.

وإنما أطلقوا القول بكون هذا النوع هو النكرة لقصدتهم إلى النكرة المحضة الخالصة من شائبة التعريف، بخلاف العام والخاص، فهما من قبيل النكرة غير المحضة التي تقترب من المعرفة، على ما سيأتي بيانه، وإلا فإن النكرة بمعناها العامّ المقابل للمعرفة يتناول الأقسام الثلاثة المذكورة؛ لخروجها جميعًا عن أقسام المعرفة، فعلى هذا تكون «النكرة أعمّ من المطلق، ويساويها ما لم تُقيّد، أو يدخل عليها ما يفيد عمومها»^(٤٠).

يقول القراني في تأكيد كون ما يسميه الأصوليون مطلقًا هو النكرة عينها في سياق الإثبات عند النحاة، التي يكون المعنى معها لا عموم فيه ولا خصوص، وإنما يتناول واحدًا غير متعين: «وكلُّ شيءٍ يقول النحاة: إنه نكرة، يقول الأصوليون: إنه مطلق، وإن الأمر يتأدّى بفرد منه، فكل نكرة في سياق الإثبات مطلق عن الأصوليين، فما أعلم موضعًا ولا لفظًا من ألفاظ النكرات يختلف فيها النحاة والأصوليون، بل أسماء الأجناس كلها في سياق الثبوت هي نكرات عند النحاة، ومطلقات عند الأصوليين»^(٤١).

ومن هنا فإن النكرة المطلقة -المتَّجهة دلالًتها إلى فرد واحد غير متعيّن- تُعرّف بكونها واقعة في سياق الإثبات، فإذا قيل: (أكرم رجلاً)، أو (اعتق رقبة) كان الكلام مثبتاً، وكانت النكرة حينئذٍ مطلقة، صالحة لأيّ رجل أو أيّة رقبة، بدليل الخروج من عهدة الأمر بالإكرام أو العتق بحصول ذلك لواحد من هذا الجنس^(٤٢).

وكذلك فإن دلالة النكرة على مطلق الذات يُتخصّل عليه من لفظها المفرد دون أن يزداد عليه لفظ آخر، فإن «ضابط الإطلاق أنك تقتصر على مسمّى اللفظة المفردة، نحو (رقبة، أو إنسان، أو حيوان)، ونحو ذلك من الألفاظ المفردة، فهذه كلها مُطلّقات، ومتى زدت على مدلول اللفظة مدلولاً آخر بلفظ أو بغير لفظ صار مقيداً، كقولك: (رقبة مؤمنة، أو إنسان صالح، أو حيوان ناطق)»^(٤٣).

وبما أنّ الكلام في الفصل السابق كان منصباً في جملة على هذا القسم من النكرات، باعتباره المعنى الأوّلي للنكرة، فإن ما ورد فيه من الكشف عنها، وبيان حقيقتها كافٍ، وليس ثمة حاجة إلى تكرار ما تقرر.

وإنما كان الكلام على حقيقة النكرة متَّجهاً للمطلقة خاصة؛ لأنها الأصل في الأسماء، وهي الأولى في التصور، وهي المجردة عن المؤثرات، الخالية من الأوصاف الزائدة على الذات، وهي المحضة لتوغّلها في الإبهام، وبعدها عن التعريف، وسلامتها من رائحته.

ثانياً/ النكرة العامة:

وقع في كلام بعض الأصوليين تسمية المطلق بالعام، والتعبير بالعموم عما هو من معاني المطلق، وهذا يتطلّب تحريراً لئلا تلتبس المصطلحات بعضها ببعض، وبيان ذلك أنهم يعدون العموم نوعين: عموماً بدلياً، وعموماً شمولياً.

فيقصد بالعموم البدلي أن النكرة «تصدق على كل واحد بدلاً عن الآخر»^(٤٤)، فيكون مراداً منها النكرة المطلقة، أي حين تقع في سياق الإثبات، من جهة صلاحية اللفظ لكل فرد من أفراد الجنس على البدل^(٤٥)، وليس مقتضاه تناول الجميع في آن واحد، يقول العلائي: «العموم على قسمين: عموم الشمول، وعموم الصلاحية، وإن كان في الأول أقوى منه في الثاني، وعموم الصلاحية هو المطلق، وتسميته عاماً بسبب أن موارده غير منحصرة، لا أنه في نفسه عامٌ... ويقال له عموم البدل أيضاً... بخلاف عموم الشمول، فإنه يلزمه تتبع الأفراد الداخلة تحت هذا اللفظ...»^(٤٦).

فعموم الشمول إذاً -وهو المقصود الآن- يراد به (اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له من غير حصر)^(٤٧)، بحيث يتناول جميع الأفراد، فلا يخرج شيء منها عنه، ولذلك ألفاظ متعددة، غير أن الذي يعنينا هنا «من صيغ العموم النكرة في سياق النفي، وقد اتفق جميع القائلين بأن للعموم صيغةً تخصه على أن ذلك في الجملة من صيغته، بل هي أقوى الصيغ دلالة»^(٤٨).

وليست دلالة النكرة على العموم بذاتها، وإنما بتأثير من غيرها، وهو وقوعها في سياق النفي، وما لم تكن النكرة في سياق يقتضي أن تعم فإنها لا تعم؛ لأن المعنى الأصلي لها والأولي المتحصّل عليه منها دون تأثير من غيرها هو الإطلاق الذي سبق بيانه، يقول القراني: «فإنه لولا النفي لم يبق إلا مطلق النكرة، وهي لا تفيد العموم بنفسها»^(٤٩).

ويجدر القول بأنه ليس كل نكرة وقعت في سياق النفي تُفيد العموم، وإنما تفيده في هذا السياق إذا كان مقصوداً منها العموم، وكانت النكرة صالحة للدلالة عليه، وضابط صلاحيتها لذلك أنه يمكن زيادة (من) قبلها، ويمكن

استبدال لفظ من ألفاظ النكرات العامة بها^(٥٠)، ويُعنى بألفاظ النكرات العامة الألفاظ التي لا تستعمل إلا في النفي، فتكون دلالتها مقصورة على العموم، كلفظ (أحد) إذا أريد به عموم الجنس، لا أن يكون دالاً على معنى كلمة (واحد)، ومثله (عريب، وديار) وغيرها من الألفاظ الناصّة على العموم^(٥١).

فإن قولنا مثلاً: (ما قام رجلٌ بل رجلان) قد وقعت فيه النكرة في سياق النفي، ولا يصح أن تكون عامة بحال؛ لثبوت ما نفي عنها لغيرها الذي من جنسها، بل النفي هنا للواحد لا للجنس، وإذا قيل: (ما قام رجلٌ) كان الكلام محتماً لنفي الواحد، فلا تكون النكرة عامة، ومحتماً لنفي الجنس، فتكون عامة مستغرقة لجميع الأفراد، وعليه فلا يصح إطلاق القول بعموم النكرة ولو كانت في سياق النفي إلا إذ صحّ زيادة (من)، أو وضع لفظ (أحد)، أو نحوه موضعها، نحو (ما قام من رجل)، و(ما قام أحدٌ)؛ لأن فيهما التنصيص على العموم^(٥٢).

وكذلك في نحو (لا رجلٌ في الدار) بالرفع، تكون النكرة فيه محتمة للواحد، ولعموم الجنس، وليس مجرد مجيء النكرة في سياق النفي بقاطع في العموم، ولا ناصّاً عليه، بدليل جواز أن يقال فيه: (لا رجلٌ في الدار بل رجالٌ)^(٥٣)، بخلاف نحو (لا رجلٌ في الدار) بالنصب، فإن النكرة فيه عامة؛ لأنه في معنى ما زيدت فيه (من) المفيدة للتنصيص على العموم^(٥٤).

يقول السيرافي في التصريح بهذا المعنى والتأكيد عليه: «(لا رجلٌ في الدار) جوابٌ: (هل من رجلٍ في الدار؟)، وذلك أنه إخبار، وكل إخبار يصح أن يكون جواب مسألة، ولما كان (لا رجلٌ في الدار) نفيّاً عامّاً كانت المسألة عنه مسألة عامة، ولا يتحقّق لها العموم إلا بإدخال (من)، وذلك أنه لو قال في مسألته: (هل رجلٌ في الدار؟)، جاز أن يكون سائلاً عن رجل واحد، كما تقول: (هل

عبدالله في الدار؟)، و(هل أخوك في الدار؟)، فالذي يوجب عموم المسألة دخول (من)؛ لأنها لا تدخل إلا على واحد منكورٍ في معنى الجنس، ولا تدخل على معروف، لا تقول: (هل من عبدالله في الدار؟)، و(هل من أخيك؟)، وسبيل الاستفهام سبيل الجحد، تقول: (ما في الدار رجل)، فيحتمل العموم، ويحتمل أن يكون رجلاً بعينه؛ كقولك: (ما في الدار عبدالله)، فإذا قلت: (ما في الدار من رجل) لم يكن إلا عمومًا^(٥٥).

فهذا صريح في أنه ليس كل نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وإنما يفيد النكرة في سياق النفي إذا أريد منها العموم^(٥٦)، وعلامة ذلك جواز زيادة (من) قبلها، أو كونها جواباً عن سؤال فيه معنى (من) الزائدة، كما هو الحال مع اسم لا النافية للجنس^(٥٧).

يقول ابن الفخار عند حديثه عن (من) الزائدة، وأنها لا تدخل إلا على نكرة يراد منها العموم، وأنه ليس كل نكرة وقعت في سياق النفي أفادت العموم كما قد يُتَوَهَّم، بل علامة إفادتها للعموم صحة دخول (من) عليها، مع إشارته إلى الفرق بين عموم النكرات والنكرات العامة: «فأما الزائدة فمعناها استغراق الجنس أو تأكيد استغراقه، والفرق بينهما أن استغراق الجنس إن كان مستفاداً من لفظ ما تدخل عليه دونها كانت لتأكيد استغراقه، كقولك: (ما قام من أحد)، وإن كان بالعكس فهي لاستغراقه، نحو (ما قام من رجل)، وليس بمستقيم ما يعتقده كثير من أهل الأصول من إطلاق القول بأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، ولا بد من التفصيل كما ذكرناه، فتأمل... (من) لا تزداد في النكرة إلا بشرط أن يراد بتلك النكرة استغراق الجنس قبل دخول (من) عليها، ودخول (من) علامة على ذلك المعنى»^(٥٨).

وهذا المعنى أكّد عليه بعض محققي الأصوليين أيضًا^(٥٩)، يقول القراني بعد أن قرّر عدم عموم النكرة في بعض سياقات النفي: «إذا تقرر هذا فأقول: النكرة في سياق النفي تقتضي العموم في أحد قسمين: مسموع وقياس، أما المسموع فهي هذه الألفاظ، وأما القياس فهو النكرة المبيّنة، وما عدا ذلك فلا عموم فيه، فهذا هو تلخيص ذلك الإطلاق فيما وصلت إليه قدرتي»^(٦٠).

وقد أنكر القراني إطلاق القول بأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، وتعجّب منه، فقال: «وأما النكرة في سياق النفي فهي من العجائب في إطلاق العلماء من النحاة والأصوليين، يقولون: النكرة في سياق النفي تعم، وأكثر هذا الإطلاق باطل»^(٦١)، ثم أورد كلاً ما لبعض النحاة من نحو ما سبق تقريره عن بعضهم في منع هذا الإطلاق، وأن من النكرة ما يكون في سياق النفي ولا يعم.

وقال العلائي تعليقاً على بعض كلام القراني في هذه المسألة: «وهو وارد على كل من أطلق ذلك من أئمة الأصوليين، ويكون كلام من تقدم ذكره من أئمة العربية مخصّصاً لكلام الأصوليين، كما تُخصّص القواعد العامة بالصور الخاصة»^(٦٢).

وكما تدلّ النكرة في سياق النفي على العموم بالضابط الذي تقرر -وهو صحة زيادة (من) قبلها أو وضع لفظ من ألفاظ النكرات العامة ك(أحد) موضعها أو بـها معاً- فإنها أيضاً تدل على العموم بالضابط نفسه إذا وقعت في سياقات أخرى، كسياق النهي؛ «لأن النكرة في سياق النهي كالنكرة في سياق النفي تعم»^(٦٣)، والنهي شبيه النفي، كمثل (لا تضرب رجلاً)، إذ يصح أن يقال فيه: (لا تضرب أحداً أو من أحدٍ)، و(لا تضرب من رجلٍ)^(٦٤)، ومنه قول الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾^(٦٥)؛ فالنكرة هنا عامة؛ لإمكان زيادة

(من) كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٦٦)، وإمكان وضع لفظ (أحد) موضع النكرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِرَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٦٧).

وأما النكرة في سياق الاستفهام فقد اختلف موقف العلماء منها، فالغالب المشتبه عن النحاة والأصوليين إطلاق القول بعموم النكرة في سياق الاستفهام، كما تعم في سياق النفي^(٦٨)؛ لأن الاستفهام شبيهه، بينما تبّه بعضهم على أن عموم النكرة في سياق الاستفهام مشروط بأن يكون الاستفهام إنكارياً، لا أن يكون حقيقياً، أو تقريرياً، يقول العلائي منبّهًا على هذا المعنى ومشيرًا إلى خفائه، وعدم ظهوره في كلام بعض العلماء: «إذا وقعت النكرة في حيّز الاستفهام الذي سياقه للإنكار فإنها تكون للعموم أيضًا، كما هي في النفي، كقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَحْسَبُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٌ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾، ولذلك وقعت (أحد) في حيّزه، كما في النفي، وهذا مما أغفله جميع الأصوليين، ولم يذكره منهم سوى القرافي، لكنه أطلق، فقال: النكرة في سياق الاستفهام، ولا بد من تقييد ذلك باستفهام الإنكار، دون استفهام التقرير وغيره؛ لأن هذا محمول على النفي، والنكرة إنما تعم من أجل وقوعها في النفي، فلا بد أن تكون في الاستفهام بمعناه»^(٦٩).

ومما يؤكد أن الاستفهام الحقيقي لا يقتضي العموم تفريق الشاطبي بين الاستفهام والعموم عند شرحه مسوغات الابتداء بالنكرة من الألفية، فإنه قال: «والمثال الثاني: (هل فتى فيكم؟) وهو نكرة تقدّمها أداة استفهام، فحصلت الفائدة بسببه، ووجه حصولها أن الاستفهام سؤال عن غير معيّن ليعيّن في الجواب، فهو لا يقتضي فيما دخل عليه إلا إبهامه، فأشبهه أداة العموم الحاصرة، فحصلت الفائدة، ويشمل هذا المثال بالمعنى كل أداة من أدوات الاستفهام...»

والمثال الثالث: (فما خلُّ لنا)، وهذا نكرة تقدمها أداة نفي، فأفاد بسبب ذلك، ووجه حصول الفائدة أن النكرة في سياق النفي تعم، وإذا عمت كان مدلول النكرة جميع أفراد الجنس؛ فصارت النكرة عند ذلك في معنى المعرفة، فأفادت»^(٧٠)، فجعل مسوِّغ الابتداء بالنكرة مع النفي هو العموم؛ لأن النكرة في سياقه تقتضيه، والمسوِّغ مع الاستفهام الإبهام، الذي يجعله شبيهًا بما يفيد العموم، لا أنه يفيد العموم.

وأكد الصبان ما ذكره العلائي، واستشكل مثال ابن مالك في الاستفهام، ثم وجَّهه بما يؤيد هذا المعنى، يقول شارحًا كلام الأشموني: «قوله: (في سياق استفهام) اعترض بأن الكلام في العموم الشمولي، والنكرة في سياق الاستفهام إنما يكون عمومها إذا كان إنكارياً، كما في الآية التي مثل بها الشارح^(٧١)؛ لأنه في معنى النفي، لا إذا كان غير إنكاري، كما في مثال المصنّف، نعم قد تكون في غير المنفّي وما في معناه والنهي للعموم الشمولي مجازاً، فينزل عليه مثال المصنّف، على أنه لا مانع من جعل الاستفهام في مثاله أيضاً إنكارياً، فلا يكون تمّ إشكال»^(٧٢).

أما إذا قيل: (أجاء رجل؟) على سبيل الاستفهام الحقيقي فإن النكرة لا تعمُّ، بل يكون السؤال عن واحد من هذا الجنس؛ لأنه يمكن أن يقال فيه: (أجاء رجل أم رجال؟)، فلم يكن المعنى على العموم، بل على الواحد، وإلا لم يصحّ الكلام.

وختام القول في عموم النكرة أن علماء الأصول قد ذكروا علامة دالة على كون اللفظ عامًّا، وهي علامة صالحة لصيغ العموم عامة، ومنها النكرة في سياق يقتضي عمومها فيه، وذلك بأن يصح الاستثناء من ذلك اللفظ، وعبروا

عن هذه العلامة بما يكشف عن عنايتهم بوضعها علامة عليه، يقول الإسنوي: «...ههنا قرينة دالة على العموم، وهي جواز الاستثناء... وقد تقدّم غير مرة أن الاستثناء معيار العموم»^(٧٣)، «فكل ما صحّ الاستثناء منه مما لا حصر فيه فهو عامٌّ»^(٧٤).

ومن إجراء النحاة لهذه العلامة واعتمادها أصلاً في تحليلهم النحوي قول ابن هشام في تقرير مجيء (إلا) صفة بمعنى (غير) في قول الله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾: «فلا يجوز في (إلا) هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى... ولا من جهة اللفظ؛ لأنّ (آلهة) جمع منكر في الإثبات، فلا عموم له، فلا يصح الاستثناء منه»^(٧٥).

ثالثاً/ النكرة الخاصة:

التخصيص عند الأصوليين أعمُّ منه عند النحاة، وهو أعمُّ من المقصود في هذا البحث؛ لأنّ الأصوليين يعبرون بالتخصيص عن «إخراج بعض المسميات من اللفظ... وإفراد بعض ما يصلح له اللفظ عن بعض»^(٧٦)، بأيّ مخصّص من المخصّصات اللفظية وغيرها، وليس كلامهم فيه مقتصرًا على تخصيص النكرة، بل الخصوص عندهم مقابل للعموم على اختلاف صيغه وألفاظه^(٧٧).

وإنما المقصود بالتخصيص فيما يراد الكلام عليه هنا تخصيص النكرة خاصة بلفظ آخر زائد على ذاتها، فإذا انضمّ إلى لفظ النكرة المطلقة لفظ آخر قلّل شياعها وضيّق دلالتها فتناولت بعض أفراد ما كانت تدل عليه استحالت نكرة خاصة؛ لخروج بعض الأفراد التي كانت من مدلول ذلك اللفظ عنه بما دخل عليه.

ومع أن التعريف داخل في التخصيص بمعناه العام لما يحقّقه من تعيين لأحد أفراد الجنس، ورفع الشياخ من دلالة اللفظ، بل هو بذلك أدخل في معنى

التخصيص، إلا أن النحاة اصطالحوا على جعل التخصيص قسيماً للتعريف^(٧٨)، ومن هنا كان معنى التخصيص في اصطلاحهم «تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات، وذلك أنّ (رجلٌ) في قولك: (جاءني رجلٌ صالحٌ) كان بوضع الواضع محتملاً لكل فرد من أفراد هذا النوع، فلما قلت: (صالحٌ) قللت الاشتراك والاحتمال»^(٧٩).

ويتحقق تخصيص النكرة وتضييق شياعها وتقليل الاشتراك فيها وخروجها من حالها الأولى -وهي حال النكرة المطلقة- إلى حال أخرى تتناول فيه بعض أفراد الجنس دون بعض بأكثر من طريقٍ، أهمها ما يأتي:

١- التخصيص بالوصف:

الأصل في الوصف أن يكون للنكرة؛ لحاجتها إليه في إزالة إبهامها، وتقليل شياعها، ومع أن المعرفة توصف لتوضيحها، إلا أن النكرة أحقُّ بذلك؛ لأن في المعرفة ما يمكن أن تستغني به عن الوصف، وهو التعريف^(٨٠)، فإذا وُصِفَت النكرة تحصّصت، وانتقلت من الدلالة المطلقة إلى المعنى الخاص، فتخرج بذلك طائفة من أفراد اللفظ المطلق الذي لا يتّصف بتلك الصفة، ففي مثل: (جاء رجلٌ)، يكون لفظ النكرة صالحاً لأي رجل؛ لأنها نكرة مطلقة، فإذا وُصِفَت في نحو (جاء رجلٌ أعمى) خرج من كان مبصراً من هذا الجنس، فيضيّق معنى الشياع الذي كانت تدل عليه النكرة؛ ليصبح المقصود فرداً من طائفة محدودة تجمعها هذه الصفة؛ لأن صفة الذات تُخرج ما عداها^(٨١).

ويحصل تخصيص النكرة بالوصف إما بذكر لفظه، وإما بتقديره، وإما بمعناه، فأما ذكره فظاهر كما مرّ، وأما تقديره فكقولهم: (السمُّ منوان بدرهم)، أي (منوان منه)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾^(٨٢)، أي: (وطائفة

من غيركم)، وأما معناه فيستفاد من لفظ النكرة نفسها، وذلك كدلالة صيغة التصغير على الوصف^(٨٣)؛ «لأن التحقير في معنى الوصف، ألا ترى أن قولك: (هذا رَجِيلٌ) معناه: (هذا رجلٌ صَغِيرٌ)»^(٨٤)، «فالاسم المصغَّر بمنزلة الموصوف مع صفته»^(٨٥)، وقد صرَّح بعض النحاة بجواز الابتداء بالنكرة المصغَّر؛ لأنه في منزلة المخصوص بالصفة^(٨٦).

وقد تقرَّر عند النحاة أحكام للصفة بعامة، والمخصَّصة للنكرة بخاصة، ومنها أن يكون لفظ الصفة مشتقًّا، وأن يكون اشتقاقها للفاعل أو المفعول، أو لفظًا مشبَّهًا لذلك المشتق.

فأما المشتق للفاعل أو المفعول فيدخل فيه اسم الفاعل، ك(مررت برجلٍ قاعدٍ)، واسم المفعول، ك(مررت برجلٍ مضروبٍ)، والصفة المشبَّهة، ك(مررت برجلٍ حَسَنٍ)، وأفعل التفضيل، ك(مررت برجلٍ أكرمَ من أخيك)، ولا يصح الوصف بغيرها من سائر المشتقات، كاسمي الزمان والمكان، وأسماء الآلات ونحوها.

وأما اللفظ المشبه لذلك المشتق فثلاثة أشياء، لكن الذي يخصص النكرة منها شيئان: (ذو) التي بمعنى (صاحب)، مثل: (مررت برجلٍ ذي مالٍ)، والمنتسب، بأنواعه الأربعة، وهي ما كان بياء النسب، مثل: (مررت برجلٍ قرشيٍّ)، وما كان على وزن (فاعل) مثل: (مررت برجلٍ تامرٍ، أي صاحب تمر)، وما كان على وزن (فَعَالٍ)، مثل: (مررت برجلٍ جَمَّالٍ)، وما كان على وزن (فَعِلٍ)، مثل: (مررت برجلٍ نَهْرٍ، أي أنه نهارٍ يُعَيَّر في النهار).

ويجري مجرى مشبه المشتق صفاتٌ غير مشتقة؛ لأنه ليس لها فعل أصلاً، مثل (مررت ببعيرٍ شمردلٍ، أو صمحمحٍ، أو جُرْشُعٍ)^(٨٧)، وكذلك لفظ (أَيٍّ) إذا

وصف به، مثل: (مررت برجلٍ أيّ رجل)، أو وصفت النكرة بمثلها مضافة إلى ما يخصّها، مثل: (مررت برجلٍ رجلٍ صدقٍ).

وقد توصف النكرة بالجملة بنوعيها: الاسمية والفعلية، كما توصف بالمفرد، فتكون مخصّصة لها، ولا يوصف بالجملة إلا النكرة، نحو (جاء رجلٌ أبوه كريمٌ)، و(جاء رجلٌ كرمٌ أبوه)^(٨٨).

ويرى جمهور النحاة أن الصفة لا تكون أخص من الموصوف، وهذا المعنى ظاهر التصور في صفة المعرفة؛ لأن رتب المعارف عندهم متفاوتة، فالضمير أعرفها، يليه العلم، فاسم الإشارة، فما عرّف بأل، ومعه الاسم الموصول، وما أضيف إلى واحد منها فهو بمنزلة، إلا المضاف للضمير فهو بمنزلة العلم، فتوصف المعرفة بأقل منها رتبة؛ ولا إشكال في هذا المعنى، إذ يقال مثلاً: (جاء محمدٌ الطويلُ)، فيكون الموصوف أعرف وأخص من الصفة؛ لأن رتبة العلم قبل رتبة المعرّف بأل، وهكذا^(٨٩).

وقد أجاز بعض النحاة^(٩٠) -ومنهم الفراء وابن مالك- ما منعه الجمهور، فذكر ابن مالك أن ما أوجبه الجمهور من كون الموصوف أخص من الصفة، هو الأولى، والغالب، لكنه ليس واجباً، بل أجاز أن يكون النعت أخص من المنعوت، ومثّل لذلك بأمثلة، من نحو (رجلٌ فصيحٌ، ولحانٌ، وغلامٌ يافعٌ، ومراهقٌ، وماءٌ فراتٌ وأجاجٌ) مما يظهر فيه كون النعت أخص من المنعوت^(٩١).

وقد استشكل ناظر الجيش إجراء هذا الحكم في نعت النكرة، من جهة أن شياع النكرة معنى واحد، لا يختلف بين أن تكون النكرة صفة، أو موصوفة، فقال: «ولا يظهر كون النعت في الأمثلة التي ذكرها أخص من المنعوت؛ لأن شياع (فصيح ولحان) في الصفات كشياع (رجل وغلام) في الأسماء، والكلمة

الشائعة في جنس نكرة بلا شك، فكما أن (رجلاً) نكرة، هكذا (فصيح) نكرة، وإذا كان كذلك فكيف تثبت الأخصيَّة لنكرة دون نكرة؟ فإن قيل: (رجل فصيح) أخصُّ من (رجل)، وإنما صار أخصَّ بانضمام (فصيح) إليه، فمن ثم نسبت الأخصية إلى النعت في المثال المذكور، وشبهه، فالجواب: أن الأخصية إنما هي للرجل الفصيح، لا للفصيح، فإذا لا فرق بين نعت ونعت، بل كل نعت لنكرة هو أخصُّ منها»^(٩٢).

ويمكن الجواب عما استشكله ناظر الجيش من جهة غير التي نظر منها إلى معنى الأخصية للنعت، وهو مطلق الشيع في النكرات، بل من جهة أخرى يزول بها الإيراد الذي أورده، وذلك أن العلماء نصُّوا على أن النكرات دراجات في التنكير كما المعرفة درجات في التعريف، يقول المبرد: «...وهذه المعارف بعضها أعرف من بعض... كما أن النكرة بعضها أنكر من بعض، فالشيء أعمُّ ما تكلمت به، والجسم أخصُّ منه، والحيوان أخص من الجسم، والإنسان أخص من الحيوان، والرجل أخص من الإنسان، ورجل ظريف أخص من رجل، واعتبر هذا بواحدة، بأنك تقول: (كل رجل إنسان)، ولا تقول: (كل إنسان رجل)، وتقول: (كل إنسان حيوان)، ولا تقول: (كل حيوان إنسان)»^(٩٣)، فلم يكن اشتراك هذه الألفاظ في الشيع بمانع من تفاوتها في التنكير.

وقد أشار إلى الضابط الذي يُعرَف به كون النكرة أخص أو أعم، وهو أن يقال: «كل نكرة يدخل غيرها تحتها، ولا تدخل هي تحت غيرها فهي أنكر النكرات، فإن دخلت تحت غيرها، ودخل غيرها تحتها فهي بالإضافة إلى ما يدخل تحتها أعمُّ، وبالإضافة إلى ما تدخل تحت غيرها أخصُّ»^(٩٤).

وهذا الضابط منطبق على الأمثلة التي ذكرها ابن مالك، فإن لفظ (فراة) أخصُّ من لفظ (ماء)؛ لأن كلَّ فراة ماء، وليس كلُّ ماء فراة، وكذا الباقي.

وقد أشار بعض النحاة إلى مغزى لطيفٍ، مفاده أن صفة النكرة لما كان الأصل فيها أن تُخصّص موصوفها، وأن ذلك - غالبًا - مظنة الفائدة اعتبرت مسوغة لبعض أحكام النكرة النحوية، اعتبارًا بالتخصيص الذي تحدّثه، ثم إنه قد يتفق ألا تُخصّص الصفة الموصوف، فيكون معناه مساويًا لمعنى النكرة المطلقة، ومع ذلك يجري الحكم النحوي فيه كما لو خصّصته الصفة، فمثلًا لفظ (حيوان ناطق) يصحّ معه من الأحكام النحوية ما لا يصح مع لفظ (إنسان) مع أنه مساوٍ له، لم يزد عليه في المعنى شيئًا، وإنما صحّ له ما لم يصحّ لما هو بمعناه لأن «اعتبار الوصف قاعدة حكمت بها العرب، يظهر أثرها في بعض المواضع، فأناطوا بها الحكم، وإن لم يظهر أثره في بعضٍ آخر؛ طردًا للباب»^(٩٥).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن من النحاة من جعل عطف البيان نظير الصفة في تخصيص النكرة، كمثّل: (لبست ثوبًا جبّةً)، إلا أن الفارق بينهما كون الصفة مشتقة - كما سلف - وعطف البيان جامدًا، وإلا فهو يشاركه في تخصيص النكرة، كما يشاركه في توضيح المعرفة، وكما لا تكون الصفة أخصّ من الموصوف - غالبًا - كذلك لا يلزم أن يكون عطف البيان أخصّ من متبوعه، يقول ابن مالك في تنظير عطف البيان بالنعته في هذا المعنى: «عطف البيان في الجامد بمنزلة النعت في المشتق، ولا يُشترط زيادة تخصّص النعت؛ فلا يشترط زيادة تخصّص عطف البيان، بل الأولى بهما العكس؛ لأنهما مكملان، وقد جعل سيويّه (ذا الجمّة) من (يا هذا ذا الجمّة) عطف بيان، مع أن تخصّص (هذا) زائدٌ على تخصّصه»^(٩٦).

٢ - التخصيص بالإضافة أو العمل:

الإضافة نوع من أنواع العمل، وذلك لأنّ المضاف عامل في المضاف إليه الجرّ، على مذهب جمهور النحاة^(٩٧)، وإن كان قد جرى في اصطلاح النحويين

كون المقصود من العمل عند التعبير بالعمل عمل الرفع أو النصب؛ لأن الأصل في العمل للأفعال، والأفعال لا تجرّ، بل ترفع أو تنصب، وما عمل من الأسماء الرفع أو النصب فلمشابهته لها.

يؤكد فصلهم الإضافة عن العمل وتخصيصهم لها عن عمومها أنهم جعلوا الشبيه بالمضاف قسيمًا للمضاف، وقبيلًا له مع أن كليهما عاملٌ فيما بعده، غير أن الشبيه بالمضاف يعمل عمل الفعل، والمضاف يعمل الجر في المضاف إليه؛ ففرّقوا بين نوعي العمل؛ بتسمية الثاني مضافًا، وتسمية الأول شبيهًا به.

ويؤكد أنه أيضًا استعمال النحاة في تعبيراتهم لفظ (العمل) فيما يحدثه العامل من النصب أو الرفع دون الإضافة، من ذلك تعبيرهم عن الأثر الذي يحدثه الوصف فيما بعده في مثل (هذا قارئٌ كتابًا) بالعمل، ووصفهم اسم الفاعل فيه بالعامل، ومقابلتهم ذلك بالتعبير بالإضافة والمضاف في مثل (هذا قارئٌ كتابٍ)، وكذلك تعبيرهم عن النكرة المتبدل بها في نحو (رغبةٌ في الخير خير) بأنها نكرة عاملة، ومقابلتهم لها بالنكرة في نحو (عمل برّ يزين) بأنها مضافة، وعدم اعتبارهم مسوّغ الابتداء بالنكرة فيهما واحدًا، وهو العمل، بل بالتعبير عن الأول بالعمل، والثاني بالإضافة.

ولما كان التفريق بينهما مرده إلى شيء لا أثر له في شأن تخصيص النكرة -وهو كون العمل في الأصل مقصودًا به الرفع والنصب الذي ينتج عن الأفعال- ولتداخل بعض صور تخصيص النكرة بين الإضافة والعمل - كما سيأتي - جعلت الكلام عنهما في موضع واحد.

فأما الإضافة فيختلف حكم المضاف فيها بالنظر إلى نوع المضاف إليه، فإذا كان المضاف إليه معرفة اكتست النكرة المضافة التعريف منه، فيخرج المضاف

من النكرة إلى المعرفة، كما في لفظ (كتاب) إذا قيل فيه (كتاب زيد)، فإنه بعد أن كانت دلالة مطلقة صالحة لأي كتاب أصبحت معينة، دالة على فرد بعينه؛ لإضافتها إلى المعرفة.

وإذا أضيفت النكرة إلى مثلها زال عنها الإطلاق الذي كان مدلولاً لها بتلك الإضافة، لكنها لا تبلغ درجة التعيين، وإنما تتخصّص بها، فيقلُّ شياؤها، وتضيق دائرة التنكير فيها، ففي نحو (كتاب فتى) تكون النكرة (كتاب) قد تخصصت دلالتها لإضافتها إلى النكرة، فخرجت طائفة كبيرة من الأفراد الداخلة تحت مدلول اللفظ قبل إضافته^(٩٨).

وإن كان الاسم المضاف من الأسماء المتوعّلة في الإبهام كلفظ (مثل، وغير، وشبه، ونظير) ونحوها فإنه يتخصّص مطلقاً بالمضاف إليه، وإن كان معرفة، ولا يتعرّف به؛ لشدة إبهامه، وملازمته للتنكير، يدلُّ لذلك أنه يوصف به النكرة وهو مضاف إلى المعرفة، ولا توصف النكرة إلا بنكرة، فيقال: (مررت برجلٍ مثلك، أو غيرك، أو نظيرك، أو شبهك)^(٩٩).

وإن كان الاسم المضاف من الأسماء المشتقة التي تعمل عمل الفعل - والمقصود بها اسمُ الفاعل، واسمُ المفعول، والصفةُ المشبّهة إذا كانت في معنى الفعل المضارع الدال على الحال أو الاستقبال^(١٠٠) - فإنه يكتسب التخصيص بما يعمله فيما بعده، سواء كان العمل إضافة أم غيرها، فكلمة (قارئ) - مثلاً - نكرةٌ مطلقة، فإذا عملت في نحو (نظرت إلى قارئٍ كتاباً) تخصصت بالعمل، واقتصرت دلالتها على بعض من يقرأ دون بعض، ثم يمكن من بعدُ إضافتها إلى معمولها، فيقال: (نظرت إلى قارئٍ كتابٍ)، فيبقى التخصيص الحاصل لها بالعمل عند الإضافة، ولا تكتسب بالإضافة معنى زائداً عما استقرَّ لها بالعمل.

ويدلّ على أنّ تخصيصها بالإضافة استمرار لتخصيصها بالعمل، وليس شيئاً حادثاً بالإضافة أنها لا تتعرّف بالمضاف إليه إذا كان معرفة، بدليل وصف النكرة بها في نحو قول الله تعالى: ﴿هَدِيًّا بِالْعِ كَعْبَةِ﴾^(١٠١) مع أنها مضافة إلى معرفة، ولا توصف النكرة بالمعرفة، وبدليل مجيئها حالاً مع إضافتها إلى المعرفة في قول الله تعالى: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١٠٢)، والحال لا تكون إلا نكرة، ولهذا نص النحويون على أنّ إضافة هذا النوع من الأسماء إضافة لفظية، لا يتعرّف بها المضاف ولا يتخصّص، وإنما يتخفّف من التنوين الذي كان فيه إِبَّان عمله النصب أو الرفع^(١٠٣).

وليس مقصودهم بكونه لا يتخصّص بهذه الإضافة، وكون هذا الإضافة إضافة لفظية لا معنوية أنه يبقى نكرة مطلقة كما لو لم يضاف، وإنما المراد أن التخصيص قد ثبت له بالعمل، فلا تزيده الإضافة معنى فوق ذلك، لا تعريفاً، ولا تخصيصاً حادثاً بالإضافة، وإنما يبقى على حاله من التخصيص الذي ثبت له بالعمل، أما الشيء الزائد الذي تحقّق له بالإضافة فهو أمرٌ لفظيٌّ وهو زوال التنوين أو النون التي بمنزلة^(١٠٤).

يقول الرماني: «الإضافة اللفظية هي التي يكون اللفظ على الإضافة والمعنى على الانفصال، نحو (مررت برجل ضاربٍ زيدٍ)، والمعنى (ضاربٍ زيدًا)، و(رأيت رجلاً حسنَ الوجه)، بمعنى (حسنًا وجهه)»^(١٠٥)، فالإضافة فيه ليست مقصودة لمعنى؛ لأن معنى التخصيص الذي كان ينبغي طروؤه على النكرة بالإضافة متحقق من قبلها، والإضافة في نية الانفصال؛ لأن المضاف إليه في الأصل معمولٌ للوصف، «فمعنى المضاف من هذا النوع والمتروك الإضافة واحد»^(١٠٦).

يؤكّد كون إضافة هذا النوع من الأسماء لا تستقلُّ بإكسابه معنى، أن النحويين لم يعتبروا الفرق المعنوي بين إضافته إلى المعرفة وإضافته إلى النكرة مع

وجوده، فإنَّ نحو: (ضارب زيد) يفيد تعيّن ذلك الشخص الضارب، والتعيّن هو حقيقة التعريف، بخلاف نحو (ضارب رجل) فإنه يفيد تخصيصه دون تعيينه، وهذا معنى ظاهر لا إشكال فيه، لكنه لما لم يكن النظر في نحو هذا إلى ما تعطيه الإضافة من هذا المعنى؛ لأنّها على نية الانفصال، اعتُبر فيه ما يعطيه العمل فحسب؛ إذ هو الأصل فيه، والحال الأولى له.

ولا يختلف الحكم عند إعماله بين كونه عاملاً في معرفة أو في نكرة؛ لأنّ الإعمال ليس طريقاً من طرق تعريف اللفظ فيقال بانتقال التعريف الذي يحدثه الإعمال إلى حال الإضافة التي هي فرع عنه في هذا النوع من الأسماء، وإنما العمل طريق من طريق التخصيص، فهذه الأسماء تتخصص بالعمل فيما عملت فيه، ثم يستمر فيها ما تحقّق لها بالعمل بعد إضافتها؛ لبقاء معمولها وإن كان في صورة مضافٍ إليه، أيّاً كان نوعه من حيث التعريف والتنكير، وإنما غرض الإضافة في هذا تخفيف اللفظ من التنوين لا غير.

يدلُّ على هذا المعنى أن هذا الوصف المضاف إذا كان بمعنى الماضي كانت إضافته محضة، يتعرّف بها إذا أضيف إلى المعرفة، ويتخصص بها إذا أضيف إلى النكرة كسائر الأسماء؛ لأنه لا وجه للعمل فيه حال مضيّه، وإنما يعمل إذا كان بمعنى الفعل المضارع الدال على الحال، أو الاستقبال، ف(ضارب) في نحو (مررت بضارب زيد أمس) معرّف بإضافته إلى المعرفة، وهو في نحو (مررت بضارب رجل أمس) مخصّص بإضافته إلى النكرة، مع أن معنى التعيين أو التخصيص فيه لا يختلف عنه في نحو (مررت بضارب زيد الآن أو غداً)، و(مررت بضارب رجل الآن أو غداً)، إلا أن الفرق بينهما من جهة العمل وعدمه، وذلك كونه في المثالين الأولين لا وجه للعمل فيه لمضيّه، فكانت إضافته معنوية؛ لأنّها محضة ليست على نية الانفصال، أما في المثالين الآخرين فمن حقه أن يعمل فيهما

عمل الفعل؛ لأنه في معنى المضارع الدال على الحال أو الاستقبال، وكان العمل هو الأصل فيه، فكانت إضافته على نية الانفصال، ولهذا لم تؤثر فيه تأثيراً مستقلاً بتخصيص أو تعريف، وإنما استمرّ فيه ما ثبت له من التخصيص بالعمل بصرف النظر عما أضيف إليه، يدلُّ لذلك ما سبق من نعت النكرة به ومجيئه حالاً مع إضافته إلى المعرفة في الآيتين الكرّيمتين الأنفِ ذكرهما.

أما المصدر فإنه وإن كان عاملاً عمل الفعل إلا أن إضافته إلى معموله -سواء كان موضعه في الأصل رفعاً أم نصباً- إضافة معنوية محضة، ليست في تقدير الانفصال، فهو يكتسي منها التخصيص إن أضيف إلى النكرة، والتعريف إن أضيف إلى المعرفة، بدليل وصفه بها إذا أضيف إليها، ولا توصف المعرفة إلا بمعرفة.

يقول الشاطبي: «...فإن لم يكن وصفاً لإضافته محضة تُخصّص وتُعرّف، وذلك المصدر الواقع موقع (أن) والفعل، فإنه شبيهه (يفعل)، وواقع موقعه، والمضاف إليه في موضع رفع به، نحو (أعجيني قيامٌ زيدٍ غداً)؛ لأن التقدير: (أعجيني أن يقوم)، أو في موضع نصب، نحو (أعجيني أكلُ الطعامِ وشربُ الماءِ الآن أو غداً)، فإن التقدير: (أن أكلَ الطعامِ، وأن أشربَ الماءِ)، لكنّ إضافته ليست في تقدير الانفصال، بل هي محضة، تفيد نكرته التخصيص، ومعرّفته التعريف»^(١٠٧).

ويقول الرضي مبيّناً الفرق بين المصدر والوصف، وما ترتّب عليه من اختلاف نوع الإضافة فيهما مع كونهما معاً يعملان عمل الفعل، غير أن المعترف في الوصف العمل، والمعتبر في المصدر الإضافة: «واعلم أنّ حال المصدر بخلاف الصفة، فإنّ إضافته إلى معموله محضة، وذلك لنقصان مشابته للفعل لفظاً ومعنى، أما لفظاً فلعدم موازنته، وأما معنى فلا لأنه لا يقع موقع الفعل،

ولا يفيد فائدته إلا مع ضميمة، وهي (أَنْ) بخلاف الصفة، فإنها تؤدّي مؤدّي الفعل بلا ضميمة، تقول: (أعجبي ضرب زيد عمراً) أي (أَنْ ضَرَبَ)، وتقول: (زيد ضارب عمراً) أي (يضرب عمراً)، فلقوة شبه الصفة لم يكن لها بدُّ من مرفوع، إمّا ظاهر أو مضمّر، بخلاف المصدر كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا﴾^(١٠٨)، فإنه مجرّد عن المرفوع، وكقولك: (أعجبي ضرب)، فإنه مجرّد عن المرفوع والمنصوب، فلما كانت الصفة أقوى شبهً بالفعل كانت أولى بعملها عمل الفعل، فكان تقدير الانفصال فيها أظهر، فمن ثمّ كان إضافتها إلى معمولها لفظية، وإضافة المصدر إلى معموله محضة، فيختصُّ المصدر أو يتعرّف بنسبته إلى فاعله أو مفعوله لاشتهاره به، كاختصاص الغلام ب(رجل)، وتعرّفه ب(زيد)»^(١٠٩).

وختام القول أنّ النكرة بمعناها العامّ الذي تقابل به المعرفة تتناول الأقسام الثلاثة جميعها، لأنه ليس شيء منها من قبيل المعرفة، وليس للاسم إلا أحد هذين الوصفين، لكنها بالنظر إلى الدلالات الخاصة يختلف كل قسم من هذه الأقسام عن الآخر، فالمطلقة تعني فردًا واحدًا من جنس، والعامّة تعني الجنس كلّ لا الفرد، والخاصة تعني فئة مخصوصة من الجنس لا فردًا منه، فهذه الأقسام في معانيها الخاصة متغايرة.

فإذا ذكر النحاة حكمًا من الأحكام للنكرة بإطلاق فالغالب أنهم لا يعنون إلا النكرة المطلقة، باعتبار أنّ المعنى الأوّل الذي لا يحتاج فيه اللفظ إلى ما ينضمُّ إليه للدلالة على ذلك المعنى هو لهذا القسم، من جهة، وباعتبار أنّها النكرة المحضة الخالصة من شائبة التعريف، من جهة أخرى، فإذا أثبتوا من بعدُ للنكرة العامّة، أو الخاصة حكمًا في المسألة يُغاير ما أثبتوه حال الإطلاق فليس ذلك من تعارض الكلام، بل يكون ذلك الحكم منصرفًا إلى قسمي النكرة الآخرين،

من جهة أنهما دالان على شيئين مغايرين لما تدل عليه المطلقة من جهة القرب أو البعد من المعرفة، لكونهما يمثّلان النكرة غير المحضة.

أثر انقسام النكرة في اختلاف أحكامها النحوية:

أحكام النكرة في النحو كثيرة متوافرة، وليس الغرض هنا استقصاءها، ولا التوسّع في عرض الخلاف النحوي فيها، ولا تتبع أقوال النحاة، وأدلتهم، ومناقشة ذلك، وإنما الغرض من هذا الفصل التنبيه على تأثير اختلاف أقسام النكرة على الحكم النحوي، وذلك بعرض طائفة من المسائل التي فرّق فيها النحاة في كتبهم بين تلك الأقسام للنكرة حسب ما استقرّ لها، واطّرد في كلام العرب، حيث نجد حكمًا نحويًا يمتنع عن النكرة المطلقة، ويسوغ للنكرة العامة، أو الخاصة، ونجد آخر اختلفت به النكرة العامة دون غيرها، ونجد ثالثًا يثبت للأنواع كلّها لكن كلٌّ بحسبه، وهكذا.

ويجدر القول بأن النكرة المطلقة أبعد ما تكون عن المعرفة؛ ولهذا تسمى محضةً، وتسمى النكرتان العامة والخاصة غير محضتين؛ لاقترابهما من المعرفة، وقد ترتّب على ذلك اشتراك هذين النوعين مع المعرفة في بعض الأحكام بخلاف المطلقة، كما سيأتي.

يقول الرضي في بيان وجه القرب بين النكرة العامة والمعرفة: «وأنت إذا قلت: (ما أحدٌ خير منك) فالقصد أن هذا الحكم - وهو عدم الخيرية - ثابت لكل فرد فرد... لأنك عيّنت المحكوم عليه، وهو كل فرد فرد، ولو حكمت بعدم الخيرية على واحد غير معيّن لم يحصل للمخاطب فائدة؛ لعدم تعيين المحكوم عليه»^(١١٠).

وفي كلام آخر له يتبين منه قرب النكرة الخاصة من المعرفة، حيث أخذ يفرّق بينهما من جهة نوع تخصيص كلٍّ منهما لدلوله؛ لاشتراكهما في عموم التخصيص، فيقول: «والفرق بين المعرفة والنكرة المخصّصة: أن تخصيص المعرفة وضعيٌّ، وهو المراد بالتعريف عندهم، وليس المراد به مطلق التخصيص، ألا ترى أنّك قد تُخصّص النكرة بوصف لا يشاركها فيه شيءٌ آخر، مع أنها لا تسمّى بذلك معرفة؛ لكونه غير وضعيٍّ»^(١١١).

ومن هنا جاء هذا المبحث ليكشف عن نماذج من المسائل التي ظهر فيها أثر اختلاف نوع النكرة على الحكم النحوي من جهة، واشتراك العامة والخاصة مع المعرفة في بعض الأحكام من جهة أخرى.

حكم الابتداء بالنكرة:

فرّق النحاة بين أقسام النكرة المبيّنة في الفصل السابق في حكم الابتداء بها، حيث قرّروا أن النكرة العامة والنكرة الخاصة يصح الابتداء بهما كما يصح الابتداء بالمعرفة دونما إشكال، نحو (ما رجلٌ في الدار) و(رجل نائمٌ في الدار)، بل رجّح بعضهم المسوّغات التي يصح بها وقوع المبتدأ نكرة إلى كونها عامة أو خاصة، يقول ابن هشام: «وقد ذكر بعض النحاة لتسوية الابتداء بالنكرة صوراً، وأنهاها بعض المتأخرين إلى تيّف وثلاثين موضعاً، وذكر بعضهم أنها كلّها ترجع للخصوص والعموم»^(١١٢).

وأما النكرة المطلقة فمنعوا وقوعها مبتدأ - غالباً^(١١٣) - إلا إذا تحقّق أمران، هما: أن يكون خبر تلك النكرة شبه جملة، (ظرفاً أو جاراً ومجروراً)، وأن يتقدم عليها، نحو (في الدار رجلٌ)، فإن لم يتحقق هذان الأمران فلا تجيء النكرة المطلقة مبتدأ^(١١٤).

ومردُّ هذا التفريق إلى كون النكرة العامة والخاصة قريبتان من المعرفة التي هي الأصل في المبتدأ؛ لأن الخبر حكم لا ينبغي أن يحكم به إلا على معلوم أو ما في حكمه، فلا يخبر عن مجهول، ولما كانت النكرة العامة تعيّن جميع أفراد الجنس، غدت في حكم المعرفة التي تعين الفرد المقصود منها، ولما كانت النكرة الخاصة مضيّقة للشياع في الأفراد، ومخصّصة لفئة منهم دون سائرهم أشبهت بذلك المعرفة واقتربت منها، بخلاف النكرة المطلقة التي تعني فردًا من الجنس غير معيّن، فإن التنكير فيها متمخّض، وهي أبعد أقسام النكرة عن المعرفة^(١١٥).

يقول ابن السراج في تقرير معنى اقتراب النكرتين العامة والخاصة من المعرفة، وكوئهما بذلك مظنة الفائدة التي عليها مدار قبول وقوع المبتدأ نكرة، وكون النكرة المطلقة مظنةً عدم الفائدة في الابتداء بها: «وحقُّ المبتدأ أن يكون معرفة أو ما قارب المعرفة من النكرات الموصوفة خاصة... وإنما امتنع الابتداء بالنكرة المفردة المحضة لأنه لا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه فلا معنى للتكلم به... ولا يكون المبتدأ نكرة مفردة إلا في النفي خاصة، فإن الابتداء فيه بالنكرة حسنٌ، بحصول الفائدة بها»^(١١٦).

وهذا هو منهج النحويين لا سيما المتقدمون منهم، كما صرّح بذلك الشاطبي في قوله: «... وإنما يذكر متقدمو النحويين في هذا - كسيبويه، والأخفش، والمبرد، وابن السراج - ما يكثر وجوده مما يُسَيغ الابتداء بالنكرة؛ لوقوع الفائدة بذكر ذلك، كالوصف والعموم»^(١١٧).

حكم استثناء النكرة أو الاستثناء منها:

ونظير هذه المسألة في تقييد جواز الحكم فيها بالفائدة، وربط الفائدة بتخصيص النكرة، أو تعميمها؛ باعتبار التخصيص، والتعميم للنكرة مظنة الفائدة

التي بها تتحقق ما ذكره بعض النحويين من منع كون المستثنى، أو المستثنى منه نكرة مطلقة؛ لانعدام فائدة الاستثناء معها، فإن كان أيُّ منهما نكرةً خاصة أو عامة جاز الاستثناء، يقول ابن السراج مصرِّحًا بكون تخصيص النكرة في الاستثناء من الكلام الموجب تتحقق معه الفائدة في هذه المسألة: «ولا يجوز أن تستثنى النكرة من النكرات في الموجب، لا تقول: (جاءني قومٌ إلا رجلاً)؛ لأن هذا لا فائدة في استثناءه، فإن نعتَه أو خصصته جاز، وهذا امتناعه من جهة الفائدة، فمتى وقعت الفائدة جاز»^(١١٨).

ومفهوم كلامه أن غير الموجب يجوز فيه استثناء النكرة، ومنزعه كون النكرة حينئذٍ عامة؛ لحيثها في سياق النفي، يقول أبو حيان - شارحًا كلام ابن مالك - في تقرير أثر تخصيص النكرة، أو تعميمها على جواز استثناءها، أو الاستثناء منها في الكلام الموجب وغيره: «...تبه المصنّف بهذا على أن النكرة لا يستثنى منها في الموجب ما لم تُفد، فلا يقال: (جاء قوم إلا رجلاً)؛ لعدم الفائدة، وإن دخلت فائدة جاز، كقوله تعالى: ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا﴾، وقال أصحابنا: لا يُستثنى من النكرة غير العامة النكرة المجهولة عند السامع، نحو (قام رجالٌ إلا رجلاً)، لا على الاتصال ولا على الانقطاع، فإن تُخصّصنا جاز، نحو (قام رجالٌ كانوا في دارك إلا رجلاً منهم)، وإن عمّت جاز، نحو (ما جاءني أحدٌ إلا رجلاً)، ولا تُستثنى المعرفة من النكرة التي لا تعمُّ ولم تُخصّص، نحو (قام رجالٌ إلا زيدًا)، فإن عمّت نحو (ما قام أحدٌ إلا زيدًا)، أو تُخصّصت نحو (قام رجالٌ كانوا في دارك إلا زيدًا)، جاز، ولا من المعرفة النكرة التي لم تُخصّص، نحو (قام القوم إلا رجلاً)، فإن تُخصّصت جاز، نحو (قام القوم إلا رجلاً منهم)»^(١١٩).

حكم مجيء الحال من النكرة:

قريب من القول في الابتداء بالنكرة القول في حكم صاحب الحال، فإن الأصل أن تجيء الحال من المعرفة، نحو (قام زيدٌ ضاحكًا)، يقول ابن مالك: «للحال شبه بالخبر، ولصاحبها شبه بالمتبداً، فمن ثم لم يكن صاحب الحال نكرة إلا بمسوّغ، كما لم يكن المتبداً نكرة إلا بمسوّغ»^(١٢٠).

ثم إن النحاة فرّقوا بين أنواع النكرة في حكم مجيء الحال منها، فأجازوا أن تجيء من النكرة العامة، نحو (ما قام رجلٌ ضاحكًا)، وأجازوا كذلك مجيئها من النكرة الخاصة، نحو (قام شيخٌ كبيرٌ ضاحكًا)، على حد مجيئها من المعرفة؛ لقرىبها منها فعولت معاملتها^(١٢١)، وضعّفوا مجيئها من النكرة المطلقة، إلا أن تتقدم الحال على صاحبها النكرة، نحو (قام ضاحكًا رجلٌ)، كما يتقدم الخبر على المتبداً النكرة في نحو (عندك مال) فيسوغ الابتداء بها؛ لأن الحال والخبر إذا تأخرا عن النكرة المطلقة كان وصف النكرة بهما أولى؛ لحاجة النكرة المطلقة إلى الصفة، أكثر من حاجتها إلى الحال والخبر^(١٢٢)، بخلاف النكرة العامة والخاصة، فإن فيهما من المعنى الزائد على الذات ما يكفيهما عن الحاجة إلى الوصف، فإذا قيل: (في الدار رجلٌ قائمٌ) كان الوصف هنا أولى، وكان نصب الصفة على الحال ضعيفًا؛ لكون صاحبها نكرة محضة، فإذا «أرادوا أن ينصبوا (القائم) على الحال على غير ضعف نقلوه إلى موضع لا يجري فيه على موصوفه، فقالوا: (هذا قائمًا رجلٌ)، و(فيها قائمًا رجلٌ)؛ إذ لا يصح في النعت أن يجري على منعوته وهو متقدّم عليه؛ لأن من شرط جريانه التأخير عن الموصوف»^(١٢٣).

يقول سيويوه في توجيه ضعف مجيء صاحب الحال نكرة مطلقة: «إنما كان النصب بعيدًا هنا من قبل أن هذا يكون من صفة الأول، فكرهوا أن

يجعلوه حالاً، كما كرهوا أن يجعلوا (الطويل والأخ) حالاً حين قالوا: (هذا زيد الطويل، وهذا عمرو أخوك)، وألزموا صفة النكرة النكرة، كما ألزموا صفة المعرفة المعرفة»^(١٢٤).

ويقول السهيلي فيما هو كالتفسير لكلام سيبويه: «حق النكرة إذا جاءت بعدها الصفة أن تكون جارية عليها؛ ليتفق اللفظ، وأما نصب الصفة على الحال فيضعف عندهم؛ لاختلاف اللفظ في غير ضرورة، هذا منتهى قول النحويين... أكثر الكلام على ما قاله النحويون؛ إيثارة لاتفاق اللفظ، ولتقارب ما بين المعنيين في النكرة، وتباعداً ما بينهما في المعرفة»^(١٢٥).

نوع مجرور (من) الزائدة:

مما صرّح به عدد من النحويين في شروط زيادة (من) أن يكون مجرورها نكرة مفيدة للعموم، وإذا لم يكن كذلك لم يصحّ أن تزداد (من) قبله، فسواء أكانت دلالة على العموم لكونه لفظاً من ألفاظ النكرات العامة ك(أحدٍ وديّارٍ وعَرِيبٍ)، ونحوها مما سبق الإشارة إليه، نحو (ما في الدار من أحدٍ)، أم لكونه نكرة في سياق النفي، أو شبهه المقتضي لعمومه، نحو (ما في الدار من رجلٍ)، فإنّ لفظ (أحد) ونحوه لا يستعمل إلا في سياق النفي دالاً على استغراق الجنس، فهو يفيد النص على العموم، ولهذا كانت زيادة (من) عليه للتأكيد على التنصيص على العموم؛ لأنه لو قيل فيه: (ما في الدار أحد) لاقتضى استغراق الجنس، وإن لم تُرَد (من)، فزيادتها تأكيد للعموم فحسب.

وأما لفظ (رجل) ونحوه فإنه ليس من النكرات العامة، إذ لا يلزم كونه في سياق النفي، فإذا قيل: (ما في الدار رجل) احتمل نفي الجنس، واحتمل نفي الواحد، وأنّ المقصود (ما في الدار رجلٌ واحد بل رجال)، فإذا زيدت (من) عليه

أفادة التنصيص على العموم، ورفع الاحتمال، ولو أريد به نفي الواحد ما صحَّ دخول (من) الزائدة عليه^(١٢٦).

فهذا الحكم مما اختصَّت به النكرة العامة من بين أقسام النكرة، يقول الشاطبي: «(من) لا تزداد في النكرة إلا بشرط أن يراد بها استغراق الجنس قبل دخول (من) عليها، ودخول (من) علامةً على ذلك المعنى، فإن كانت تلك النكرة غيرٍ مرادٍ بها استغراق الجنس لم يجز دخول (من) عليها»^(١٢٧).

نوع اسم (لا) العاملة عمل (إن) :

ونظير مجرور (من) الزائدة في عمومها واستغراقه اسمٌ (لا) النافية للجنس العاملة عمل (إن)، فقد نص النحويون على اشتراط كون النفي بها نصًّا في استغراق جنس معمولها^(١٢٨)، وهذا من أظهر الفرق بينها وبين (لا) العاملة عمل (ليس)؛ لأن العاملة عمل (ليس) تفيد نفي الواحد لا استغراق الجنس، وهي إحدى مسألتين منع بهما القرابي إطلاق القول بأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، فقال: «وأما النكرة في سياق النفي فهي من العجائب في إطلاق العلماء من النحاة والأصوليين، يقولون: النكرة في سياق النفي تعم، وأكثر هذا الإطلاق باطلٌ، قال سيبويه رحمه الله وابن السيد البطليوسي في شرح الجمل: إذا قلت (لا رجلٌ في الدار) بالرفع لا تعم، بل هو نفي للرجل بوصف الوحدة، فتقول العرب: (لا رجلٌ في الدار بل اثنان)، فهذه نكرة في سياق النفي، وهي لا تعمُ إجماعاً»^(١٢٩).

فلهذا صحَّ أن تُعقب بما يفيد إثبات بعض أفراد جنس المنفي بها، ولا يصح ذلك مع النافية للجنس؛ لأن ذلك مفضٍ إلى التناقض^(١٣٠).

وقد ربط سيبويه بين النافية للجنس وبين (من) الزائدة، في كون معموليهما نكرة عامة مستغرقة، فذكر أن نحو (لا رجل في الدار) جواب عن سؤال: (هل من رجل في الدار؟)، فهي في معنى (لا من رجل في الدار) في كون معمولها نكرة عامة، يقول: «...ف(لا) لا تعمل إلا في نكرة من قِبَل أنها جواب -فيما زعم الخليل رحمه الله- لقوله: (هل من عبدٍ أو جارية؟)، فصار الجواب نكرة؛ كما أنه لا يقع في هذه المسألة إلا نكرة»^(١٣١).

ويقول السيرافي شارحًا كلام سيبويه، ومبيّنًا أن المسألتين من بابة واحدة، فالنكرة فيهما عامة: «(لا رجل في الدار) جواب (هل من رجل في الدار؟)، وذلك أنه إخبار، وكل إخبار يصح أن يكون جواب مسألة، ولما كان (لا رجل في الدار) نفيًا عامًا كانت المسألة عنه مسألة عامة، ولا يتحقّق لها العموم إلا بإدخال (من)... لأنها لا تدخل إلا على واحد منكور في معنى الجنس»^(١٣٢).

حكم إبدال النكرة من المعرفة:

وقع الخلاف بين النحاة في جواز إبدال النكرة من المعرفة، فالبصريّون والفراء وبعض النحاة المتأخريين يرون جوازه مطلقًا، سواء كانت النكرة المبدلة مطلقة أم مختصة^(١٣٣)، يقول سيبويه: «...وإن شئت قلت: (دخلوا رجلًا فرجلًا)، تجعله بدلًا، كما قال عز وجل: ﴿بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ﴾»^(١٣٤)، فجعل النكرة المحضة كالمختصة في جواز وقوعهما بدلًا من المعرفة.

والمحكي عن الكوفيين أنهم يشترطون لذلك أحد أمرين: إما أن تكون النكرة المبدلة بلفظ المعرفة المبدل منها، وإما أن تكون نكرة مخصوصة بالوصف لا نكرة مطلقة؛ لتحصل الفائدة من الإبدال^(١٣٥)، ووافقهم على ذلك بعض المتأخريين^(١٣٦)، يقول الزمخشري عند قول الله تعالى: ﴿لَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٌ

كاذبة خاطئة»^(١٣٧): «(ناصية) بدل من (الناصية)، وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لأنها وصفت فاستقلّت بفائدة»^(١٣٨).

وبالنظر في كلام النحاة يتبيّن أن المعوّل عليه في إبدال النكرة من المعرفة حصول الفائدة من الإبدال، أو انعدامها، يقول ابن عصفور في تقرير هذا المعنى: «ولا يشترط في بدل النكرة من غيرها أكثر من أن يكون في ذلك فائدة»^(١٣٩)، لكنه اختلف منزع النظر إلى هذه الفائدة بين النحويين، فمن اشترط تخصيص النكرة المبدلة من المعرفة نظر إلى أن النكرة المطلقة مبهمة، و«لا فائدة من الإبهام بعد التفسير»^(١٤٠)؛ فالفائدة عنده غير متحصّل عليها إلا بالتخصيص.

ومن لم يشترط ذلك لم يربط فائدة النكرة بالتخصيص، وإنما بأن تفيد ما لم تفده المعرفة المبدل منها، وهذا وارد وإن كانت النكرة مطلقة، فإنه قد يقال: (رأيت هنداً رجلاً)، فيكون إبدال النكرة (رجلاً) من المعرفة (هنداً) مفيداً معنى لم يستفد من المعرفة، وهو التنصيص على الجنس؛ لاحتمال أن يكون المرئي امرأة لولا الإبدال^(١٤١)، فتكون الفائدة قد تحققت من النكرة المطلقة، وإذا كانت الفائدة ممكنة مع عدم التخصيص لم يصحّ اشتراطه، لأنه تحكّم.

يقول الفارسي: «ويجوز ألا توصف النكرة إذا أبدلت من المعرفة، وإن كان قد جاء في الآية ﴿بالناصية، ناصية كاذبة﴾ موصوفاً، ويدل على جواز ذلك قول الشاعر:

إنا وجدنا بني جالان كلهم كساعدي الضبّ لا طول ولا قصر

المعنى: (لا كذي طول ولا قصر)، وإنما جاز ذلك لأنه يفيد ما لا يفيد الأول، ولو لم توصف (ناصية) بالكذب لم يعلم بعدّ البدل إلا ما كان علّم بالأول»^(١٤٢).

فجعل مناط جواز إبدال النكرة المحضة من المعرفة إفادتها ما لم تفده المعرفة، فاحتج ببيت الشعر على الجواز لإفادتها معنى زائدًا على ما دلت عليه المعرفة المبدل منها، واحتج بالآية على عدم كفاية النكرة المحضة في إفادة معنى زائد على المعرفة، فكان لا بد من التخصيص، ولم يقل بشرط الوصف أو عدمه بإطلاق، وأيده بعض المتأخرين^(١٤٣).

لكن لما كانت النكرة المختصة مظنةً الفائدة، والنكرة المطلقة مظنةً الإبهام وعدم الفائدة، اشترط التخصيص من اشتراطه، فكان نوع النكرة مؤثرًا في حكم المسألة من وجهة النظر المعتمدة عليه، ولم ينكر من لم يشترط التخصيص اعتبار الفرق بين نوعي النكرة، وتأثيره في مقام استدعي التفريق من هذه الجهة، وإنما أنكر قصر الفائدة التي تكفي لإبدال النكرة من المعرفة على المختصة دون المحضة.

حكم الجملة وشبهها بعد النكرة:

من المتقرّر في قواعد الإعراب اختلاف الحكم الإعرابي للجملة الواقعة بعد النكرة بناء على اختلاف نوع تلك النكرة، فإن كانت نكرة محضة -وهي المطلقة- فالجملة بعدها نعتٌ لها لا غير، وإن كانت النكرة غير محضة -سواء كانت عامة أو خاصة- جاز جعلها نعتًا للنكرة، وجاز جعلها حالًا منها؛ لأن تخصيصها وتعميمها مقرّبان لها من المعرفة، وبهما يزول الإبهام عن النكرة^(١٤٤)، حتى إن الأخصش أجاز وصف النكرة الموصوفة بالمعرفة؛ لقربها منها بالوصف حتى كأنها معرفة^(١٤٥)، فعليه يجوز في الجملة بعد النكرة الخاصة والعامة ما يكون لها بعد المعرفة وهو اعتبارها في موضع الحال، ويجوز أيضًا اعتبارها نعتًا من جهة وقوعها بعد النكرة^(١٤٦).

فجملة (يسعى) في نحو: (جاء رجلٌ يسعى)، نعت للنكرة المطلقة، إذ هي في معنى (جاء رجلٌ ساعٍ)، وهي في نحو (جاء رجلٌ طويلٌ يسعى)، و(ما جاء رجلٌ يسعى) تحتل النعت، والحال، على معنى (جاء رجلٌ طويلٌ ساعٍ أو ساعياً)، و(ما جاء رجلٌ ساعٍ أو ساعياً).

وحكم شبه الجملة في ذلك كِلِّه كالجملة، يقول ابن هشام في بيان حكم الجملة بعد النكرة والمعرفة المحضتين وغير المحضتين^(١٤٧): «الجملة الخبرية التي لم يستلزمها ما قبلها إن كانت مرتبطة بنكرة محضة فهي صفة لها، أو بمعرفة محضة فهي حال منها، أو بغير المحضة منهما فهي محتملة لهما، وكل ذلك بشرط وجود المقتضي وانتفاء المانع...»^(١٤٨).

ثم قال في شبه الجملة بنوعيتها بعد النكرة والمعرفة: «حكمتها بعدهما حكم الجمل، فهما صفتان في نحو (رأيت طائرًا فوق غصنٍ أو على غصن)؛ لأنهما بعد نكرة محضة... ومحتملان لهما... في نحو (هذا ثمر يانعٌ على أغصانه)؛ لأن النكرة الموصوفة كالمعرفة»^(١٤٩)، ومثل ذلك لو قيل: (ما ثمرٌ على أغصانه)، يحتل شبه الجملة النعت والحال؛ لأن النكرة عامة، فهذا الاختلاف في إعراب الجملة وشبهها بعد النكرة أثر من آثار اختلاف نوعها.

وبهذا العرض يتبين حاجة النظر النحوي إلى تصوُّر أقسام النكرة الثلاثة (المطلقة، والعامة، والخاصة)، والوقوف على أثر هذا التقسيم في مسائل نحوية عديدة؛ واختلاف الأحكام النحوية فيها بناء على اختلاف تلك الأقسام.

الخاتمة:

١. أختتم هذه البحث بأهم نتائجه التي ظهرت لي، وفيما يأتي ذكرها:
٢. أكثر النحاة وبعض الأصوليين لا يفرّقون بين النكرة واسم الجنس والمطلق، بل يعدونها شيئاً واحداً، وهو (كون اللفظ دالاً على واحد غير معيّن في جنسه).
٣. أكثر الأصوليين يعدّون المطلق واسم الجنس شيئاً واحداً وهو (ما دل على الماهية من حيث هي من غير قيد)، ويفرّقون بينهما وبين النكرة، التي تعني عندهم (ما دلّ على فرد في الخارج غير معيّن)، وأما علم الجنس عندهم فهو (ما دل على ماهية متعينة في الذهن متميزة عن غيرها من الماهيات دون النظر إلى الأفراد الخارجية).
٤. النحاة متفقون على أن علم الجنس من حيث اللفظ معرفة، ومختلفون فيه من حيث المعنى، فبعضهم يعدّه من قبيل النكرة، والأقرب أنّه معرفة، إلا أنه في منزلة المعرّف ب(أل) الجنسية، الدال على الحقيقة الذهنية، وعلى هذا يكون معناه عند النحاة كما هو عند الأصوليين.
٥. عدم تفریق النحاة بين النكرة واسم الجنس والمطلق راجع إلى عدم الحاجة إليه في مباحث اللغة، وما تتطلبه الصنعة النحوية، أما الأصوليون فقد تطلّب منهم النظر العقليّ الأصولي وتطبيقاته الفقهية التفریق.
٦. النكرة ثلاثة أقسام: مطلقة، وعامة، وخاصة.
٧. ضابط النكرة المطلقة: أن تكون واقعة في سياق الإثبات، وأن يقتصر فيها على مسمى اللفظة المفردة، دون أن يزداد عليه لفظ آخر.

٨. ضابط النكرة العامة: أن تقع في سياق النفي أو ما في معناه، مع صلاحية زيادة (من) عليها، أو وضع لفظ (أحد)، أو نحوه من النكرات العامة موضعها.
٩. ضابط النكرة الخاصة: أن يزداد على لفظها لفظ آخر، إما بكونه وصفاً لها، وإما بكونها مضافة إليه وهو نكرة، وإما بكونها عاملة فيه عمل الفعل.
١٠. إطلاق القول بأن النكرة في سياق النفي، أو ما في معناه تفيد العموم غير صحيح، وإنما تفيد بالضابط المذكور آنفاً.
١١. النكرة في سياق النهي كالنكرة في سياق النفي، تدلّ على العموم بالضابط نفسه المذكور مع سياق النفي.
١٢. النكرة لا تعمّ في سياق الاستفهام بإطلاق، وإنما تعمّ إذا كان الاستفهام إنكارياً، بالضابط نفسه المذكور مع سياق النفي.
١٣. علامة عموم اللفظ صحة الاستثناء منه.
١٤. العموم عند الأصوليين نوعان، الأول: العموم البدليّ، ويراد منه صحة إطلاق اللفظ على جميع أفراد الجنس لكن على البدل، وهو بهذا يساوي النكرة المطلقة، والثاني: الشموليّ، ويراد منه اللفظ العام المستغرق لأفراد الجنس، وعدم إدراك هذين النوعين يفضي إلى الخلل.
١٥. النكرة درجات في التنكير كما أنّ المعرفة درجات في التعريف، وضابط معرفة أخصيّة النكرة بالنسبة لغيرها هو دخولها تحتها، كأن يقال: (كلُّ رجلٍ إنسان، وليس كلُّ إنسانٍ رجلاً)، ف(رجل) أخص من (إنسان) لدخوله تحتها، و(إنسان) أخص من (حيوان) لدخوله تحتها، وهكذا.

١٦. إذا عبّر النحاة بالعمل فالغالب أنهم يريدون عمل الأفعال، وهو الرفع، والنصب، سواء كان العامل فعلاً، أو اسماً عمل عمل الفعل، أما جرّ المضاف للمضاف إليه فيعبّرون عنه بالإضافة، لا العمل.

١٧. الوصف العامل عمل فعله - كاسم الفاعل - يتخصّص بالعمل أولاً، فإذا أضيف من بعد بقي على حاله من الاختصاص بمعموله الذي أصبح مضافاً إليه، وهذا معنى أن المضاف في الإضافة اللفظية غير المحضة لا يكتسب من الإضافة معنى، أي لا يكتسب منها معنى زائداً على ما اكتسبه بالعمل، وليس المعنى أنه غير متخصّص، بل هو متخصص بالعمل وإن لم يضيف، وإنما الأمر الحادث له بالإضافة هو حذف التنوين.

١٨. النكرة المطلقة أبعد ما تكون عن المعرفة؛ ولهذا تسمى محضةً، وتسمى النكرتان العامة والخاصة غير محضتين؛ لاقترابهما من المعرفة، وقد ترتّب على ذلك اشتراك هذين النوعين مع المعرفة في عدد من الأحكام النحوية.

١٩. تنوع أقسام النكرة إلى مطلقة وعامة وخاصة مؤثر في مسائل نحوية عديدة، فتمتنع المطلقة أحياناً مما يجوز في العامة والخاصة، وقد تختص العامة أو الخاصة بما لا يكون لأي قسم آخر من هذه الأقسام.

٢٠. النكرة أحوج إلى الصفة منها إلى الحال والخبر، وهذا منزع التأثير في عدم الابتداء بالنكرة المطلقة أو مجيئها صاحبة حال؛ لأنها تطلب اللفظ المقصود به الحالية أو الخبرية صفةً لها.

الهوامش والتعليقات:

- (١) ينظر الآيات البيّنات على شرح جمع الجوامع للعبّادي ١١٣/٣
- (٢) ينظر البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٤١٤/٣، والأصل الجامع في إيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع للسيناوي ٢٥/٢، ونثر الورد شرح مراقبي السعود للشنقيطي ٢٦٦/١
- (٣) ينظر نثر الورد ٢٦٧، ٢٦٦/١
- (٤) ينظر جمع الجوامع في أصول الفقه لابن السبكي ص ٥٣، والبحر المحيط في أصول الفقه ٤١٣/٣، ونثر الورد ٢٦٦/١
- (٥) ينظر شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول للقرافي ص ٢٠٩، والبحر المحيط في أصول الفقه ٤١٣/٣
- (٦) ينظر المستصفي للغزالي ٤٢/١، والآيات البيّنات ١٠٢/٣، ونثر الورد ٢٦٦/١
- (٧) التمثيل بهذه الأمثلة الثلاثة (إنسان، ورجل، وعربي) يفيد أن الجنس المذكور في هذه التعريفات أعم من الجنس بمعناه الخاص عند المناطقة، فإنه هنا يعم ما يسميه المنطقيون بالجنس والنوع والصنف، ينظر الأصل الجامع ٢٥/٢، ونثر الورد ٢٦٦، ٢٦٧/١
- (٨) ينظر نثر الورد ٢٦٦/١
- (٩) ينظر البحر المحيط في أصول الفقه ٤١٤/٣
- (١٠) ينظر المحصول في علم أصول الفقه للرازي ٣١٤/٢، والبحر المحيط في أصول الفقه ٤١٣/٣
- (١١) ينظر شرح تنقيح الفصول ص ٣٤، ونثر الورد ٢٦٦/١
- (١٢) ينظر الأشباه والنظائر لابن السبكي ١٠٣/٢، ومنع الموانع على جمع الجوامع له ص ٢٨٩، و٢٩٥، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي ٢٤٤/١، وحاشية الصبان على شرح الأشموني ٢٢٤/١
- (١٣) ينظر منع الموانع على جمع الجوامع ص ٢٨٩، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي ٣٨٧/١، ٣٨٨، وتشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي ٤٠٦/١، ٤٠٧
- (١٤) ينظر نثر الورد ٢٦٦/٢
- (١٥) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه للمرداوي ٣٤٧/١
- (١٦) شرح تنقيح الفصول ص ٣٣
- (١٧) المقاصد الشافية ٣٨٦/١
- (١٨) ينظر جمع الجوامع في أصول الفقه ص ٥٣، والبحر المحيط في أصول الفقه ٤١٤/٣، وحاشية العطار على شرح المحلي لجمع الجوامع ٨٢/٢، ونثر الورد ٢٦٧/١، ٢٦٨، والأصل =

- =الجامع في إيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع ٢/٢٥، حاشية الصبان على شرح الأشموني ١/٢٢٢-٢٢٣، والنحو الوافي لعباس حسن ١/٢٨٨، والمطلق والمقيد وأثرهما في اختلاف الفقهاء للدكتور حمد الصاعدي ص ١٢٩
- (١٩) ينظر الجمل في النحو للزجاجي ص ١٧٨، وروضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه لابن قدامة ١/١٠١، وحاشية العطار على جمع الجوامع ١/٣٦٨
- (٢٠) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٥/٣
- (٢١) مختصر ابن الحاجب ٢/٨٥٩
- (٢٢) ينظر الجمل في النحو ص ١٧٨، واللمحة في شرح الملحّة لابن الصائغ ١/١١٩، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٤/٤١٤
- (٢٣) النحو الوافي لعباس حسن ١/٢٨٨ هامش (١)
- (٢٤) ينظر نثر الورود ١/٢٦٧
- (٢٥) ينظر الآيات البيّنات ٣/١٠٢، وحاشية العطار على جمع الجوامع ٢/٨١، نثر الورود ١/٢٦٧
- (٢٦) البحر المحيط في أصول الفقه ٣/٤١٤
- (٢٧) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ١/١١٥، ١٧٠، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ١/٣٨١، ٣٨٢
- (٢٨) ينظر الخصائص لابن جني ٢/٢٩٩، وشرح المفصل لابن يعيش ١/٣٥، وشرح التسهيل ١/١١٥، ١٧٠، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ١/٢٥٢
- (٢٩) شرح الرضي للكافية ٢/٥٠٥
- (٣٠) التذيل والتكميل في شرح النسهيل ٢/١٠٧-١٠٩
- (٣١) ينظر المقاصد الشافية ١/٢٤٧، وشرح الأشموني على الألفية ١/٢٢٣-٢٢٦
- (٣٢) ينظر توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي ١/٣٩٠
- (٣٣) المقاصد الشافية ١/٣٨٣-٣٨٤
- (٣٤) ينظر شرح الأشموني ١/٢٨٤، ٢٨٥
- (٣٥) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ١/١٣٢
- (٣٦) الكتاب لسبويه ٢/٩٣-٩٤
- (٣٧) شرح التسهيل للمرادي ص ١٧٦، وينظر توضيح المقاصد والمسالك له ١/٤٠٢، والبحر المحيط في أصول الفقه ٢/٥٨، ٥٩
- (٣٨) نثر الورود شرح مراقبي السعود ١/٢٦٧

- (٣٩) ينظر للمحة في شرح الملحّة لابن الصائغ ص ١١٩، وشرح كتاب الحدود في النحو للفاكهي ص ١٣٣
- (٤٠) المطلق والمقيد ص ٥٢١
- (٤١) العقد المنظوم في الخصوص والعموم للقرافي ١٨٨/١-١٨٩
- (٤٢) الإحكام للآمدي ٥/٣، والتمهيد في تخريج الفروع على الأصول للإسنوي ٣٢٥-٣٢٦
- (٤٣) شرح تنقيح الفصول ص ٢٠٩
- (٤٤) نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول للإسنوي ٣١٧/٢
- (٤٥) ينظر الأشباه والنظائر للسبكي ١٢١/٢، والبحر المحيط في أصول الفقه ٧/٤
- (٤٦) تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم للعلائي ص ٩٤-٩٦، وينظر قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني ص ٣٨١
- (٤٧) ينظر الفروق اللغوية للعسكري ٥٩/١، والبحر المحيط في أصول الفقه ٥/٣
- (٤٨) تلقيح الفهوم ص ٤٤٢
- (٤٩) شرح تنقيح الفصول ص ١٤١، وينظر المقاصد الشافية ٥٩٣/٢
- (٥٠) ينظر المقاصد الشافية ٦٠٥/٣-٦٠٧
- (٥١) ينظر إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣٩١، وشرح تنقيح الفصول ص ١٤٤
- (٥٢) ينظر المقتضب للمبرد ١٨٣/١، والبرهان في أصول الفقه للجويني ص ٣٣٨-٣٣٩، وشرح الرضي للكافية ٥٤٦، ٥٤٧/٣
- (٥٣) ينظر شرح تنقيح الفصول ص ١٤٣، ١٤٤
- (٥٤) ينظر شرح الرضي للكافية ٨١٦/٢
- (٥٥) شرح كتاب سبويه للسيراني (المخطوط) ٨٢/٣/أ
- (٥٦) ينظر البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع ٨٤١/٢
- (٥٧) ينظر الكتاب ٢٧٥/٢، وشرح الجمل لابن الفخار ٩٩٧/٣
- (٥٨) شرحه للجمل ٣٦٣/٢-٣٦٤
- (٥٩) ينظر البرهان في أصول الفقه للجويني ٣٣٨/١، وتلقيح الفهوم ص ٤٤٣-٤٤٤
- (٦٠) شرح تنقيح الفصول ص ١٤٥، وينظر تلقيح الفهوم ص ٤٤٣ وما بعدها.
- (٦١) شرح تنقيح الفصول ص ١٤٣
- (٦٢) تلقيح الفهوم ص ٤٤٥
- (٦٣) الفروق للقرافي ٤٠٦/١
- (٦٤) ينظر المقاصد الشافية ٥٩٨/٣
- (٦٥) سورة النساء آية ٣٦

- (٦٦) سورة يوسف آية ٣٨
(٦٧) سورة الكهف آية ١١٠
(٦٨) ينظر شرح الرضي للكافية ٣/٤٤٢، و٣/٥٤٦، والجني الداني في حروف المعاني للمراي ص٣١٧، والمقاصد الشافية ٣/٥٩٨
(٦٩) تلقيح الفهوم ص٤٥٠
(٧٠) المقاصد الشافية ٢/٤٠
(٧١) وهي قوله تعالى: ﴿إِلَهَ مَعِ اللَّهِ﴾.
(٧٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني ١/٣٢٥، ويعني بالآية قوله تعالى: ﴿إِلَهَ مَعِ اللَّهِ﴾، ويمثال المصنف قوله: (وهل فتى فيكم؟).
(٧٣) نهاية السؤل ٤/١٢-١٣
(٧٤) البدر الطالع في حل جمع الجوامع لجلال الدين المحلي ١/٣٤٨
(٧٥) مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام ص٨٢
(٧٦) قواطع الأدلة ص٣٨٢
(٧٧) ينظر معجم مصطلح الأصول لهيثم هلال ص١٣٨
(٧٨) ينظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش ٧/٣٣١٢، والمقاصد الشافية ٤/١٥
(٧٩) شرح الرضي للكافية ٢/٩٧١-٩٧٢
(٨٠) ينظر التصريح بمضمون التوضيح لخالد الأزهري ٢/٢١٥
(٨١) ينظر معجم مصطلح الأصول ص٧٦
(٨٢) سورة آل عمران، آية ١٥٤
(٨٣) ينظر مغني اللبيب ص٤٤٥، ٤٤٦، و٦٣٦، والمقاصد الشافية ٧/٢٦٨، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١/٢١٢
(٨٤) المنصف شرح تصريف المازني لابن جني ١/٣٢١
(٨٥) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ١/٢٣٧
(٨٦) ينظر أوضح المسالك ١/٢٠٥، وهمع الهوامع ٢/٢٩
(٨٧) الشمردل هو السريع من الإبل، والصمحمح الغليظ الشديد، والجرحع عظيم الصدر، ينظر الصحاح للجوهري ١/٣٨٤ و٣/١١٩٥ و٥/١٧٤١
(٨٨) تنظر هذا الأنواع التي يوصف بها في شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك ص٣٥٢، والمقاصد الشافية ٤/٦٢٤-٦٣١
(٨٩) ينظر الكتاب ٢/٧، والأصول في النحو لابن السراج ٢/٣٣، وشرح الرضي للكافية ٢/٩٩٩، وتمهيد القواعد ٧/٣٣١٧، ٧/٣٣١٨

- (٩٠) ينظر المقاصد الشافية ٦٣٠، ٦٣١
- (٩١) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ٣/٣٠٧، ٣٠٨
- (٩٢) تمهيد القواعد ٧/٣٣١٧
- (٩٣) المقتضب ٤/٢٨٠
- (٩٤) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/١٣٥
- (٩٥) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١/٢١٣
- (٩٦) شرح الكافية الشافية ٣/١١٩٣-١١٩٤، وينظر المقاصد الشافية ٥/٤٦، ٤٧
- (٩٧) ينظر أسرار العربية للأنباري ص ٢٧٩، وجمع الهوامع ٤/٢٦٥
- (٩٨) ينظر مغني اللبيب ص ٤٨٢، والمقاصد الشافية ٤/١٥
- (٩٩) ينظر شرح التسهيل ٣/٢٢٦، وشرح الرضي للكافية ٢/٨٨٣
- (١٠٠) ينظر شرح الكافية الشافية ٢/٩١٠
- (١٠١) سورة المائدة، آية ٩٥.
- (١٠٢) سورة الحج، آية ٩.
- (١٠٣) ينظر شرح الكافية الشافية ٢/٩١١
- (١٠٤) ينظر شرح الرضي للكافية ٢/٩٠١، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ٣/٩٢، والمقاصد الشافية ٤/٣٦
- (١٠٥) منازل الحروف للرماني ص ٨٣
- (١٠٦) شرح الكافية الشافية ٢/٩١١
- (١٠٧) المقاصد الشافية ٤/١٧-١٨
- (١٠٨) سورة البلد آية ١٤-١٥
- (١٠٩) شرح الرضي للكافية ٢/٨٩٩-٩٠٠
- (١١٠) شرح الرضي للكافية ١/٢٦٢-٢٦٣
- (١١١) شرح الرضي للكافية ٣/٢٠١
- (١١٢) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص ١١٩، وينظر الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ٣/٩٨-٩٩
- (١١٣) إنما قلت (غالبًا) لأتبه على أنه قد شُعم مجيء النكرة المطلقة مبتدأ في بعض الصور دون تحقق الأمرين المذكورين، أو أحدهما، والعبارة هنا بالمطرد من الكلام، وبالمظنة التي تتحقق بها الفائدة عند الابتداء بالنكرة، وهي العموم، أو الخصوص.
- (١١٤) ينظر الخصائص لابن جني ١/٢٩٩، ٣١٧
- (١١٥) ينظر المقاصد الشافية ٢/٤٠-٤٤

- (١١٦) ينظر الأصول في النحو ٥٩/١
(١١٧) المقاصد الشافية ٣٨/٢، وينظر ٥٢/٢
(١١٨) الأصول في النحو ٢٨٤/١
(١١٩) التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ١٦٢/٨-١٦٣، وينظر شرح التسهيل ٢٦٩/٢
(١٢٠) شرح الكافية الشافية ٧٣٧/٢
(١٢١) المقاصد الشافية ٤٤٧/٣
(١٢٢) ينظر شرح ابن الناظم ص ٨٣، والمقاصد الشافية ٤٤٤/٣
(١٢٣) المقاصد الشافية ٤٤٥/٣
(١٢٤) الكتاب ١١٢/٢-١١٣
(١٢٥) نتائج الفكر في النحو للتسهيل ص ١٨٢-١٨٣
(١٢٦) ينظر الكتاب لسبويه ٣١٦/٢، و ٢٢٥/٤، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٥٠١/١،
والبسيط شرح جمل الزجاجي ٨٤١/٢
(١٢٧) المقاصد الشافية ٦٠٧/٣
(١٢٨) ينظر شرح الرضي للكافية ٨١٦/٢، ومغني اللبيب ص ٢٤١، وتمهيد القواعد ١٤٠٣/٣
(١٢٩) شرح تنقيح الفصول ص ١٤٣-١٤٤
(١٣٠) شرح الرضي للكافية ٨١٦/٢
(١٣١) الكتاب ٢٧٥/٢، وينظر ٣١٧/٢
(١٣٢) شرح كتاب سيبويه (المخطوط) ٨٢/أ
(١٣٣) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢١١/١، ٢١٢، والمقتضب للمبرد ١٦٤/١، و ٢٧١/٣،
وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢٥٨-٢٥٩، وخزانة الأدب للبغدادي ١٨٦/٥
(١٣٤) الكتاب ٣٩٨/١
(١٣٥) ينظر التنبيه على شرح مشكلات الحماسة لابن جني ص ٢٦٥، ٢٦٦، وشرح جمل
الزجاجي لابن عصفور ٢٥٧/١، وشرح التسهيل ٣٣١/٣، وخزانة الأدب ١٨٦/٥،
١٨٧
(١٣٦) ينظر المفصل للزمخشري ص ١٢٣، والإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ٤٥١/١،
والكافية لابن الحاجب ص ٣١، وشرح الكافية للرضي ١٠٨٣/٢، وخزانة الأدب ١٧٩/٥
(١٣٧) سورة العلق، آيتا ١٥، ١٦
(١٣٨) تفسير الكشاف للزمخشري ص ١٢١٣
(١٣٩) المقرّب لابن عصفور ص ٢٤٤
(١٤٠) شرح الرضي للكافية ١٠٧٦/٤

- (١٤١) ينظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢٥٩/١
(١٤٢) الحجة في علل القراءات السبع للفارسي ٥١٥/٤
(١٤٣) ينظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢٥٨/١-٢٥٨، وشرح الرضي للكافية ١٨٣/٢
(١٤٤) ينظر مغني اللبيب ص ٤١٠، ٤١١
(١٤٥) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢٩٠/١، ومغني اللبيب ص ٤١١
(١٤٦) ينظر موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد الأزهري ص ٧٠
(١٤٧) المعرفة غير المحضة هي المعرف بأل الجنسية، والمحضة ما تعرف بغيرها من أنواع المعرفة، ولم أتعرض لتفصيل الحديث عن المعرفة المحضة وغير المحضة لاختصاص البحث بالنكرة.
(١٤٨) مغني اللبيب ص ٤١٠
(١٤٩) مغني اللبيب ص ٤٢٣

المصادر والمراجع

- الأُخفش أبو الحسن، المتوفى سنة ٢١٥هـ، معاني القرآن، تحقيق الدكتورة هدى قراعة، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- الأزهري خالد، المتوفى سنة ٩٠٥هـ، التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تحقيق محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- الأزهري خالد، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، تحقيق الدكتور عبدالكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الاسترابادي رضي الدين، المتوفى سنة ٦٨٦هـ، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الرفراف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الكتب العلمية بلبنان.
- الاسترابادي رضي الدين، المتوفى سنة ٦٨٦هـ، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق الدكتور حسن بن محمد الحفظي، والدكتور يحيى بشير مصري، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- الإسنوي جمال الدين، المتوفى سنة ٧٧٢هـ، التمهيد في تخرّج الفروع على الأصول، تحقيق الدكتور محمد حسن هيتو، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- الإسنوي جمال الدين، المتوفى سنة ٧٧٢هـ، نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول، طبعة عالم الكتب.
- الإشبيلي ابن عصفور، المتوفى سنة ٦٦٩هـ، شرح جمل الزجاجي، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، طبعة عالم الكتب ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الأمدي علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، علق عليه الشيخ عبدالرزاق عفيفي، طبعة دار الصمعيي بالرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- الأنباري أبو البركات، المتوفى سنة ٥٧٧هـ، أسرار العربية، تحقيق: محمد بهجة البيطار، طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.

- الأندلسي أبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، تحقيق الدكتور حسن هندراوي، طبعة كنوز إشبيلية، ودار القلم.
- الأنصاري جمال الدين بن هشام، المتوفى سنة ٧٩١هـ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة العصرية ببيروت.
- الأنصاري ابن هشام، المتوفى سنة ٧٦١هـ، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الخيزر.
- الأنصاري، ابن هشام، المتوفى سنة ٧٦١هـ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- البغدادي عبدالقادر، المتوفى سنة ١٠٩٣هـ، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي القاهرة.
- ابن جني أبو الفتح، المتوفى سنة ٣٩٢هـ، التنبيه على شرح مشكلات الحماسة، تحقيق الدكتور حسن محمود هندراوي، طبعة وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ابن جني أبو الفتح، المتوفى سنة ٣٩٢هـ، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، عام ١٩٩٩م.
- ابن جني، المنصف شرح ابن جني لكتاب تصريف المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، طبعة دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، عام ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
- الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، طبعة دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- الجويني إمام الحرمين، المتوفى سنة ٤٧٨هـ، البرهان في أصول الفقه، تحقيق الدكتور عبدالعظيم الديب، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- ابن الحاجب عثمان بن عمر، المتوفى سنة ٦٤٦هـ، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق وتقديم الدكتور موسى بناي العليلي، طبعة مطبعة العاني ببغداد.
- ابن الحاجب، المتوفى سنة ٦٤٦هـ، الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، تحقيق الدكتور صالح عبدالعظيم الشاعر، طبعة مكتبة الآداب بالقاهرة.

- ابن الحاجب، المتوفى سنة ٦٤٦هـ، مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، تحقيق الدكتور نذير حمادو، طبعة دار ابن حزم ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تعليق تركي فرحان، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ابن أبي الربيع، المتوفى سنة ٦٨٨هـ، البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق الدكتور عبّاد الثبيتي، طبعة دار الغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- الرازي فخر الدين، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق الدكتور طه جابر العلواني، طبعة مؤسسة الرسالة.
- الرماني علي بن عيسى، المتوفى سنة ٣٨٤هـ، منازل الحروف، تحقيق إبراهيم السامرائي، طبعة دار الفكر بعمّان.
- الزجاجي أبو القاسم، المتوفى سنة ٣٤٠هـ، الجمل في النحو، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الزركشي بدر الدين، المتوفى سنة ٧٩٤هـ، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير عبدالقادر العاني، ومراجعة الدكتور عمر الأشقر، طبعة وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- الزركشي بدر الدين، المتوفى سنة ٧٩٤هـ، تشنيف المسامع بجمع الجوامع، تحقيق الدكتور سيد عبدالعزيز، والدكتور عبدالله ربيع، طبعة مكتبة قرطبة بالقاهرة.
- الزمخشري أبو القاسم جار الله، المتوفى سنة ٥٣٨هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، عناية خليل مأمون شيحا، طبعة دار المعرفة بלבنا، الطبعة الثالثة، عام ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الزمخشري أبو القاسم، المتوفى سنة ٥٣٨هـ، المفصل في علم العربية، تحقيق الدكتور فخر صالح قدارة، طبعة دار عمار، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- السبكي تاج الدين، المتوفى سنة ٧٧١هـ، الأشباه والنظائر، تحقيق عادل أحمد، وعلي محمد، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- السبكي تاج الدين، المتوفى سنة ٧٧١هـ، جمع الجوامع في أصول الفقه، علق عليه عبدالمنعم خليل، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- السبكي تاج الدين، المتوفى سنة ٧٧١هـ، منع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق الدكتور سعيد الحميري، طبعة دار البشائر الإسلامية.
- ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل، المتوفى سنة ٣١٦، الأصول في النحو، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ابن السكيت، المتوفى سنة ٢٤٤هـ، إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، طبعة دار المعارف بمصر.
- السمعاني أبو مظفر، المتوفى سنة ٤٨٩هـ، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق الدكتور محمد حسن هيتو، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- سيويه، المتوفى سنة ١٨٠هـ، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- السيرافي أبو سعيد، المتوفى سنة ٣٦٨هـ، شرح كتاب سيويه (مخطوط).
- السيناوي سيدي حسن، الأصل الجامع في إيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، طبعة مطبعة النهضة بتونس، عام ١٣٤٧هـ-١٩٢٨م.
- السيوطي جلال الدين، المتوفى سنة ٩١١هـ، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق الدكتور عبدالعال سالم مكرم، طبعة مؤسسة الرسالة.
- السيوطي جلال الدين، المتوفى سنة ٩١١هـ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبدالسلام هارون، والدكتور عبدالعال سالم مكرم، طبعة مؤسسة الرسالة، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، شرح مراقبي السعود المسمى نثر الورود، تحقيق علي محمد العمران، دار عالم الفوائد، الرياض.
- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، المتوفى سنة ٧٩٠هـ، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق مجموعة من أساتذة جامعة أم القرى، طبعة جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق طه عبدالرؤوف، طبعة المكتبة التوفيقية.
- ابن الصائغ، المتوفى سنة ٧٢٠هـ، اللمحة في شرح الملحة، تحقيق إبراهيم الصاعدي، طبعة الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

- الصاعدي الدكتور حمد، المطلق والمقيّد وأثرهما في اختلاف الفقهاء طبعة الجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٨هـ.
- العبّادي أحمد بن قاسم، المتوفى سنة ٩٩٤هـ، الآيات البيّنات على شرح جمع الجوامع، ضبطه زكريّا عميرات، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- عباس حسن، النحو الوافي، طبعة دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.
- العسكري أبو هلال، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، طبعة دار العلم والثقافة بالقاهرة.
- ابن عصفور، المتوفى سنة ٦٦٩هـ، المقرّب، تحقيق أحمد عبدالستار الجوّاري، وعبدالله الجبوري، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- العطار، حاشية العطار على شرح المحلي لجمع الجوامع، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
- العلائي صلاح الدين، المتوفى سنة ٧٦١هـ، تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم، تحقيق عادل عبدالوجود، وعلي معوض، طبعة دار الأرقم بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الغزالي أبو حامد، المتوفى سنة ٥٠٥هـ، المستصفي من علم الأصول، تحقيق الدكتور حمزة زهير حافظ.
- ابن الفخار، شرح الجمل، جزء من رسالة دكتوراه بعنوان: أبو عبدالله بن الفخار وجهوده في الدراسات النحوية، مع تحقيق كتابه شرح الجمل، للدكتور حماد بن محمد الثمالي.
- الفارسي أبو علي، المتوفى سنة ٣٧٧هـ، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق عادل عبدالوجود، وعلي معوض، والدكتور أحمد المعصراوي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- الفاكهي عبدالله بن أحمد، المتوفى سنة ٩٧٢هـ، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق الدكتور المتولي رمضان الدميري، عام ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ابن قدامة موفق الدين، المتوفى سنة ٦٢٠هـ، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، عناية الدكتور شعبان محمد إسماعيل، طبعة مؤسسة الريان بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- القرابي شهاب الدين، المتوفى سنة ٦٨٤هـ، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، طبعة دار الفكر ببيروت، عام ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
- القرابي شهاب الدين، المتوفى سنة ٦٨٢هـ، العقد المنظوم في الخصوص والعموم، تحقيق الدكتور أحمد الختم عبدالله، طبعة المكتبة المكية ودار الكتبي، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- القرابي شهاب الدين، المتوفى سنة ٦٨٤هـ، الفروق، تحقيق عمر حسن القيام، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- أبو القاسم السهيلي، المتوفى سنة ٥٨١هـ، نتائج الفكر في النحو، تحقيق عادل عبدالموجود، وعلي معوض، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- المراد أبو العباس محمد بن يزيد، المتوفى سنة ٢٨٥هـ، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، طبعة وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٩هـ.
- المحلي جلال الدين، البدر الطالع في حل جمع الجوامع، تحقيق مرتضى الداغستاني، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- المرادوي علاء الدين، المتوفى سنة ٨٨٥هـ، التخبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق الدكتور عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين، طبعة مكتبة الرشد بالرياض.
- المرادي ابن أم قاسم، المتوفى سنة ٧٤٩هـ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك، تحقيق الدكتور عبدالرحمن علي سليمان، طبعة دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- المرادي الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- المرادي، شرح التسهيل، تحقيق محمد عبدالنبي محمد، طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ابن مالك، المتوفى سنة ٦٧٢هـ، شرح التسهيل، تحقيق الدكتور عبدالرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المختون، طبعة دار هجر.

- ابن مالك جمال الدين محمد، المتوفى سنة ٦٧٢هـ، شرح الكافية الشافية، تحقيق الدكتور عبدالمنعم أحمد هريدي، طبعة دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ناظر الجيش محب الدين محمد بن يوسف، المتوفى سنة ٧٧٨هـ، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق مجموعة من أساتذة جامعة الأزهر، طبعة دار السلام، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
- ابن الناظم، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- هشام هلال، معجم مصطلح الأصول، مراجعة الدكتور محمد التونجي، طبعة دار الجيل ببيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ابن يعيش موفّق الدين، المتوفى سنة ٦٤٣هـ، شرح المفصل، علق عليه وراجعته مشيخة الأزهر، طبعة إدارة الطباعة المنيرية.

التطور الدلالي لألفاظ حقل الكتابة في المدونة اللغوية العربية

د. ذكرى يحيى القبيلي

أستاذ اللسانيات المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب - جامعة الملك سعود

التطور الدلالي لألفاظ حقل الكتابة

في المدونة اللغوية العربية *

د. ذكرى يحيى القبيلي

الملخص:

نظراً لأهمية الكتابة في حياتنا الثقافية والعلمية والاجتماعية والدور الأساسي الذي باتت تشكله في المحادثات اليومية ومواقع التواصل الاجتماعي: رسائل، منشورات، تغريدات، دردشات. فقد جاء هذا البحث ليرصد ألفاظ حقل الكتابة والتطورات الدلالية التي مرت بها. ويتناول أبرز الألفاظ المستعملة والمفردات الجديدة التي أضيفت إلى هذا الحقل.

وقد عرّف البحث بمفاهيم التطور الدلالي، والمدونة اللغوية، ونظرية الحقول الدلالية والحقل الكتابي. وصنف مفردات الكتابة في حقول فرعية. ووقف على أبرز الألفاظ المستعملة، وتكرارات ورودها في الفترات الزمنية المختلفة، وفي أوعية النشر المتنوعة التي اعتمدها المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. وتوخى تقديم صورة عن التطور الدلالي الذي مرت به مفردات متنوعة من هذا الحقل، وكيف كان استعمالها في كلام العرب من القديم إلى الحديث -في حدود المتاح من عدد صفحات بحث علمي في مجلة. وهذه المفردات هي: كتب، دردش، دَوْن، ديباجة، سطر، نسخ، حَبْر، حرّر، طبع، اقتبس، بحث، قلم، لوح، دفتر، ملزمة، كراسة، جريدة، صحيفة، مجلة، حرف، كلمة، جملة، سطر، فقرة، نصّ.

كلمات مفتاحية: التطور الدلالي - المدونة اللغوية العربية - نظرية الحقول الدلالية - الحقل الكتابي.

Semantic Development of Writing Terminology

Abstract:

Due to the significance of writing in the various cultural, social and academic domains of our lives, as well as its role in social media communication including SMS, posts, chats, tweets, this research aims to trace the writing terminology and its semantic development. It also studies the major terms used in addition to the newly added terms.

The research introduces the concepts of semantic development, Arabic Language Corpus, theory of semantic fields and writing. It also classifies writing terms in supplementary fields. It highlights the main used terms and their frequencies in various periods and in the various publishing methods approved by the Arabic Corpus of King Abdul-Aziz City for Sciences and Technology. The research includes an overview of the semantic developments in this field, and they were used by the ancient Arabs up to this time, it consists of a number of pages to suit a form of a scholarly paper in a journal. These writing are:

Chat, blog, preface, author, edit, copy, quote, research, pen, tablet, notebook, handout, paper, gazette, magazine, letter, word, sentence, line, paragraph, text.

Keywords: Semantic Development, Semantic Field Theory, writing Field, Arabic Language Corpus.

المقدمة:

اللغة ظاهرة اجتماعية تتمظهر في أفراد يؤدونها، لهم القدرة على إنتاج القول وفهمه، وفق نسق يلبي أغراضهم التخاطبية المتنوعة.

ولما كانت حاجات المتكلمين وأغراضهم مختلفة تتبدل بتغير الأشخاص والمجتمعات والزمان والمكان، فإن اللغة الحية تجسد هذا وتتحول في مفرداتها ومعانيها فتواكب المستجدات.

وحين نلقي نظرة طولية على العلامة المعجمية العربية منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، فإننا نقف على تغيرات ممتدة طرأت عليها ودلالاتها. ولنا أن نتخيل شاعرا جاهليا ممن نقرأ معلقاتهم قام اليوم بيننا، ماذا سيفهم في هذه البيئة الجديدة -العربية- وقد وجد نفسه بين مفردات ذات استعمالات جديدة، وتسميات مستحدثة لموجودات لم يعرفها أو يتخيلها؟. فالتطور «سنة كونية والأحوال في تبدل دائم في مظاهر الحياة المختلفة علميا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وحتى جغرافيا. واللغة كائن حي ينمو ويتطور. إن الاتجاه الطبيعي للغة، وبخاصة في صورتها الدارجة، أو المكتملة، هو اتجاه يبعتها عن المركز، فاللغة تميل إلى التغير، سواء خلال الزمن أو عبر المكان»^(١).

وقد عازمت على جمع ألفاظ حقل معين ودراسة ما طرأ عليها من تحولات دلالية. من خلال رصد هذه الدلالات في المعاجم ومصادر عربية، والمدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. ووقع اختياري على إحدى فنون اللغة ومهاراتها الأربع وهي الكتابة؛ لأهمية الكتابة والدور الأساسي الذي أصبحت تؤديه في حياتنا الاجتماعية وعبر مواقع التواصل الاجتماعي. فلا يخفى الحضور المكثف للمكتوب في التواصل اليومي: رسائل، منشورات، تغريدات،

محادثات، فقد بتنا نتحدث بأناملنا بعد ظهور الأجهزة الذكية. فضلا عن دور الكتابة الأهم في التعليم والتربية والثقافة والإعلام.

وعموما الكتابة صناعة مهمة نالتها العناية والتطوير في مراحلها المختلفة، وحاز النطق الصحيح للمكتوب اهتماما خاصا في محاولة لتقريب المنطوق أو المقروء من المكتوب، وما علامات التقييم إلا مثال على ذلك، ومن قبلها كانت الحركات أو تشكيل الحرف بنوعيتها؛ الحركة الإعرابية للحرف الأخير، وحركات صوامت الكلمة كلها.

ومن الأسئلة التي سعينا للإجابة عنها: ما الألفاظ المستعملة في حقل الكتابة قديما وحديثا؟ وما العلاقات الدلالية بين مفردات ألفاظ الكتابة؟ وما التطورات الدلالية التي مرت بها وما مظاهر هذا التطور؟ وهل دخلت مفردات جديدة هذا الحقل؟ وما أكثر الألفاظ المستعملة في عصرنا هذا؟

والمنهج المناسب للدراسة هو المنهج الوصفي في جانب رصد الألفاظ وتصنيفها والجداول وتحليلها، والمنهج التاريخي في تتبع دلالة الكلمات واستعمالها في فترات زمنية ممتدة. وقد جاء البحث على ثلاثة أقسام؛ الأول حقل الكتابة، بدأ بتعريف التطور الدلالي وأسبابه ومظاهر التطور الدلالي، والمدونة اللغوية، ونظرية الحقول الدلالية؛ والحقل الكتابي حصرتنا فيه مفردات الكتابة وصنفناها في حقول فرعية. القسم الثاني التطور الدلالي لأفعال الكتابة، حاولت رسم صورة ممتدة للألفاظ الرئيسية في الفعل الكتابي والمترادفات، والشائع في الاستعمال الحديث أو في التواصل الكتابي اليومي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، متوسلة بالمدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. وهذه الألفاظ هي: الفعل الرئيس كَتَبَ، وَدَرَّدَشَ وَدَوَّنَ وَدِيَّاجَةَ وَسَطَّرَ وَنَسَخَ وَحَرَّرَ وَحَبَّرَ.

والقسم الثالث التطور الدلالي لألفاظ الحقول الفرعية، جعلناه لمفردات متنوعة من حقل الكتابة وقفنا على التطور الدلالي الذي طرأ عليها وتبعنا استعمالها في كلام العرب من القديم إلى الحديث بما تسمح به عدد صفحات هذا البحث. ومفردات هذا القسم هي: اُقْتَبَسَ، بَحَثَ، طَبَعَ، قَلَمَ، لَوْحَ، ذَفْتَرَ، مَلَزَمَةَ، كُرَّاسَةَ، جَرِيدَةَ، صَحِيفَةَ، مَجَلَّةَ، حَرْفَ، كَلِمَةَ، مُجْمَلَةَ، فِقْرَةَ، نَصَّ.

القسم الأول: حقل الكتابة:

١- المدونة اللغوية العربية:

المدونات اللغوية في أبسط تعريف لها مجموعة من النصوص اللغوية الشفوية أو المكتوبة الموثقة^(١). فهي عبارة عن مجموعة من القطع لنص اللغة في شكل إلكتروني، يتم اختيارها وفق معايير لتمثيل مجموعة متنوعة من ملايين الكلمات من مختلف المصادر والسجلات. وهي بيانات للبحث اللغوي ومجموعة كبيرة من النصوص الطبيعية، محفوظة في شكل رقمي ومخزنة في قواعد البيانات الضخمة. وعادة يتم جمع نصوص الرسائل الأكاديمية، والمقالات الصحفية، والمحادثات الهاتفية، والإعلانات التجارية، والمحاضرات، والخطب العامة، والمقابلات التلفزيونية، والكتب الرسمية وغير الرسمية^(٢).

والمدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية هي أكبر مدونة لغوية عربية، تحوي مليار كلمة مما دَوّن بالعربية منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث. راعت في جمعها التنوع الجغرافي لمصادر النصوص، وراعت تنوع أوعية النشر فشملت عشرة أوعية: المخطوطات المحققة، والصحف، والمجلات، والكتب، والرسائل الجامعية، والدوريات المحكمة، والإصدارات الرسمية، ووكالات الأنباء، والإنترنت، والمناهج الدراسية.

واعتمد اختيار نصوص المدونة على خمس ركائز، هي: البعد الزمني، والبعد الجغرافي، والوعاء المعلوماتي، والمجال المعرفي، والتصنيف الموضوعي. ويندرج تحت كل وعاء من الأوعية المختارة مجالات تفصل أو تحدد موضوعات النص مثل الاجتماعية والسياسية والرياضية والاقتصادية^(٤).

٢- مفهوم التطور الدلالي وأسبابه ومظاهره:

التَّطَوُّرُ لُغَةً: ما عاكس الجمود والسكون، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ نوح: ١٤^(٥).

جاء في مجمل اللغة لابن فارس: الطور: التارة، طوراً بعد طور، أي تارة بعد تارة. وزاد في مقاييس اللغة: (طور) الطاء والواو والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الامتداد في شيء من مكان أو زمان. من ذلك طوار الدار، وهو الذي يمتد معها من فنائها. ولذلك يقال عدا طوره، أي جاز الحد الذي هو له من داره. ثم استعير ذلك في كل شيء يتعدى^(٦).

فالتَّطَوُّرُ الدلالي يعني: تغيير معاني الكلمات. وإِطْلَاقُ لَفْظِ (التَّطَوُّرِ) على هذه الحالة، لأنَّه انتقلُ بالكلمة من طورٍ إلى طورٍ^(٧).

واختيارنا لمصطلح التطور الدلالي لا يعني أن التغير حدث للأفضل كما قد يفهم من معناه الاجتماعي السائد. وكما جاء عند بعضهم (هو التَّحَوُّلُ إلى الأفضل)^(٨)

وإنما قصدنا المعنى اللغوي: التبدل والتحول، فهو مساو لمصطلح التغير الدلالي. فهو كما يقول عبد التواب: «كما أن استخدام اللغويين المحدثين لكلمة (التطور) لا يعني تقييم هذا التطور والحكم عليه، فإنه لا يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة: (التغيير)»^(٩).

وأما أسباب التطور الدلالي فهي تتصل بالعوامل اللغوية في مستوياتها الأربعة، وتعلق بالجوانب الاجتماعية والنفسية، وتكيف اللغة مع المتغيرات الحياتية. وقد أرجعها علي عبد الواحد وافي إلى ستة أسباب: أولها عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمة ومظاهر نشاطها العلمي والعقلي، وثقافتها العامة، واتجاهاتها الفكرية، وثانيها تأثير اللغة بلغات أخرى. وثالثها عوامل أدبية تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة، وما تبدله معاهد التعليم والمجامع اللغوية، ورابعها انتقال اللغة من السلف إلى الخلف. وخامسها عوامل طبيعية تتمثل في الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية. وسادسها عوامل لغوية ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها وطبيعة أصواتها وقواعدها ومنتها^(١٠)

مظاهر التطور الدلالي:

- تخصيص الدلالة: وهو تضيق دلالة اللفظ وانتقاله من المعنى العام إلى المعنى الجزئي. وهو عند السيوطي في باب: (معرفة العام والخاص) اللفظ العام المخصوص الذي وضع في الأصل عاماً ثم خص في الاستعمال ببعض أفراد^(١١). مثل ألفاظ الصلاة والصوم والحج خصص للإسلام دلالتها، ولفظ (الحريم) فقد انتقلت من (الذي حرم مسه فلا يدنى منه)^(١٢) وأصبحت تقتصر على النساء. وفي لهجات الخطاب المعاصرة تخصصت كلمة (الطهارة) وأصبحت تعني (الختان)^(١٣).

- تعميم الدلالة: هو توسيع للمدلول والانتقال من المعنى الخاص إلى العام. فيصبح معنى الكلمة أشمل. ومن أمثلته: إطلاق الورد على كل أنواع الزهور، وكلمة (البأس) على كل شدة وكان معناها الشدة في الحرب خاصة. والحائط على كل جدار وكانت تدل على البستان المحدد. وقد تناول ابن فارس ظاهرة

تعميم الدلالة في كتابه الصاحبي في باب: (القول في أصول أسماء قيسٍ عليها وألحقَ بها غيرها) ومما ذكره: أصل (الورد): إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء ورداً^(١٤).

- انحطاط الدلالة: مع مرور الزمن وكثرة الاستعمال يحدث أن تفقد بعض الألفاظ سمو دلالتها وتنتقل إلى الأدنى، مثل: كلمة (أفندي) كانت تدل على الشخص المرموق في القرن الـ ١٩، وباتت حالياً تستعمل في السخرية والتهمك. و(الحاجب) كانت تعني في الدولة الأندلسية رئيس الوزراء ثم انتقلت إلى الحارس الذي يقف على الأبواب ثم اندثرت ولم تعد تستعمل في هذه السياقات. و(ثور) كان معناها السيد أما اليوم فقد اقترن الثور بالمعنى السلبي، فهو علامة الحمق والغباء والبلادة^(١٥).

- رقي الدلالة: وهو سمو في دلالة اللفظ أو تشريف. فهو عكس انحطاط الدلالة. ومن أمثلة ذلك: (العقل) كانت تطلق على ما تربط به الناقة، فتحول الاستعمال إلى عقل الإنسان. و(المرشال) كانت تطلق على خادم الإسطبل ثم أصبحت تدل على مركز مرموق في الفروسية في القرون الوسطى. و(القماش) كانت تدل على ما يتناثر من متاع البيت وأصبحت تدل على النسيج الذي يخاط منه الثياب على اختلافها وجمالها^(١٦).

- انتقال الدلالة: ويكون في الاستعارة والمجاز المرسل. مثل: أسنان المشط، وصدر المجلس، ورجل الكرسي، ثمرة البحث. ومثل إطلاق اسم (الشتاء) على المطر، و(اليد) على النعمة. وهو نوعان: انتقال الدلالة من المادي الحسي إلى المجرد والعكس.

فمن أمثلة الأول وأقصد الانتقال من المادي إلى المجرد: كلمة (غفر) أصل معناها الستر والتغطية ثم تغيرت دلالتها في الإسلام إلى معنى الصفح. ومن أمثلة الانتقال من الدلالة المجردة إلى الدلالة الحسية التعبير عن (الكرم) بكثرة الرماد، وإراقة ماء الوجه عن الطلب المذل.^(١٧)

٣- نظرية الحقول الدلالية:

هي واحدة من أهم نظريات التحليل اللغوي الحديث، ومن النظريات الأساسية في دراسة المعنى. وقد تبلورت في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين على أيدي عدد من العلماء الألمان والسويسريين أمثال تريير Trier وأبسِن Ipsen. وتقوم النظرية على أساس تنظيم الكلمات في مجموعة من المفردات المتقاربة المعاني، وبينها علاقات ووشائج مشتركة. مثل حقل الإنسان، والألوان، والقرباة، والطعام، والأصوات، والأمراض، والأدوية، والأثاث، والحيوان، والنبات، والفكر، والأساطير، والتجارة^(١٨).

غير أنّها ليست مجرد تجميع لعدد من الكلمات عن الإنسان أو الحيوان وغيره، «وإنما هي إظهار الملامح الدلالية والسمات التي حملتها هذه الكلمات من خلال تصور الفرد أو الجماعة اللغوية وفهمها الخاص لها، كما أنّها ليست أيضاً تبويهاً للكلمات، وإنما هي تصنيف للمعاني التي كونتها الجماعة اللغوية في العقل والنفس وعبرت عنها بالكلمة»^(١٩).

ويعتمد أصحاب هذه النظرية على فكرة أن المعاني لا توجد منعزلة بعضها عن بعض، ولا بد لإدراكها من ارتباط كل معنى منها بمعنى أو بمعان أخرى. «فالكلمة لا تتخذ قيمتها الدلالية في نفسها ولكنها تتحدد بالنسبة لموقعها في داخل المجال الدلالي»^(٢٠).

وقد عرّف الحقل اللغوي أو المعجمي أو الدلالي عدد من اللغويين:

- لهرر Lehrer: «مجموعة من الكلمات بينها علاقات دلالية توضع تحت كلمة عامة، مثل كلمات الألوان»^(٢١).

- جورج مونا J.Mounin: مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تدرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل^(٢٢).

- «مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها»^(٢٣).

- «مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة»^(٢٤).

فالكلمة تكتسب معناها من خلال علاقاتها بالكلمات المجاورة لها، لذا ينبغي فهم معاني الألفاظ المجاورة، وعلاقة بعضها ببعض. يقول تريير Trier: «إن معاني الكلمات تتحدد من خلال عددها وموقعها في الحقل الكلي، كما أن ضبط الكلمة المفردة يرتبط بحالتها الراهنة في الحقل الدلالي ومن خلال تركيبها الخاص، إن الكلمات ليس لها معنى إذا غابت عن المستمع الكلمات المتقابلة معها في الحقل الدلالي، وتكون غير محددة المعالم وغير واضحة الدلالة إذا لم تتبادل معها الكلمات القريبة منها دلاليًا»^(٢٥).

وفكرة نسبية الدلالة تعني أنه لا بد من النظر إلى الألفاظ بنسبة بعضها إلى بعض. مثل التقديرات الجامعية، والرتب العسكرية. قال الدكتور. حجازي: «فلا يجوز أن نقول عن رتبة (عميد) رتبة عسكرية، وعن رتبة (لواء) رتبة، وكذلك رتبة (فريق)، ففي هذا تمييع للحدود الفاصلة دلاليًا، ويمكن أن نوضح هذا ببيان موقع الرتبة، ففي شرح كلمة (عميد): رتبة عسكرية لضابط عظيم أعلى من عقيد وأقل من لواء...»^(٢٦)

فكل كلمة مما سبق ليس لها مكانة محددة يبحثها مفردة، وإنما تتخذ مكانها بالقياس إلى ما فوقها وما دونها.

٤ - العلاقات الدلالية:

حين ننظر إلى معنى الكلمة وعلاقتها بالكلمات المجاورة لها في الحقل الدلالي نقف على أنواع من العلاقات؛ فقد تتعدد الألفاظ ومعناها واحد وهو ما يعرف بالترادف، وقد تتعدد المعاني واللفظ واحد، وهو ما سمي بالمشترك اللفظي، وقد يحمل اللفظان دالتين متضادتين. فالدلالات المعجمية للغة ذات علاقات مترابطة، وهي كما وصفها (جون لاينز) «تشبه نسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد، يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات، وتتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة»^(٢٧). وهذه العلاقات هي:

- الترادف: ويعني الكلمات المختلفة ذات الدلالة الواحدة. عرّفه الإمام الرازي «هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتبار واحد»^(٢٨). وتكون الكلمات مترادفة حين تكون متحدة المعنى وتقبل التبادل فيما بينها في السياقات المختلفة. لكن الترادف التام نادر الوقوع. وهو نوع من الكماليات التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر وإذا ما وقع فسرعان ما تظهر بالتدرج فروقاً معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة^(٢٩). وفي حقل الكتابة توجد ألفاظ عديدة يمكن أن ندرجها ضمن المترادفات في الحقل الرئيس إذ تستعمل بمعنى كتب منها: كتب، حبر، حرّ، خطّ، دبّج، دوّن، سطرّ، سوّد، نقش، تمّق، وشى، رَقَم، رَقَن، طرس، زبر. وجاء في معجم المعاني: مرادفات كتب: تأليف، تديج، تدوين، ترقيم، تسجيل، خطّ، رَقَم، نسخ، تسطير، تخطيط^(٣٠). ومن الترادف في الحقول الفرعية: مفردتا المجلة وطومار. والقلم واليراع. والحبر

والمداد. ودفتر وكراسة. ورق وقرطاس. والكتاب والرقيم. والصحيفة والاضبارة. وكذلك ملف وإضبارة ودوسيه.

- المشترك اللفظي: هو اللفظ الذي تشترك فيه عدّة معان، أو هو «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»^(٣١). مثل: (حزر) تستعمل بمعنى كتابة الرسالة أو المقال في الجريدة أو المجلة. وتستعمل بمعنى التعديل في الطباعة في أجهزة الحاسوب الحديثة، وفي تعديل الرسائل والصور والمقاطع في الجوالآت الذكية. وهذا قريب من الاستعمال القديم بمعنى الإصلاح. كما يستعمل في غير حقل الكتابة الفعل حرّر والمصدر تحرير واسم المصدر الحرية. ومثل (الحرف) يطلق على حروف الهجاء والقراءة القرآنية واللهجة، وحديثا شاع: دام حرفك والقصد كلامك أو نصك.

التضاد: هما اللفظان يحملان معنيين متعاكسين. وذكر معجم المعاني في التضاد مع الكتابة المفردات الآتية: إسقاط، إزالة، إلغاء، طمس، محو^(٣٢). والتضاد أنواع كالتضاد المتدرج والحاد أو التام، مثل: كتب وطمس، دَوّن ومحا. والتضاد العكسي أو المتبادل وهو تضاد بين أزواج من الكلمات، مثل: كتب وقرأ. أو فسبك (كتب منشورا في الفيسبوك) وتفاعل.

وهنا يرد مصطلح الأضداد وهو كالتضاد في وجود معنيين متقابلين لكنه يختلف عنه في عدم وجود كلمتين بل أن الكلمة الواحدة تحمل المعنيين المتضادين. والاستعمال هو الذي يكشف عن الدلالة المقصودة. وألفاظه قليلة في اللغة. من أمثلته هنا (نسخ) تستعمل بمعنى الكتابة وبمعنى الإزالة. وطبع كانت تعني التغطية على الشيء، وتحولت لتدل على الإظهار والنشر.

- الاشتمال: وفيها يكون أحد المعنيين نوعاً خاصاً أو فرعاً فيما يدل عليه المعنى الآخر. فهو «تضمن معنى جزئي محدد ضمن معنى عام»^(٣٣) واللفظ المتضمن في هذا التقسيم يسمى اللفظ الأعم، والكلمة الرئيسة، والكلمة الغطاء، واللكسيم الرئيس، والكلمة المتضمنة^(٣٤) ويسمىها (لاينز) علاقة العموم والخصوص، و(نيدا) الاشتمال^(٣٥)، وهي عند (مونان) العلاقة التحتية أو الفوقية^(٣٦). من ذلك العلاقة بين المطبوعات وكتاب وقصة وورق وصحيفة ومجلة.

- علاقة الجزء بالكل: تكون الكلمة جزءاً مادياً من كلمة أخرى في الحقل الدلالي مثل العلاقة بين: الحرف والكلمة، والنقط والتشكيل والحرف، والجمله والفقرة، والفقرة والنص، والورقة والدفتري. فكل هذه تترابط بعلاقة جزئية مادية مرئية.

- التنافر: هو حال أكثر مفردات اللغة فالكلمة تدل على معنى مختلف عن الأخرى. قال ابن فارس: «يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس»^(٣٧). ويعبر عنها بعضهم بعلاقة التجاور^(٣٨)، أو التضاد الانتسابي^(٣٩). ولا أتفق مع هذه المسميات بما فيها (التنافر) فهو غير دقيق ولا يفهم المقصود. وأقترح أن نطلق على هذه العلاقة (التباين). أو أن نعتمد تسمية (مونان) لها ب(علاقة التخالف)^(٤٠). من أمثلتها: كتب، مجلة، سبورة، طباعة.

٥- مفردات حقل الكتابة:

لعل من المناسب أن أعرض أولاً لمفهوم الكتابة من عدة زوايا كما فعل ماهر شعبان^(٤١)، فالكتابة صناعة تجميع للحروف، ذكر الأصمعي أن الكتابة إنما سميت كتابة لأنها يجمع بها بعض الحروف إلى بعض كما يجمع الشيء إلى الشيء، وهو مأخوذ من الكتيبة وهو الخيل المجموعة. وتكتب القوم: تجمعوا. وقيل للكاتب كاتب؛ لأنه يضم بعض الحروف إلى بعض ويؤلفها. وقد كتب

الكتاب يكتبه كتبنا وكتبنا ومكتبة. وذكر ابن خلدون في مقدمته بأن الخط من عداد الصنائع الإنسانية، وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس. وعرفت بأنها إعادة ترميز اللغة المنطوقة في شكل خطي على الورق من خلال أشكال ترتبط ببعضها بعضاً وفق نظام اصطلاح عليه أصحاب اللغة في وقت ما بحيث يعد كل شكل من هذه الأشكال مقابلاً لصوت لغوي يدل عليه وذلك بغرض تقديم أفكار الكاتب وآرائه إلى الآخرين بوصفهم الطرف الآخر لعملية الاتصال. وعرفها (بيرني) بأنها الحدث أو الفعل الذي يشكل الرموز اللغوية لجعلها ذات معنى، أو هي عملية تشفير للرسالة والتي تترجم أفكارنا إلى لغة. وعرفها (والتر) بأنها أية علامة مرئية أو محسوسة لها معنى خاص بها. والكتابة منتج كما ذكرها عبد الحميد عبد الله: إعطاء الرمز الكتابي المقابل للمدلولات، والتعبير عما في النفس من مشاعر وأفكار، أو هي قدرة الفرد على رسم الحروف رسماً صحيحاً بخط واضح مقروء، ويراعي فيه قواعد الكتابة الخطية والإملائية المتفق عليها لدى أهلها، بحيث تعطي دلالة واضحة، أو هي التعبير عن الأفكار بطريقة خطية مقروءة بمراعاة القواعد الإملائية مع إعطاء فكرة ما. وعرفها محمود الناقة بأنها: قدرة حركية يدعمها إدراك بصري دقيق وتصور ذهني ثابت للشكل، ثم تصور عقلي للفكرة يدعمه وعاء لغوي سليم وبتآزر هذه المكونات يتعلم الفرد الكتابة.

وأما الحقل الكتابي: فهو مجموعة المفردات التي تستعمل في الكتابة في نواحيها المختلفة التواصل اليومي والتأليف والتعليم والإعلام وغيرها. وقد قمنا هنا بخطوتين، هما:

- حصر مفردات التي تنتمي إلى الكتابة والتدوين، والوقوف على ما استعمل من ألفاظ في الكتابة قديماً وحديثاً.

- تصنيف الحقل الرئيس إلى حقول فرعية، مثل: مفردات فعل الكتابة، ومفردات تعليمية وبخثية، ومفردات أجزاء المنجز المادي الكتابي، ومفردات أدوات الكتابة كالقلم، ومفردات قنوات التواصل الاجتماعي الحديثة.

وتجدر الإشارة إلى ألفاظ الكتابة التي وردت في القرآن الكريم، وجاءت في دراستين، الأولى بحث في مجلة لسيد أحمد أبو حطب، وقد درس ما جاء في القرآن من ألفاظ متعلقة بالكتابة وذكر: أثارة، إمام، أمي، خط، كتاب، زبور، سجل، سطر، سفر، صحف، قراطيس، القلم، كتب، لوح، صحف، مداد، الوحي، القِط هو الكتاب «وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب» سورة ص: ١٦ (٤٢) والثانية رسالة ماجستير لربنا عقلة تناولت: كَتَبَ والقرآن والوحي، وتسعة ألفاظ في أدوات الكتابة: اللوح، السفر، السجل، الزبور، الصحف، الرق، الرقيم، الأساطير، القرطاس (٤٣).

١- مفردات فعل الكتابة:

كَتَبَ، حَبَّرَ، حَرَّرَ، حَطَّ، دَبَجَ وَدَبَّجَ، دَوَّنَ، رَسَمَ، رَقَمَ، سَطَرَ وَسَطَّرَ، سَوَّدَ، نَسَخَ، نَظَّمَ، نَقَشَ، نَمَّقَ، وَشَى، رَقَّنَ، طَرَسَ، رَقَمَ، زَبَرَ، أَمَلَى.

مفردات تصاحب الكتابة (علاقة التضام): يمكن الحديث عن مفردات مادية مثل: مَسَحَ، مَحَا ومنه ممحاة، وَحَذَفَ، وَشَطَبَ، وَنَشَرَ، وَأَرْسَلَ، النَّقَطُ، التَّشْكِيلُ، الطَّبَاعَةُ. ومفردات فكرية وعلمية كالتأليف والبحث والصياغة والافتتاس والتوثيق.

٢- مصطلحات تعليمية وبخثية:

من المفردات التي تستعمل في الكتابات الأكاديمية: بَحَثٌ، صِيَاغَةٌ، تَوْثِيقٌ، اِفْتِتَاسٌ، تَأْلِيفٌ، مَسْوَدَةٌ، تَنْقِيحٌ، تَدْقِيقٌ.

كِتَاب، مُعْجَم وقاموس، مَحْطُوطَة، مَلَزَمَة، تَفْهِيم عِلْمِي، اسْتِبْانَة، حُطَة،
رِسالة ماجستير، أُطْرُوحَة دكتوراه، مَوْسُوعَة، مَدُونَة إلكترونية.

٣- مفردات أجزاء المنجز المادي الكتابي:

الحَرْف، الكَلِمَة، الجُمْلَة، السَّطْر، الفِقرَة، النَّص.

وهناك المفردات المتعلقة بالتنظيم في العمل الأكاديمي، وهي: العِنْوَان،
المُقدِّمة، التَّمهيد، الأبواب، الفُصول، المَباحِث، المطالِب، المَتْن، الموضوع،
الحاشية، الهوامش، الخاتمة، المراجِع. الفَهَارِس، المَلاحِق.

٤- مفردات أدوات الكتابة عام وتعليمي:

القَلَم، المِزبَر، البِرَاع، الرِّيشَة، الطَّبَّاشير، حَبْر، مِدَاد، نَفْس. مَحْبَرَة، دَوَاة،

ومفردات أنواع القلم: رِصَاص، جامد، حَبْر، قَلَم سبورة، قلم جوال.

الطباعة: آلة كاتبة (طابعة)، حاسوب (كمبيوتر)، وفيه برنامج الطباعة
الحديث الورد WORD، لوحة المفاتيح، برايل للأكفَاء.

ما يكتب عليه: وَرَق، فَرْخ ورق، قِرْطاس، كَاغِد، مُهْرَق، رَقِّ، دَفْتَر، كَشْكُول،
كُرَاسَة، نَوْتَة ملاحظات، مطوية، سَبُورَة، لَوْح. مَلَف، إِضْبارة، دُوسيه.

٥- مفردات أصناف الكتابة:

أدبية، وظيفية، إقناعية، خطابات رسمية، تقارير، سيرة ذاتية، أدبية، دواوين
شعرية، قصص، روايات، مسرحيات، مقامات، معلقات، مذكرات، مقالات، إعلانات.

٦- مفردات وسائل عرض المكتوب ونشره وإرساله:

- مفردات تعليمية: باوربوينت، بلاك بورد، سُبُورَة، سبورة ذكية، سبورة ورقية.
مفردات إعلامية: المجلة، طُومار، الصَّحيفة، النَّشرة، المَقالة.
مفردات إعلانية: دعاية، لوحات عادية، لوحات ضوئية، بَنَر، مُلصَّقات.
مفردات وسائل إرسال المكتوب: مُورس، تَلِكس، تليجرام، فَاكس، إيميل (بريد إلكتروني)، بَرْقية، رسالة نصية، رسالة إلكترونية.
مفردات أجهزة نسخ المكتوب والتعامل معه: آلة تصوير، ماسح ضوئي.

٧- مفردات قنوات التواصل الاجتماعي:

- وأعني بها برامج التواصل الحديثة سواء ما يستعمل منها للنشر كالفيسبوك وتويتر أم للمحادثة كالواتساب والتيلجرام واللاين والايمو والماسنجر، وغيرها:
- مفردات برامج المحادثة:

يدررش، الدردشة أي المحادثة كتابيا، ويصاحبها جملة من المفردات: إرسال، رد، مشاركة، إعادة توجيه، نسخ، حذف، حفظ، متصل، جار الكتابة، أرشفة، معلومات، نقل الدردشة، مسح محتوى الدردشة، إلغاء، تثبيت دردشة معينة أو تعيين غير مقروء.

- مفردات الفيسبوك والتويتر:

- منشور، يفسبك، تغريدة، يغرد، ترند، رتويت، هشتاق: أي وسم.
يتفاعل عبر: التعليق أو المشاركة أو الإعجاب أو إحدى الإيقونات أو يمنشن: يشير إلى.

٨- مفردات أنواع الخط:

النَّسخ، الرُّفْعَة، الثُّلُث، الكُوفِي، الدِّيواني، الأندلسي، المدني، المكي.

القسم الثاني: التطور الدلالي لأفعال الكتابة ومرادفاتها:

نتناول هنا أفعال الكتابة ونتبع دلالات الألفاظ والتغير الذي صاحبها وننقل صورة لحضور الأفعال الكتابية في الاستعمال اللغوي في الفترات الزمنية من القديم إلى الحديث وفي أوعية النشر المختلفة صحف، مجلات، مخطوطات محققة، مناهج دراسية وغيرها. وقد توسلنا بالمدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية التي جمعت الألفاظ من الفترة قبل الإسلام إلى العصر الحالي. ووجدنا من المفردات التي تستعمل مترادفة في أفعال الكتابة -ولا نعني الترادف التام- خطّ، دبّج، دوّن، سطرّ، حبرّ، نسخ. ومنه (سوّد) مع ملاحظة أنها تأتي قليلا بمعنى كتب، وكثيرا بدلالة اللون الأسود مقابل الأبيض، ومجازا في الدعاء: سوّد الله وجهه.

وجدير بالذكر أن ألفاظا كانت تستعمل في أفعال الكتابة لكنها لم تعد تستعمل حديثا واندثرت هذه الدلالة كما كشفت عنه المدونة اللغوية، منها: نقش، تمّق، وشّى، رقّن، طرس، زبر، رقم، الترقيم. والأخير يستعمل مع الأعداد وإن كنا نسمعه بمعنى الكتابة في بعض لهجات. و(وشّى) ترد في مديح الكتابة بمعنى ضمّن، و(نقش) بات استعمالها في النقوش الأثرية والنحت والحفر على مواد خاصة.

وحاولنا هنا التحكم في عدد صفحات البحث فاعتمدنا الجداول والأشكال البيانية لبعض ألفاظ من الحقل الرئيس وتعد من المترادفات ويكثر دورانها في الاستعمال المعاصر أو التواصل الكتابي اليومي في وسائل التواصل الاجتماعي.

مثل: (كَتَبَ) وهي أم الحقل والفعل الرئيسي قديما وحديثا، و(دَرَدَشَ) تكثر في التواصل اليومي ودَوْن وديباجة وسَطَّر وحرّر ونسخ وحرّب.

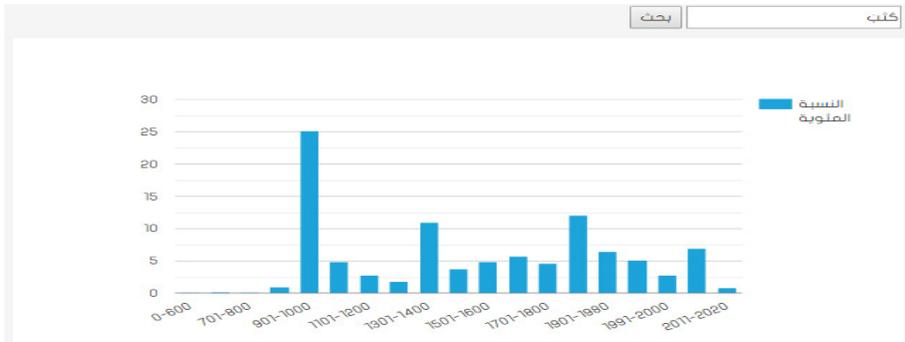
١- كَتَبَ:

وقد ظهرت (كَتَبَ) بهذه الصيغة (٢٢٢٣٧٠) مرة، في (١٣٣٦٦٨) نصًّا في المدونة في مختلف أوعية النشر، على النحو الآتي:

الأوعية	عدد النصوص	تكرار (كُتِبَ)	التكرار النسبي	النسبة المئوية
المصحف	49	49	0.0000001098	%0.8191
المجلات	58	64	0.0000004211	%1.0699
الكتب	858	1,018	0.0000060701	%17.0177
المناهج الدراسية	44	60	0.0000039534	%1.0030
الرسائل الجامعية	27	36	0.0000009918	%0.8018
الدوريات المحكمة	30	33	0.0000012002	%0.5517
الإمدارات الرسمية	0	0	0.0000000000	%0.0000
وكالات الأنباء	1	1	0.0000000960	%0.0187
الإنترنت	8	8	0.0000004328	%0.1837
المخطوطات المحققة	2,076	4,713	0.0000158284	%78.7864

جدول (١) تكرار كتب في أوعية النشر

أما استعمالها زمنيا فظهر على النحو الآتي:



شكل (١) تكرار كتب في الفترات الزمنية

يظهر أن (كتب) هي المفردة الأقدم، وقد شاع استعمالها من العصر القديم وامتد إلى يومنا هذا. فهي تتصدر مفردات الحقل قديما وحديثا، إلا أن حضورها زاد حديثا وهذا طبيعي لانتشار الكتب والمطبوعات في العصر الحديث. وهذه بعض أمثلة من الكشاف السياقي للمدونة اللغوية العربية:

الكلمات السابقة	الكلمة	الكلمات اللاحقة
تُضَمِّرُ جَمْرَ كَاتِبٍ سَيَكْرَهُ مَا	كُتِبَ	. مَنْتَهِيًا لِلنَّوْ فِي السُّؤَالِ
يُوفِقُ فِي ذَلِكَ . وَقَدْ	كُتِبَ	لَهَا كُلٌّ مِنْ سَانٍ -
غَيْرَ مَائَةٍ وَأَرْبَعِينَ عَاقِبًا عِنْدَمَا	كُتِبَ	تِلْكَ الرِّسَالَةُ الشَّكَايَةُ . كُتِبَ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . حِينَئِذَا	كُتِبَ	إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ -
تَارِيخَ الْاِحْتِلَالِ الرُّومَانِيِّ . كَمَا	كُتِبَ	. وَاضِحًا وَمَتَنَاغِمًا مِنْ هَذِهِ
الْقَوْلِ : إِنَّ غَالِبِيَّةً مِنْ	كُتِبَ	فِي الْحُسَيْنِ وَمَقْتَلِهِ لَمْ تَتَجَاوَزْ
. وَالْعَنَابِيَّةَ بِأَدْبِهِ أَعْظَمَ .	كُتِبَ	الرَّجُلِ قَلِيلًا - بِالْقِيَاسِ إِلَى
. عَامَ 2004 (BMJ)	كُتِبَ	عَلَى مَوْقِعِ الْمَجَلَةِ الْإِلِكْتَرُونِيِّ :
أَقْصَرَ الْأَوْقَاتِ . وَبِتَدْخُلٍ مِنْ	كُتِبَ	عَلَى نَفْسِهِ الرِّحْمَةَ - سَبْحَانَهُ
" أَنْ مَعْنَى " نَمَقَ "	كُتِبَ	. فَيُقَالُ : نَمَقَ الْكِتَابَ
وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا	كُتِبَ	فِيهِ . وَقُلْنَا : إِنَّهُ

جدول (٢) الكشاف السياقي - كتب

وبعد تتبعنا لدلالات (كتب) وجدناها متعددة، ولازمها المعنى الحسي (الربط) في أكثر استعمالاتها. وحدث له تخصيص، فقد انتقل من (معنى الجمع والربط عموماً) إلى (جمع الحروف والكلمات والجمل وجعلها في مكان واحد).

جاء في لسان العرب: كتبتُ الكتاب لأنه يجمع حرفاً إلى حرف. ومن معانيه اللاحقة: الخط أو فعل الكتابة، يقال: كُتِبَ كتباً وكتابة: خطّه فهو كاتب، والجمع كُتُوبٌ وكتبه، ويقال كُتِبَ الكتاب: أي عقد النكاح (مولّد). وكتب السقاء ونحوه: خرزه السيرين بيدين، وكتب القرية: شدها بالوكاء، وكتب الله الشيء: قضاه وأوجبه وفرضه^(٤٤).

ومنه جاءت كلمة (الكتاب) فمن أسماء القرآن الكريم (الكتاب) كما وصفه الله تعالى بذلك في أكثر من آية (ذلك الكتاب لا ريب فيه) البقرة: ٢.

ومنها (أهل الكتاب) هم اليهود والنصارى المنزل على أنبيائهم كتب سماوية -التوراة والإنجيل- كما هو القرآن الكريم.

وكذلك أطلق العلماء على ما يؤلفونه كتباً والكتاب. فهذا كتاب سيبويه وكتاب الإنصاف وكتاب البيان والتبيين وكتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.

وفي الشعر العربي نجد هذا المعنى للكتاب. فأبو تمام حبيب بن أوس الطائي يستهزل قصيدته في مدح المعتصم بالله بعد فتح عمورية بقوله^(٤٥):

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحدّ بين الجد واللعب

كما أن علماء العربية قد أطلقوا كلمة (كتاب) على الباب الواحد من أبواب المؤلف، وذلك إشارة إلى واحد من أبواب الكتاب الكبير أو الفصل الواحد منه، كما هو عند أبي عبيد القاسم بن سلام في الغريب المصنف فقد قسمه إلى ستة وعشرين حقلاً رئيساً، سمّاها أبو عبيد كتباً، فكان عنوان الحقل الرئيس يُسبق بكلمة (كتاب) عدا الحقل الأول الذي بدأ بعنوان (باب تسمية خلق الانسان ونوعته)^(٤٦).

وقد وردت كلمة الكتب بمعنى الرسائل؛ وذلك في وصف رسائل الرسول -صلى الله عليه وسلم- لملوك المناطق المختلفة وحكامها وأمرائها، في الأمصار والأصقاع التي بعث بها رسله ليبلغوا أهلها رسالة الإسلام منها ما بعثه إلى مقوقس مصر ومنها ما بعثه لكسرى فارس وكذلك لقيصر الروم وهكذا.

كما وردت كلمة (كتب) باشتقاقات عديدة لتدل على معانٍ أخرى منها الإلزام والوجوب، من ذلك ما جاء في القرآن الكريم ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ البقرة: ١٨٣. ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الأنعام: ٥٤. وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ المجادلة: ٢١.

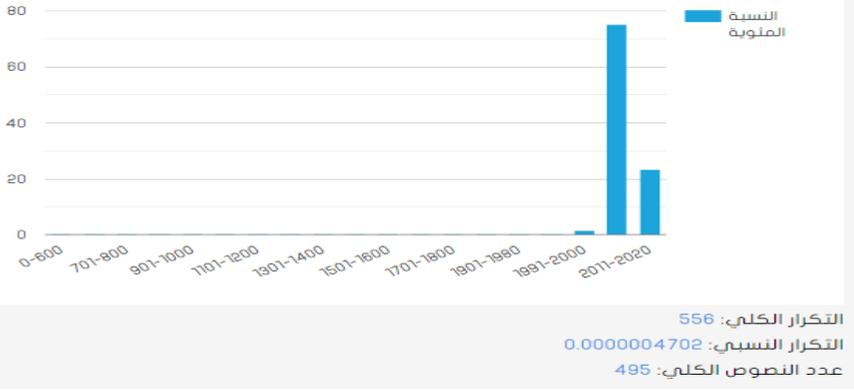
٢- دَرَدَشَ وَدَرَدَشَةٌ:

ظهر الفعل (دَرَدَشَ) بهذه الصيغة (٩ مرات، في (٦) نصوص في المدونة اللغوية، في الأوعية المختلفة. في حين ظهرت (دَرَدَشَةٌ) بهذه الصيغة (٦٥٦) مرة، في (٤٩٥) نصاً في المدونة اللغوية، في الأوعية المختلفة، على النحو الآتي:

الأوعية	عدد النصوص	تكرار (دردشة)	التكرار النسبي	النسبة المئوية
الصحف	312	349	0.000007822	%62.7698
المجلات	121	139	0.000009145	%25.0000
الكتب	5	5	0.000000298	%0.8993
المناهج الدراسية	5	5	0.0000003294	%0.8993
الرسائل الجامعية	9	12	0.000003306	%2.1583
الدوريات المحكمة	5	7	0.0000002546	%1.2590
الإصدارات الرسمية	0	0	0.0000000000	%0.0000
وكالات الأنباء	9	10	0.0000009601	%1.7986
الإنترنت	29	29	0.0000015689	%5.2158
المخطوطات المحققة	0	0	0.0000000000	%0.0000

جدول (٣) تكرار دردشة في أوعية النشر

والاسم (دردشة) هو الأكثر استعمالاً ودوراناً كما يوضحه الشكل الآتي:



شكل (٢) تكرار دردشة في الفترات الزمنية

مفردة (الدردشة) لا نجدها في المعاجم العربية القديمة. ويظهر استعمالها بصيغة (دردشة) اسماً أكثر بكثير من الفعل، الذي يقلّ دورانه. وكلاهما لم يظهر إلا حديثاً مع بدء انتشار الأجهزة الذكية والمحادثات الكتابية التي تتم بين الأفراد عبر برامج المحادثات الحديثة. وهذه بعض أمثلة من الكشاف السياقي للمدونة اللغوية العربية:

الكلمات السابقة	الكلمة	الكلمات اللاحقة
الاقتراح والمقترح الذي يليه نتاج	دردشة	بالتليفون مع الدكتور مجدي أبو النور
الصحفيين عضوا دائما في جلسات	دردشة	ليلية دافئة . يتصدرها المرحوم
نهلة عابدين :	دردشة	شاهي المصاري تحت هذا العنوان
حصان كبوة جاءت هنا مع	دردشة	تليفون . كان ظاهرها برمي
هنا وبعد أكثر من ساعة	دردشة	طلبنا من اللواء حامد عبد
يعدو أن يكون مجرد جلسات	دردشة	خاصة بعد أن تكفل الإعلان
حوار . فهي ليست جلسة	دردشة	بل هي أسس وقواعد يجب
وبعضها الآخر عبارة عن .	دردشة	مع الأصدقاء . & gt
يوك ما هو إلا مجرد	دردشة	وتنقيس عن طاقاتهم . فلم
هكذا قضينا ليلتنا الأولى هي	دردشة	طويلة تقطعها أوامر صارمة من

الجدول (٤) الكشاف السياقي - دردشة

وكانت (دردشة) تطلق على الكلام المنطوق لا المكتوب، وتستعمل مع الكلام الذي لا تكلف فيه أو لنقل مع الحديث الخفيف والكلام لأجل الكلام. جاء في تاج العروس (الدردشة هي اختلاط الكلام وكثرته مستعمل كثيرا في كلامهم)^(٤٧). ويقولون تحولت المناقشة إلى دردشة.

ومن هذا نعرف سبب اختيار لفظة (دردشة) للمحادثات المكتوبة بين الأشخاص عبر النت وقنوات التواصل الاجتماعي الحديثة؛ فالدلالات القديمة لكلمة دردشة الكلام الكثير والمختلط والمرتفع والمتداخل كانت الأقرب والأنسب لوصف طبيعة المحادثات الخفيفة والفضفضة اليومية المكتوبة.

ومن الجدير أن ننوه لتعبير شاع استعماله في الكتابات: (دردشة أمام المدفئة)، وهو تعبير مجازي يعود إلى الرئيس الأمريكي فرنكلين، كان يخاطب به الشعب الأمريكي بطريقة غير رسمية عبر الإذاعة ويشعرهم أنه قريب منهم يعرف أن معظمهم أمام المدفئة وقت خطابه.

٣- دَوْن:

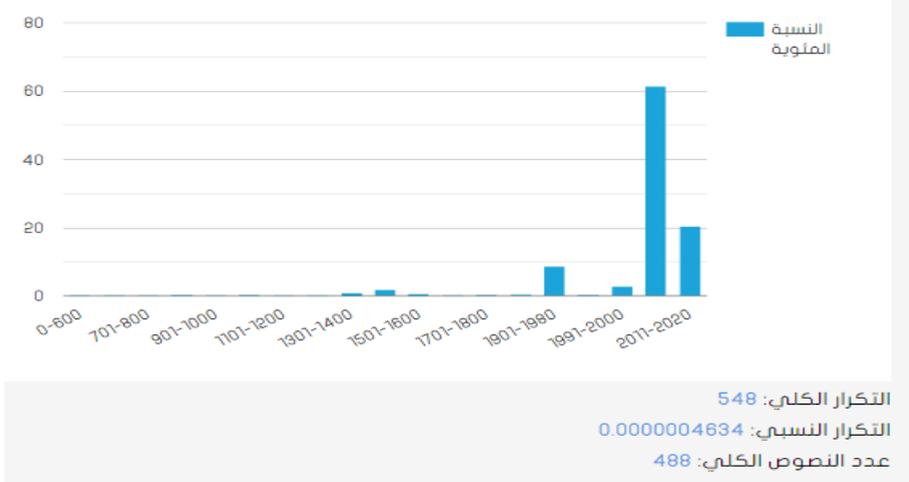
ظهر الفعل (دَوْن) بهذه الصيغة (٥٤٨) مرة، في (٤٨٨) نصًّا في المدونة اللغوية، في الأوعية المختلفة، على النحو الآتي:

د. تـكـرى يـحـىى القـبـيـلي

النسبة المئوية	التكرار النسبي	تكرار (دُون)	عدد النصوص	الأوعية
34.6715%	0.0000004258	190	183	الصحف
30.2920%	0.0000010922	166	149	المجلات
16.9708%	0.0000005545	93	68	الكتب
1.4599%	0.0000005271	8	8	المناهج الدراسية
5.4745%	0.0000008265	30	24	الرسائل الجامعية
2.5547%	0.0000005092	14	14	الدوريات المحكمة
0.3650%	0.0000002771	2	2	الإصدارات الرسمية
0.1825%	0.0000000960	1	1	وكالات الأنباء
2.0073%	0.0000005951	11	9	الإنترنت
6.0219%	0.0000001094	33	30	المخطوطات المحققة

جدول (٥) تكرار دُون في أوعية النشر

أما زمنياً فقد كثر استعمالها حديثاً في فعل الكتابة، نلاحظ الشكل الآتي:



شكل (٣) تكرار دُون في الفترات الزمنية

يظهر أن استعمال (دوّن) بمعنى كتب شاع حديثاً في الحقل الكتابي في العقدين الأخيرين. وكانت تأتي بمعنى كتب في نصوص قديمة لكن نادراً. وهذه بعض أمثلة من الكشاف السياقي للمدونة اللغوية العربية:

الكلمات السابقة	الكلمة	الكلمات اللاحقة
رشحت دار	دوّن	للنشر والتوزيع رواية " 2025 النداء
صرح " محمد مفيد " مدير دار	دوّن	بأن إختياره للرواية لترشيحها لجائزة البوكر
الفريق الكورنى على الطبعة . وقد	دوّن	لوميل بعض الملاحظات على أداء الفريق
لا سيما أن ديوان المحاسبة .	دوّن	ملاحظات ومخالفات مهمة عدة ٩ وشدد
العربية المقيمين في موسكو في حين	دوّن	بعض المعزين تعازيهم في سجل العزاء
الرومي . . عام 1905 1982	دوّن	الكثير عن شؤون البحر . وأصبح
الشرقية (33.75 درجة وفق البوصلة	دوّن	النوخذة في زرنامته انه في اليوم
النافذة مثلا الرقم 40 على البوصلة	دوّن	في زرنامته انه في اليوم المذكور
ما الذي قد يفعله الموظف الذي	دوّن	رقم بطاقتك . ولم يعلق حسابك
. ستيرنمقدم برامج إذاعية وتلفزيونية شهير	دوّن	مذكراته في كتاب فاضح أنزله إلى
رودني دانجر فيلدكوميدي مسرحي وسينمائي أميركي .	دوّن	مذكراته في كتاب بعنوان " It '
. ستيوارتمقدم برامج تلفزيونية وناشط سياسي	دوّن	مذكراته في كتاب أنزله إلى الأسواق
منها 270 مشروعاً جديداً . بينما	دوّن	بها استكمال 970 مشروعاً من الخطة
حتى إن امبراطور الهند جهانكير قد	دوّن	لمناسبات اخذ فيها فآله من ديوان

جدول (٦) الكشاف السياقي - دوّن

جاء في لسان العرب: الديوان: مجتمع الصحف، أبو عبيدة: هو فارسي معرب، ابن السكيت: هو بالكسر لا غير، الكسائي: بالفتح لغة مولدة، وقال ابن الأثير: هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء. ومنه الحديث (لا يجمعهم ديوان حافظ)^(٤٨) وحكاها سيبويه (مُجْتَمَع الصحف)^(٤٩). وفي المعجم الوسيط: (دوّن) الديوان: أنشأه وجمعه. والكتب جمعها ورتبة^(٥٠). فمفردة (دوّن) كانت تستعمل في حقل الكتابة لكن بمعنى الجمع والترتيب مع الكلمات الكتب والديوان (الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء)، وانتقلت لتدل على فعل الكتابة نفسه.

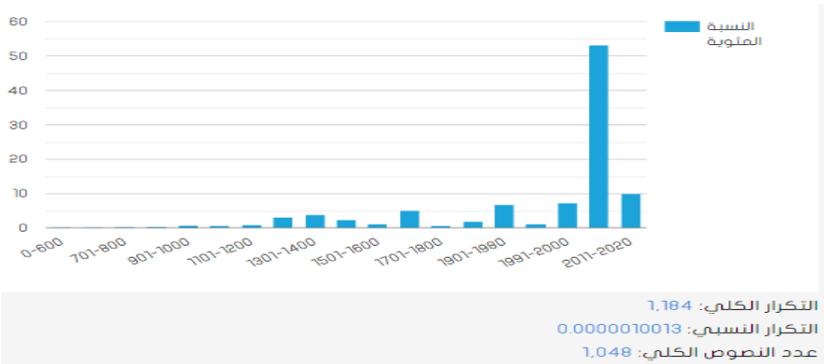
٤- دَبَّح:

ظهر الفعل (دَبَّح) بهذه الصيغة (١٢٠) مرة، في (١٠٥) من النصوص في المدونة اللغوية، في الأوعية المختلفة، وظهرت (دِيْبَاجَة) بهذه الصيغة (١,١٨٤) مرة، في (١,٠٤٨) نصاً في المدونة اللغوية. على النحو الآتي:

الأوعية	عدد النصوص	تكرار (ديباجة)	التكرار النسبي	النسبة المئوية
الصحف	325	362	0.0000008113	%30.5743
المجلات	159	177	0.0000011646	%14.9493
الكتب	150	171	0.0000010196	%14.4426
المناهج الدراسية	3	3	0.0000001977	%0.2534
الرسائل الجامعية	68	90	0.0000024796	%7.6014
الدوريات المحكمة	58	74	0.0000026914	%6.2500
الإصدارات الرسمية	20	22	0.0000030485	%1.8581
وكالات الأنباء	3	3	0.0000002880	%0.2534
الإنترنت	11	11	0.0000005951	%0.9291
المخطوطات المحققة	251	271	0.0000008986	%22.8885

جدول رقم (٧) تكرار ديباجة في أوعية النشر

ويظهر من الشكل الآتي ازدياد تكرارها في العشر السنوات الأخيرة، وكان ظهورها قبلاً بدلالات أخرى ليست من حقل الكتابة:



شكل رقم (٤) تكرار ديباجة في الفترات الزمنية

وقد ظهر أن (دبج) الفعل يأتي بمعنى كتب لكن أكثر استعماله هي في معان غير الكتابة، مثل: دبج أهدافه: وضعها، ودبج كتابه بأقوال: بدأه. أما الاسم (ديباجة) فهو كثير الورد في النصوص لاسيما الكتابات القانونية والقرارات. وهذه بعض أمثلة من كشاف السياقات للمدونة اللغوية العربية:

الكلمات السابقة	الكلمة	الكلمات اللاحقة
الذي أسهم ذات مرة في صياغة	ديباجة	المنظمة الدولية نفسها . في العام
مطلعة إن التعديلات المقترحة ستشمل كتابة	ديباجة	جديدة للقانون تتضمن تعريفاً أكثر تدقيقاً
فقبلت الحكومة بأن يتضمن نصه .	ديباجة	للتذكير بالمبادئ الواردة في قانون المسطرة
ذلك الاعلان الذي اشتمل على .	ديباجة	وثلاث وعشرين مادة تناول قضية التعذيب
موضحة أن الصورة الشاملة التي أكدتها	ديباجة	الاتفاقية تدعو إلى المساواة المطلقة في
بداية الملف ، كما تؤكد ذلك	ديباجة	المحاضر ، كانت عبارة عن وشاية
في العمل الخيري . أن يسرد	ديباجة	يقدم فيها آيات الولاء والطاعة لقوى
حلقها . والوعي بالوهن ليس إلا	ديباجة	للشفاء الذي هو الهدف الأكبر من
واعترافات . وأوضح دفاع المتهمين أن	ديباجة	المحاضر تبين هذا الخلل حيث تنطلق

جدول رقم (٨) الكشاف السياقي - ديباجة

ورد في المعاجم: الدَّبِجُ: النقش والتزيين، فارسي مُعَرَّبٌ^(٥١).

وذكر المعجم الوسيط: وديباجة الكتاب، فاتحته ويقال: لكلامه وشعره وكتابه ديباجة حسنة: أسلوب حسن، ديباجة المعاهدة: مقدمة تتضمن ذكر الدواعي والأغراض التي دعت إلى عقدها. وجاء في معجم المعاني: الديباجة في القضاء: ما يُصَدَّرُ به الحكم، من ذكر المحكمة ومكانها وقضائها وتاريخ صدور الحكم^(٥٢).

نخلص إلى أن مفردة (الديباجة) كانت تطلق على الحسن والتزيين عامة، ثم انتقلت إلى الكتابة والتأليف وأصبحت تطلق على الأسلوب الحسن والطريقة الجزلى في الكتابة. بعدها انتقلت إلى مقدمة الكلام والخطاب وما شابه. ثم أن هذه الدلالة الأخيرة حدث لها تطور دلالي، فإضافة إلى دلالتها على المقدمة الجزلة، أخذت تستعمل أكثر للدلالة على المعلومات التي تكون في مستهل القوانين والقرارات. فيقال مثلاً: بناء على كذا أو بعد الاطلاع على كذا. وبيانات عامة تشملها المقدمة قد لا تستدعي التوقف عندها، فيقال اختصاراً عند الحديث عن تقرير ما: جاء فيه بعد الديباجة كذا وكذا.

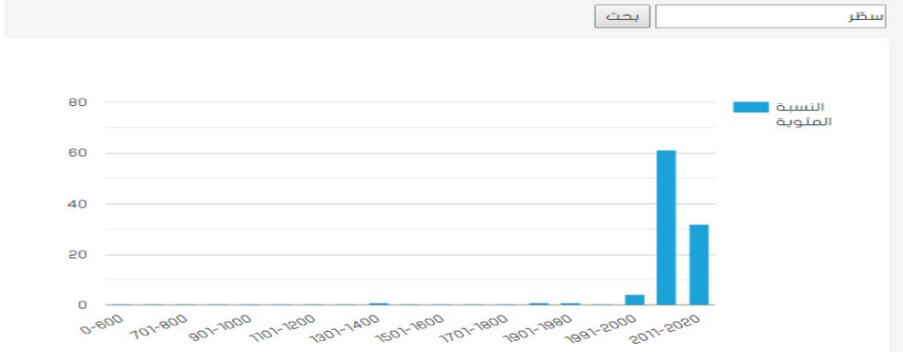
٥- سَطْر:

ظهرت (سَطْر) بهذه الصيغة (١١٦) مرة، في (١١٣) نصاً في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

النسبة المئوية	التكرار النسبي	تكرار (سَطْر)	عدد النصوص	الأوعية
50.0000%	0.0000001300	58	57	الصحف
30.1724%	0.0000002303	35	33	المجلات
7.7586%	0.0000000537	9	9	الكتب
0.0000%	0.0000000000	0	0	المناهج الدراسية
0.8621%	0.0000000276	1	1	الرسائل الجامعية
2.5862%	0.0000001091	3	3	الدوريات المحكمة
0.0000%	0.0000000000	0	0	الإصدارات الرسمية
0.0000%	0.0000000000	0	0	وكالات الأنباء
6.0345%	0.0000003787	7	7	الإنترنت
2.5862%	0.0000000099	3	3	المخطوطات المحققة

جدول (٩) تكرار سَطْر في أوعية النشر

أما زمنياً فقد كثر استعمالها حديثاً، نلاحظ الشكل الآتي:



شكل (٤) تكرار سطر في الفترات الزمنية

بدا أن (سطر) تأتي بمعنى خطّ وكتب، لكن استعمالها الأكثر هو بمعنى سجّل أو أَلّف. نلاحظ هذه الأمثلة من كشاف السياقات للمدونة اللغوية العربية:

الكلمات السابقة	الكلمة	الكلمات اللاحقة
أفق البهاء شواهد من فيض نيلك	سطر	الأشعارا بثقافة الأجداد ركنٌ قائم تهفو
المزايا لست أرتيك أنا أرتي شموخا	سطر	المجد على كل الصنابا لست أرتيك
الدراسات سلبية . وفي هذا السياق	سطر	كرس مالبرج في كتابه الشهير)
شجاعته ورجولته وسيرته الحسنة الجميلة بل	سطر	اسمه بماء من ذهب وأصبح وسام
أن يكون عنوان حياة قد .	سطر	بمعاني الفرح الكامل . وعقول تطيش
السعودية . الشاعر الكبير المبدع الذي	سطر	بقصائده الرائعة أجمل ما يمكن من
ويتشوقون إلى الرحاب الطاهرة . ولكم	سطر	الكثير من العلماء والأدباء والمؤرخين والرحالة
الأهمية التي تستحقها) . كما	سطر	الدكتور عبد العزيز السبيل في سجل
عمي ناصر !! ماذا .	سطر	بنائي ؟ ؟ كم طلعت بهذه
التركي (أبو يزن) الذي	سطر	ما عاشه من تجربة بقلمه حيث

جدول (١٠) الكشاف السياقي - سطر

جاء في لسان العرب: سَطَرَ: السَّطْرُ والسَّطْرُ: الصَّف من الكتاب والشجر والنحل ونحوها؛ قال جرير:

من شاء بايعته مالي وخلقته ما يكمل التيم في ديوانهم سَطْرًا

والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار وأساطير (عن اللحياني) وسطور.

والسطر: الخط والكتابة، وهو في الأصل مصدر الليث: يقال سطر من كتب، وفي قوله تعالى: ﴿قالوا أساطير الأولين﴾ النحل: ٢٤، قال الزجاج: خبر الابتداء محذوف، المعنى وقالوا الذي جاء به أساطير الأولين، معناه سَطَرَهُ الأولون وواحد الأساطير أسطورة، كما قالوا أحدثه وأحدثه. وسطر يسطر إذا كتب، قال تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ القلم: ١.

أي وما تكتب الملائكة، وقد سطر الكتاب يسطره سطرًا وسَطَرَهُ واستطره. وفي التنزيل: ﴿كل صغير وكبير مستطر﴾ القمر: ٥٣. وسطر يسطر سطرًا: وكتب واستطر مثله.

جاء في اللسان والمعجم الوسيط: سطر الكتاب: سطره. و- الورقة: رسم فيها خطوطاً بالمسطرة. و- العبارة: أَلْفَهَا. ويقال: سَطَّرَ الأكاذيب. وسَطَّرَ علينا قص علينا الأساطير^(٥٣).

وبالنظر ما جاء من معان ل(سَطَّرَ) يتضح أن استعمالها القديم - بمعنى دَوِّنَ - باق لكنه قلَّ. والأكثر حديثاً أن تأتي بمعنى السطر من الكتابة وهو مجموعة كلمات في صف أفقي واحد. كما استحدثت دلالة الفعل (سَطَّرَ) الذي يستعمل مع أداة التسطير (المسطرة) التي تستخدم في رسم الخط.

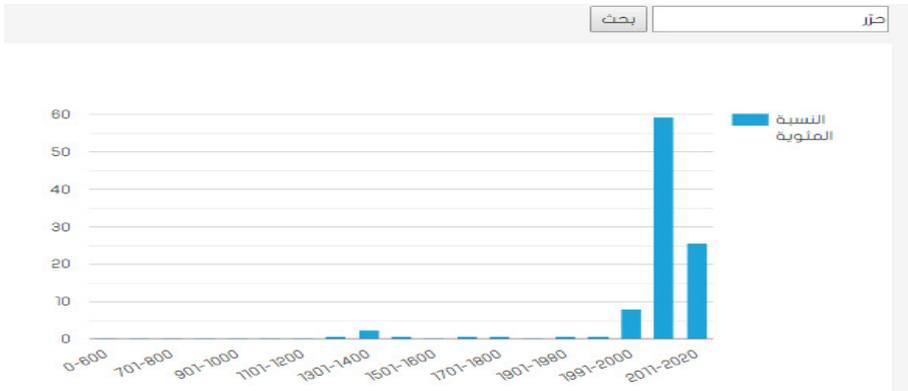
٦- حَرَّرَ:

ظهرت (حَرَّرَ) بهذه الصيغة (١٢٥) مرة، في (١١٦) نصًّا، في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة:

الأوعية	عدد النصوص	تكرار (حزّر)	التكرار النسبي	النسبة المئوية
الصحف	29	33	0.0000000740	26.4000%
المجلات	39	42	0.0000002763	33.6000%
الكتب	18	20	0.0000001193	16.0000%
المناهج الدراسية	1	1	0.0000000859	0.8000%
الرسائل الجامعية	1	1	0.0000000276	0.8000%
الدوريات المحكمة	12	12	0.0000004365	9.6000%
الإصدارات الرسمية	0	0	0.0000000000	0.0000%
وكالات الأنباء	0	0	0.0000000000	0.0000%
الإنترنت	9	9	0.0000004869	7.2000%
المخطوطات المحققة	7	7	0.0000000232	5.6000%

جدول (١١) تكرار حَرَّرَ في أوعية النشر

أما زمنياً فقد كثر استعمالها حديثاً نلاحظ الشكل الآتي:



شكل (٥) تكرار حَرَّرَ في الفترات الزمنية

وقد بدا قلة استعمال الفعل (حرّر) بمعنى كتب: حرّر الكتاب أو المقدمة. والأكثر أن تأتي بمعنى أَلّف أو أخرج العدد وحرر المجلة. ولذا فقد يجتمع الفعلان في جملة واحدة: كتب رسالة حرر بها المسألة والقصد درسها أو ناقشها. ولا يخفى استعمالات للكلمة خارج حقل الكتابة: تحرّر من القيود وتحرير البلدان وغيرها. وهذه الأمثلة من كشاف السياقات للمدونة اللغوية العربية:

الكلمات السابقة	الكلمة	الكلمات اللاحقة
"الاتحاد، الجديد والشعب"	حرر	وشارك في تحرير مجلات أدبية عديدة
ولا أنسى رودني وبيلمر الذي .	حرر	النسخة المطبوعة بمهارة . أشكرهم جميعاً
الهيديروجين) ، وخرزم (من	حرر	من الضمغ) فإنه لا يفني
اسم مفعول من فعل ، ()	حرر	الرباعيّ وزنه مفعّل بضمّ الميم وفتح
لماذا لا تحب حفيد الذي .	حرر	الممالك . التوقيع حسن الجفيري كاتب
بن جُخيفة سمع أباه عندهما والمنذريّ	حرر	عند مسلم كلّ ذلك في رجال
شرفيس صديقاً للشّيح ابن الحفاف و	حرر	مقدمة للكتاب الذي نتحدث عنه .
أسطوانات في بغداد 1939 . وقد	حرر	الأستاذ بدر جويهل في أعداد مجلة
. مضمّازا للارتحال والافتراب واللذة والشك .	حرر	البعث الأول أبا هريرة و ربحانة
"بشأنها أوراق ، وكتب رسالة	حرر	بها المسألة ، ولما صحبته بسيارته

جدول (١٢) الكشاف السياقي - حرر

ورد في لسان العرب: وتحرير الكتابة: إقامة حروفها وإصلاح السَّقَطِ، وتحرير الحساب: إثباته مستويّاً لا سقط فيه ولا محو. وفي المعجم الوسيط: يقال حرر رقبته والولد: أفرده لطاعة الله وخدمة المسجد. قال تعالى على لسان امرأة عمران: ﴿رَبِّي إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ آل عمران: ٣٥. و- الكتاب وغيره: أصلحه وجوّده خطه^(٥٤).

- كما وفي العصر الحديث تستعمل مفردة (تحرير) في ثلاث دلالات رئيسية:
- كتابة الرسالة أو المقال في الجريدة أو المجلة، ولذلك فيمكن القول إنّ التغيير الذي لحق بها هو الانتقال من المعنى الخاص (إصلاح الكتاب وتجديد خطه) إلى المعنى العام الكتابة بصورة عامة ويشمل ذلك كتابة النص والاهتمام بالخط والأسلوب وجميع مكونات النص.
 - وتستعمل بمعنى التعديل في الطباعة في أجهزة الحاسوب الحديثة، وفي تعديل الصور أو المقاطع في الجوالات الذكية. وهذا قريب من الاستعمال القديم بمعنى الإصلاح.
 - يستعمل في غير حقل الكتابة الفعل حرّر والمصدر تحرير واسم المصدر الحرية.

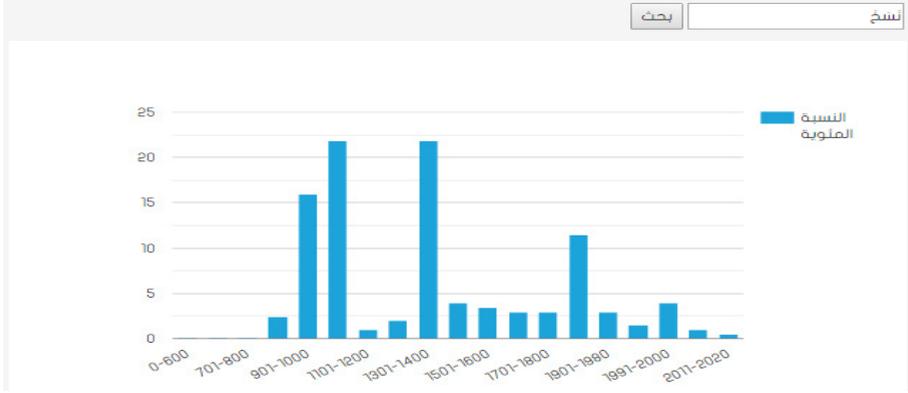
٧- نَسَخ:

ظهرت (نَسَخ) بهذه الصيغة (٢٠١) مرة، في (١٦٣) نصًّا، في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة:

النسبة المئوية	التكرار النسبي	تكرار (نَسَخ)	عدد النصوص	الأوعية
0.4975%	0.0000000022	1	1	الصحف
0.0000%	0.0000000000	0	0	المجلات
9.4527%	0.0000001133	19	18	الكتب
0.0000%	0.0000000000	0	0	المناهج الدراسية
0.0000%	0.0000000000	0	0	الرسائل الجامعية
0.0000%	0.0000000000	0	0	الدوريات المحكمة
0.0000%	0.0000000000	0	0	الإصدارات الرسمية
0.0000%	0.0000000000	0	0	وكالات الأنباء
0.0000%	0.0000000000	0	0	الإنترنت
90.0498%	0.0000006002	181	144	المخطوطات المحققة

جدول (١٣) تكرار نَسَخ في أوعية النشر

وظهر استعمالها زمنياً في حقل الكتابة، نلاحظ الشكل الآتي:



شكل (٦) تكرار نسخ في الفترات الزمنية

جاء عند الزبيدي وابن منظور: نسخ الشيء ينسخه نسخاً وانتسخه واستنسخه: اكتبه عن معارضة. التهذيب: النسخ اكتبك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف، والأصل نسخه، والمكتوب عنه نسخة لأنه قام مقامه. والكاتب ناسخ ومنتسخ^(٥٥).

وفي المعجم الوسيط: نسخ الشيء - نسخاً: أزاله. يقال: نسخت الريح آثار الديار، ونسخت الشمس الظل، ونسخ الشيب الشباب، ويقال نسخ الله الآية: أزال حكمها، وفي التنزيل العزيز ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها﴾ البقرة: ١٠٦. ويقال نسخ الحاكم الحكم أو القانون: أبطله، والكتاب: نقله وكتبه حرفاً بحرف. والناسخ: من صفته نسخ الكتب. وجمعه: نَسَخ. والنسخة: صورة المكتوب أو المرسوم. والجمع نَسَخ^(٥٦).

ويظهر أن التطور الذي لحق بهذه المفردة هو الانتقال من المعنى إلى ضده، فقد كان يدل على الإزالة ثم دلَّ على الإثبات. ولم يندثر معنى الإزالة، فكلمة النسخ في القرآن الكريم تدل على الإزالة. وفي الاستعمال اليومي يدل معناها على نقل المكتوب إلكترونياً وإثباته في موضع آخر كما هو. فالكلمة حاملة

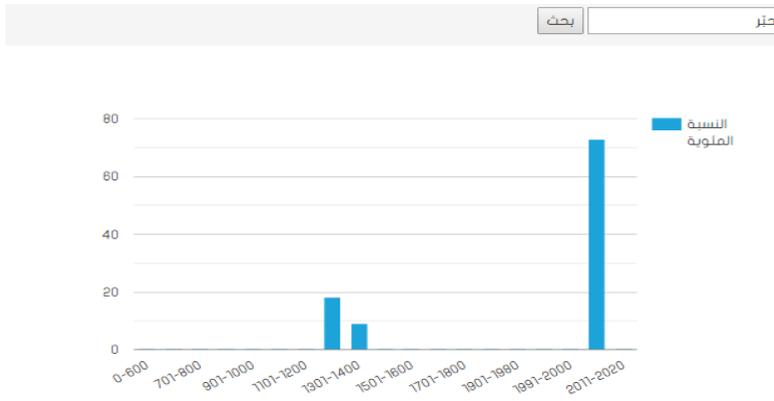
للمعنيين المتضادين ولنا أن نعدّها من ألفاظ الأضداد التي تحمل المعنى وضده.
٨- حَبْر:

وقد ظهرت (حَبْر) بهذه الصيغة (١١) مرة، في (١١) نصّاً، في المدونة في مختلف أوعية النشر، على النحو الآتي:

الأوعية	عدد النصوص	تكرار (حَبْر)	التكرار النسبي	النسبة المئوية
الصحف	4	4	0.0000000090	%36.3636
المجلات	2	2	0.0000000132	%18.1818
الكتب	1	1	0.0000000060	%9.0909
المناهج الدراسية	0	0	0.0000000000	%0.0000
الرسائل الجامعية	0	0	0.0000000000	%0.0000
الدوريات المحكمة	0	0	0.0000000000	%0.0000
الإصدارات الرسمية	0	0	0.0000000000	%0.0000
وكالات الأنباء	0	0	0.0000000000	%0.0000
الإنترنت	1	1	0.0000000541	%9.0909
المخطوطات المحققة	3	3	0.0000000099	%27.2727

جدول (١٤) تكرار حَبْر في أوعية النشر

وظهر استعمالها زمنياً في حقل الكتابة، نلاحظ الشكل الآتي:



شكل (٧) تكرار حَبْر في الفترات الزمنية

(حَبْر) بمعنى كتب من الكلمات الحديثة في هذا الحقل. ويوضح الرسم البياني للفترات الزمنية أنها ظهرت في الكتابات في الفترة ١٢٠٠-١٤٠٠م لكنها تختفي لتعود في العقد الأخير. وهذه الأمثلة من كشاف السياقات للمدونة اللغوية العربية:

الكلمات السابقة	الكلمة	الكلمات اللاحقة
المدونة المقدسية ومظاهرتها . . فلو	حَبْر	كل مُثَقَّف وإعلامي مقالاً واحداً عن
دخل الجندي في سيل الورق الذي	حَبْر	الخطبة ؟ لا أدري . لذلك
المخلوق الفاضل والقلم والدفتر . وقد	حَبْر	عدة أوراق . فشكرته على لطفه
محدثة بالتاريخ ؛ فما أكثر ما	حَبْر	ونشر محزناً لا غابة منه إلا
com / Al - Alwan /	حَبْر	قصيدك واجن من ثمراته * *
قوادم الجناح ، لعادة الاستمناح ؛	حَبْر	من لمع الأسجاع ، وما يصلح
، أبيض ، دثره ببعض القوافي	حَبْر	عينيه . . راقصه . .
تقول ذلك القول أو لعل من	حَبْر	هذا توقع مثل هذا ، والقصة
وفضائله وتأريخه وعلمانه وعظمائه ، حيث	حَبْر	أهل العلم والمؤرخون المؤلفات المستقلة عن
فطلبه ، ثم استتر ، ثم	حَبْر	قصيدة يستعطفه بها ، وأنشده إياها

جدول (١٥) الكشاف السياقي - حَبْر

جاء في لسان العرب: كل ما حسن من خط أو كلام أو شعر أو غير ذلك فقد حبر حبراً بالتضعيف. وكان يقال لطفيل الغنوي في الجاهلية: محبّر بتضعيف الباء المكسورة؛ لتحسينه الشعر. وهو مأخوذ من التحبير وحسن الخط والمنطق. وتحبير الخط والشعر وغيرهما: تحسينه. الليث: حبرت بتضعيف الباء المفتوحة:

الشعر والكلام حسنته^(٥٧). حبر الشيء زينه وتمقه يقال: حبر الشعر والكلام والخط وفي حديث أبي موسى الأشعري: لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيراً^(٥٨). والحبر بالكسر النفس وزنا ومعنى ويقصد المداد، والجمع أخبار وحُبُور، والمِحْبَرَة: وعاء الحبر والجمع محابر^(٥٩).

فأصل الكلمة التزيين والتحسين، وانتقل إلى الخط وتزيينه. والشائع في هذا العصر استعمال الفعل (حبر) بمعنى كتب وخط. وواضح أنه اشتق من الحبر وهو المداد الذي يكتب به.

القسم الثالث: التطور الدلالي لألفاظ الحقول الفرعية:

هنا انتخبنا ألفاظاً من حقول كتابية فرعية نتبع دلالاتها والتغيرات التي صاحبت هذه المفردات الكتابية. ورصدنا من مفردات أجزاء المنجز المادي الكتابي: حرف، كلمة، فقرة، نص. ومن مفردات التأليف والطباعة والبحث: طبع، اقتبس، بحث، طبع. وبعض مفردات تعليمية وأدوات الكتابة: قلم، لوح، دفتر، كراسة، ملزمة. ومفردات إعلامية: جريدة، صحيفة، مجلة.

أ- من مفردات النص وأجزائه:

٩- حَرْف:

ظهرت كلمة (حَرْف) بهذه الصيغة (٤١ ٦٣٠) مرة، في (٢١٤٥٩) نصاً، في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

وهو من كل شيء طرفه وجانبه، وقد جاءت الكلمة في المعجمات العربية على عدة اشتقاقات أفادت معاني كثيرة مختلفة؛ ورد في (لسان العرب) لابن منظور وعليه سار واضعو (المعجم الوسيط) في العصر الحديث، أن: حَرْفًا:

عنه حرفاً: مألٌ وعدل، وحرفٌ لعياله: كتبٌ لهم من كل حرفةٍ وجهة، وحرفٌ الشيء عن وجهه حرفاً: صرفهٌ وغيره... وحرفٌ الشيء حرافةً: صار لاذعاً للفم واللسان. وحرفٌ فلانٌ في ماله: ذهب منه شيءٌ وحرفٌ فلانٌ: قُدِرَ عليه رزقُه وكسبُه وضيقٌ عليه فيه؛ وحرفٌ الشيء: أماله. والحرفُ من كل شيءٍ: طرفُه وجانبُه^(٦٠).

فالحرف له استعمالات عدة يوضحها السياق الذي وردت فيه، يمكن حصرها في:

- واحد حروف الهجاء (حروف المباني) وقد ورد عند الفراء في كتاب معاني القرآن في مواضع كثيرة، منها قوله: (إذا كان الهجاء أول سورة، فكان حرفاً واحداً مثل قوله «ص» و«ن» و«ق» كان فيه وجهان في العربية)^(٦١)

- واحد حروف المعاني سواء أكان بناؤه على حرف أم على حرفين أم أكثر مثل: اللام وبل وإلى ولعل... قال الفراء: («أو» حرف من حروف النسق)^(٦٢)

- الكلمة: ومنه استعمال الفراء الحرف بمعنى الاسم والفعل في أكثر من موضع منه قوله: («الذين» حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه)^(٦٣)

- وجه من وجوه قراءة الكلمة في آي القرآن الكريم فيقال مثلاً في حرف فلان كذا. جاء في معاني القرآن للفراء: (وفي حرف عبد الله: لا ينال عهدي الظالمون)^(٦٤) يريد قراءة عبد الله.

- الطريق والوجه كما في قوله ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ الحج: ١١. أي: على وجه واحد، فيعبده في السراء دون الضراء، وإلى هذا المعنى يشير الفراء في تفسيره للآية، قال: (نزلت في أعراب من بني أسد... كانوا إذا أعطوا من الصدقة وسلمت مواشيهم وخيلهم، قالوا: نعم هذا الدين)^(٦٥) فالقصد

يعرف عبادة الله في السراء وينسى في الضراء، فالحرف هنا جهة أو جانب واحد. وكذلك فإنَّ السياق الذي وردت فيه يجعلها تحمل معنى التردد بين الجهل والعلم مع غلبة للجهل؛ لأن العبادة المبنية على الجهل لا تدوم ولا تصلح ومن السهل الانحراف عنها.

- اللغة واللهجة: ومنه الحديث: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)^(٦٦).

- وقد استخدمت في المعاجم العربية لتدل على الترتيب الهجائي لمحتويات المعاجم وترتيب ألفاظها وتبويب موادها على وفق تسلسل الحروف الهجائية.

- الناقة الضامرة وتشبه -لدقتها- بحرف السيف.^(٦٧)

- وعند ابن حجر في (فتح الباري شرح صحيح البخاري)^(٦٨) دلت (الحرفة) على وسيلة الكسب والرزق، كما دلت على لغة أو لهجة (اقرأ على حرف أي على لغة) وكذلك دلت على التغيير والتزييف (يحرفون).

- وفي الزمن الحاضر حافظت الكلمة (الحرف) على بعض هذه الدلالات، وحدث تحول في بعض استعمالات وإهمال لبعض:

أ. فمثلا الألفاظ (حرفة وتحرّيف) مازالت تستعمل بالدلالة نفسها.

ب. ومازلنا نستعمل الحرف ونحن نقصد حروف المعاني وكذلك حروف الهجاء بقسميها الصامت والصائت. فالحرف والفونيم مصطلحان أساسيان في الدرس الصوتي.

ت. ومن الدلالات التي لم تعد متداولة الحرف بمعنى اللهجة.

ث. واستحدث في الاستعمال الحديث إطلاق الجزء (حرف) ويقصدون الكل، مثل: دام حرفك، سلم حرفك، حرفك كالسيف. يريدون: ما تنشره في مواقع التواصل أو كتابتك عامة.

١٠- كَلِمَةٌ:

ظهرت (كَلِمَةٌ) بهذه الصيغة (١٥٠١٠٨) مرة، في (٩٠٨٣٣) نصًّا، في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

جاء في لسان العرب (مادة ك ل م)^(٦٩): ابن سيده: الكلام: القول، معروف وقيل: الكلام ما كان مكتفياً بنفسه، وهو الجملة، والقول ما لم يكن مكتفياً بنفسه وهو الجزء من الجملة، وقد قال سيبويه: هذا باب أقل ما يكون عليه الكلم، فذكر هنالك حرف العطف وفاءه ولام الابتداء وهمزة الاستفهام وغير ذلك مما هو حرف واحد، وسمى كل واحدة من ذلك كلمة. وحكى الفراء فيها ثلاث لغات: كَلِمَةٌ وكَلِمَةٌ وكَلِمَةٌ، مثل كَبِدٍ وكَبِدٍ وكَبِدٍ، وَوَرِقٍ وَوَرِقٍ وَوَرِقٍ. وقد يستعمل الكلام في غير الإنسان، قال^(٧٠):

فصبّحت والطير لم تكلم جابية حُفَّت بسيلٍ مفعمة

والكَلِمَةُ: لغة تميمية، والكَلِمَةُ: اللفظة حجازية، وجمعها كَلِمٌ تذكر وتؤنث، يقال: هو الكلم وهي الكلم التهذيب: والجمع في لغة تميم. وقال أبو منصور: والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها. يقال: قال الشاعر في كلمته، أي قصيدته. قال الجوهري: الكلمة القصيدة بطولها.

وفي المعجم الوسيط (الكَلِمَةُ والكَلِمَةُ): اللفظة الواحدة^(٧١). و(عند النحاة): اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، سواء أكانت حرفاً واحداً مثل لام الجر أم أكثر. والجملة أو العبارة التامة المعنى، كما في قولهم: لا إله إلا الله: كلمة التوحيد. وكلمة الله: حكمه أو إرادته. وفي التنزيل العزيز: ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ التوبة: ٤٠. و﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا﴾ يونس: ٣٣.

ويقول الكفوي: «وما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فهو صوت. وإن اشتمل ولم يفد معنى فهو لفظ. وإن أفاد معنى فقولٌ. وإن كان مفرداً فكلمة. أو مركباً من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة فجملة. أو أفاد ذلك فكلامٌ. أو من ثلاثة فكلم»^(٧٢)

وبتبعنا لما سار عليه معنى (الكلمة) في المعجمات القديمة وما تدل عليه اليوم، نجد أنها لا تزال تحتفظ بالدلالة ذاتها. فهي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع سواء أكانت حرفاً واحداً ككلام الجر أم أكثر. إلا أن الدرس اللساني الحديث يفضل مصطلح الوحدة الدلالية والوحدة الصرفية على مصطلح الكلمة؛ فالكلمة قد تشتمل على أكثر من وحدة صرفية (مورفيم). كما أنها مازالت تطلق على الخطاب كاملاً، يقال مثلاً: ألقى الوزير كلمة وغادر الحفل.

١١ - جملة:

ظهرت (جملة) بهذه الصيغة (٩٧٨٠٣) مرة، في (٥٢٥٩٣) نصاً في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

جاء في اللسان^(٧٣): روي عن ابن عباس أنه قال الجمالات حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال.

وفي المعجم الوسيط (الجمل): الحبل الغليظ (الجَمَل) الجُمْل. والجماعة من الناس. الجُمْلَة: جماعة كل شيء، ويقال: أخذ الشيء جملة وباعه جملة؛ متجمعاً لا متفرقاً^(٧٤). والجملة عند البلاغيين والنحويين كل كلام اشتمل على مسندٍ ومسندٍ إليه. والجمع جُمْل.

ومن هذا يتضح أن دلالة لفظة (الجملة) كانت حسية تعني جمع حبال السفن إلى بعضها، وانتقلت إلى الاستعمال اللغوي. فصار اللغويون يطلقونها على الكلام المكون من مسند ومسند إليه. ولا يخفى أن التجميع ما يزال حاضرا أيضا في هذا الاستعمال؛ فالمعنى هنا عن التركيب اللغوي وتجميع الكلمات في علاقات اثتلافية.

١٢ - فِقْرَة:

ظهرت (فِقْرَة) بهذه الصيغة (٩٢١٨) مرة، في (٦١٦٦) نصًّا، في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

جاء في اللسان، والفِقْرَة والفَقْرَة والفقارة، بالفتح: واحدة فقار الظهر وهو ما انتضد من عظام الصُّلب من لدن الكاهن إلى العَجَب) والجمع فِقْر وفقار، وقيل الجمع: فِقْرَات وفِقْرَات وفِقْرَات^(٧٥).

وذكر المعجم الوسيط أن الفَقْرَة: الفقارة. (ج) فِقْرَات. (الفقرة): الفقارة و- العلم من جبل أو هدف ونحوه. و- جملة من كلام أو جزء من موضوع أو شطر من بيت شعر. ويقال: زدت في كلامه أو شعره فِقْرَة، وما أحسن فقر كلامه! نكته^(٧٦).

نلاحظ أن لسان العرب نقل لنا المعنى اللغوي الأول لكلمة (الفقرة) وهو المعنى العضوي المادي، أما المعجم الوسيط فقد ركز على أنها جزء من كلام أو موضوع أو غيره، إلى جانب ذكره لما تدل عليه من معنى عضوي. ويبدو أن من استعمل (فقرة) في الكتابة قد لاحظ مناسبتها للوحدة العضوية للنص وارتباط أجزائه، بسبب استعمالها في فقرات الظهر وارتباطها وانتظامها والدلالة التي تستصحابها.

١٣ - نص:

ظهرت (نصّ) (٢٩٨٧) مرة، في (١٨٦٦) من نصوص في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

ذكر اللسان: نصص. النص: رفعك الشيء، نصّ الحديث ينصه نصاً: رفعه. وكل ما أظهر، فقد نُصّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنصّ للحديث من الزهري، أي: أرفع له وأسند. يقال: نص الحديث إلى فلان، أي رفعه، وكذلك نصصته إليه ونصت الظبية جيدها: رفعته. ومنه قول الفقهاء؛ نص القرآن ونص السنة أي ما دل على ظاهر لفظهما عليه من الأحكام.^(٧٧)

وفي المعجم الوسيط: و- الشيء: رفعه وأظهره. يقال نصت الظبية جيدها ويقال: نص الحديث: رفعه وأسنده إلى المحدث عنه. والنص: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف: و- ما لا يحتمل إلا معنى واحداً. أو لا يحتمل التأويل، ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النص. والجمع: نصوص^(٧٨).

مما ذكرنا نجد أنّ مفردة (نص) قد راوحت بين المعنيين المادي والمعنوي منذ القدم وحتى عصرنا هذا. وهي اليوم تحمل المعنى المعنوي المتمثل في صيغة الكلام الأصلية التي وردت عن المؤلف.

ب- من مفردات البحث والطباعة:

١٤ - بحث:

ظهرت (بحث) بهذه الصيغة (٦٠٦٠٩) مرة، في (٤٤٧٦٨) نصاً، في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

في اللسان: البحث: طلبك الشيء في التراب؛ بحثه يبحثه وابتحثه^(٧٩). أما المعجم الوسيط فقد ذكر أن: البحث: بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل التي تتصل به. وثمره هذا الجهد ونتيجته، والجمع: بحوث وأبحاث وآداب البحث المناظرة^(٨٠).

في اللسان ورد المعنى المادي لكلمة (بحث) وذكره في المعجم الوسيط وزاد المعنى المعنوي للكلمة، ويبدو أن الكلمة انتقلت من الاستعمال الحسي (طلب الشيء في التراب) إلى المعنوي. وهذا الأخير هو المستعمل حديثاً، فالبحث يعني دراسة عميقة وتقصياً لموضوع مُعَيَّن وفق منهج خاص.

١٥ - اقتبس:

ظهرت (اقتبس) بهذه الصيغة (١٠٦١) مرة، في (٨٨٦) نصّاً في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

جاء في لسان العرب: اقتبست منه ناراً، واقتبست منه علماً، أي استفدته. قال الكسائي: واقتبست منه علماً وناراً سواء، قال: وقبست أيضاً فيهما. وفي الحديث: من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر^(٨١). وفي حديث العرباض: أتيناك زائرين ومقتبسين، أي طالبي العلم. وفي حديث عقبة بن عامر: فإذا راح أقبسنا ما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي أعلمناه إياه^(٨٢).

وفي المعجم الوسيط (أقبسه): أعطاه قبساً من نار أو كهرباء أو علم^(٨٣).

(واقتبس) ناراً أقبسها. وفلاناً: طلب منه ناراً، ويقال: اقتبس منه ناراً، ومنه علماً: استفاده. ويقال جئت لأقتبس من أنوارك. وفي التنزيل العزيز ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ الحديد: ١٣.

وعند تمحيص المعاني التي حملتها لفظة (اقتبس) نجد أنّ دلالتها كانت حسية وانتقلت إلى المعنوية، ومن ناحية أخرى انتقلت من العام إلى الخاص؛ فقد كانت تدل على عموم الأخذ بالعلم، ثم انتقلت لتدل على أخذ جزئية من القرآن أو السنة والاستدلال بها على صحة ما ذهب إليه الكاتب.

لكنها اليوم صارت تعني عموم الأخذ سواء من القرآن الكريم والحديث الشريف أم من كافة المراجع والمؤلفات وتضمنين ذلك في أي ورقة علمية وكتابة أكاديمية. وبذلك فإنّ التطور الذي لحقها هو انتقالها من الخصوص إلى العموم، فهي حالياً تدل على أخذ جزئية معينة من أي نص سابق يرى الباحث في اقتباسه فائدة للبحث. والاقْتِباس قد يكون حرفياً ينقله الباحث نصاً كما هو في المصدر، وقد يكون بتصرف وتدخل من الباحث الذي يحافظ على الفكرة المنقولة لا حرفيتها.

١٦ - طبع:

ظهرت (طبع) بهذه الصيغة (٢١٢٠٧)، في (١٠٨٩٥) نصّاً، في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

جاء في اللسان: والطَّبَع: ابتداء صنعة الشيء تقول طبعت اللبن طبعاً. وطبع الدرهم والسيف وغيرهما يطبعه طبعاً: صاغه. والطَّبَاع: الذي يأخذ الحديد المستطيلة فيطبع منها سيفاً أو سكيناً أو سناناً أو نحو ذلك، وصنعتة الطباعة، والطبع الختم وهو التأثير في الطين ونحوه، والطابع والطابع: ميسم الفرائض، وطبع الله على قلبه: ختم. وقال أبو إسحاق النحوي: معنى طبع في اللغة وختم واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن يدخله شيء^(٨٤).

وفي المعجم الوسيط: الطابع: ما يختم به أو يختم. والطباعة: حرفة نقل النسخ المتعددة من الكتابة أو الصور بالآلات، والطَّبَاع: فعَّال للمبالغة من طَبَعَ، ومن حرفته الطباعة. وحديثاً تدل كلمة طَبَعَ على نقل النسخ المتعددة من الكتاب أو الصور بالآلات، أي كتب بالآلة المسماه المطبعة^(٨٥).

ويبدو أن اللفظة انتقلت دلالتها لكنها حملت معها المعنى المادي المتمثل في طباعة الدرهم والسيف الذي يعني صياغته وابتداء صنعته، وأصبحت تدل على معنيين ماديين؛ الأول التأثير في الآلة أو الجهاز بكتابة النص وصناعته، والثاني السحب الورقي للمطبوع. فكأن الكاتب يطبع الكتاب على الورق.

ج- مفردات تعليمية وأدوات الكتابة:

١٧- قلم:

ظهرت مفردة (قلم) بهذه الصيغة (٩٣٦٥) مرة، في (٦٩٨٣) نصاً في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

وردت كلمة (قَلَمَ) في اللسان ضمن مادة «أَقْلَمَ» التي تعني -ابتداءً- قطع الشيء وبريه وقصه إلى أن جاء استعمالها بمعنى الأداة التي يكتب بها. يقول ابن منظور: «القلم الذي يجال به بني القوم في القمار، والجمع أقلام»^(٨٦).

ويورد (المعجم الوسيط) مجموعة كلمات حديثة اشتقت من (قَلَمَ) كالمقلمة وهي المحفظة التي توضع فيها الأقلام، وكذلك أورد معاني عدة منها ما نصه: «قَلَمَ العود ونحوه قَلَمًا: قطع منه شيئاً، وقلم القلم براه، وقلم الظفر ونحوه: قصَّ ما طال منه، وقلم الشجرة قصَّ منها الأغصان اليابسة لتقوى. والقلم: ما يكتب به، والجمع أقلام. والمقلمة: وعاء الأقلام، والجمع مقالم»^(٨٧).

ونجد شواهد من نصوص كثيرة في هذه المادة (قلم) واستعمالاتها، من أشهرها: استعمالها بالمعنى الاصطلاحي المشهور أي بالأداة التي يكتب بها، وشاهدها من القرآن الكريم سورة قرآنية كاملة (سورة القلم) ومستهلها ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم: ١. كما وردت في آيات أخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ لقمان: ٢٧. وقوله تعالى: ﴿الذي علم بالقلم﴾ العلق: ٤.

ووردت بمعنى السهم: ﴿وما كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُثْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ عمران: ٤٤. مع اختلاف في تفسير معنى الأقلام. فقد فسرها آخرون بأنها الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة. وإلى هذا الاختلاف في المعنى أشار ابن سيده بقوله الذي نقله صاحب اللسان بنصه، فيقول: «والقلم الذي في التنزيل لا أعرف كيفيته، قال أبو زيد: سمعت إعرابيا يقول سبق القضاء وجفت الأقلام»^(٨٨).

وقد ورد في الحديث أن (القلم) هو الأداة، قال عليه الصلاة والسلام: «أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب...»^(٨٩).

ولاشتقاقات القلم معنى آخر (فالتقليم) بمعنى القص، جاء في فتح الباري لابن حجر: «قوله يقلم أظافره أي يقصها»^(٩٠).

وورد القلم في الشعر العربي بمعنى أداة الكتابة، يقول المتنبي:^(٩١)

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وفي أدب الكاتب للصولي ما جاء في وصف القلم من الكلام المنشور: قد ذكرنا من فضل القلم، في أول الكتاب، ما يغني عن إعادته، وقال أحمد بن يوسف: القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الأسماع، إذ نسخ حلله،

وأودعها حكمه، وقال ابن المقفع: القلم بريد القلب، وقال أبو دلف: القلم صائغ الكلام ويفرغ ما يجمعه العلم، وقال الجاحظ: الدواة منهل، والقلم ماتح، والكتاب عطن، وقال سهل بن هارون: القلم أنف الضمير إذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره، وقال عمرو بن مسعدة: الأقلام مطايا الفطن. وقال المأمون: لله در القلم، كيف يحوك وشي المملكة، وقال جالينوس: القلم طبيب المنطق فوصفه من جهة صناعته، وقال أحمد بن عبد الله: القلم راقد في الأفئدة، مستيقظ في الأفواه، وقيل: عقول الرجال تحت أقلامهم، وقال أحمد بن يوسف: عبرات الأقلام في حدود كتبها أحسن من عبرات الغواني في صحون حدودها وقال العتايي: الأقلام مطايا الأذهان^(٩٢).

ومن شواهد استعمالهم للأقاليم جمعا لقلم شاهد شعري لابن الأعرابي - في المعجمات العربية- يقول: (٩٣)

صحيفةٌ كُتِبَتْ سرّاً الى رَجُلٍ لم يدرِ ما حُطَّ فيها بالأقاليم

مما سبق يتضح أنّ (القلم) قد دل على أكثر من معنى وحصل لمعناه تغير دلالي، فقد بدأ دالا على السهم والقسم المقطع، ثم تطور المعنى ليدل على الأداة التي يكتب بها، ومجازا على ما يقوم به الحاسوب وغيره من أدوات الطباعة، فيمكن القول إنه قد تطور من المعنى المادي الحقيقي إلى المعنى المجازي؛ فقد كان يدل على الفعل (قطع الشيء وبريه وقصه) وهذا فعل مادي ثم انتقل إلى الأداة التي يقع بها الفعل (القلم) وهذا انتقال مجازي.

١٨ - ملزمة:

ظهرت (ملزمة) بهذه الصيغة (٦١٧٣) مرة، في (٥٢٧٩) نصّاً في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة. في المعجم الوسيط: الملزمة: جزء من الكتاب،

تكون ثماني صفحات أو ست عشرة أو اثنتين وثلاثين، على حسب تقسيم اللوح من الورق^(٩٤). وقد جاء هذا التعريف بعد أن تم الاستناد إلى المعجمات القديمة لمعرفة مجال المادة (ل زم)، ومن ذلك: لزم الشيء لزوماً: ثبت ودام، ولزم الشيء فلاناً: وجب عليه، ولازمه ملازمة ولزماً: داوم عليه، ويقال: لازم الغريم: تعلّق به، ولازم فلاناً: عانقه. واللزام: اللازم جداً. وفي التنزيل العزيز ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ الفرقان: ٧٧. ويقال: رجل لُزِمَ: يلزم الشيء فلا يفترقه. والملازم: رتبة في الجيش والشرطة... إلى أن نصل إلى الملازمة المشار لمجال استعمالها بمعناها المتعارف عليه اليوم^(٩٥).

والملازمة في الاستعمال الحالي تعني دروساً في مقرر دراسي معين، فهي المحاضرات المكتوبة المجموعة في أوراق يدرسها الطلاب ضمن المقررات الدراسية في مراحل التعليم الجامعي.

ومما سبق نجد أنّ (ملازمة) قد جاءت من المعاني القديمة للفظة التي أحد معانيها «ولزم الشيء فلاناً: وجب عليه» والملازمة كما نراها اليوم تلزم الطالب وتلازمه في المادة المعينة ولا يكاد يخرج عنها.

١٩ - لوح:

ظهرت مفردة (لوح) بهذه الصيغة (٣٧٢٥) مرة، في (٣١١٢) نصّاً في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة. جاء في اللسان: اللوح: كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب: الأزهري: اللوح صفيحة من صفائح الخشب، والكتف إذا كتب عليها سميت لوحاً. واللوح: الذي يكتب فيه. واللوح المحفوظ. وفي التنزيل: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ البروج: ٢٢. يعني مستودع مشيئات الله تعالى^(٩٦). ونقلت عقلة ما ساقه المفسرون من معانٍ للوح في القرآن الكريم، هي: أم الكتاب، الملاء

الأعلى، الهواء بين السماء والأرض، مستودع لما كان ويكون^(٩٧). ورد في المعجم الوسيط: و- لوح من الورق الغليظ أو النسيج يصور فيه منظر طبيعي أو مشهد تاريخي أو نحو ذلك تصويراً فنياً.

وتظهر دلالة كلمة (لوح) - قديماً وحديثاً- على الوسيلة أو الأداة التي يكتب عليها، دون تحول في معناها. إلا أنه في بعض استعمالات لهجية حديثة يطلق على السبورة المدرسية لوح. كما قد يستعمل نعتاً للشخص أو الطالب مرادفاً للغباء.

٢٠- دفتر:

ظهرت (دفتر) بهذه الصيغة (٥٤٩٨) مرة، في (٣٩٥٥) نصاً في المدونة اللغوية، في الأوعية المختلفة.

ورد في لسان العرب أنَّ الدَّفتر والدَّفتر؛ كل ذلك عن اللحياني حكاه عن كراع: «يعني جماعة الصحف المضمومة. الجوهري: الدفتر واحد الدفاتر، وهي الكراريس»^(٩٨)

وذكر أبو هلال العسكري في فروقه اللغوية وهو يتحدث عن الفرق بين الصحيفة والدفتر: «أنَّ الدفتر لا يكون إلا أوراقاً مجموعة، والصحيفة تكون ورقة واحدة، نقول: عندي صحيفة بيضاء»^(٩٩)

وبتبعنا لاستعمالات العربية يمكننا القول إنَّ ورود هذه الكلمة قليل في المعجمات وكتب التراث اللغوي العربية، وإنما شاعت في العصور المتأخرة، جاء في المعجم الوسيط مع الإشارة إلى أنها من الدخيل: «الدفتر: الكراسة، والجمع دفاتر، والدفتر: دار الموظف المالي المكلف بتنظيم الوارد والمنصرف من أموال

الحكومة (وهي تركية)»^(١٠٠). وفي بعض كتب التراجم لا نعدم أن نجد شاهداً على استعمال كلمة الدفتر، فقد جاء في كتاب (فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والشيخات والمسلسلات) ترجمة لسالم البوصيري: «ومن جملة إحسانه أنّ له خزائن من الكتب عدة، كل خزانة فيها مملوك حبشي بيده دفتره، فيه تقييد الكتب التي في الخزانة»^(١٠١).

ولذلك يمكن القول: إنّ دلالة كلمة دفتر حدث لها تخصيص، فقد تطوّرت من الدلالة العامة على الدار والمكان الذي يقف فيه الموظف المكلف بتنظيم الوارد والمنصرف من الأموال وما فيه من وثائق وغيرها، إلى الوثيقة التي تكتب فيها «المصروفات والواردات» ولذلك فقد تخصص معنى الكلمة في جزء من معناها العام الذي كانت تدل عليه.

٢١ - كراسة:

ظهرت (كراسة) بهذه الصيغة (١٦٨٣) مرة، في (١١٥٢) نصاً في المدونة اللغوية، في الأوعية المختلفة.

ورد في اللسان: ابن الأعرابي: كرسَ الرجل إذا ازدحم علمه على قلبه؛ والكراسة من الكتب سميت بذلك لتكثُرُ سَها. الجوهري: الكراسة واحدة الكراس، والكراريس: قال الكميت:^(١٠٢)

حتى كأن عراض الدار أردية من التجاويز أو كراس أسفار

جمع سفر. وفي حديث الصراط: ومنهم مكروس في الناس. بدل مكردس، وهو بمعناه. والتكريس: ضم الشيء بعضه إلى بعض، ويجوز أن يكون من كرس الدمنه حيث تقف الدواب^(١٠٣). أما المعجم الوسيط فيذكر أن (الكراسة): الجزء من

الكتاب، ويقال: هذه الكراسة عشر ورقات، وهذا الكتاب عدة كراريس، وقرأت كراسة من كتاب كذا. وإضمامة من الورق تهيأ للكتابة فيها. والجمع كراس وكراريس، وكراسات.

وبهذا يظهر أن اللفظة كانت للدلالة على عموم التجميع وضم الشيء بعضه إلى بعض، ثم انتقل معناها وأصبحت تدل على ضم ما يؤلف منه الكتاب. أي أن الدلالة انتقلت من العموم إلى الخصوص.

د- مفردات إعلامية:

٢٢- جريدة:

ظهرت (جريدة) بهذه الصيغة (٧٢٦٨٤) مرة، في (٥٥٥٤٩) نصاً في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

جاءت كلمة الجريدة قديماً بمعنى السعفة الطويلة من خواص النخيل وأصل الكلمة كما تطالعنا به كتب العرب المعجمة القديمة وكما وافقتها في ذلك المعجمات والقواميس الحديثة من (جَرَد)، يقال: جَرَدَه جرداً: قشره وأزال ما عليه وجرد الجلد: نزع عنه الشعر، وجرد الأرض: أكل ما عليها من النبات وأتى عليه فلم يُبقِ منه شيئاً، وجرد السيف من غمده: سلَّه، وجرَد المكان: خلا من النبات فهو أجرد. ويقال: سماء جرداء: لا غيم فيها. والتجريد: عزل صفة أو علاقة عزلت ذهنياً، وقصر الاعتبار عليها، أو ما يترتب على ذلك (مجمع اللغة العربية) والجراد: فصيلة من الحشرات المستقيمات الأجنحة. والجرءاء: مؤنث الأجرد، وصخرة جرداء: ملساء. والجريدة: سعفة طويلة تقشر من خواصها، والجريدة: صحيفة يومية تنشر أخباراً ومقالات^(١٠٤).

وقد استعملت الكلمة في التراث بمعانيها المتعددة المذكورة ولكنها ارتبطت بالمعنى القديم لهذه الكلمة.

أما حديثاً فقد تخصص معناها في حاملة الأخبار (الجريدة اليومية) وبذلك فقد انتقل معناها من العام إلى الخاص فقد كانت قديماً تدل على معان عديدة في حين أنها اليوم تدل على هذا المعنى الخاص (الجريدة اليومية).

ويمكن أن نقول كذلك إنّ معناها قد انتقل من المعنى المادي إلى المعنى المعنوي (المجازي) إذ كانت تدل على السعفة التي تقطع من النخلة ثم أصبحت تدل على القطعة من الورق التي تحمل لنا هذه الأخبار.

٢٣- صحيفة:

ظهرت (صحيفة) بهذه الصيغة (٩٢٦٧٦) مرة، في (٦٨٧٠٢) نصّاً في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

أورد صاحب اللسان أنّ الصحيفة: التي يكتب فيها. والجمع صحائف وصُحُف وصُحُف، وفي التنزيل ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ الأعلى: ١٨-١٩. يعني الكتب المنزلة عليهما السلام. وصحيفة الوجه: بشرة جلده. والصحيف: وجه الأرض^(١٠٥). وتتبع تحولات استعمال هذه الكلمة في اللغة نجد أحد معانيها الخطأ واللحن، التصحيف يعني التحريف. وصحّف الكلمة: كتبها أو قرأها على غير صحتها لاشتباهاً في الحروف، وتصحّفت الكلمة أو الصحيفة: تغيّرت إلى خطأ. والصحافة: مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها في صحيفة أو مجلة (محدثه) والنسبة إليها صحافي. والصحاف: من يصنع الصحاف، والصحّاف: من يشتغل ببيعها، والصحّفة: إناء من آنية الطعام، والجمع صحاف. والصحفي من يأخذ العلم من الصحيفة لا من

أستاذ. الصحفي - أيضاً - من يزاول حرفة الصحافة (محدثة). والصحيفة ما يكتب فيه من ورق ونحوه. ويطلق على المكتوب فيها والجمع صحف كما مر في الآية: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ الأعلى: ١٨-١٩.

والصحيفة إضمامة من الصفحات تصدر يوميا أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك (محدثة) والجمع: صحف وصحائف. وصحيفة الوجه بشرته. والمصحف: مجموع من الصحف في مجلة، وغلب استعماله في القرآن الكريم، والجمع مصاحف^(١٠٦).

وكنا قد أوردنا في مفردة (دفتر) شاهداً من كتاب (الفروق اللغوية) على الفرق بين الصحيفة والدفتر الذي أشار فيه إلى أنّ الفرق بينهما في أنّ الدفتر لا يكون إلا أوراقاً مجموعة، أما الصحيفة فورقة واحدة^(١٠٧).

وعند تتبعنا لمراحل تطور دلالة كلمة صحف يمكن أن ندون الملحوظات الآتية:

- المعنى اللغوي الأول للكلمة أنها تدل على وجه الأرض وعلى بشرة الوجه وهذا معنى مادي وهو أصل الوضع.
- ثم أصبحت تدل على الورقة فتخصص المعنى (كانت تدل على عموم وجه الأرض ثم انتقل معناها ليدل على الورقة البيضاء وهذا معنى خاص) انتقال المعنى من العام إلى الخاص.
- ثم تخصصت دلالاتها أكثر بعد ذلك، فدلت على الأوراق التي تكتب فيها الأخبار السياسية والثقافية والاقتصادية... الخ.
- وكذلك تخصص أحد مشتقات الكلمة ليدل على القرآن الكريم والكتب السماوية المنزلة.

ظهرت (مجلة) بهذه الصيغة (١٠٢٥٤٥) مرة، في (٥٦٠٠٤) نصًّا في المدونة اللغوية العربية، في الأوعية المختلفة.

جاء في اللسان: والمجلة صحيفة يكتب فيها، ابن سيده: والمجلة الصحيفة فيها الحكمة؛ كذلك زوي بيت النابغة بالجيم: (١٠٨)

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقب

يريد الصحيفة. وقد رويت (بالحاء) محلّتهم وتعني الأرض المقدسة وناحية الشام والبيت المقدس.

والكلمة مشتقة من الجذر (ج ل ل) التي مرّت باستعمالات أدت فيها معاني عديدة قبل أن تستقر على المعنى الأخير (مجلة) فقد نقل المعجم الوسيط عن المعجمات القديمة ومنها (اللسان) أنّ: جلّ عن وطنه وموضعه، ومنه: جلّ جلولاً جلا وزال، وجل الشيء جلا: أخذ جله، أي معظمه، والله جل جلالاً وجلالة: عظم. والجلال: الغطاء. والجلل: الشيء الكبير العظيم. والجلل: الصغير الحقير أيضاً (من الأضداد). إلى أن تتم الإشارة إلى المجلة بمعناها الاصطلاحي الحديث: والمجلة: الكتاب والمجلة الصحيفة تجمع طرائف المعرفة، وتقال في عصرنا هذا لكل صحيفة عامة أو متخصصة في فن من الفنون؛ تظهر في أوقات معينة بخلاف الصحف اليومية، والجمع: مجال ومجلات (أقرّه مجمع اللغة العربية) (١٠٩).

فإذا كانت المجلة تدل على الكلام العظيم الذي يكتب في صحيفة واكتسبت معناها من معنى ما يكتب فيها فهي عظيمة لعظم ما تحمله من معان، فإنها اليوم تدل على ما يكتب فيه من كلام عظيم أو غير ذلك. وفيها دلالات التجلية والتوضيح والإبانة وإزالة الوهم والتغطية كونها تغطي الأخبار والحوادث اليومية.

الخلاصة:

جمع البحث ألفاظ حقل الكتابة ووقف على أبرز الألفاظ المستعملة والمفردات الجديدة التي أضيفت إلى هذا الحقل. ثم صنفها في حقول فرعية: تعليمية وبخنية وإعلامية، وأدوات الكتابة وأصنافها، وعرض المكتوب ونشره، ومفردات حديثة تتعلق بمواقع التواصل الاجتماعي. ورصد التطور الدلالي الذي مرت به مفردات متنوعة من هذا الحقل، وكيف كان استعمالها في كلام العرب من القديم إلى الحديث. ويمكن تلخيص أبرز النتائج في الآتي:

- بعض ألفاظ حقل الكتابة لم تشهد تغيرا دلاليا ملحوظا كالكلمة الرئيس (كتب)، فاستعمالها شائع وممتد من القديم إلى يومنا هذا.
- من المفردات التي تستعمل مترادفة في أفعال الكتابة -ولا نعني الترادف التام- خطّ، دبّج، دوّن، سطرّ، حبرّ، نسخ. ومنه (سوّد) مع ملاحظة أنها تأتي قليلا بمعنى: كتب، وكثيرا بدلالة اللون الأسود مقابل الأبيض، ومجازا في الدعاء: سوّد الله وجهه.
- من الألفاظ التي كانت تستعمل في أفعال الكتابة واندرت حديثا هذه الدلالة: نقش، نمّق، وشّى، رَقَن، طَرَس، زَبَر. والفعالان (رَقَمَ والتَرَقِيم) باتا يستعملان مع الأعداد لا بمعنى الكتابة إلا في بعض لهجات -كاليمينية-. و(وشّى) ترد في مديح الكتابة بمعنى ضمّن، و(نقش) يشيع استعمالها في النقوش الأثرية والنحت والحفر على مواد خاصّة.
- (الدردشة) من الكلمات التي انضمت حديثا إلى حقل الكتابة، وتستعمل بكثرة في المحادثات الكتابية عبر برامج المحادثات الحديثة. وقدما استعملت مع الكلام المختلط.

- الفعل (دوّن) كان يستعمل بمعنى الجمع والترتيب في الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، وانتقل ليدل على فعل الكتابة.
- مفردة (الديباجة) كانت تطلق على الحسن والتزيين عامّة، وحديثا انتقلت إلى الكتابة والتأليف وأصبحت تطلق على الأسلوب الحسن والطريقة الجزلى في الكتابة. بعدها انتقلت إلى مقدمة الكلام والخطاب. كما تستعمل للدلالة على المعلومات التي تكون في مستهل القوانين والقرارات.
- مفردة (حرف) اندثر بعض استعمالاتها، كدلالتها على اللهجة. واحتفظت ببعض كاطلاقنا الحرف على حروف المعاني والهجاء. كما استحدثت في الاستعمال الحديث إطلاق الجزء (حرف) ويقصدون الكل، مثل قولهم: دام حرفك، سلم حرفك، حرفك كالسيف. أي كتابتك وما نشره.
- مفردة (الكلمة) لا تزال تحتفظ بالدلالة ذاتها. كما أنها تطلق على الخطاب كاملا، فمثلا يقال: ألقى الوزير كلمة أو كلمته وغادر الحفل.
- مفردة (الجملة) كانت تعني جمع حبال السفن إلى بعضها، والمعنى الحسي (التجميع) ما يزال حاضرا؛ فقد انتقلت إلى الاستعمال اللغوي، وصار اللغويون يطلقونها على الكلام المكون من مسند ومسند إليه.
- مفردة (تحرير) حدث تطور وتوسيع في معناها من الخاص (إصلاح الكتاب وتحديد خطه) إلى المعنى العام (الكتابة بصورة عامة)؛ كتابة النص والاهتمام بالخط والأسلوب وجميع مكونات النص. وتستعمل حديثا في دالتين:
 - أ- كتابة الرسالة أو المقال في الجريدة أو المجلة.
 - ب- التعديل في الطباعة، وفي تعديل الصور والمقاطع في الأجهزة الذكية. وهذا قريب من الاستعمال القديم بمعنى الإصلاح.

- التطور الدلالي في استعمال (نسخ) تمثل في الانتقال من المعنى إلى ضده، فقد كان يدل على الإزالة ثم دلّ على الإثبات. ويمكن أن نعدها من ألفاظ الأضداد فالنسخ في القرآن الكريم تدل على الإزالة، وفي الاستعمال اليومي يدل معناها على تكرار كتابة النص وإثباته في موضع آخر. فالكلمة حاملة للمعنيين المتضادين.
- وكذلك (طبع) انتقلت من المعنى المادي المتمثل في طباعة الدرهم والسيف الذي يعني صياغته وابتداء صنعه، وهي اليوم تدل على كتابة النص عبر الآلة أو الورد.
- مفردة (بحث) انتقلت من الاستعمال الحسي (طلب الشيء في التراب) إلى المعنوي المستعمل حالياً؛ فالبحث يعني دراسة عميقة وتقصياً لموضوع مُعيّن وفق منهج خاص.
- تمثل التطور الدلالي للمفردة (اقتبس) في انتقالها من الخصوص إلى العموم. وتستعمل اليوم مع النقل من الدراسات السابقة والمصادر، وتضمن ذلك في أي ورقة علمية.
- (القلم) انتقل معناه من (قطع الشيء وبريه وقصه) وهذا فعل مادي إلى الأداة التي يقع بها الفعل. وهذا انتقال من المعنى المادي الحقيقي إلى المعنى المجازي.
- (الملزمة) من الكلمات الحديثة وتعني المحاضرات المكتوبة، وجاءت من المعاني القديمة للفظ (لزم) وجب، والملزمة كما نراها اليوم تلزم الطالب.
- دلالة (دفتر) حدث لها تخصيص، فقد تطوّرت من الدلالة العامة على الدار والمكان الذي يقف فيه الموظف المكلف بتنظيم الوارد والمنصرف إلى الوثيقة التي تكتب فيها المصروفات والواردات.

- مفردة (كراسة) كانت للدلالة على عموم التجميع وضم الشيء بعضه إلى بعض، ثم انتقل معناها وأصبحت تدل على ضم ما يؤلف منه الكتاب. أي أن الدلالة انتقلت من العموم إلى الخصوص.
- (جريدة) حدث تخصيص لمعناها وانتقل من العام إلى الخاص؛ فقد كانت قديماً تدل على عدد من المعاني لكنها اليوم تستعمل في المعنى الخاص (الجريدة اليومية) حاملة الأخبار.
- دلالة كلمة (صحف) حدث له تخصيص وانتقال من المعنى العام إلى الخاص؛ كانت تدل على عموم وجه الأرض ثم انتقل معناها ليدل على الورقة البيضاء. ثم تحدث لها تخصيص آخر فدلت على الأوراق التي تكتب فيها الأخبار السياسية والثقافية وغيرها. وكذلك تخصص أحد مشتقات الكلمة (صحف) ليدل على القرآن الكريم والكتب السماوية المنزلة.
- (المجلة) كانت تدل على الكلام العظيم الذي يكتب في صحيفة، فحدث لها تطور بالتوسع، فهي اليوم تدل على ما يكتب من كلام عظيم أو غير ذلك.
- أخيراً يوصى البحث بالانتفات إلى موضوع التطور الدلالي ودراسة ما طرا على مفردات اللغة العربية في الحقول الأخرى وهي كثيرة ومتنوعة، وتستحق الرصد والكشف عن التحولات ومظاهرها.
- كما يوصى بالاستفادة في هذا النوع من الأبحاث من المدونات اللغوية المحوسبة، ومنها المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية؛ فهي تقدم خدمة جليلة ودقيقة وعلينا أن نواكب التقنيات الحديثة ونوظفها في البحث والدراسة.

الهوامش والتعلقات:

* أنجز هذا البحث بدعم من قبل مركز بحوث الدراسات الإنسانية، عمادة البحث العلمي، جامعة الملك سعود.

- (١) دلالة الألفاظ، أنيس، ١٢٤.
- (٢) المدونات اللغوية العربية، بناؤها وطرائق الإفادة منها. صالح، محمود إسماعيل وآخرون. سلسلة مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز للسانيات العربية. ط ١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م. ص ١٩.
- (٣) Nikola Dobrić 2009: 2, Corpus Linguistics.
- (٤) المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

<http://corpus.kacst.edu.sa/>

- (٥) الجامع الصغير وزيادته، السيوطي، ٢٠٧/١.
- (٦) مجمل اللغة، ابن فارس، ٥٨٩/١.
- (٧) فقه اللغة وخصائص العربية، المبارك، ٢٠٧.
- (٨) الجامع الصغير وزيادته، السيوطي، ٢٠٧/١.
- (٩) التطور اللغوي، عبد التواب، ٩.
- (١٠) علم الدلالة، عمر، ٢٣٧.
- (١١) المزهرة، السيوطي، ٤٢٩/١.
- (١٢) مادة (ح ر م)، لسان العرب، ابن منظور، ١١٩/١٢.
- (١٣) دلالة الألفاظ، أنيس، ١٥٤.
- (١٤) الصاحبي، ابن فارس، ١١٢.
- (١٥) الدلالة بين السلب و الإيجاب، السامرائي، ٦٨/٣٧-٦٩.
- (١٦) دلالة الألفاظ، أنيس، ١٥٨.
- (١٧) نفسه، ١٦١.
- (١٨) التصنيف الحقلّي لألفاظ الغريب المصنف، القبيلي، ٢٤٢.
- (١٩) روميّات أبي فراس، فخرو، ١٠.
- (٢٠) مدخل إلى علم اللغة، حجازي، ١٦١.
- (٢١) ألفاظ الوجه في (المخصص لابن سيده)، النجار، ٢٨٥.
- (٢٢) مفاتيح الألسنية، موان، ١٢٧.

- (٢٣) علم الدلالة، عمر، ٧٩.
- (٢٤) أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، عزوز، ٢١٤.
- (٢٥) علم الدلالة، عمر، ١٩٧٨، ٩.
- (٢٦) مدخل إلى علم اللغة، حجازي، ١٦١.
- (٢٧) اللغة والمعنى والسياق، لاينز، ٨٣.
- (٢٨) المزهري، السيوطي، ٤٠٢/١.
- (٢٩) دور الكلمة في اللغة، أولمان، ١١٩؛ علم الدلالة، جرمان، ٦٣.
- (٣٠) <https://www.almaany.com/ar/thes/ar-ar> كتابة.
- (٣١) المزهري، السيوطي، ٣٦٩/١.
- (٣٢) <https://www.almaany.com/ar/thes/ar-ar> كتابة.
- (٣٣) علم الدلالة، جرمان، ٦٨.
- (٣٤) علم الدلالة، عمر، ٩٩.
- (٣٥) معجم أوس بن حجر، يوسف نجم، ١٥.
- (٣٦) مفاتيح الألسنية، مونان، ١٢٧.
- (٣٧) الصاحي، ابن فارس، ٩٧.
- (٣٨) معجم أوس بن حجر، يوسف نجم، ١٤.
- (٣٩) علم الدلالة، الخولي، ١٨١.
- (٤٠) مفاتيح الألسنية، مونان، ١٢٧.
- (٤١) الكتابة الوظيفية والإبداعية وما بعدها، عبد الباري، ٢٣.
- (٤٢) أبو حطب، سيد أحمد عبد الواحد. ألفاظ الكتابة وأدواتها في القرآن الكريم. مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٨م.
- (٤٣) مرازيق، رنا عقلة مزعل. التطور الدلالة لألفاظ الكتابة ولوازمها في القرآن الكريم. جامعة جرش، الأردن، ٢٠١٣.
- (٤٤) مادة (ك ت ب)، لسان العرب، ٦٩٨/١. والمعجم الوسيط، ٧٧٤/٢.
- (٤٥) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، ٣٢/١.
- (٤٦) الغريب المصنف: أبو عبيد بن سلام.
- (٤٧) (دردش)، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ١٧ / ٢٠٤؛ والمعجم الوسيط، ٢٧٩/١.

- (٤٨) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ١٥٠/٢.
- (٤٩) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مادة (دون)، ٣٥ / ٣٤.
- (٥٠) المعجم الوسيط، ٣٠٥، (دَوْن).
- (٥١) مادة (د ب ج)، لسان العرب، ابن منظور، ٢٦٢/٢. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٥ / ٥٤٤.
- (٥٢) المعجم الوسيط، ٢٦٩، (ديباجة).
- (٥٣) المعجم الوسيط، ٤٢٩، (سَطْر).
- (٥٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ح ر ر)، ١٨٤/٤.
- (٥٥) مادة (ن س خ)، لسان العرب، ابن منظور، ٦١/٣. وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٧ / ٣٥٥.
- (٥٦) المعجم الوسيط، ٩١٧، (نسخ).
- (٥٧) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ح ب ر)، ١٥٧/٤.
- (٥٨) المعجم الوسيط، ١ / ١٥١، (حبر).
- (٥٩) تاج العروس، مادة (ح ب ر)، ١٠ / ٥٠٢.
- (٦٠) مادة (ح ر ف)، لسان العرب، ابن منظور، ٤١/٩. والمعجم الوسيط، ١٦٧/٢.
- (٦١) معاني القرآن، الفراء، ١ / ١٠.
- (٦٢) نفسه، ١ / ٢٧٣.
- (٦٣) نفسه، ١ / ٣١٠.
- (٦٤) نفسه، ١ / ٢٨.
- (٦٥) نفسه، ٢ / ٢١٦.
- (٦٦) مسند الإمام الشافعي، ١ / ٢٣٧.
- (٦٧) لسان العرب، ابن منظور، ٩ / ٤٢.
- (٦٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٥ / ٥٥٥.
- (٦٩) لسان العرب، ابن منظور، (ك ل م)، ١٢ / ٥٢٣.
- (٧٠) الخصائص، ابن جني، ١ / ٢٣.
- (٧١) المعجم الوسيط، ٧٩٦، (كلمة).
- (٧٢) الكليات، الكفوي، ٣ / ١١٩.
- (٧٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ج م ل)، ١١ / ١٢٨..

- (٧٤) المعجم الوسيط، (جمل)، ١٣٦ .
- (٧٥) مادة (ف ق ر)، لسان العرب، ابن منظور، ٦٥/٥. وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٣٣٧/١٣.
- (٧٦) المعجم الوسيط، ٦٩٧، (فقرة).
- (٧٧) مادة (ن ص ص)، لسان العرب، ابن منظور، ٩٧/٧.
- (٧٨) (نص)، المعجم الوسيط، ٩٢٦.
- (٧٩) مادة (ب ح ث)، لسان العرب، ابن منظور، ١١٥/٢.
- (٨٠) (بحث)، المعجم الوسيط، ٤٠.
- (٨١) مسند أبو داؤود، تحقيق: محمد محيي الدين، ١٥/٤.
- (٨٢) مادة (ق ب س)، لسان العرب، ابن منظور، ١٦٧/٦.
- (٨٣) المعجم الوسيط، (قبس)، ٧١٠.
- (٨٤) مادة (ط ب ع)، لسان العرب، ابن منظور، ٢٣٢/٨.
- (٨٥) المعجم الوسيط، (طبع)، ٥٤٩.
- (٨٦) لسان العرب، ابن منظور، (قلم)، ٤٩٠/١٢.
- (٨٧) المعجم الوسيط، (قلم)، ٧٥٦/٢.
- (٨٨) لسان العرب، ابن منظور، ٤٩٢/١٢.
- (٨٩) مسند أبو داؤود، ٤٧١/١.
- (٩٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، العسقلاني، ١٨٥.
- (٩١) ديوان المتنبي، الايباري، ٨٥/٤.
- (٩٢) أدب الكاتب، الدينوري، ١٢٩.
- (٩٣) الخصاص، ٣٣.
- (٩٤) المعجم الوسيط، (لزم)، ٨٢٤.
- (٩٥) مادة (ل ز م)، معجم الوسيط، ٨٢٣/٢-٨٢٤؛ لسان العرب، ابن منظور، ٥٤٠/١٢. وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٤١٩/٣٣.
- (٩٦) مادة (ل وح)، لسان العرب، ابن منظور، ٥٨٤/٢.
- (٩٧) التطور الدلالي لألفاظ الكتابة ولوازمها في القرآن الكريم، عقله، رنا، ٦٧.
- (٩٨) لسان العرب، ابن منظور، مادة (دفر)، ٢٨٩/٤.
- (٩٩) الفروق اللغوية، العسكري، ٢٩١.

- (١٠٠) المعجم الوسيط، ١ / ٢٨٨.
- (١٠١) فهرس الفهارس، الكتاني، ١٩٣/٣٩.
- (١٠٢) ديوان الكميت، طريفي، ٢١٦.
- (١٠٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ك ر س)، ١٩٣/٦.
- (١٠٤) مادة (ج ر د)، لسان العرب، ابن منظور، ١١٨/٣. والمعجم الوسيط، ١١٥-١١٦/١.
- (١٠٥) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ص ح ف)، ١٨٦/٩.
- (١٠٦) مادة (ص ح ف)، لسان العرب، ابن منظور، ١٨٦/٩. والمعجم الوسيط، ٥٠٨/١.
- (١٠٧) الفروق اللغوية، العسكري، ٢٩١.
- (١٠٨) ديوان النابغة الذبياني، عبد الساتر، ٤٧.
- (١٠٩) مادة (ج ل ل)، لسان العرب، ابن منظور، ١٢٠/١١. والمعجم الوسيط، ١٣١/١.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- الأبياري، إبراهيم، ومصطفى السقا، ديوان المتنبي بشرح العكبري، مكتبة أولاد مصطفى حلبي، مصر، د.ط، ١٩٣٦م.
- أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م.
- أولمان، ستيف، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، دار غريب، ١٩٩٧م.
- جرمان، كلود؛ لوبلون، ريمون، علم الدلالة، ترجمة وتحقيق: نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، ليبيا- بنغازي، ٢٠١١م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، د.ط، ١٩٩٨.
- أبو حطب، سيد أحمد عبدالواحد، ألفاظ الكتابة وأدواتها في القرآن الكريم، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٨م.
- الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، تحقيق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- الخولي، محمد علي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح، عمان، ط ١، ٢٠٠١م.
- أبو داؤود، مسند أبي داؤود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د.ت.
- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن عبدالمجيد بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١٥م.
- الزبيدي، أبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية - مصر، ١٨٨٨ م، وطبعة دار الهداية، وطبعة المجلس الوطني للثقافة بالكويت ٢٠٠٤م.
- السامرائي، إبراهيم، الدلالة بين السلب و الإيجاب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٩٣م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ):
• الجامع الصغير وزيادته، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي،
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت،
١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- صالح، محمود إسماعيل وآخرون، المدونات اللغوية العربية - بناؤها وطرائق الإفادة منها،
سلسلة إصدارات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط ١،
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- طريقي، محمد نبيل، ديوان الكميّين دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق:
محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- عبد الباري، ماهر شعبان، الكتابة الوظيفية والإبداعية وما بعدها، دار المسيرة، عمان،
١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه، مطبعة المدني، ط ١،
مصر ١٩٨٣.
- عبد الساتر، عباس، ديوان النابغة الذبياني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ -
١٩٩٦م.
- عبده عزام، محمد، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، دار المعارف، ط ٥، د.ت.
- عزوز، أحمد، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب،
دمشق، ٢٠٠٠م. (منشورة على الإنترنت)
- العسقلاني، أحمد علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري،
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، وقصي محب الدين الخطيب، دار
الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق:
الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط ١، ١٩٨٢م.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد:
 - الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
 - مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
 - الشافعي، محمد بن إدريس، مسند الإمام الشافعي، تحقيق: ماهر يس، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
 - فخرو، نورة يوسف، روميات أبي فراس (معجم ودراسة دلالية)، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة:- كلية الآداب، ١٩٨٧م.
 - الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
 - القاسم بن سلام، أبو عبيد، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.
 - القبيلي، ذكرى يحيى، التصنيف الحقلّي لألفاظ الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، ٢٠٠٤م.
 - الكتاني، عبد الحي عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
 - الكفوي، أبو البقاء، الكليات، أعده للطبع: د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
 - لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، ط١، ١٩٨٧م.
 - المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، ١٩٨٥م.
 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
 - المرازيق، رنا عقلة مزعل، التطور الدلالة لألفاظ الكتابة ولوازمها في القرآن الكريم، جامعة جرش، الأردن، ٢٠١٣م.
 - ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
 - النجار، نادية رمضان، ألفاظ الوجه في (المخصص لابن سيده)، مجلة علوم اللغة، مج٤، ع٣، ٢٠٠١م.

- موان، جورج، مفاتيح الألسنية، ترجمة: الطيب البكوش. منشورات الجديد، تونس، ١٩٨١م.
- يوسف نجم، محمد، ديوان أوس بن حجر، دار بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- Dobrić, Nikola. Corpus Linguistics: The Basic Form of Linguistic Analysis. Mistic, Lopicic (Eds) Language, literature and identity. University of Niš, pp. 359-363, 2009.

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

- <http://corpus.kacst.edu.sa/index.jsp>
- <http://tawfekhegazy.yoo7.com/t178-topic>
- <https://www.almaany.com/ar/thes/ar-ar/>

التواصل بالروائح والعطور في الخطاب الأدبي مقارنةً تداوليةً لكتاب الثعالبي (من غاب عنه المطرب)

د. فهد إبراهيم سعد البكر

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والفنون - جامعة حائل

التواصل بالروائح والعطور في الخطاب الأدبي مقاربة تداولية لكتاب الثعالبي (من غاب عنه المطرب)

د. فهد إبراهيم سعد البكر

الملخص:

يسعى هذا الموضوع إلى رصد ظاهرة تداولية لم يُتفطن لها كثيراً، وهي ما ينتجه الخطاب الأدبي من تواصل عطري، يُدرك من خلال الدلالات التي تنطق بالروائح، ويُستدل عليه من خلال (الشم) ذلك أن الاستدلال أو الاستلزام من أبين الظواهر التداولية التي تفضي إلى المعنى الدقيق.

ومعلوم أن التواصل بكيفيات أخرى يمكن تلمسه في أشكال عدة، في الإيماءات، والإشارات، والأصوات، وغيرها، وهي أشكال تواصلية وإن طرق بعضهم أبوابها، غير أنها ما تزال بحاجة إلى بحث ودرس متواصل؛ لأنها ذات قيمة أدبية وجمالية، وبخاصة أن أكثر الباحثين لم يتعدوا عن بعض الحدود التواصلية المألوفة في تفسيراتهم التداولية غير اللغوية.

ويأتي هذا البحث محاولة لرصد هذه الظاهر التداولية التي ينبئ عنها الخطاب الأدبي شعراً ونثراً، وتكشف سره تلك اللغة التي لوحظت في بعض المختارات الأدبية التي جمعها أبو منصور الثعالبي في كتابه: (من غاب عنه المطرب) حيث نجد نماذج لبعض شعراء عصره، ومرتسليه، وما قبله، ممن تجلّت في معرض أوصافهم وتشبيهاتهم لغة التواصل بالعطور؛ لذا رأينا أهمية هذا العنوان وطرافته ضمن أبواب التداولية.

ويقوم هذا البحث على تمهيدٍ حول الثعالبي وكتابه، ثم مفهوم التواصل بكيفيات أخرى، ومنزلة التواصل العطري من هذه الكيفيات، بعد ذلك يقوم البحث على مطلبين ينهض أولهما بمقاربة التواصل العطري من خلال الشعر، ويتحدث ثانيهما عن التواصل العطري من خلال النشر.

الكلمات المفتاحية: التواصل - الروائح - العطور - الخطاب الأدبي - التداولية - كتاب الثعالبي (من غاب عنه المطرب).

Fragrant Communication in Literary Discourse Argumentation Approach for Thaalbi's Book "MAN GABA ANHO ALMOTREB"

Abstract:

This topic seek to monitor an argumentation phenomenon; was not given more attention, this phenomenon is the fragrant communication which is generated by the literary discourse; as it can be recognized through significances which indicate smells; and are inferred through the olfaction, whereas the inference or entailing are two of the most obvious argumentation phenomena which leading to the accurate meaning.

It is known that communication in other ways can be found in several forms; gestures, signals, sounds and etc...

These are communication forms; which were little was known about them; but they still need for more research and continuous study, as they have priceless literary and aesthetic value; in particular most of the researchers did not depart from some of the familiar boundaries of communication in their non-linguistic argumentation interpretations.

This research is an attempt to monitor this argumentation phenomenon which literary discourse tells about it through its poetry and prose. The manner which is noticed in some of Abu Mansour Thaalbi's anthology which he has collected in his book " Who Lost Inspiration"; whereas we find sample

for some of poets and prose writers of his time and before that; of whom the fragrances communication language is obvious in their descriptions and assimilations, so we have seen the importance and novelty of this title among the argumentation topics.

This research is based on a preface about Thaalbi and his book, then the communication concept through other qualities, as well as the fragrance communication rank among these qualities, after that; the research shall be based on two issues; the first issue approaches the fragrance communication through poetry, and the second issue talks about the fragrance communication through prose. Then the research conclusion comes, and then a list of its sources and references.

Key words: Communication, Smells, Perfumes, Literary Speech, Pragmatics, Al Thaalibi's Book (MAN GABA ANHO ALMOTREB)

المقدمة:

يأتي هذا الموضوع ضمن سياق التواصل بكيفيات أخرى، أو التواصل غير اللغوي، ويحاول أن يمزج بين اللغة التي هي أصل الخطاب، وما يرتبط بها مما يدرك بالحس، أو يستدل عليه بالشم، وذلك من خلال بعض الظواهر التداولية؛ لذا جاء العنوان مباشراً في تسليط الضوء على الجانب العطري، الذي يتخذ من الخطاب وسيلة له في التواصل، موثماً في ذلك بين المكتوب (الخطاب) والمحسوس، أو المشموم (العطر).

وقد جاء اختيار كتاب الثعالي (من غاب عنه المطرب) لأنه لفت انتباهنا في كثرة الروائح التي يفوح بها الخطاب، وقد رأينا هذا الأمر في غير كتاب من مؤلفاته الضخمة، غير أنه في هذا الكتاب جاء عابقاً، ومتنوعاً، وهو الأمر الذي دعا إلى محاولة البحث عن سر تلك الاستعمالات العطرية التي يوظفها في كتابه، سواء أكانت من تأليفه، أم على سبيل الاستشهاد.

تمهيد:

١- الثعالي وكتابه (من غاب عنه المطرب):

أ- الثعالي:

تكاد تُجمع أكثر كتب التراجم على أن الثعالي هو: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالي النيسابوري الذي حدّد ابن خلكان سنة ولادته في عام (٣٥٠هـ) ووفاته في سنة (٤٢٩هـ)^(١) أحد أهم أعلام الأدب في القرن الرابع الهجري، والذي لولاه لضاع أدب جمّ، وحضارة معرفية مهمة من حضارة العرب في أوج عصورها.

ولعل كتابه الشهير (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)^(٢) هو الوعاء الذي حوى ذلك الإرث العظيم، حيث ترجم الثعالبى من خلاله لكثير من العلماء، والأمراء، والوزراء، والأدباء، والشعراء، والمترسلين، وكان كتابه هذا شاهداً عليه، وعلى عصره المليء بالأعلام الأفذاذ، ممن تركوا أثراً واضحاً في خارطة الأدب العربي القديم.

ولسنا بصدد التعرف على مؤلفاته، لكننا نشير إلى أنه ملاً المكتبة العربية بصنوف متنوعة من الكتب النفيسة في مجال اللغة، والأدب، من قبيل (آداب الملوك- أجناس التجنيس- الإعجاز والإيجاز- برد الأكباد في العدد- تحسين القبيح وتقبيح الحسن- ثمار القلوب- التوفيق والتلفيق- خاص الخاص- المبهج- فقه اللغة وسر العربية..)^(٣) وغيرها، وكان إلى جانب هذا شاعراً متألقاً، ومرسلاً بارعاً^(٤).

وبصرف النظر عن الترجمة التفصيلية والدقيقة للثعالبى ونشأته، فإننا عندما ننعّم النظر في كتب التراجم قريبة العهد به ك(دمية القصر) و(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) و(وفيات الأعيان) نجدها تنبئ عن عالم موسوعي عاش حياته بين العلم والأدب، حتى عدّه أقرب معاصريه، وهو (الباخرزي ت ٤٦٧ هـ) جاحظ نيسابور، وكان شاهداً على علمه وفضله منذ صغره، حيث كان جاراً وصديقاً لوالده، بل أشار إلى علاقته الخاصة به، حيث قال عنه: «وما زال بي رؤوفاً، عليّ حانياً، حتى ظننته أباً ثانياً»^(٥).

ب- كتابه موضوع الدراسة:

يعد هذا الكتاب من كتب الثعالبى الأدبية التي جمع فيها كمّاً من النصوص الشعرية والنثرية، لأدباء عصره، ومن سبقوه، وقد قال الثعالبى في مقدمته عن

منهجه وتبويبه لهذا الكتاب بأنه: «يشتمل على محاسن الألفاظ الدُعجة، وبدائع المعاني الأرجة، ولطائف الأوصاف التي تحكي أنوار الأشجار، وأنفاس الأسحار، وغناء الأطيّار، وأجساد الغزلان، وأطواق الحمام، وصدور البزاة الشهب، وأجنحة الطواويس الخضراء، وملح الرياض، وسحر المقل المراض، فتحرك الخواطر الساكنة، وتبعث الأشواق الكامنة، وتسكر بلا شراب، وتطرب من غير إطراب، وتهزّ بإطرابها، كما هزّت الغصن ريح الصبّا، وكما انتفض العصفور بلله القطر، من نثر كثير الورد، ونظم كنظم العقد، وجعلته في سبعة أبواب مفصلة بفصول، موسومة بذكر مودعها»^(٦).

ثم أورد الثعالبي أبواب كتابه السبعة، وهي:

الباب الأول: في البلاغة والخط، وما يجري مجراها.

الباب الثاني: في الربيع وآثاره، وفصول السنة.

الباب الثالث: في أوصاف الليل والأيام وأوقاتها.

الباب الرابع: في الغزل وما يجري نحوه.

الباب الخامس: في الحمريات، وما يتعلق بها.

الباب السادس: في الإخوانيات، والمدح، وما ينضاف إليها.

الباب السابع: في فنون مختلفة الترتيب^(٧).

ثم ختم مقدمته لكتابه قائلاً: «وترجمته بكتاب (من غاب عنه المُطرب) ومن خير ما فيه أنه يسري مسرى الخيال، وينمي على الإخوان نمي الهلال، وهذا خير سياقة الأبواب، والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب»^(٨).

ولأن الكتاب ربما أشكل على بعض الباحثين في صحة نسبته للثعالبى، فإنني هنا أورد ما ذكره المحققان العراقيان: محمد جبار المعيد، وهلال ناجي في مؤلفهما (مؤلفات الثعالبى المطبوعة والمخطوطة والمفقودة والمنسوبة إليه ضلّةً) لنطمئن أكثر إلى صحة النسبة من عدمها، وقد أدرج المحققان هذا الكتاب ضمن قائمة (مؤلفات الثعالبى المطبوعة) وأشارا إلى أغلب الذين تعرضوا له بالذكر منذ القديم إلى العصور المتأخرة، كابن خلكان، وابن قاضي شهبة، وطاش كبرى زاده، وإسماعيل البغدادي، والصفدي، وبروكلمان، وغيرهم، كما ألحأ إلى تسمياته المختلفة ك(من غاب عنه المؤنس - من أعوزه المطرب - أحسن ما سمعت...) وذكرنا بعض أماكن نسخه المخطوطة، كأسبانيا، والعراق، والسعودية، ومصر، وفرنسا، وبريطانيا، وأمريكا، وتونس، والكويت، وألمانيا، وتركيا، وإيران^(٩).

ج- مفهوم التواصل بكيفيات أخرى، ومنزلة التواصل العطرى من هذه الكيفيات:

قبل الحديث عن مفهوم التواصل بكيفيات أخرى لا بد من الإشارة إلى أن هذا المفهوم يندرج تحت ما يعرف اليوم بالتداولية، والتداولية في أوجز صورها هي ذلك المفهوم الذي يدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجى والإقناعى، وأفعال الكلام داخل النص، فهي باختصار كل ما يبحث عن المعنى والعلاقة بينه وبين السياق، والعلامات^(١٠). ولهذا أخذ التداوليون الغربيون ينعوتونها بأنها «ذلك الفرع من (السيموطيقا) الذي يعالج في الأصل استعمالات العلامات وآثارها في السلوك الذي تتمظهر فيه تلك العلامات»^(١١).

للتواصل غير اللغوي أهمية بالغة في حياتنا؛ فهو الأصل الذي نعتمد عليه في تعاملنا مع الحياة، والناس، وهو ليس بمعزل عن التواصل اللغوي، بل ربما كان مهيباً له وممهّداً، ولهذا وصف بعضهم التواصل غير اللغوي بأنه كـ(الإسمنت) اللازم لتوطيد الكلام المنطوق، الذي تشكل فيه الكلمات حجر الأساس^(١٢).

وللتواصل غير اللغوي علامات، منها: السكوت، والملابس، والمظهر الجسماني، والنظرة، وحركات اليدين، والابتسامة، والإيماءات، والانسحابات، والتمهيدات، والهدايا، والعطور، وغيرها^(١٣)، وهي علامات ذات دلالة قوية تدعم المنطوق والمكتوب، والمرئي، والمسموع، وتضطلع بأدوار تداولية مهمة تقوي من منظومة التواصل.

فأما العطور، أو الروائح بشكل عام، فإن لها تأثيراً بالغاً في العملية التواصلية، ولهذا فإن الإنسان إذا أفرط من استعمال العطر، فإنه لا محالة يلفت انتباه الآخرين، وهنا يتبادر السؤال التداولي المهم الذي يطرحه التداوليون في هذا المقام: (لماذا العطر والروائح؟ وماذا يعني ذلك؟) وهنا نستطيع الإجابة بأن للعطور أنواعها، ولها مقاماتها، فهناك عطور طاردة، وأخرى جاذبة، وهناك عطور خاصة، وأخرى عامة، وعطور للاحتفال، والمناسبات، وعطور للتنظيف، ونحو ذلك.

لكن السؤال الذي يهمننا هنا هو: ما الذي تدل عليه العطور، أو الروائح حين نوظفها في الخطاب المكتوب، أو في الكلام المنطوق؟ هل لهذا اللون من العطر، أو الروائح أثر في الخطاب؟ وبالطبع إن للرائحة المشمومة حسياً تأثير يختلف عنها إذا كانت مرصودة في كلام، أو كتاب، وهذا لا شك أنه معروف، لكن يَعرِّف لنا سؤال آخر مهم جداً، وهو: كيف يُحدِثُ العطرُ تأثيره في الخطاب؟

وكيف تغدو القصيدة؟ أو الرسالة حين تفوح بالعطور، أو الروائح؟ وما علاقة المتلقي، أو المخاطب بذلك؟ وما مدى الانعكاس الذي سيتركه العطر عليه سلباً، أو إيجاباً؟

ولعل في بعض النماذج التي سنستعرضها من كتاب الثعالبى (من غاب عنه المطرب) ما يجيب عن بعض هذه التساؤلات، لا سيما أن العطور، والروائح عموماً قد وجدناها في هذا الكتاب متلونة، ومتفاوتة، شعراً، ونثراً، ولهذا ستحاول الدراسة الوصول إلى ما يمكن أن يقوم به الخطاب الأدبي من تفاعل بين المحسوس، وغير المحسوس، والواقعي، والتخييلي.

التواصل العطري من خلال الشعر:

يتردد ذكر الرائحة في المصادر الدينية والأدبية كثيراً، ولو بحثنا في القرآن الكريم، والحديث الشريف لوجدنا استعمال الرائحة يرد في سياقين: مدح، أو ذم، وهنا نستطيع القول: إن الرائحة بوصفها أثراً تداولياً تثير انفعال المخاطب، فيتأثر بها سلباً، أو إيجاباً، فأهل الجنة والطامحون لها يجدون في روائحها الزكية ما يتوقون إليه من خلاصها، وأهل النار ومن سيكون مصيرهم إليها يأنفون من روائحها المنتنة.

من هنا فقد جاء أسلوب القرآن الكريم، والحديث الشريف مراعي القيمة التداولية التي تطبعها الرائحة في نفس المتلقي، لهذا قال تعالى في وصف أجمل نهاية لأهل الجنة: ﴿خَتَامُهُمْ سَكٌّ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١٤) وقال صلى الله عليه وسلم في وصف الحوض: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً»^(١٥).

ولأهمية الطيب للإنسان، ولأهميته في نفس المتلقي فقد تحدث القدماء عن قيمته وتأثيره، وفضله، فأشاروا إلى أنه: «غذاء الروح التي هي مطية القوى، والقوى تتضاعف وتزيد بالطيب، كما تزيد بالغذاء والشراب (...) وله تأثير في حفظ الصحة، ودفع كثير من الآلام وأسبابها»^(١٦).

من يتأمل النصوص الشعرية الواردة في كتاب الثعالبى (من غاب عنه المطرب) يلحظ ميلها إلى إثارة الحواس بأنواعها، ومن بين تلك الحواس حاسة الشم، والثعالبى في هذا الكتاب حريص على أن ينقل لنا المعنى السياقي في الأبيات الشعرية التي تفوح عطرا، ليشعر مخاطبه بأن ثمة روائح غائبة، وهي روائح يمكن أن يدركها المتلقي من خلال خياله العطري.

إن الثعالبى في كتابه هذا -سواء فيما ينقله من ثقافة غيره، أو فيما ينقله من ثقافته الشخصية- يسعى دوماً إلى الإثارة والتشويق، ومن هنا تتحقق الوظيفة (التعبيرية) أو (الانفعالية) التي توصل المعنى بشكلٍ أكثر عمقاً، وهذه الوظيفة هي التي نادى بها (ياكبسون) وأشار إلى أنها «تنزع إلى تقديم انطباع عن انفعالٍ معين، صادق، أو خادع»^(١٧).

ففي الباب الأول الذي عقده الثعالبى في وصف (الخط والبلاغة وما يجري مجراها) ذكر هذا البيت للصاحب بن عباد (٣٨٥هـ): (الوافر)

فَحَطُّ عِذَارِهِ مِسْكٌ يَفُوخُ وَحَطُّ يَمِينِهِ دُرٌّ يَلُوخُ^(١٨)

ولعل هذا من التشبيه الطريف، حيث نجد فيه الجمع بين صورة مشمومة، وهي رائحة الإنسان، وصورة أخرى بصرية، وهي جمال الخط، ورونقه، وفي كلمة (الخط) الأولى التي تعبق بالرائحة ما يجعل هذا البيت يفوح عطرا، ومن ثم فالشاعر هنا يستخدم (إشارية العطر) التي تشكلها رائحة المسك، ويمكن عدها

من الإشارات الحيوية التي تسهم في تحقيق فاعلية التواصل^(١٩).
وعندما عرض الثعالبى لأبيات أبي بكر الصنوبري (٣٣٤هـ) الجميلة في الربيع
أورد هذا البيت في آخرها: (السيط)

مَنْ شَمَّ رِيحَ تَحِيَّاتِ الرَّبِيعِ يُقَلِّ
لَا الْمَسْكَ مُسْكٌ وَلَا الْكَافُورُ كَافُورٌ^(٢٠)

وهذا البيت بيتٌ عطري بحق؛ إذ كل ما فيه يشعر المخاطب بحالة من
الاستمتاع بالروائح الطيبة التي تتضوّع مع الربيع، وفي هذا البيت أيضاً إقناع
للمخاطب بأن لا ریح كريح الربيع الجميل الذي تغنى به الشعراء، وهو أفضل
بكثير - كما ينطق بذلك هذا البيت - من ریح المسك، والكافور.

وتحديد المسك والكافور هنا فيه تأكيد على أفضلية ریح الربيع على غيرها
من الروائح الجميلة الأخرى.

فالشاعر هنا يريد أن يوصل للمخاطب - من خلال مبدأ التقابل - بأن
المسك والكافور سيفقدان قيمتهما، وجمال رائحتهما العطرية عند ریح الربيع
الأجمل، وهنا يتضح مفهوم (الإرسالية الشمية) التي ألمح إليها التداوليون، وما
تؤديه لغة العطور من رمزية^(٢١).

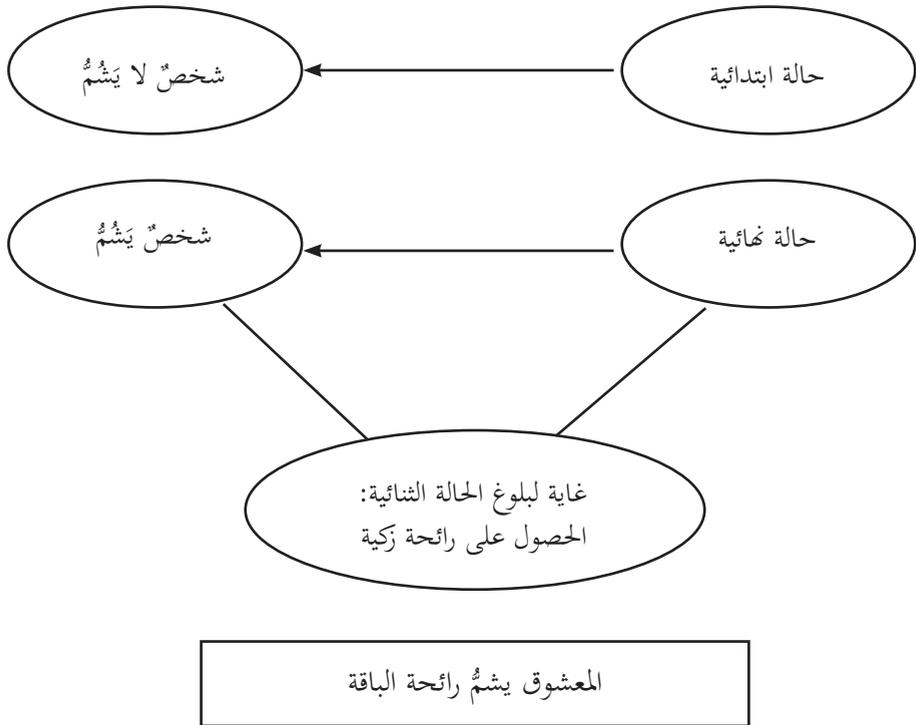
وفي الفصل الذي خصصه الثعالبى لوصف الربيع وآثاره أورد هذا البيت
الذي أعجبه لأحد الكُتّاب في وصف باقة ريحان: (الطويل)

إِذَا شَمَّهَا الْمَعشُوقُ خِلَتْ أَخْضَرَارُهَا
وَوَجَنَّتْهُ فَيروزجاً وَعَقِيقاً^(٢٢)

وهنا نجد التصريح بحاسة الشم، ليس من باب الشعور بالمتعة الحسية
والنفسية، ولكن من أجل رسم صورة أكثر جمالا لتلك الباقة، فلجأ الشاعر

إلى استعمال الأثر العطري الذي ينهض بصورته، فكان شَمُّ المعشوق، ووجنته، واخضرار الباقية مكملات للخروج ببيت جميل كهذا، فالعطر لم يحضر هنا بذاته، ولكن بوصفه وسيلة لتحقيق الجمالية.

ولئن كانت التداولية تتضمن حل المسائل من وجهة نظر المتكلم والمخاطب معا، فإن مهمة المتكلم يُنظر إليها -أحيانا- باعتبار تحليل الوسائل والغايات، وباختصارٍ فإن استراتيجية حل المسألة عند المتكلم (الشاعر) يمكن أن يُنظر إليها كمشكل من تحليل الوسائل والغايات^(٢٣) ويمكن الاستفادة من النموذج التحليلي الذي اقترحه (جيوفري ليتش) في هذا الصدد^(٢٤)، وتطبيقه على البيت العطري السابق:



ولا يلحظ التواصل العطري فقط بلفظ الروائح، أو العطور، أو متعلقاتها من الشم، والفوح، ونحو ذلك، ولكننا نلمسه أيضا في أشكال أخرى مستوحاة من البيئة العطرية، كالعنبر مثلا في قول الثعالي نفسه يصف بعض الثمار:

قد ضُمَّخَتْ بالعنبر الفُتاتِ نسيْمُها يزيدُ في الحياة^(٢٥)

فالعنبر لون من ألوان العطور الفواحة، وفي دلالة كلمة (ضمخت - الفتات) ما يزيد من قوة الرائحة، فالمتكلم هنا (الشاعر) يريد أن ينشر رائحة هذا الثمر، ويسعى إلى إشعار المخاطب بقوة رائحته التي تتضوع منه.

ويستعمل الثعالي حاسة الشم في غير موضع من أشعاره؛ ليخلع أوصاف الروائح الطيبة على كل جميل، وبخاصة في وصف الثمار، كما في قوله يصف التفاحة منبها مخاطبه إلى رائحتها:

يا حبذا حُسنها وريّاها وحبذا في الثّمار مجناها^(٢٦)

ولا يفتأ الثعالي يهتم بالعطر حتى في وصف الأشياء غير العطرية، وغير المشمومة، وهذا يعني أنه كان حريصا على (الوظيفة العطرية) في تحسين الأشياء التي لا يُتصوّر أنها ذات رائحة، كما في وصفه إحدى الليالي، يقول:

يا ليلةً كالمسكِ مَحْبَرُها وكذاك في التشبيه منظرها^(٢٧)

ويكثر الثعالي من ذكر (المسك) في شعره، ولهذا أثر مهم على المخاطب، إذ إن له دلالاته التواصلية المهمة، فهو لا يريد أن يشعر مخاطبه بجمال يومه، ولكنه يستغل الجانب العطري؛ ليكون يومه أكثر إغراءً وإطراباً، وهو ما يكشف عن تواصل عطري بين الشاعر وذاته، وبين الشاعر ومخاطبه على نحو ما بيّنه هذا البيت مثلاً:

أما ترى اليومَ مسكِيَّ الهواءِ وقد مَدَّتْ يَدُ الشمسِ في حافاتها الكِلَلا^(٢٨)

وهنا نجد أن الشاعر يتواصل مع مخاطبه من خلال (إرسالية شمسية)^(٢٩) وهي رائحة الهواء الطيبة التي تشبه المسك، وهذه الإرسالية الشمسية قد حققت الوظائف التداولية الأربع التي أشار إليها (جيوفري ليتش)^(٣٠) وهو ما رصدناه في هذا البيت على النحو الآتي:

الوظيفة الأولى: الوظيفة التعبيرية، وهي التي نلمحها في التعبير عن طيب الهواء في ذلك اليوم (يوم هواؤه جميل).

الوظيفة الثانية: الوظيفة الإشارية، وهي التي تشير إلى وجود رائحة عطرية في ذلك اليوم (يوم هواؤه طيب الرائحة).

الوظيفة الثالثة: الوظيفة الوصفية، وتتجلى في استعمال اللغة لوصف الأشياء الموجودة في العالم الخارجي، كإدخال المسك -وهو شيء عطري محسوس ومشمووم- باليوم الذي هو الوحدة الزمنية المكونة من نهار وليل (هذا هو اليوم، وهو يوم ذو رائحة زكية).

الوظيفة الرابعة: الوظيفة الحجاجية، حيث يستعمل الشاعر اللغة لتقديم الحجج والتفسيرات، وتقومها، كما في لفته انتباه المخاطب؛ ليشعر بطيب هواء ذلك اليوم (اليوم جميل؛ لأنه كالمسك في هوائه العليل).

إن الشاعر العاشق، أو الشاعر العزّل لا يفتأ يوظّف (الإرسالية الشمسية) في غمرة أوصافه التي يخلعها على معشوقته، أو محبوبته؛ ولهذا نجد كثيرا من النصوص الغزلية الواردة في الكتاب تعتمد (الجانب العطري) بوصفه قيمةً عاليةً تُمنَح للمخاطب (المعشوقة أو المحبوبة) يقول مؤلف الكتاب مثلا في وصف (نغر) يشبهه بلمع البرق، وبأنه يشفي الغليل: (الكامل)

قد بتُّ أَلثْمُهُ وأرتشفُ المُنَى
من دُرِّهِ وعقيقهِ ورحيقهِ^(٣١)

ومثل ذلك وصف الثنايا، والريق الذي يحاكي المدام في موضع شعري آخر على هذا النحو:

وثنايا وريقةٍ من مُدامٍ كعبيرٍ وروضةٍ من أقاح^(٣٢)

وفي هذا البيت تظهر قيمة المكان في الخطاب التواصلى بوصفه إحدى الإشارات المهمة التي تسعى التداولية إلى التأكيد على أهميتها^(٣٣)، يضاف إلى ذلك أن الطبيعة الخاصة للمتكلم والمخاطب تشتغل أحياناً على عدد من المعايير، من بينها التنظيم المادي، والاجتماعي للمكان كما أشار إلى ذلك التداوليون^(٣٤).

ويدعم التناص العطري - إن صح القول - بعض استراتيجيات التواصل بين المتكلم والمخاطب، على نحو ما يفصح عنه هذا البيت مثلاً: (مخلع البسيط)

هذا غزالٌ ولا عجيبٌ تولدُ المسكُ من غزالٍ^(٣٥)

فالشاعر هنا يستحضر بيت المتنبي الشهير، ويحيل عليه: (الكامل)

فإن تُفق الأنامَ وأنتَ منهم فإنَّ المسكُ بعضُ دمِ الغزالِ^(٣٦)

ففي هذا البيت نجد الشاعر يستخدم استراتيجية (الإحالة التناصية) لإقناع المخاطب بصورةٍ تحيله على ما يقوي المعنى الذي يرومه، وتعد (الإحالة) هنا وسيلةً صريحةً لمضاعفة التواصل^(٣٧).

لقد شهدنا في النصوص الشعرية ذات الملمح العطري الواردة في كتاب الثعالبى ما يؤكد تأثيرها في نفس المخاطب الأول (الخاص) أو المخاطب الثاني (العام) وكأنها تفوح بالشذا والعبير، وأصناف العطور، وهذا يؤكد أهمية المبادئ التداولية في هذا اللون من التواصل «ولما كانت هذه المبادئ تسمو بالتواصل العادي، فهي أولى بأن تسمو بالقول الشعري الذي يطلب في أصله الكمال والجمال»^(٣٨).

التواصل العطري من خلال النشر:

رَكَز بعض الأدباء القدماء في تأليفه على حاسة (الشم) بوصفها عنصراً فعّالاً في تأثر الإنسان، وجذب المتلقي، ولهذا وجدنا مؤلفاً بعنوان (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب)^(٣٩) ساق مؤلفه في عنوانه، وفي تفاصيل أبوابه ما يدور حول الحب، وأضاف إليه كل ما له صلة، أو علاقة بالرائحة الطيبة، وفي هذا ما يبرز السّنة التواصلية لدى الكتاب في حرصهم على إثارة هذه الحاسة؛ نظراً إلى أهميتها فيمن يكتبون إليهم.

ربما كانت النصوص الثرية الموثقة في الكتاب أكثر تواصلية من النصوص الشعرية، ومن هنا فإن المبادئ التداولية فيها تبدو أوضح وأدق، وبخاصة في الرسائل والأجوبة التي يتضح فيها أثر المرسل، والمرسل إليه في نظرية الخطاب التبادلي، سواء من جهة المقام، أو من جهة التلقي، أو من جهة المراتب التخاطبية، وهو أمر ملحوظ في نماذج هذا اللون النثري منذ القديم.

وبما أن التداولية هي: «دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم»^(٤٠) فإننا كثيراً ما نلمح في النصوص الثرية حرصاً من كاتبها لإيصال المعنى المقصود من خلال (العطر) أو (مرادفاته) أو (متعلقاته) كالرائحة، والشم، والمسك، والطيب، والأرج، والنسيم، والعبير، والريح، والعرف، والتضوّع، والفوح، والمجامر، ونحو ذلك.

إن إيصال المعنى من خلال الرائحة، ليس شرطاً بأن يكون معبراً عن العطر، أو باعثاً على الجمال، بل ربما ينقل الكاتب من خلال (العطر ومتعلقاته) توصيل معنى الفرح والاشتياق، كما في هذا النص الذي نقله الثعالبي للصاحب بن عباد في وصف كتاب (رسالة) يقول: «كتابٌ شَمَّمْتُهُ شَمَّ الوَلَد، وألصقتُهُ بالقلب والكبد»^(٤١) ومثله أيضاً هذا النص: «كتابٌ هو المسكُ ذكياً، والزهرُ جنياً»^(٤٢).

فالشَّمُّ هنا يؤدي للمخاطب معنى مكثَّفًا من الفرح بالكتاب، وكثرة الشوق إليه، وقد تكفَّلت الرائحة في هذا النص بتجسيد تلك الصورة، ورسم ذلك المعنى.

وقد تضطلع (الإحالة التناصية) بإيصال شبيه من هذا المعنى دون تصريح بعطر، أو رائحة، أو شم، أو نحو ذلك، كما في هذا النص مثلاً: «كتابٌ هو في الحُسن روضة حزن، بل جنة عَدَن، وفي شرح النفس، وبسط الأُنس، برد الأكباد والقلوب، وقميص يوسف على أجفان يعقوب»^(٤٣).

فإن ذكر قميص يوسف هنا تلميح من الكاتب إلى ما فعلته رائحة يوسف بأبيه -عليهما السلام- بعد طول غياب، وهنا أدت الرائحة أقصى غاياتها التواصلية، وهو ما تؤكدُه هذه الآية في سورة يوسف: ﴿أذهبوا بقميصي هذا، فألقوه على وجه أبي يأتي بصيرا (...). ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾^(٤٤).

وقد ذكر ابن عاشور في تفسيره بأن «وجدان يعقوب ريح يوسف -عليهما السلام- إلهام خارقٌ للعادة جعله الله بشارة له، إذ ذكَّره بشمه الريح الذي ضمَّخ به يوسف -عليه السلام- حين خروجه مع إخوته (...). والريح: الرائحة، وهو ما يعقب من طيب تدركه حاسة الشم»^(٤٥).

وعندما أراد الثعالبي أن يوصل لمخاطبه قيمة الربيع وآثاره، اختار نصًّا جمع فيه من الجماليات الحسية والمعنوية، وكان العطر من أهمها، كما بيَّنه هذا الشاهد النثري لأحد الكتَّاب البلغاء: «الربيعُ جميل الوجه، ضاحكُ السنِّ، رشيقُ القدِّ، حلو الشمائل، عطر الرائحة، كريم الخلائق»^(٤٦).

وقال آخر: «قد زارنا حبيب من القلوب قريب، وكله حُسن وطيب»^(٤٧)
وقال آخر: «تبَلَّج الربيع عن وجه بَهِج، وخلق غَنج، وروض أَرَج، وطير مزدوج»^(٤٨)

وقال آخر: «مرحبا بزائر وجهه وسيم، وفضله جسيم، وريحته نسيم»^(٤٩).

فهذه الأوصاف العطرية تحديداً تنبئ عن تواصل الإنسان مع غير الإنسان، أو تواصل العاقل مع غير العاقل، أو الحسي مع المعنوي، ولا شك في أن فرح الكاتب بهذا الربيع، ومنحه هذه الأوصاف والنعوت، هو جزء من اهتمامه بالطرف الآخر الذي يتواصل معه، ويفرح به، وإن لم يكن إنساناً مباشراً، أو شخصاً معروفاً، وهو كذلك جزء من نقل هذا الفرح والاهتمام إلى المخاطب الذي سيطرب لهذه الأوصاف.

ونستطيع من خلال المبدأ التداولي (قصد التعريف أو التحديد) أو (معرفة القصد)^(٥٠) أن نتلمس دلالات (القصدية) في النصوص السابقة التي تصف الربيع على هذا النحو:

الوصف	مواطن القصد	سماته
قدوم الربيع وزيارته	زارنا حبيباً	قريب- كله حسن- طيب
بداية الربيع ومستهلته	تبّج الربيع	وجه بهج- خلق غنج- روض أرج- طير مزدوج
استقبال الربيع والترحيب به	مرحبا بزائر	وجهه وسيم- وفضله جسيم- وريحته نسيم

ويهمنا من هذه السمات ما يدلّ على العطور، والروائح الطيبة، فقد استعملها الكاتب هنا؛ لإعلان فرحه وسروره من جهة، وليلفت من خلالها انتباه المخاطب من جهة أخرى، فهو إذن ينوه إلى كونها السمة الأهم لهذا الربيع، والأكثر تعبيراً عن الفرحة به والاستبشار.

وعندما يريد الكاتب أن يمنح مخاطبه قدراً عالياً من الاهتمام، والتقدير، والاحترام، فإنه لا يلبث أن يستخدم الجانب العطري بوصفه قيمةً تداوليةً يوظفها في سياق خطابه؛ ليشعر المتلقي بمكانته الأثيرة لديه، كما يوضّحه هذا

النص من كتابٍ أوردته الثعالبي، يقول: «غيثُ الربيع مُتشبّه بكفّك، واعتداله مُضاهٍ لخلقك، وزهره موازٍ لِشرك، ونسيمه منتسبٌ إلى نَشْرِك، كأنما استعار خُله من شيمك، وأمطاره من جودك وكرمك»^(٥١).

فقد جمع المادح هنا كثيرا من الأوصاف على نسقٍ من التشبيه المقلوب الذي يلفت الانتباه، ويعطي المخاطب قدرا كبيرا ومبالغا فيه من الاعتناء والاهتمام.

وحتى عندما يستعرض الثعالبي نصاً ليرز قيمته الجمالية، فإنه لا يفتأ يذكّرنا بالجوانب العطرية التي كان لها الأثر الأكبر في إبراز تلك القيمة، فمن ذلك إيراده شاهدا نثريا للمأمون في فصل (التفاح) يقول فيه: «اجتمع في التفاح الصفرة الدرية، والبياض الفضي، والحمرة الذهبية، يلدّه من الحواس ثلاثة: العين لحسنه، والأنف لعرفه، والفم لطعمه»^(٥٢).

فقد ركّز على الجانب العطري في التفاح؛ ليزيد من قناعة المخاطب بجماليات التفاح، وأسباب إقبال الناس عليه، ولو رمنا عدّ الشواهد الشعرية والنثرية في أوصاف التفاح، لوجدنا أكثرها تنطلق من منطلق عطري في عرض جماله وقيّمته.

ومن هنا نجد أن الثعالبي قد كان منساقاً إلى التفاح ورائحته، ومتأثراً به وبقيّمته العطرية، ولهذا نجد في بعض رسائله الخاصة يقول: «تفاحٌ يجمعُ وصف العاشق الوَجَل، والمعشوق الحَجَل، له نسيْمُ العنبر، وطعمُ الشُّكر، رسولُ المحبِّ، وشبيهُ الحبيب»^(٥٣).

ويلحظ في النص السابق أن الكاتب عندما قصد إعلاء شأن (التفاح) لجأ إلى الخاصية العطرية، فهي في نظره من أولى السمات التي يمكن لفت انتباه المخاطب إليها؛ لأنّها أول ما يعبق وتنفوح رائحته، وهنا يظهر تميّز الكاتب في تنظيم أفكاره التي يقنع بها مخاطبه، وترتيبها وفق سلّم حجاجي متصاعد.

إن التوسّل بخطط خطابية يفترض السعي إلى تحقيق هدف معين، لكن هذا الهدف يقوم عند البعض على الرغبة في إثبات صحة الموقف الذي يتبناه المتكلم، وفي دحض الموقف المخالف ونسفه، أو تصحيحه، على أن التفاعل الخطابي في جميع الحالات لا يخرج من أحكام القيمة، فالمتكلم هنا مثلاً - في وصف رائحة التفاح - يدافع عن وجهة نظر معينة؛ لأنها عنده أكثر قيمة، وأقرب إلى المنطق والأعراف السائدة التي يراها مقنعة، أو أكثر إقناعاً^(٥٤).

إن الكاتب إذا أراد أن يعلي من قيمة مخاطبه فإنه يبحث عن القيمة الأعلى التي يرى ملامستها لواقعه، وتحقيقها للمنطق المألوف لديه، ولعل (القيمة العطرية) تشكّل خطّة رقيقة من شأنها جرّ المخاطب، وسحبه إلى أن يميل معها، ففيها استمالة من طرف خفي، وفيها إثارة لحواسه، وهذا هو الأهم، فالإنسان عادةً يطرب لما يراه، أو لما يسمعه، أو لما يشمه.

ويُعَدُّ (قلب التشبيه) الذي يستعمله بعض الكتّاب في إظهار القيمة العطرية لونهاً من الحجج التي تخدم نتيجة معينة، ولئن عُرف الخطاب عند أكثر التداوليين والحجاجيين بأنه «مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق»^(٥٥) فإننا شهدنا بعض كتّاب الرسالة ممن يستشهد الثعالبي ببعض نصوصهم يركّزون على رائحة التفاح بوصفها مظهرًا يعلي من مكانة المخاطب عندهم؛ لذلك يستخدم بعضهم (التشبيه المقلوب) في تركيزه على الجانب العطري؛ لأنه يريد إعلام المتلقي بجميل رائحته التي جعلت المرسل يشير إليها، ويتوقف عندها، فمن ذلك ما أورده الثعالبي من رسالة إلى بعض الظرفاء، وقد أهدى إليه الكاتب تفاحةً، فكتب معها: «قد بعثتُ بتفاحةٍ تحكي بجمرتها وَجَنَّتْكَ، وبرائحتها رائحتك، وبعذوبتها عذوبتك، وبملاحتها غرَّتْكَ»^(٥٦).

إننا عندما نتأمل خطاب الثعالبى حول التفاح، أو غيره من الثمار العطرية، نراه يركّز كثيراً على ذكر رائحتها، ويؤكد لنا حرص الكتاب على أن يجعلوا من هذه الرائحة قيمة تداولية مهمة في تواصلهم مع الآخرين؛ لأنها أدعى للتأثر، وتحريك العواطف، وإثارة الحواس.

الخاتمة:

وبعد، فلم تكن النصوص الشعرية والنثرية التي أوردها الثعالبى في كتابه (من غاب عنه المطرب) نصوصاً عابرة، وإنما كانت منتقاةً وفقاً لخطة كتابية تضع المخاطب ضمن اهتمامها المباشر، فضلاً عن ترتيبها وتبويبها الذي اعتمده الثعالبى في مقدمته، وكانت تلك النصوص المتنوعة مثيرةً للانتباه، والعواطف، والحواس، وبخاصة من الجهة العطرية التي أصبحت سمةً بارزةً في نصوص هذا الكتاب.

ولأن من أهداف التداولية «بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر، وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر»^(٥٧) فقد وجدنا في التواصل العطري ضمن الخطاب الأدبي مسلماً من مسالك الأفضلية، إذ لم نسلط الضوء على التواصل بمعناه الحرفي المباشر، ولكن حاولنا الاهتمام بمظهر من مظاهره، أو شكل من أشكاله البارزة التي تستحق أن يلتفت إليها.

ولقد كان للجانب العطري قيمته التداولية التي وظفها الشعراء والكتاب في خطابهم الأدبي، فتوسلوا به إما إظهاراً لقيمته في حدّ ذاته، أو لإبراز مكانة المخاطب، وإعلان أهميته، من خلال التركيز على الإرسالية الشمية ومتعلقاتها، فكانت الروائح الندية والزكية أظهر أشكال الاستدلال التي استعملها الكاتب في تواصله، وهي مهمة التداولية الأساسية «أن تصف بواسطة مبادئ غير لسانية عمليات الاستدلال الضرورية للوصول إلى المعنى الذي يبلغه القول»^(٥٨).

وقد أعطى هذا البحث في مجمله تصوراً تداولياً حول مؤلفات الثعالبي من خلال هذا النموذج تحديداً (من غاب عنه المطرب) وبالأخص عن طريق التواصل بكيفيات أخرى، ومنزلة التواصل العطري من هذه الكيفيات، فكان التعريف بالكتاب، وبهذا النوع من التواصل تمهيدا للدراسة، ثم قام البحث في أصله على مطلبين، حاول أولهما مقارنة التواصل العطري من خلال الشعر، وتوقف ثانيهما عند مسألة التواصل العطري من خلال النثر، ثم خاتمة البحث، فقائمة بمصادره ومراجعته.

وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أ- إن الثعالبي لم يكن جماعاً للنصوص الشعرية والنثرية في كتابه فحسب، وإنما كان يسلط الضوء على ما يثير الانتباه، ويلفت الأنظار، وبخاصة ما يثير الحواس البصرية، والسمعية، والشمية، وكان عنوان كتابه هذا باعثاً على التشويق، وتحريك العواطف، والحواس.

ب- لحرص الكتاب على (الإرسالية الشمية) أو التواصل العطري، فإن مؤلفه يدعمه أحياناً بنصوص أدبية من شعره ونثره، تؤيد مذهبه، وتوضح مسلكه، وتبين خطته الخطائية في التأثير بالمخاطب، وقصد التأثير فيه.

ج- يعد التواصل العطري الذي رأيناه في هذا الكتاب ملمحاً مهماً من الملامح التي تكاد تغيب عن الدراسات التداولية الإشارية، لذلك نهضت هذه الدراسة بإسهام متواضع لمقاربة هذه الظاهرة.

ويمكن ختم هذه الدراسة ببعض التوصيات التي يرى الباحث فيها أهمية للدارسين في الحقل التداولي عموماً، فمن ذلك:

أ- لا بد من التنقيب في كتب التراث العربي، وفي كتب المختارات الأدبية، من

حيث الخطة التي يعقدها المؤلف في تأليف مركزاً على المخاطب بوصفه طرفاً مهماً في المنظومة التواصلية الثلاثية.

ب- البحث في الخطابات الأدبية عن مسالك تداولية غير لغوية من خلال إثارة الحواس الأخرى لدى المتلقين، على سبيل المثال (الأصوات) بوصفها قيمة تداولية تؤدي إلى الطرب أحياناً، وربما السأم، أو الانزعاج، أو نحو ذلك.

ج- بذل المزيد من الاهتمام بالوسائل التداولية المتنوعة التي من شأنها أن تنهض بقاعدة (لكل مقام مقال) وتنميتها إلى قاعدة أخرى، وهي (لكل مقام عطر).

وأخيراً فإن هذه الدراسة المتواضعة وإن لم تكن معمقة في صلب التحليل التداولي، غير أنها حاولت إثارة ما يمكن إثارته، وفتحت باباً على تضافر النصوص، وتعاونها في خدمة العملية التواصلية، وإسهامها في التقريب بين اللغوي وغير اللغوي، والتأليف بين الحواس السمعية والبصرية التي أخذت تصب أهدافها التداولية في خدمة الحاسة الشمية، حتى لقد أصبح المخاطب لا يطرب لما يبصره، أو يسمعه، وإنما أخذ ينتشي، وتتوق نفسه إلى ما يشمه أيضاً، وهذا يعني أن قيمة المشموم في عملية التواصل ذات أثر كبير.

الهوامش والتعليقات:

- (١) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج/٣، ص ١٨٠.
- (٢) ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي.
- (٣) ينظر: مؤلفات الثعالبي المطبوعة، والمخطوطة، والمفقودة، والمنسوبة إليه ضلّة، د. محمد جبار المعبيد، وهلال ناجي، ص ٣٧.
- (٤) له ديوان شعر، ينظر: ديوان الثعالبي، دراسة وتحقيق: د. محمود عبد الله الجادر. وله أيضا اهتمام بالغ بالنشر إلى درجة تأليفه كتابا في تحويل المنظوم إلى منثور. ينظر: نثر النظم وحل العقد، الثعالبي.
- (٥) دمية القصر وعصرة أهل العصر، الباخري، تحقيق ودراسة: د. محمد التونجي، ج/٢، ص ٩٦٦.
- (٦) من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان، ص ٣.
- (٧) من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبي، ص ٤.
- (٨) نفسه، ص ٤.
- (٩) مؤلفات الثعالبي المطبوعة، والمخطوطة، والمفقودة، والمنسوبة إليه ضلّة، د. محمد جبار المعبيد، وهلال ناجي، ص ١٠٣ - ١٠٧.
- (١٠) ينظر: التداولية وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، ص ٩.
- (١١) المقاربة التداولية للأدب، إلفي بولان، ترجمة: محمد تنفو، ص ١٩.
- (١٢) ينظر: التواصل بكيفية أخرى، طوماس دوفير، ترجمة: نور الدين رايس، ص ٦.
- (١٣) ينظر: التواصل بكيفية أخرى، طوماس دوفير، ص ٩.
- (١٤) سورة المطففين، آية ٢٦.
- (١٥) صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف، رقم الحديث: ٦٥٧٩، ص ٥٥١.
- (١٦) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تعليق وتصحيح ومراجعة وتخريج: عبد الغني عبد الخالق، ص ٢٦٠.
- (١٧) قضايا الشعرية، رومان ياكسون، ترجمة: محمد الولي، ص ٢٨.
- (١٨) من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبي، ص ٨.
- (١٩) للتعرف على مفهوم الإشارات وبعض أصنافها، ينظر: التداولية، أصولها، واتجاهاتها، جواد ختام، ص ٧٦ - ٧٨.

- (٢٠) نفسه، ص ٣٠.
- (٢١) ينظر: في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، مولز، وآخرون، ترجمة: د. محمد نظيف، ص ٢٠.
- (٢٢) من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبى، ص ٦٤.
- (٢٣) ينظر: مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قيني، ص ٥٢.
- (٢٤) ينظر: مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ص ٥٢.
- (٢٥) من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبى، ص ٧٣.
- (٢٦) نفسه، ص ٧٦.
- (٢٧) نفسه، ص ٩٢.
- (٢٨) نفسه، ص ١٠٦.
- ومثل ذلك ما أورده الثعالبى لابن طباطبا في قوله يصف يوما ممطر: «ريحانه وقف على لثم وشم...» فأكدت إرسالية الشم هنا قصد الشاعر إلى التأثير بالمخاطب. نفسه، ص ١١٠.
- (٢٩) ينظر: في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، مولز، وآخرون، ص ٢٠.
- (٣٠) ينظر: مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ص ٦٩.
- (٣١) من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبى، ص ١٣٩.
- (٣٢) نفسه، ص ١٣٧.
- (٣٣) ينظر: التداولية، أصولها، واتجاهاتها، جواد ختام، ص ٨١.
- (٣٤) ينظر: في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، مولز، وآخرون، ص ٥٣.
- (٣٥) نفسه، ص ١٥٩.
- (٣٦) شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، ج ٣، ص ١٥١.
- (٣٧) ينظر: مدخل إلى التناص، ناتالي بيبقي غروس، ترجمة: عبد الحميد بورايو، ص ٦٤.
- (٣٨) التداولية والشعر، قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، د. عبد الله بيزم، ص ٨٢.
- (٣٩) ينظر: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، السري الرفاء، تحقيق: مصباح غلاونجي.
- (٤٠) التداولية، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتاي، ص ١٦.
- (٤١) من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبى، ص ١٦.
- (٤٢) نفسه، ص ١٧.
- (٤٣) نفسه، ص ١٧.
- (٤٤) سورة يوسف، آية: ٩٣، ٩٤.

- (٤٥) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، د.ط، ج ١٣، ص ٥٢.
- (٤٦) من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبي، ص ٢٣.
- (٤٧) نفسه، ص ٢٤.
- (٤٨) نفسه، ص ٢٤.
- (٤٩) نفسه، ص ٢٤.
- (٥٠) التداولية، جورج يول، ص ٤٢.
- (٥١) من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبي، ص ٣٢.
- (٥٢) نفسه، ص ٧٣.
- (٥٣) نفسه، ص ٧٥.
- (٥٤) ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د. قدور عمران، ص ٩.
- (٥٥) حوار حول الحجاج، د. أبو بكر العزاوي، ص ٣٧.
- (٥٦) من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبي، ص ٧٥.
- (٥٧) التداولية بين النظرية والتطبيق، أحمد كنون، ص ٣٢.
- (٥٨) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، وأن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدين المجدوب، ص ٢٦.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- الباخريزي، علي بن الحسن، دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن بن علي الباخريزي، ط/١، تحقيق ودراسة: د. محمد التونجي، دار الجليل، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج/٢.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، د.ط، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج/٣.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد، ديوان شعر، ط/١، دراسة وتحقيق: د. محمود عبد الله الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق - بغداد، ١٩٩٠.
- من غاب عنه المطرب، ط/١، تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- نثر النظم وحل العقد، د.ط، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ/١٩٨٣م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/١، دار الطلائع.
- جبار المعبيد، محمد - ناجي، هلال، مؤلفات الثعالبي المطبوعة، والمخطوطة، والمفقودة، والمنسوبة إليه ضلّةً، ط/١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

ثانياً: المراجع:

- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج ١٣.
- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تعليق وتصحيح ومراجعة وتخريج: عبد الغني عبد الخالق، وآخرون، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
- البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج ٣.

- بيزم، عبد الله، التداولية والشعر، قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، ط/١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠١٤م.
- ببيقي غروس، ناتالي، مدخل إلى التناسخ، ترجمة: عبد الحميد بورايو، د.ط، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ١٤٣٣هـ.
- ختام، جواد، التداولية، أصولها، واتجاهاتها، ط/١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- الرفاء، السري، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، تحقيق: مصباح غلاونجي، د.ط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- العزاوي، أبو بكر، حوار حول الحجاج، ط/١، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٠م.
- عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ط/١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٢م.
- كنون، أحمد، التداولية بين النظرية والتطبيق، ط/١، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني، د.ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٣م.
- مجموعة، صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف، ط/١، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- موشر، جاك، ريبول، آن، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدين المجدوب، د.ط، المركز الوطني للترجمة بالتعاون مع وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، ودار سيناترا، تونس، ٢٠١٠م.
- ياكبسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، ط/١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م.
- يول، جورج، التداولية، ترجمة: د. قصي العتايي، ط/١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بالتعاون مع دار الأمان، بيروت، الرباط، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

دراسة في أقدم نصّ مكتوب باللغة العربيّة نصّ عجل بن هفعم

د. مي فاضل جاسم الجبوري

أستاذ مشارك بكلية اللغة العربيّة - قسم اللغة والنحو والصرف
جامعة أم القرى

دراسة في أقدم نص مكتوب باللغة العربية نص عجل بن هفعم

د. مي فاضل جاسم الجبوري

الملخص:

يتناول هذا البحث بدراسة لغوية تاريخية النص المعروف بنص عجل بن هفعم من وجهات علم اللغة المختلفة الصوتية والدلالية وغيرها. وهو نص قديم وجد على شاهد قبر فاق عمره ألفي عام جنوب غرب الرياض في السعودية، وكتب بالخط المسند بلغة عربية أقرب ما تكون إلى العربية الفصحى. والنص يمثل مرحلة من مراحل الفصحى مبكرة إذ ظهرت فيه أَل التعريف المميزة لها، وظهرت الكلمات العربية بأسلوب مفهوم واضح ولكن غير مطابق دائما في الدلالات والاستعمال لما نجده في تراثنا اللغوي الذي احتفظت به المعجمات وكتب اللغة. وطرح البحث آراء في معاني النص وطريقة قراءته فخالف قراءات سابقة لمفرداته. وقد تناولته مجموعة متخصصة من العلماء بالدرس منذ ظهوره، وتوصل البحث إلى قراءة جديدة في مواضع عديدة منه لم يتطرقوا إلى تفصيلاتها، فيكون هذا البحث مكملا للقراءات السابقة.

الكلمات المفتاحية: عجل بن هفعم - أقدم نص عربي.

A Study of the oldest written text in Arabic 'Ijl ibn Haf'am's Text

Abstract:

The present research deals with an ancient text known as 'Ijl bin Haf'am's Text, it was written on a tombstone over two thousand years ago, at Qariat Al-Fau southwest of Riyadh at Saudi Arabia, using Musnad in a close proximity to the standard Arabic. The text represents an essential stage in the development of the early classical Arabic. As Al is used for definition, Arabic words came to convey a clearer concept although they didn't always have the same semantics found in our linguistic heritage. The research presented views regarding the meanings of the words and the way it is read, contrary to previous readings of its vocabulary by scholars since the time it was found. This research tries to offer a new reading to many parts of the text that will be a complementary to the previous readings.

key words: IJl bin Hf'am, Igl bin Haf'am, Oldest Arabic text

المقدمة:

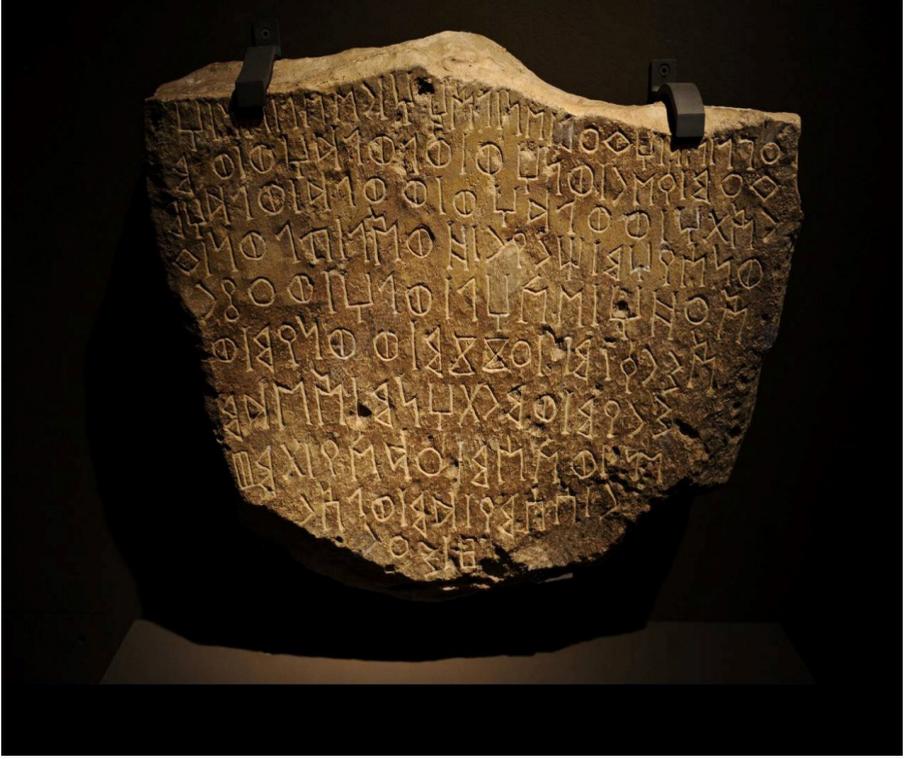
تدخل في دراسات علم اللغة التاريخي ملاحظات التطور والتغير منذ النصوص العربيّة المكتوبة بالخط المسند إلى ما عُرف وحُفظ منها سواء في النصوص العربيّة الفصحى أو في معاجمها وكتبها وما إليها. يتناول هذا البحث نصًّا من أقدم النصوص التي عُثر عليها، مكتوبًا باللغة العربيّة في نقش اصطلاح عليه بين علماء الآثار بنقش عجل بن هفعم. وهو أحد النقوش المسنديّة التي وجدتها جامعة الملك سعود ممثلة بقسم الآثار في منطقة تقع جنوب غرب الجزيرة العربيّة. وكانت تُسمّى قديما (قرية) و(الحمراء). وكانت تدعى (قرية كهل) أيضًا نسبة إلى معبودهم الذي ذُكر في نصوص كثيرة في تلك المنطقة ونقوشها، ومنها هذا النصّ. وتدعى اليوم (الفاو) وهي في موقع أثري يبعد ٧٠٠ كم جنوب الرياض و ٢٨٠ كم شمال نجران في المملكة العربيّة السعوديّة^(١). سكنت هذا الموقع الذي كان على طريق للقوافل مجاميع من قبيلة كندة وقحطان ومذحج لكثرة آباره، ويعدُّ عاصمة لمملكتهم. وهُجرت المنطقة فيما بعد عندما جفت تلك الآبار بعد استمراره مأهولا لثمانية قرون كما يُرجّح العلماء^(٢). يُورّخ النصّ بما يقرب من مئة عام قبل الميلاد^(٣) إلى حوالي القرن الأول الميلادي استنادا إلى أشكال حروفه في المرحلة المعمارية الثانية من تاريخ قرية الفاو. ويُعدّ أقدم نصّ تظهر فيه اللغة العربيّة أقرب ما تكون إلى العربيّة الفصحى. وهو مكتوب بالخطّ المُسند على شاهد قبر ربييل بن هفعم كما سيظهر في صورته في الصفحات الآتية من البحث^(٤). وتكمن أهميّة تحليله في قدمه لغة وأسلوباً وتأريخاً مما يعطي الباحث تصوّرًا جيدًا عن اللغة العربيّة وقوانينها في أزمنة متقدمة، ويُثري معلومات الباحثين عن التطور اللغويّ التاريخيّ فيها بشكل خاص.

يقرأ البحث النص بمنهج تاريخي وصفي تحليلي ومقارن، ويناقشه على مستويات دراسة اللغة الأربعة الأصوات وبناء الكلمة والنحو والدلالة. فضلاً عن ملاحظات التطور الحاصل في اللغة العربية، وآثار اختلاطها بالعربية الجنوبية، بحكم قرب موقع العثور على النقش من مواطن استعمالها. ويتناول مظاهر الأسلوب التي ظهرت في النصّ. كما اهتم البحث بتعرف معلومات موقعه وبيئته التاريخية واللغوية.

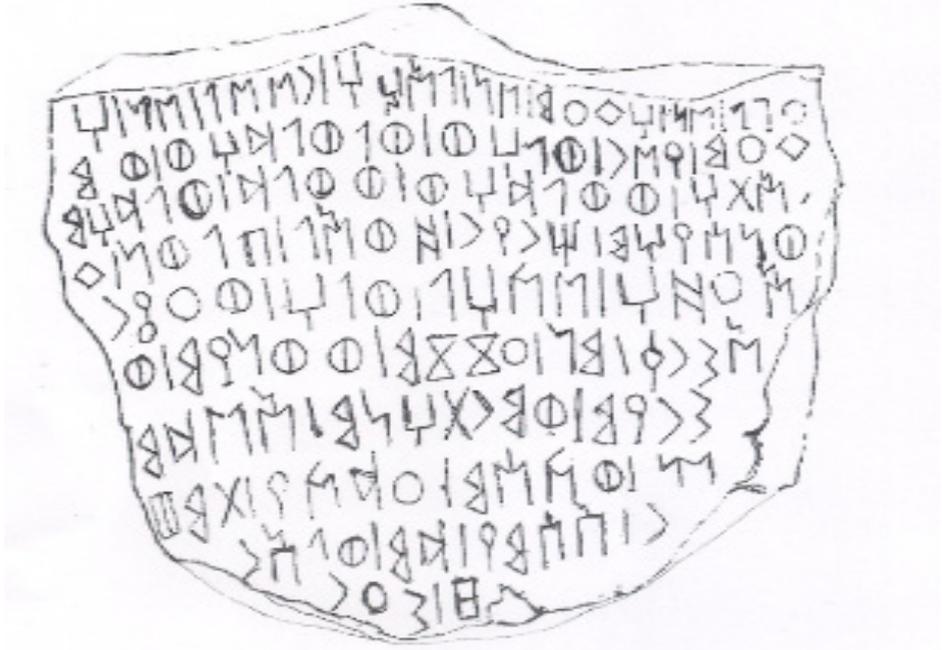
نورد فيما يأتي جدول مقابلات الحروف العربية من رموز الخط المسند زيادةً في التوضيح لقارئ النص، فضلاً عن صورة لشاهد القبر ورسم تفرغي له وفيهما النص المدرّوس. ثم نورد كتابة النص بالمسند، والحروف المقابلة لحروفه بالخط العربي، وقراءته كما تيسرت لنا، بعد قراءات لمتخصصين سابقين.

<i>h</i>	𐤇	هـ	<i>f</i>	𐤆	ف
<i>l</i>	𐤌	ل	'	𐤀	ع
<i>h</i>	𐤇	ح	'	𐤁	أ
<i>m</i>	𐤌	م	<i>d</i>	𐤃	ض
<i>q</i>	𐤒	ق	<i>g</i>	𐤄	ج
<i>w</i>	𐤏	و	<i>d'</i>	𐤃'	د
<i>S²</i>	𐤑	ش	<i>g'</i>	𐤄'	غ
<i>r</i>	𐤓	ر	<i>t</i>	𐤅	ط
<i>b</i>	𐤁	ب	<i>z</i>	𐤆	ز
<i>t</i>	𐤌	ت	<i>d</i>	𐤃	ذ
<i>S²</i>	𐤇	س	<i>y</i>	𐤄	ي
<i>k</i>	𐤊	ك	<i>t'</i>	𐤅'	ث
<i>n</i>	𐤎	ن	<i>s</i>	𐤑	ص
<i>h</i>	𐤇	خ	<i>z</i>	𐤆	ظ
<i>S³</i>	𐤍	س			

(جدول المقابلات العربية للحروف المسندية وحروف الكتابة الصوتية التي تمثلها)



(صورة لشاهد القبر الذي بناه عجل بن هفعم لأخيه وعائلته وتظهر عليه حروف النص المدرس
بالمسند. وهو محفوظ في المتحف الوطني في الرياض في قاعة الممالك العربية)



(رسم تفرغني للنص على حجر شاهد القبر)

قراءات النص ومعانيه:

قرأ هذا النص بعد اكتشافه في السبعينات من القرن الماضي مجموعة من المتخصصين بقراءة النقوش المسندية واللغات العربية الجنوبية، وهم كل من عبد الرحمن الطيب الأنصاري^(٥) وكان هو رئيس البعثة الأثرية لجامعة الرياض، أو جامعة الملك سعود حالياً، وهي البعثة التي اكتشفت النص. والمستشرق بيستون^(٦) أهم مؤلفي المعجم السبئي المحتوي لترجمات المفردات السبئية بعد جمعها إلى العربية والانجليزية والفرنسية. ومُطَهَّر علي الإرياني^(٧) المؤرخ وعالم الآثار اليمني. ويوسف محمد عبد الله^(٨) المؤرخ اليمني. وفي الهامش ومصادر البحث سيشار إلى مواضع نشر هذه القراءات لمن أراد الاستزادة.

- قراءة مُطَّهر الإرياني^(٩) تاليةً زمنياً لقراءة الأنصاري وبيستون كما أثبت هو في بحثه ولكني سأضعها أولاً لأنه وضع النقل الحرفي للنص من حروف المسند إلى الحروف العربية:

١. ع ج ل - ب ن - ه ف ع م - ب ن - ل أ خ ه - ر ب ب ل - ب ن - ه
٢. ف ع م - ق ب ر - و ل ه و - و ل و ل د ه و - و م
٣. رأ ت ه - و و ل د ه و - و و ل د - و ل د ه م
٤. و ن س ي ه م - ح ر ي ر - ذ و أ ل - غ ل و ن - ف
٥. أ ع ذ ه - ب ك ه ل - و ل ه - و ع ث ر
٦. أ ش ر ق - م ن - ع ز ز م - و و ن ي م - و
٧. ش ر ي م - و م ر ت ه ن م - أ ب د م
٨. ب ن - و ك س م - ع د ك ي - ت م ط
٩. رأس م ي - د م - و ل أ ر
١٠. ض - ش ع ر

١. عجل بن هف عم بنى لأخيه ربييل بن
٢. هف عم قبر وهو له ولأولاده
٣. ومراته وأولادها وأحفادهم - جميعاً -
٤. ونسائهم الحرائر من آل غلوان

- ٥ . فأعاده بكهل ولاه وعثر
- ٦ . الشارق من كل قوي وضعيف
- ٧ . وشار ومرتهن أبدا
- ٨ . ومن كل منتقص إلى أن تمطر
- ٩ . السماء دما والأرض
- ١٠ . سعيرا

– قرأ عبد الرحمن الطيّب الأنصاري وفهم النصّ كما يأتي (وهي أول قراءة):^(١٠)

- ١ . عجل بن هفعم بنى لأخيه رب إل بن
- ٢ . هفعم قبرا، وله ولولده
- ٣ . ومرأته وأحفاده وأحفاد أحفاده
- ٤ . ونسائهم الحرائر من آل غلوان
- ٥ . فأعاده بكهل ولاه وعثر–
- ٦ . أشرق من كل ضيق ووني
- ٧ . وشر وزوجاتهم أبدا
- ٨ . من كل خسارة وإلا فلتمطر
- ٩ . السماء دما والأرض
- ١٠ . سعيرا

– وقراً المستشرق بيستون النص وعلق عليه كالآتي^(١١):

- 1 'gl/bn/hf'm/bn/l'hh/rbbl/bn/h
- 2 f'm/qbr/wlh/w/wldhw/wm
- 3 r'th/wldhw/wld/wldhm
- 4 wns'yhm/hryr/dw'l/qlwn/f
- 5 'dh/bkhl/wlh/w'tr
- 6 's²rq/mn/'zzm/wwnym/w
- 7 s²rym/wmrthnm/'b²dm
- 8 bn/wks'm/'dky/tm
- 9 r/'s¹my/dm/wl'r
- 10 d/s²'r

The rendering I propose (differing in some particulars from that of al-Ansary) is:

'Igl bin Haf'am constructed for his brother Rabībil bin Haf'am the tomb: both for himself and for his child and his wife, and his children and their children's children and womenfolk, free members of the folk Ghalwān. And he has placed it under the protection of Kāhil and Lāh and 'Aththar al-Shāriq from anyone strong or weak, and anyone who would attempt to sell or put (it) in pledge, for all time without any derogation, so long as the sky produces rain or the earth herbage'.

– وقد قمت بنقل قراءة بيستون للحرف العربي كالآتي:

١. عجل بن هفعم بنى لأخيه ربييل بن ه -
٢. فعم قبر وله ولولده وم -
٣. رأته وولده وولد ولدهم
٤. ونسائهم حرائر ذو آل غلوان ف
٥. أعاده بكاهل ولاه وعثر
٦. الشارق من عزيز (م) ووني (م)
٧. وشار (م) ومرتهن (م) أبدو (م)

٨. بن وكسم عدكي تمط

٩. ر أسماي ديم ولأرض

١٠. شعير

- وقرأ يوسف محمد عبد الله النص وفهمه كالاتي^(١٢):

١. عجل / بن / هفعم / بن / لأخه / ريبيل / بن / ه

٢. فعم / قبر / وهو / ولولدهو / وم

٣. رأته / وولدهو / وولد / ولدهم

٤. ونسيهم / حرير / ذو ال / غلون / ف

٥. أعذه / بكهل / وله / وعثر

٦. أشرق / من / عززم / وونيم / و

٧. شريم / ومرتهم / أبدم

٨. بن / وكسم / عدكي / تمط

٩. ر / أسمي / دم / ولأر

١٠. ض / سعر

ثم قال «وإذا ما نقل النص الى العربية المحضة فإنه يقرأ هكذا:

عجل بن هوف عم بني لأخيه ريبيل بن هوف عم قبرا و (هو) له ولولده وامراته وولده وولد ولدهم ونسائهم الحرائر من آل غلون. فأعاده (أي القبر) بكهل وواه وعثر الشرق من كل عزيز (قوي) ووان (ضعيف) وشار (أي مشتر) ومرتمن (أي راهن) أبد ما بني واكس (و) عدة ما تمطر السماء ديما و(تنبت) الأرض شعيرا. (محاولة جديدة لقراءة النقش)... وقد اطلعت مرة على قراءة

أخرى لألفرد بيستون». (١٣) وإطلاعه الذي أشار إليه يدل على تأثره بشيء من قراءته للنص.

وقراءتنا للنص كالاتي:

(أولا الكتابة المسندية كما ظهرت في النقش وهو من عشرة سطور ثم الحروف العربية المقابلة ثم معناها):

١ - ١٦٠ | ١٦١ | ١٦٢ | ١٦٣ | ١٦٤ | ١٦٥ | ١٦٦ | ١٦٧ | ١٦٨ | ١٦٩ | ١٧٠

ع ج ل / ب ن ه ف ع م / ب ن ل أخ ه / رب ب ل / ب ن ه
عجل بن هفعم بنى لأخيه ريبيل بن

٢ - ١٧١ | ١٧٢ | ١٧٣ | ١٧٤ | ١٧٥ | ١٧٦ | ١٧٧ | ١٧٨ | ١٧٩ | ١٨٠

ف ع م / ق ب ر / و ل ه و / ل و ل د ه و / و م
هفعم قبرا وله ولوالده وم

٣ - ١٨١ | ١٨٢ | ١٨٣ | ١٨٤ | ١٨٥ | ١٨٦ | ١٨٧ | ١٨٨ | ١٨٩ | ١٩٠

ر أ ت ه / و ل د ه و / و ل د / و ل د ه م
وامراته وولده وولد ولديهم

٤ - ١٩١ | ١٩٢ | ١٩٣ | ١٩٤ | ١٩٥ | ١٩٦ | ١٩٧ | ١٩٨ | ١٩٩ | ٢٠٠

و ن س ئ ه م / ح ر ئ ر / ذ و أ ل / غ ل و ن / ف
ونسائهم حرائر ذوي آل غيلان ف

٥ - ٢٠١ | ٢٠٢ | ٢٠٣ | ٢٠٤ | ٢٠٥ | ٢٠٦ | ٢٠٧ | ٢٠٨ | ٢٠٩ | ٢١٠

أ ع ذ ه / ب ك ه ل / و ل ه / و ع ث ر السطر ٥
(فأعاده) بكهل (الإله القمر) والله وعثر (الإله عثر أو عشتار أي نجمة الصباح)

٦- 𐤀𐤃𐤉𐤕𐤐𐤃𐤃𐤁𐤀𐤃𐤃𐤁𐤀𐤃𐤃𐤁

أش ر ق / م ن / ع ز م / و ن ي م / و
أشرق، من عزيزٍ (متجبر) وويّ (ضعيف فاتر) و

٧- 𐤃𐤃𐤁𐤀𐤃𐤃𐤁𐤀𐤃𐤃𐤁

ش ر ي م / م ر ت ه ن م / أ ب د م
شريّ (مهين) ومُرتهن (آسر) أبداً

٨- 𐤀𐤃𐤉𐤕𐤐𐤃𐤃𐤁𐤀𐤃𐤃𐤁

ب ن / و ك س م / ع د ك ي / ت م ط
من وكس (ظلمة) حتى (أن) تُمطر

٩- 𐤀𐤃𐤉𐤕𐤐𐤃𐤃𐤁𐤀𐤃𐤃𐤁

ر / أ س م ي / د م / و ل أ ر
السماء دما والأرض

١٠- 𐤀𐤃𐤉𐤕𐤐𐤃𐤃𐤁𐤀𐤃𐤃𐤁

ض / ش ع ر
سعيّرا

اختلافات وملاحظات في قراءة ومعاني النص:

الأصوات التي ظهرت مكتوبة في النص استعملت للتعبير عنها كل الحروف في الكتابة العربية الجنوبية بالخط المسند عدا ثلاثة أحرف لم تظهر في النص، والحروف التي ظهرت فيه هي:

ع ج ل ب ن ه ف م ء خ ر ت ي ق د ح ذ غ ك ث ش ز ض ط س

𐤀𐤃𐤉𐤕𐤐𐤃𐤃𐤁𐤀𐤃𐤃𐤁

ولم تظهر الصاد والظاء ڤ ڤ كما أنه من الملاحظ أن السامخ ڤ لم يظهر في كتابة النص أيضا، وهو من أصوات العربية الجنوبية وليس من حروف العربية الشمالية والفصحى. وظهرت حروف العربية الأخرى كافة عدا أصوات المد التي لم تكن معروفة في الكتابة قديما. مع أن الهاء الضمير كما في (ولدهو) ظهرت بعدها الواو وهي مدّية. وقد ذكر علماء النقوش مثل غويدي أن الواو المدّية تبقى مع الضمير، وأن الواو والياء المدّية تظهران نادرا في الكتابات العربية الجنوبية^(١٤).

وبشكل عام تتضح في كتابة النص الذي درسناه ملامح الكتابات السامية المتقدمة بسمة افتقاد الحركات بنوعيهما القصير والطويل^(١٥) فلا فرق بين كتابة (بن) و(بنى)، ولا توجد ياء في كلمة (أخيه) بعد حرف الجر لأنها ياء مدّية.

ومن الأصوات التي يجب الوقوف عندها صوت (الجيم)، فلا يتبين من النص كيف كانت تلفظ. فالمعروف أن العربية الشمالية تحولت عن الجيم السامية التي تلفظ /g/ إلى لفظ الجيم العربية المعروف /j/. وقد اختار بيستون أن تكون كاللفظ السامي كما يظهر من كتابته الصوتية للنص التي أوردناها في صفحة سابقة وبها كتب اسم عجل. ولم يُشر إلى ذلك الأنصاري والإرياني. ربما على أساس إنه تحصيل حاصل أن تكون ملفوظة كالعربية الجنوبية /g/ لأن الكاتب التزم لفظا آخر عربيا جنوبيا في كتابته هو التميميم وليس التنوين. ولكن هذا لا يمنع أن يكون اللفظ قد تحوّل في زمن كتابة النص وأنه كان يلفظ جيما عربية.

ولعل من المهم الإشارة إلى أن التميميم والتنوين افترقا في الكتابة، ويرى كارل بروكلمان أن التميميم أقدم وأن أصله (ما) مختصرة مثل (شيء ما) ثم تحول في الشمال إلى نون^(١٦). في حين الراجح في نظرنا أنهما كانا واحدا، وأصلهما غنة

-في رأينا- ثم تحولت في الكتابة والنطق إلى ميم عند بعض الساميين ونون عند بعضهم الآخر، إذ الجامع بين صوتي الميم والنون هو الغنة. والغنة صوت أنفي لعل الكتابة وجدوا أن أقرب ما يمثلها هو الميم أو النون في الكتابة، ولم يوضع حرف خاص بها لأنها لا يُتبدأ الكلام ولا الكلمة بها، فهي في ذلك كالحركات التي لم توضع لها رموز إذ لا يبتدئ بها المتكلم. وقد درجوا في وضع حروف الكتابة القدمى على أن يكون الحرف هو أول الكلمة التي تبدأ بالصوت المراد تمثيله برمز هو صورة للشيء الذي تمثله. فعُوّضت الغنة بالميم والنون. وما زالت هذه الغنة تُسمع قريبة من النون في مواضع التنوين وغير مواضع التنوين في نهايات كلمات كثيرة عند أهالي تعز مثلا من أحفاد السبئيين، وتوحي بنوع من الترتُّم في الكلام عند مخاطبة الأثنى، فيُقال لها (انتين) بمعنى أنتِ بالكسر. والغريب أن هذه النون أو التنوين كانت معروفة قديما إذ يدخل التنوين عند السبئيين حتى على الفعل للغائبة في اللهجة السبئية القدمى. نقل غويدي أنهم يقولون للغائبة تقتل بالضم، وتقتل بنون بعد الضم.^(١٧) كما أن التميمم والتنوين قد يكونان تطورا صوتيا عن الغنة التي استقرت تميمًا عند بعض الساميين واستقرت تنوينًا أو تحولت من التميمم إلى التنوين عند العرب الشماليين. والملاحظ أن التنوين ظهر في الكتابة المسندية في قرية الفاو نفسها في نقوش أكثر حداثة من نقش عجل بن هفعم.

ولا بد من الإشارة أيضا الى تشابه ملفت في قواعد الإملاء بين الكتابة المسندية والعربية مما يدل على تأثر الكاتب الأول باستعمال الحرف العربي بالانتقال من كتابة العربية بالمسند الى كتابتها بالخط العربي الذي وصل إلينا ونستعمله اليوم والذي تميل اغلب النظريات إلى أنه مأخوذ من الخط النبطي. ومن ذلك مثلاً أن الهمزة في بداية الكلمة إذا نطقت تُكتب ألفا بغض النظر عن حركتها مفتوحة كانت أو مضمومة أو مكسورة. وفي داخل الكلمة وآخرها

تُكتب ياء، وهذا لا يلتزمه الإملاء العربيّ لكنّه كثير، ولا سيما في أواسط الكلمات. أو تكتب إذا كانت مفتوحةً ألفاً في وسط الكلمة مثل (ومرأته). ولعل قاعدة الحركة الأقوى كانت تتبع أيضاً في الهمزات المتوسطة.

والتالي سيكون مقابلةً بين مجموعة القراءات المعروفة للنص من خلال الاطلاع عليها في مواضع نشرها التي يوثقها ثبت المصادر في آخر البحث.

١- ع ج ل 17٥

ذكر الإرياني أن (عجل) اسم عربي مذكر معروف في التراث العربي، لكنه لم يره في نقوش المسند إلا في نصّ واحد هو (CIH445)^(١٨) وقد جاء على شكل عجلم (ع ج ل م) (17٥) وهذه إشارة من الإرياني الى تأييد أوّل لعربية شمالية في النص أثناء تحليله.

وذكر بيستون أن الفعل لا يأتي في مُستهلّ النقوش العربيّة الجنوبيّة البتة^(١٩)، فقد وافق هذا النص تلك القاعدة في أنّه استُهلّ بالاسم. والغالب أن الجيم^(٢٠) في هذا النص تلفظ عربية /j/ وليس كما وضعها بيستون في قراءته /g/ المذكورة في أوائل صفحات هذا البحث.

٢- ب ن ٤٧

بمعنى (ابن) ولم تُكتب همزة الوصل كالمعتاد في الكتابة العربية بين علمين. وقد تكرر عدم كتابة همزة الوصل مرات في النص مثل (بن) و(مرأته)، فهذه الكلمات ظهرت في الكتابات العربية بالطريقة نفسها التي نجدها في هذا النص خالية من همزات الوصل في مقدماتها.

كما نلاحظ أن كتابة (بن) تشابه كتابة (بنى) التالية مما يدل على اعتماد القارئ والكاتب على السياق لفهم النص.

٣- ه ف ع م ٥٥٤

يرى مُطَهَّر الإرياني أن هذا الاسم هو في الواقع (هُف عم). وهو علم منذر مركب منحوت من (هوفى) بمعنى سلّم وحفظ. و(عم) وهو اسم إله من آلهة اليمن القديمة، وكان كما ذكر الإرياني الإله الأكبر عند التكتل الحميري، حتى أن الحميريين كانوا يعرفون باسم (أولاد عم). والأسماء المركبة المنحوتة على هذا النحو معروفة كثيرا في نقوش المسند، كما يذكر الإرياني^(٢١). وجدير بالذكر أن البحث الموسوم بأسماء أعلام جنوبية عربية قديمة، لسالم بن طيران، ذكر الاسم على أنه معروف في النقوش السبئية والقبتانية بصيغة (ه و ف ع م). وأنه مركب يتألف من الفعل الماضي في الصيغة المزيدة بالهاء (ه و ف) والفاعل (اسم المعبود عم) ومعناه (عم أعطى أو منح السلامة أو حمى ونجى)^(٢٢). و(عم) هو اسم المعبود القمر الذي شاعت عبادته في الشرق الأوسط بأسماء مختلفة. وكان إله دولة قبتان الرئيس. وكانت قبائل حمير تتبع الدولة القبتانية وأراضيها داخلية بضمن أراضي دولة قبتان، لذا فقد أطلق السبئيون عليهم إبان الصراع معهم اسم أولاد عم. وهو النعت المعروف في النقوش للقتبانيين.

وقد ذكر جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام هوف عم (هوفعم) ملكًا للقتبانيين أكثر من مرة بتقديرات تواريخ قرون مختلفة قبل الميلاد اعتمادا على بحوث الآثاريين الألمان^(٢٣).

صوت الهاء في (هفعم) قد لا يكون حرفا مزيدًا على أصول أو جذر الكلمة الثلاثي في الفعل (هوفى)، لأن القبتانيين الذين كان معبودهم الأهم هو

(عم) والذين سمّوا بأبناء عم، والذين ظهر عندهم الاسم ليسوا من أصحاب اللهجة التي اشتهرت باستعمال الهاء في أوّل الفعل المزيد بحرف في أوّله، إنّما كانت لهجتهم من اللهجات التي استعملت السين في أوّل الفعل بدلاً من الهاء التي ظهرت عند السبئيين. حيث اشتهرت في المناطق الجنوبية من جزيرة العرب لهجتان إحداهما «لهجة السين وهي لهجة معين وحضرموت وقتبان. وسميت بذلك لكثرة ورود حرف السين في أوائل الأفعال وضمير الغائب ومن ذلك سكير: كبرّ أي اختار كبيراً. سعذب: عذب ومعناها رّم وأصلح، مقمّس: مقامه» واللهجة الأخرى «لهجة الهاء وهي لهجة سبأ. وسميت بلهجة الهاء لورود حرف الهاء محل السين أوّل الفعل مثل: هقنى: أعطى وهوفى: أوفى»^(٢٤) قال أغناطيوس غويدي في كتابه المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية^(٢٥):

«والفعل المزيد ينقسم الى ثلاثة أقسام، والقسم الأوّل ما يلحق أوّل الفعل الأصلي حرف ʕ في السبئي وحرف ʕ في المعيني ومثله في القتباني والحضرمي. ويقابل هذا في العربي أفعال ومثاله ʕʕʕʕ أو ʕʕʕʕ أحدث والأصلي ʕʕʕʕ» وعلى هذا يجب أن تُبدل الهاء سيناً في أوّل الفعل بحسب لهجتهم وإلاّ لخولفت قاعدتهم.

وقد ورد اسم العلم هفعم في نقش آخر من (قريّة) وتاريخه متأخر بنحو ثلاثمئة عام أو أكثر عن نقش (عجل بن هفعم) وفيه نص شاهد قبر ملك (قحطان) و(مذحج) (معاوية بن ربيعة). ونصه كالآتي^(٢٦):

١- قبر معاوية بن ربيعة من آل..

٢- القحطاني ملك قحطان ومذحج بنى عليه

٣- عبده هفعم بن برّان من آل..

والاسم من الأسماء التي تناقلتها المنطقة عبر تاريخها كما حدث مع أسماء كثيرة مثل (سعد) الذي ظهر على مقبرة أخرى في (قرية)، و(زكي) الذي ظهر على لوحة أثرية فيها. لأن الأسماء تُتناقل كما هي غالباً عبر التاريخ. وإن كان تركيب الاسم تركيباً مزجياً وليس إسنادياً من الفعل (هوفى) أي (أوفى) والفاعل (عم) ينفي التنوين.

٤- ب ن ٤٧

تُقرأ بنى. يعلق الإرياني على هذا الفعل الذي كُتب بحرفين فقط هما الباء والنون كما أسلفنا بقوله: «بنى من البناء والتشديد. وهي هنا مكتوبة بطريقة غريبة فهي واردة كثيراً في نقوش المسند ولكن دائماً بإثبات الياء في آخرها، أي في (بنى)، ولا ندري إن كانت الياء فيها عند النطق تُلفظ ياء محركة أم تُلفظ ألفاً مقصورة كما هي في لغتنا، أما سبب حذفها في هذا النقش فغير مفهوم»^(٢٧). وقد سبقه غويدي في (المختصر) إلى هذا بالملاحظة نفسها عن كتابة (بنى) التي نادراً ما تظهر في النقوش المسندية بلا ياء^(٢٨).

وهذا يقودنا إلى ملاحظة كامل النص فيما يخص الألف التي ثبتت في الكتابات السامية غير المقطعية أنها لا تُكتب بشكل عام فها هنا أيضاً كُتبت (بنى) بحسب آخر لفظها خالية من الألف مكتوبة مع كونها ملفوظة. فالكاتب مشى فيها على قاعدة حذف الألف.

٥- ل أ خ هـ ٤٤١١

كما أن الألف لا تظهر بوصفها صوت مد أو حركة طويلة فإن باقي الحركات الطويلة والقصيرة لم تظهر في كتابة النصّ المسندية إلا في مواضع لها أهداف دلالية كما يبدو، فلم تظهر الياء المدية في كتابة (لأخيه)، وظهرت

الكلمة خالية من الياء وهذا من قوانين الكتابات السامية القديمة غير المقطعية بشكل عام، فلا تظهر الحركات بنوعيتها غالبًا.

نلاحظ ظهور حرف الجر اللام داخلًا على اسم من الأسماء الخمسة مضافا إلى الضمير الهاء. وعلى الرغم من ظهور الضمير نفسه الهاء ملحقا بواو في مواضع أخرى من النص إلا أنه هنا لم يُلحق بتلك الواو. وهذه الظاهرة -أي ظاهرة إلحاق الضمير بالواو، أي إشباع ضم الضمير- هي ظاهرة عامة في الكتابة المسندية. وقد أشار الإرياني إلى أنّ عدم إلحاق هذا الضمير بالواو نفسها يكون من خصوصيات هذا النقش. وأتة يُحتمل فيه أن تكون الهاء قد جُرّت (أي كُسرت) بالإتباع، ويريد متابعة صوتية لياء الجر السابقة في (أخيه). وقال «فضمير المفرد الغائب المذكّر والمؤنث هو في الغالب مضموم في نقوش المسند، وهم يشبعون هذه الضمة الى واو، فكان المتوقع أن تكتب هذه العبارة هكذا (لأخهو)»^(٢٩)

وأرى أن سبب عدم ظهور الواو بعد الضمير هو إرادة الإشارة إلى عدم اتصال الكلام التالي بالكلمة المضافة إلى الهاء من الكاتب في هذا الموضع، وباقي المواضع التي ظهر فيها الضمير غير ملحق بتلك الواو. في حين ظهرت الواو لاحقة للضمير في أحوال استمرار الكلام، ولا سيما مواضع العطف، إذ كان ظهور هذه الواو بعد الضمير إشارة إلى تعاطف أو اتصال ما قبلها بما بعدها، وسنشير إلى ذلك في مواضعه التالية بالتفصيل.

٦- ر ب ل (1111)

كُتِب اسم العلم هذا براء وبائين ثم لام، وهو موجود في نقوش أخرى بدون إضافة اللام في آخره قرأه أغناطيوس غويدي (ريبب) في نص نقله وترجمه^(٣٠). وقد قرأه عبد الرحمن الأنصاري (رب إل) في حين قرأه بيستون (ريبيل)، وقرأه

الإرياني (ريبييل) بهمزة محذوفة بلا تعويض من (إل)، وهو اسم ذات لمطلق الآلهة وقد سهّلت همزته كما عرّفه في بحثه^(٣١). وكذلك قال أحمد حسين شرف الدين: «(إل) الإله ويجمع على (أهت) و (الألت)، وتأتي بعد الاسم مثل: يشرح إل: ناصر الإله، يهحمد إل: حامد الإله»^(٣٢). ويُذكر أنّه جاء في لسان العرب من معاني رب: المقرب^(٣٣). ونرجّح أن تكون قراءته (ريبييل) لأنّها لو كانت بهمزة كما قرأ الأنصاري لظهرت على شكل ياء كما بدت في كلمة (حرائر، سماء، نسائهم) ولكنّ هذه الياء لم تظهر، إنّما ظهرت باء مكررة، فتكون ياء مد بين البائين. وليس من المعتاد كما جاء في كتاب قواعد النقوش العربية الجنوبية في المسند التكرار بلا فصل بين الصوتين. وجاء فيه: «لا نعرف شواهد على توالي صامتين من جنس واحد في السبئية، ولا في غيرها من النقوش الصيهدية، ما خلا حفنة من الأفعال في المعينية»^(٣٤). ورجّحنا تخفيف الهمز بالتحول إلى الياء المدية مجانسة أو إطالة لكسرتها وليس إسقاطها نهائياً قياساً على جبريل و خليل التي هي (خِل إل) كما سيأتي في نصوص قادمة في البحث. والاسم (ريبييل) ممنوع من الصرف للعلمية مجموعاً إليها العجمة أو التركيب، ولذلك لم يظهر التميميم لاحقاً له مقابل التنوين في هذا النصّ العربي.

٧- ب ن ه ف ع م 𐩧𐩣𐩠𐩢

كُرّر ذكر اسم الأب مع إمكانية التخلي عنه مما يؤكّد أهميته. وهي من سمات الشخصية العربية، ومن أساليب اللغة العربية الفصحى تؤكد بنوة الأبناء للأباء باعتزاز باستعمال كلمة ابن.

فلا معنى لإعادتها. كما أن تقدم هذه الكلمة يدل على أهمية المذكور كالأب. الاحتمال الآخر وهو أن تكون (ولوالديه) أبعد لأن الياء غير المدية تكتب عادة ولم تظهر الياء في هذه الكلمة، وهي ياء غير مدية لسبقها بفتحة الدال. والتي تسقط من الكتابة هي الياء المدية مثل ياء (أخيه) كما أسلفنا. ويبعد أن تكون بالرفع (ولوالده) مع سقوط الألفين الأولى بعد الواو والثانية بعد الدال لتوقع التزام الجر باللام. ويجب أن يكون المعنى منطقياً أنه يبني القبر لوالديه أو لوالده أيضاً إلا في حال الوفاة في وقت سابق لبناء هذا القبر العائلي.

١١- وم رأ ت ه 𐤅𐤁𐤏𐤃𐤁

الهمزة المفتوحة ظهرت على شكل (h) كما في كلمة (لأخيه) وكلمة (ومرأته) و(أبدا). كما أن همزات الوصل لا تظهر في النص، مثل: الهمزة في مقدمة امرأة (ومرأته). نقل ابن منظور في معجمه قول (ابن الأنباري: الألف في امرأة وامرئٍ أَلْفٌ وَصَلٌ. قَالَ: وَلِلْعَرَبِ فِي الْمَرْأَةِ ثَلَاثُ لَعَاتٍ، يُقَالُ: هِيَ امْرَأَتُهُ وَهِيَ مَرَأَتُهُ وَهِيَ مَرَّتُهُ)^(٣٦). ولا نرجح ان تكون الكلمة باللفظ (مَرَأَتُهُ) على الرغم من تشابه الحروف في الكتابة، إنما هي اللفظة الأولى (امرأته) مع سقوط همزة الوصل كاللفظ العربي الشائع.

الملاحظة الأخرى في هذه الكلمة من النص هي أن الضمير الهاء لم يأت ملحوقاً بالضممة المشبعة، فلم تُكتب الواو بعدها. ذكر الإرياني أن «ضمير المفرد الغائب للمذكر والمؤنث هو في الغالب مضموم في نقوش المسند وهم يشبعون الضمة إلى واو»^(٣٧) أشار إلى ذلك في مصاف حديثه عن كلمة (لأخيه) الواردة آنفاً، إذ رأى أن المعتاد أن تكتب (لأخهو) في النقوش المسندية كما أسلفنا. ثم قال في حديثه عن (وامرأته) التي لم يظهر الضمير فيها متبوعاً بالواو «ولا يعرف ما هي القاعدة التي يتبعها النقش في هذا الصدد»^(٣٨).

ونرى رأيا في هذا الموضوع نرجو أن يكون سديدا فالقاعدة كما يبدو هي أن الكاتب إذا أراد أن يشير إلى أن الكلمة اللاحقة لا تختص أو تتبع السابقة لم يصف الواو الى الهاء على الكلمة الأولى منهما المتصلة بالضمير. وإذا أراد الإشارة إلى تتابع كلمات يتصل بعضها ببعض الآخر بالفكرة بما يجمعها وَضَعَ الواو بعد الضمير كما نلاحظ في باقي كلمات النص المتصلة بالضمير الهاء. ففي كلمة (أخيه) لا تظهر الواو مع الهاء لأن الكاتب لا يريد أن يشير الى اشتراك أو عطف هنا، فالأخ هو (ريبييل) نفسه. وفي (وامراته) التي هي موضوع حديثنا هنا تلي هذه الكلمة كلمة معطوفة هي (وولدهو)، فما أراد الكاتب هو الإشارة إلى أن هذه الكلمة التي تخلو من الحركات الطويلة في داخلها يجب ألا تقرأ (وولدها) كما قرأها الإرياني! فوقفه على الضمير الهاء في (امراته) وانعدام الواو، أو الضمة المشبعة الطويلة بعد الضمير الهاء، فيه دلالة على أن المعطوف التالي لا علاقة له بامراته، إنما هو معطوف، أو متصل بما سبقها، وهو (عجل بن هفعم). فهو ولده على الرغم من وجود واو العطف بين الكلمتين (وامراته) و(ولدهو) إذ لا تسعف الحروف المذكورة من الكلمة في التمييز بين ولده وولدها، فقد اعتيد حذف الألف كما اعتيد أن تكون الهاء المتبوعة بالواو للمذكر والمؤنث في الخط المسندي كما ذكرنا سابقا عن الإرياني. في حين جاءت الكلمات المعطوفة (وهو) (ولوالدهو) (وولدهو) دالة على أن الكلمة التي جاءت بعد كل منها مشتركة معها بالفكرة الجامعة لكل من المعطوفين واستمرار الاشتراك.

١٢- و و ل د ه و 111111

ظهرت هذه الكلمة كما ذكرنا بشكل (وولدهو) منتهية بالواو بعد الضمير، مما يدل على أن تاليها سيكون مرتبطا بها. وبالإمكان قراءتها بأشكال مختلفة بحسب الضمير كما ذكرنا في السطور السابقة أي: (وولده) أو (وولدها)، كما

يمكن قراءتها بحسب الحركات الداخلية (وَوَلَدَهُ) بالإنفراد أو (وَوَلَدَهُ) بالجمع. ونرجح الجمع لشموله ذريته بإضافته إلى ما يليه من كلمات.

١٣- وول د 100

هذه الكلمة تُقرأ أيضاً بالإنفراد أي (وَوَلَد) وبالجمع (وَوَلَد) والأرجح أنها بالجمع. ويلاحظ أنها تشترك مع الكلمة السابقة في أن القبر سيكون لهم أيضاً فأشبعت ضمة الضمير في السابقة كما فصلنا.

١٤- و ل د ه م 104

تُقرأ بالإنفراد أيضاً، أي (وَلَدَهُم) وبالجمع (وَلَدَهُم)، والأرجح أنها بالجمع. فكلمة (ونسائهم) ليست معطوفة على ولده خاصة إنما هي تشير إلى نساء هذه العائلة وليس نساء ولده. لقد ظهرت كلمة (ولدهم) هذه عند الأنصاري وبيستون والإرياني ويوسف جميعهم ملحقة بميم الجمع، وقد زاد الإرياني أن يشير إلى أن نهاية الكلمة هذه أي الهاء والميم هي ضمير الجمع للغائبين ذكورا وإناثاً^(٣٩).

١٥- و ن س ي ه م 104

وتقرأ (ونسائهم) وليس (ونسايهم) أي أن الهمزات محققة في النص عندما أشير إليها بالحرفين الألف والياء، فهي مواضع همز في كلّ النصّ أينما وردت. ولم ترد بنطق الياء المدية إلا في مواضع التشديد كما سيأتي. إذا كانت همزة مفتوحة في مقدمة الكلمة أشير إليها بألف (h) وإذا كانت في وسطها أو آخرها أشير إليها بالياء (y) عند مناسبة الكسرة أو قوتها، أو بألف أيضاً عند مناسبة الفتحة. والنص يحقق الهمز ولا يخفّفه إلى صوت العلة المجانس للحركة القصيرة في الموقع كما قد يتخيل في كلمة (ونسائهم) فتقرأ (ونسايهم) بسبب وجود الياء،

فليس كذلك، والدليل أن الهمزات المفتوحة محققة حيث جاءت مثل ولأخيه ومرأته وأشرق وأعاده وأبد وأرض.

١٦- ح ر ي ر ١١١١

وتُقرأ (حرائر)، إذ الهمزة غير مخففة الى ياء على الرغم من استعمال الياء لكتابتها. وكتابة الهمزة على شكل ياء أو على شكل ألف يثير فكرة التوافق الإملائي وأصوله المشتركة الكثيرة بين أسلوب المسند والخط العربي فيما بعد. ونلاحظ هنا التأكيد على أن اللواتي سيدفنّ في هذه المقبرة هنّ الحرائر لا الإماء من نسائهم. وقال الإريانيّ إنّ المقصود بالنساء الزوجات^(٤٠). وأرى أنّ كلّ نسائهم أخوات وبنات وزوجات، لأن اللفظ عام ولم يخصص، و(الحرائر) تشملهنّ وإن لم يكنّ زوجات. وقد قرأ الأنصاريّ الكلمة مُعرّفةً على أنّها صفة نساء (ونسائهم الحرائر). ولا يبدو أنّها مُعرّفة بنفسها فلا نوردّها بتحليلتها بأل كما أوردّها، إنّما عُرفت بالإضافة إلى ما بعدها من المعارف فتبقى بلا أل.

١٧- ذ و أ ل 1111

على الرغم من كون (ذو) كلمة و(آل) كلمة أخرى لكنهما آتيتا في النص على شكل كلمة واحدة منفصلة بعمودين من أعمدة المسند عما قبلها وبعدها، مما يدل على أنّها تحولت الى تعبير بديل للكلمتين، أو أن (ذو) في ذائقتهم اللغوية قطعة من الكلمة التي تدخل عليها. والمراد بها (ذو) ونحوه؛ «وَمِنْهُ قَوْلُ الْكُمَيْتِ:

إِلَيْكُمْ، ذَوِي آلِ النَّبِيِّ، تَطَلَّعَتْ... نَوَازِعُ، مِنْ قَلْبِي، ظِمَاءٌ وَأَلْبُبُ
أَيِّ إِلَيْكُمْ يَا أَصْحَابَ هَذَا الْإِسْمِ، قَالَ: وَقَدْ يُضَافُ الشَّيْءُ إِلَى نَفْسِهِ إِذَا
اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ كَحَبْلِ الْوَرِيدِ وَحَبِّ الْحَصِيدِ»^(٤١)

اما (آل) فقد ظهرت كتابةً على شكل (أل) لأنّ صوت المد الألف غير مكتوب فظهرت الهمزة السابقة له وحدها. وجاء في اللسان حول معناها «آل الرَّجُلِ وَلَدُهُ الَّذِينَ إِلَيْهِ نَسَبُهُمْ، وَمَنْ يُؤْوِيهِ بَيْتُهُ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ مَمْلُوكٍ أَوْ مَوْلى أَوْ أَحَدِ ضَمَمِهِ عِيَالُهُ وَكَانَ هَذَا فِي بَعْضِ قَرَابَتِهِ مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ دُونَ قَرَابَتِهِ مِنْ قَبْلِ أُمِّهِ»^(٤٢) وهذا هو المراد بالكلمة في نص عجل بن هفعم كما يشير إليه السياق.

١٨- غ ل و ن 401π

قرأه جميع من قرأ النص (غلوان). وقد ورد في أكثر من نقش في قرية الفاو، كما وردت صيغة النسبة الى القبيلة: (غ ل و ن ي ن) (49401π) في النقش السبئي (kortler4) من وادي شضيف باليمن. وهو أي (غ ل و ن) في كلّ القراءات للنصّ علم ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون فلا نلاحظ ظهور التمييز عليه كما ظهر على أسماء لاحقة في النص. ولم أجد هذا الاسم (غلوان) بحرف الغين في أوله مستعملا في الكتب العربية التي وصلت إلينا، سواء كتب التاريخ أو كتب اللغة التي احتفظت بأسماء الأعلام القديمة. واستعملوا (علوان) بالعين. وقد عُرفت بعض الساميات مثل العبرية بأنها تبدل الغين عينا. فقد يكون تبادلا قديما بين الصوتين حدث في اسم هذا العلم على بُعد في هذا الاحتمال لتباعد المنطقتين. ويفترض أن ينطق بضم العين في (علوان) مثل (عثمان). ويحتمل ان تكون قراءة الكلمة (غيلان) لانتشار هذا الاسم في تلك الحقبة من التاريخ في المنطقة، فعندما تحدث عبد الحميد حمودة في تاريخ العرب قبل الإسلام عن عرش قتيبان ذكر لنا أسماء ملوكها ومنهم (شهر غيلان) ابن أول ملوك الأسرة الثانية التي حكمت بين ٣٥٠ و ٢٥٠ قبل الميلاد، وأشهر ملوكها (شهر يجيل) الذي حكم حوالي سنة ٣٠٠ قبل الميلاد وأمر ببناء معبد للإله (عم) في مدينة (ذو غيل). وآخر ملوكها حوالي القرن الثاني قبل الميلاد (يدع

أب غيلان^(٤٣). فهكذا نتأمل تكرار الاسم (غيلان) ونلمحه ولا سيما في اسم المدينة (ذو غيل) أيضاً (والغيل الماء بالفتحة أو موضع الأُسُد بالكسرة)^(٤٤). وهو قريب من أسلوب ذكر انتماء الحرائر إذ نسبهم إلى (ذو آل غلون) وقد تكون قراءتها (غيلان) وقد تكون مكسورة فأغفلتها الكتابة لإغفال الكتابات المسندية أحرف المد. ففعل تلك الجهة قبيلة كانت أو موطناً ذات علاقة بهنّ أو بهم جميعاً. ويحتمل أن تكون غيلان بألف مفخمة -أي مقرّبة أو ممالّة إلى الواو كما رأى ابن جنّي-^(٤٥) كُتبت على شكل واو مثلما كُتبت (زكاة وصلاة) في خطوط القرآن الكريم بواو بدلاً من الألف دلالةً على تفخيم تلك الألف في نطق (زكوة) (صلوة)^(٤٦).

١٩- ف أ ع ذ ه

الفاء عاطفة للترتيب. والفعل ظهر في النقش على شكل (فأعذه). ولا يحتمل أن يكون منطوقاً بهذه الطريقة نفسها خلواً من الألف بعد العين لأنّ الضمير للفاعل في الأمر المفرد سيكون موجّهًا لمخاطب ولا مخاطب هنا. كما أنّ غويدي قال «ليس للأمر أثر في النقوش المعروفة الى الآن فصيغته مجهولة»^(٤٧) فيكون الضمير عائداً للقبر، والفاعل هو عجل بن هفعم. وفي اللسان «عود: عَادَ بِهِ يَعُودُ عَوْذًا وَعِيَاذًا وَمَعَاذًا: لَادَ بِهِ وَلَجَأَ إِلَيْهِ وَاعْتَصَمَ»^(٤٨).

٢٠- ب ك ه ل ١٢٦٧



فأعاده بكهل. واسم (كهل) هو علم معبود (قرية)، فدعيت في بعض النقوش التي وجدت في موقعها أحيانا به (قرية كهل)، و(قرية كهل) كما نلاحظ في صورة النقش أعلاه، وقد وجد في منطقة الشمالي غربي حائل شمال غرب السعودية. وقراءة السطر الأول: (هكهل بك هسرور) (١٢٦٧) وترجمته (يا كهل بك السرور) إذ الهاء تؤدي دور أداة التعريف الذي ظهر في كلمة (هسرور) أي السرور. ويبدو أن ها في بداية كهل للنداء أو أن أداة النداء محذوفة كعادتنا في حذفها و(ها) للتعريف فدخل التعريف على اسم هذا المعبود. وكُتِبَ في السطر التالي اسم الكاتب (خِل إل) (١٢٦٧) (خليل بالعربية) ترجمته (خل أو محبوب الإله). وسبقته كلمة (لن) (١٢٦٧) أي (بواسطة). فهذا النص الشمالي ذكر (كهل) فيه مما يدل على وجوده عند العرب الشماليين. وفي مصاف حديثنا عن السرور ومجيئه مع كهل نذكر قول ابن منظور «والكُهْلُولُ:

الضَحَّاكُ»^(٥٠) فعل ذلك من ارتباط الفكرة التي ظهرت في النص نفسها (يا كهل بك السرور).

والملاحظ في نص (عجل بن هفعم) في الاسم (كهل) أن التميميم لم يظهر عليه كما ظهر على أسماء أخرى لاحقة في النص. ولعل الكلمة تلفظ بضم الكاف وفتح الهاء فتكون (كُهل) على وزن (هُبَل) المعدول عن هابل وتكون (كُهل) معدولة عن (كاهل) وتمنع الصرف بحسب قياسات العربية. ولكن جواد علي نقل نصا عدا المذكور آنفا يدعى Jamme635 وجاءت فيه كلمة كهل ملحقة بالتمميم^(٥١). كما ذكر في معرض حديثه عن (ود) معبود العرب الجاهليين «أن من عبدة «ود» بعض تميم، وطيء، والخزرج، وهذيل، ولخم. ويظهر أنه «أدد» عند ثمود. وأدد من الأسماء المعروفة. وقبيلة «مُرة»، نسبة إلى «مُرة بن أدد». وقد عُرف بـ«كهلن»، أي «الكاهل»، «هكهل» «ها - كهل». ويُظن أن الإله «قوس» «قيسو» «قوسو»، هو «ود» أي اسم نعت له. وذهب بعض الباحثين على أن «نسرًا» و«ذا غابة» «ذ غبت» يرمزان إليه^(٥٢). فكهل أو كاهل أو هكهل أي الكاهل هو أدد أو ود. وهو القمر وهو نفسه ذو غيبة لأنه يغيب في طرفي الشهر، من معبودات اللحيانيين الذين قدموا من جنوب الجزيرة الى ددان او ددان في شمالها. ويذكر أنهم كانوا يرمزون لود بحرف الهاء (H) لمشابهته البرق كما قيل وقد كان ود مرتبطا لديهم بطول الأمطار والخصب المرافق لذلك.

وقد قرأها الإيراني (كهل) وذكر أن هذا الإله غير معروف في النقوش الأخرى إلا أنه معروف في آلهة شمال الجزيرة العربية. وقرأها بيستون (كاهل). ولعل مرجع القراءة الأخيرة ما نقل ابن منظور في اللسان «قال الأزهري: سَمِعْتُ عَيْرٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُ فُلَانٌ كَاهِلٌ بَنِي فُلَانٍ أَي مُعْتَمِدُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ وَسَنَدُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ»^(٥٣) فعلى هذا يكون معتمد هؤلاء معبودهم الذي عوِّذ

به (عجل بن هفعم) القبر هو (كاهل) بحسب قراءة بيستون. ولكنّ الكلمة إذا جاءت على هذا الوزن فلا بد لها من أن تكون مصروفة وتظهر عليها العلامة، وليس من سبب لمنعها من الصرف. ومن الجدير بالذكر، ومما يدعم هذه القراءة (بالف بعد الكاف) وجود قرية في نواحي صنعاء في اليمن اليوم تسمى قرية كاهل في مديرية مناخة ولعلها من بقايا التسمية القديمة.

٢١- ول ه ٤١٥

الراجع أنّ هذه الكلمة هي (والله). ولم تظهر في مقدمة الكلمة المكتوبة بخط المسند سوى لام واحدة ثم هاء، فالألف في مقدمة (الله) موصولة لا تُلفظ بسبب وجود واو العطف قبلها، والكتابة المسندية لا تكتب سوى حرف واحد للمكرر المشدّد ولذلك لم تظهر اللام الثانية من (والله)، والألف صوت مد لا يكتب فيها، فلم يبق من الكلمة مكتوبًا سوى اللام والهاء.

قال الإرياني رحمه الله في هذا الموضوع: «ولاه: أي وأعاذه أيضًا بالإله (لاه) وهذا اسم إله جديد لم أقره في أي نقش مما أعرفه. وهنا يحسن إيراد قضية لغوية، فقد تساءل بعض الدارسين عن الأصل اللغوي للفظ الجلالة (الله)، وقد رأى نفر منهم أنه جاء من (إله) التي تعني في النقوش مطلق الربوبية أو السيادة أو الملك»^(٥٤). ثم قال بعد ذلك: «وقد يكون الأصحّ لو أنّهم رأوا أنّه جاء من كلمة (لاه) هذه، ففي هذه الحالة لن يمرّ التدرج اللفظيّ إلا بثلاث مراحل هي:

١- (لاه) مُنكَّرًا.

٢- عُرِفَ بالألف واللام الشَّمسيّة لأنّها داخله على لام فصار (الله) بلام مُضعّفة مُرَقّقة في النطق.

٣- ثم فُحِمَ للتعظيم فصار (الله) والله اعلم»^(٥٥).

فالواضح من نصوص الإرياني أنّه لم ينتبه إلى أنّ الكلمة الموجودة في النص هي (والله) كما شرحنا آنفاً وليست (لاه) مُنكّرة كما ذكر. ولو كانت (لاه) لتوقعنا ظهور التميميم عليها كما ظهر على الأسماء المُنكّرة التالية. وقد قرأ كلٌّ من الأنصاري كما ورد في بداية البحث، ويستون الكلمة على أنّها (لاه) أيضاً. ويرى بيستون أنّ (لاه) هو الإله الذكر للمؤنث المشهور (اللات)^(٥٦). وقد ذكر جواد علي أنّ اللات قد تكون الشمس وأنّ العرب كانوا يدعونها (الإلهة) و(لاهة) بغير ألف ولام. فلو كان كذلك معنى لاه يكون بضمن عبادة العرب الجنوبيين للقمر (كهل) والشمس (لاه) والكلمة التالية في النصّ التي هي النجم (عثر) تكمل هذا الثلاثي^(٥٧). ولكنّ الصحيح على الأرجح أن تُقرأ الكلمة (والله).

٢٢- وعثر 800

قرأها غير واحد من الباحثين بالتشديد (عثر) ومنهم بيستون والإرياني. و(عثر) هو معبود مشهور في حضارات جنوب الجزيرة العربية القديمة باسم (عثر). ولعل هذه التاء التي لم تظهر في الكتابة هي ما دعا الباحثين إلى قراءتها بالتشديد في التاء. ذكر بيستون أنّ «(عثر) هو تعريب اسم المعبود العربيّ الجنوبيّ العظيم (عثر شرقن)»^(٥٨). وهذا الاسم يُعرف ب (عشتار) في بلاد الرافدين عند البابليين و(إينانا) عند السومريين منذ أكثر من ستة آلاف عام. وقد ظهرت على شكل منحوتات تمثلها كإلهة للخصب والتضحية في الحرب، أو على شكل رمز هو النجمة ويمثلها كوكب الزهرة أو ما يدعى بنجمة الصباح، وظهرت باسمها في الكتابات المسمارية. وكان اسمها (عشاروت) عند الأوغاريتيين و(أفروديت) و(فينوس) في حضارات أوروبا القديمة الرومانية واليونانية. و(عشتار) هي ابنة إله القمر (سين). فكذلك في حضارات جنوب الجزيرة العربية كان (عثر) و(عثر) مرتبطين بالظهور صباحاً. فارتبطت كلمة عثر بشرقن، ودُكر كثيراً (عثر شرقن)

وهذه النون هي علامة التعريف. كما ربطوه بنزول المطر. والملاحظ أنّ (عثر) أو (عثر) ذُكر عندهم في حين كان في وادي الرافدين أنثى. ولما لم يكن أنثى على هذا في النصّ الذي ندرسه فما يمنع صرفه هو العلمية ووزن (فعل). وقد ذكر غويدي أنّ المتمكن غير الأمكن كثير في وزن الأفعال مثل «فَعَّلَ ويفعل نحو شَمَّرَ وَيَسْلَمُ»^(٥٩). فعثّر بتشديد الثاء جاء ممنوعاً من التميم. أو هو معدود في الأعلام الأعجمية بحسب القواعد العربية للصرف ومنعه. ويحتمل أن تكون هذه الكلمة (عثر) أعجمية لديهم لوجودها في حضارات أخرى أقدم بكثير بأصوات متغيرة شيئاً ما. حتى أن بعض الباحثين^(٦٠) رأى أن (العزّي) التي كانت من معبودات العرب هي نفسها (عشتار) التي تحوّل اسمها إلى (عثر) جنوباً. وتشديد الزاي من (العزّي) يساند تشديد الثاء من (عثر). على أن المعتاد في المخالفة أي التخلص من تشديد وتكرار الصوت بالساميات أن تُستعمل لها الأحرف الموائع^(٦١) وهي ما بين الرخاوة والشدة عند سيبويه^(٦٢)، والتي يجمعها قولهم (لم يروعنا)^(٦٣)، وليس بينها الثاء ليتحوّل المتكلم من فكّ تضعيف الثاء إلى التاء. ولعلّ ما حدث هو العكس فأدغم المتكلم التاء في الثاء لتقارب المخرجين واعتياد الإبدال فيهما.

٢٣- أش ر ق هـ ذ

قرأها بيستون (الشارق) وأساس القراءة كما يبدو عدّ الهمزة أول لفظ (أل) ولم تظهر اللام لأن الشين شمسيّة فُتشدّد. ولا يكرر الحرف المشدّد في الكتابات المسندية بشكل عام ولا سيّما السبئية. وكذلك يفضل الإرياني قراءتها (الشارق) قال: «وهي القراءة التي أفضلها لأن لدينا من الأسماء الجاهلية (عبد الشارق). والمهم أن اسم الإله (عثر) يأتي في كثير من النقوش موصوفاً بصفة معرفة بأداة التعريف القديمة وهي الألف والنون في آخر الكلمة»^(٦٤). وقال «إنّ أداة التعريف هنا هي أداة التعريف العربية الشمالية وهي: (الألف واللام) في أول الكلمة،

وإنّ نطق الكلمة هو (أشّرق) - بألف مهموز على الفتح والشين مضعفة الفتح أيضاً وراء ساكنة أو (أشارق) بألف مهموز مفتوح، وشين مضعفة على الفتح بعدها ألف، فراء مكسورة»^(٦٥).

وقراها الأنصاري (أشّرق). وهي القراءة الصحيحة على الأرجح لأنّ الكاتب إذا كان قد اتبته في الكلمات الموصولة الهمزة وحذفها كما ذكرنا في (ومراته) وكذلك في الكلمة التي تظهر في أواخر النص (ولأرض) فلا ريب أنه سيحذف همزة (أل) إذا كانت القراءة (الشارق) لأنها لا تلفظ أيضاً. وصيغة أشّرق أي (أفعل) كانت من الصيغ المنتشرة للأعلام في العربيّة الجنوبيّة وقد ذكر ذلك أغناطيوس غويدي حين كان يعدّد أنواع صيغ الأسماء فيها فقال^(٦٦):

«والقسم الثاني يشمل الأسماء التي زيد في أولها أو في آخرها حرف، والمزيد في أوله اما بحرف (ḥ) نحو iqtalun 𐩧𐩣𐩪𐩠 أي إصبغ. أو aqtalu نحو 𐩧𐩣𐩪𐩠 في أوله أي الأشدّ، وهذا كثير في الأعلام (اسم التفضيل)، أو بحرف (š) نحو maqtil أو miqtal 𐩡𐩢𐩪 أي (مغرب).

فاسم هذا المعبود الشهير جاء بطرائق متعددة بحسب المنطقة، وهو إذ جاء عند الجنوبيين بصيغة (عثر شرقن) فقد جاء أيضاً في هذا النص من مركز مملكة كندة المتأثرة بجاراتها الجنوبيات وحضاراتها (عثر أشّرق). ويبدو أن هذه الصيغة جاءت على سبيل التركيب من اسمين أحدهما اسم المعبود والثاني اسم على صيغة أفعل التفضيل يمثل صفة الإشراق الملازمة لهذا النجم وهو كوكب الزهرة أو ما يسمّى أحياناً نجمة الصباح. وعلى حسب تفسير غويدي للاسم (أصنع) المذكور آنفاً بأنه (الأشدّ) يمكن أن نقيسه فيكون تفسير (أشّرق) (الأكثر إشراقاً). ومن نصّه نفهم أنّ من المعتاد أن يكون اسم العلم على صيغة التفضيل. ولم يرفض الإرياني هذه القراءة أي (أشّرق).

٢٤- م ن ٤٩

حرف الجر (من). يذكر الإرياني أن حرف الجرّ هذا كان يرد في نقوش المسند بالباء لا بالميم إلا نادراً، وسبقه غويدي في مختصره إلى هذه الإشارة. فذكر أنّ الحرف (من) لا يأتي إلا في النقوش السبئية الحديثة. ومن الجدير بالذكر أنّ الباحثين قد قرأوا كلمة أخرى تالية في النص على أنّها (بن) بمعنى (من)، ومن الغريب منطقياً أن تُستعمل أكثر من طريقة للكلمة (من) في نص واحد فاللهجات واللغات توحد الاستعمال. ولكن يبدو أنّ موقع (قربة) على طريق القوافل قد سمح لهذا التداخل بالحدوث بين ما استعمل في العربية الفصحى وما كان متداولاً في اللغة العربية الجنوبية. والحرف (من) حديث وقليل الاستعمال في جنوب الجزيرة العربية والأقدم والأكثر استعمال (بن) كما في السبئية^(٦٧).

٢٥- ع ز م ٥٥٥

نلاحظ في الكلمة تكرار الزاي الذي لا يُعدّ في كتابات المسند تكراراً على سبيل التشديد أو التضعيف فلم يُكتب المشدّد إلا على شكل حرف واحد وقليلاً ما كرّر الحرف المشدّد في الكتابة. فنقدّر وجود صوت مدّ محذوف هو الياء بين الزاين. فتكون الكلمة (عزيز) ويُراد بها ذو القوة. وقد شرح الأنصاريّ هذه الكلمة بمعنى: ضيق. وهو غير المعنى المراد بها كما يبدو. ومن واقع ترجمتها بهذا الشكل فقد قرأها (عزّ) بتشديد الزاي. وقد ذكر أغناطيوس غويدي أنّ المشدّد قد جاء في الكتابات المسندية الجنوبية مكرراً في المعيني لا في السبئي^(٦٨).

ونلاحظ ظهور التميميم على آخر هذا الاسم المجرور بمن وعلى آخر أسماء أخرى تالية في النص مما يدل على وجود الصرف -ومثله التميميم- ومنع الصرف. وقد ذكر غويدي استعمال التميميم للصرف وعدمه لمنع الصرف في

العربية الجنوبية حين قال:

«لا نعرف تصريف الأسماء لعدم الاشكال في النقوش، والراجح أنه كان يطابق العربي فكان بالضممة في الاسم المرفوع، وبالكسرة في المجرور، وبالفتحة في المنصوب، هذا في المتمكن أمكن فلا يقبل أداة التنكير أي - كما لا يقبل مثلها التنوين في العربي. ولعله كان يشابه العربي في التصريف أيضا. والمتمكن غير أمكن كثير في الأعلام التي على وزن (فَعَلَ) أو (يَفْعَل) نحو (سَمَّر) أو (يَسْلَم)، وفي الأسماء المركبة تركيب مزج نحو XΘϩΘΠ حضرموت واسم التفضيل وبعض الجموع المكسرة وغير هذه الأسماء. وهذا كله مطابق للعربي»^(٦٩).

٢٦- و و ن ي م ϩϩϩϩ

تُقرأ هذه الكلمة عند الأنصاريّ (ووني) بالألف عطفاً على (عزّ) مصدرين منونين عنده. وتُقرأ عند الإرياني (ووان) اسم فاعل. وكذلك قرأ بيستون الكلمتين على أنّ الأولى عزيز (قوي) والثانية تعني (ضعيف). وقد قال ابن منظور «والتّواني والوونا: ضَعْفُ البَدَن»^(٧٠) ولم يذكر بيستون كيف تُلفظ الكلمة ولكن كتبها بحروفها المقابلة للمسند (وونيم) فلعلّها مطابقة في اللفظ هذه الكتابة بلا زيادة عنده. ونرى أنّ هذه الكلمة تُقرأ (وونيّ) بالياء على صيغة الصفة المُشَبَّهة باسم الفاعل (فعيل) لأنّها من فعل لازم، مع وجود التمييز في آخرها. لعلّ من المهم أن نعلق على وجود الياء في آخرها والمعتاد ألا تكتب الياء المدية، فالسبب هو تشديدها كما يبدو فأظهرها الكاتب. وذكر غويدي أنّها تُكتب أحيانا^(٧١) فلعل ذلك في مواضع الياء المشدّدة. وقد ظهرت في الكلمة التالية أيضا. ومما يؤيد صحة قراءتها بالياء وليس بالألف أنّ الألف كانت ستُختصر في القراءة إلى فتحة مع الميم فلا حاجة إلى تمثيلها بالياء. وقد درج هذا الكاتب على حذف ما لا يُلفظ من الحروف في الكتابة الا نادراً.

٢٧- وش ر ي م 𐤔𐤓𐤕𐤌

قرأها الإرياني (وشار) أي مُشترٍ (شاري). وقرأها الأنصاري (وشرّ). وقرأها
بيستون (وشار) وكلا الباحثين الإرياني وبيستون أشار إلى فكرة مبتاع في (شاري)
على الرغم من أنّها من الأضداد.

وهنا نقول لقد جاء في المعجم السبئي أن S2ry أي مادة (ش ر ي) يأتي
معناها (حقر، أهان، أذل، أخزى)^(٧٢) فالمتوقع ألا يكون معناها متصلاً بالشراء
والبيع ويكون المعنى أنّ (عجل بن هفعم) يُعيد القبر أو (من فيه) ممن يحقره! إذ
لا معنى للبيع والشراء في هذا الموقف وهو بعيد جداً في لحظة التأثر والخوف.

وقد ظهرت هنا الياء في الكتابة مرة أخرى على الرغم من كونها حرف مدّ.
والمعتاد أن تظهر الياء غير المدية في الكتابات المسندية ليس الياء المدية فتتوقع
على هذا أن تكون ياءً مشدّدة.

٢٨- وم ر ت ه ن م 𐤔𐤓𐤕𐤌

قرأها الأنصاريّ بمعنى (وزوجاتهم). وقرأها الإريانيّ وبيستون (ومرتهن) من
الرهن. ومثل الأخيرين نقرأها. وقد خطأ الإريانيّ الأنصاريّ. كما أنه قال
«والكلمتان أي (شاري ومرتهن) من الوضوح اللغوي بحيث لا يلتبس معناهما
لأيّ قارئ»^(٧٣). فإذا كنا قد رفضنا معنى الشراء في الكلمة الأولى والأقرب أنّها
من التحقير كما جاء في المعجم السبئي، أو إهانة القبر، فماذا يكون معنى
(مرتهن) في هذا السياق؟ قد تكون بداية جملة جديدة ومرتهن تعني (مرتبط)
وسيظهر كامل المعنى في السياق كما سيأتي في الفقرات الآتية. كما يمكن أن
يكون (مرتهن) اسم فاعل بمعنى (أسر) فيكون المعنى أنّه يُعيد القبر من مُهين
وأسر. جاء في المعجم السبئي لبيستون في مادة (رهن) أنّ المعاني التي وردت بها في

النقوش تعني: (يعطي تعهدا) و(ضمانات الولاء) و(أسير)^(٧٤) كالآتي: RHN Ry 506/7,8, C 541/52 give pledges, guarantees of loyalty, hostage

فيكون المعنى أنّ عَجلاً يُعيذ القبر من مُرتَهِن أي آسِر يأخذه رهينة. وقد يُراد بالكلمة الربط بالعالم السفلي بعد الموت الذي كانت الحضارات القديمة تؤمن بوجوده، واستعمال الموتى وقبورهم من السحرة وأمثالهم لاستمطار اللعنات بربط هؤلاء الموتى هناك فلا يبعثون. فليس المقصود بها المرتهن والرهن المراد من أعمال البيع والشراء وما إليهما، فلا معنى له في هذا المقام، إذ كيف نفهم ارتهاغهم من بائع وشار وهم موتى؟! إنّما المقصود ما ذكرناه من ارتهان السحرة وربطهم للناس بمصائر معينة في العالم السفلي بعد الموت فلا يبعثون إلى حياة أخرى يُحضّرون لها بإرفاق تعويذات كالتى كتبها عجل بن هفعم على قبر أخيه، وقد ترافقهم التمام والأثاث الجنائزي كما وُجد في المدافن من العصر السبئي في الجزء الجنوبي من جزيرة العرب^(٧٥)، وهو ما تعتقد به تلك الحضارات القديمة. لقد كانت تؤمن بالبعث بعد الموت وفي بعض تلك المناطق حُتِط الموتى متخذين وضع الجنين القرفصاء في قربة جلديّة ورأس المُحْتِط ظاهر منها دلالةً على أنّه سيُبعث بعد موته إلى حياة جديدة في بعض المناطق الجنوبية. فكلمة (مُرتَهِن) قد يُراد بها من يمنع انطلاق الميّت إلى حياته الجديدة بعد الموت، وبقاؤه أسير مثل هؤلاء الأشرار. وقد يراد بها القبر نفسه.

٢٩- أ ب د م 𐩧𐩣𐩪𐩥

بمعنى (أبدا) عند قرّاء النص جميعهم، إلّا يوسف محمد عبد الله إذ قرأها: (أبد ما) ليصبح النص لديه (أبد ما بنى واكس). فعنده الميم جزء من الكلمة (ما) التي لم تُكتب ألفها لأنّ الألف لا تُكتب. وليست الميم في نهاية (أبدم) على سبيل التمييز الموازي للتونين في العربية عندما يُقال أبداً أي: إلى الأبد.

٣٠- ب ن 𐤁𐤍

قرأ الأنصاري ويستون هذه الكلمة على انها (بن) بمعنى (من). قال أحمد حسين شرف الدين إن «من، بن: يأتيان بمعنى (من)»^(٧٦) وقرأها يوسف محمد عبد الله (بنى) فالنص عنده (أبد ما بنى واكس) كما مرّ. وقرأها الإرياني (لن) وذكر احتمال أن تكون (بن)، وقال إن كلا منهما تستعمل معنى (من). ثم قال «لا ندري سببا لعدم العطف هنا»^(٧٧). والصحيح عندنا أن تُقرأ (بن). فيكون معنى القراءة: (ومرتهن أبدا من).

٣١- و ك س م 𐤆𐤀𐤎𐤍

قرأها يستون والإرياني (واكسم) على وزن (فاعل + م) بإرفاق الواو السابقة لمقدمة هذه الكلمة ومعناها لديهما (منتقص) وقرأها الأنصاري (بن وكس) ومعناها عنده (من خسارة). والوكس في العربية الفصحى القدمى له معان، فقد جاء في لسان العرب عن أبي عمرو «الوكس منزل القمر الذي يُكسف فيه.... ويقال وُكس فلان في تجارته وأوكس أيضا على ما لم يسم فاعله فيهما أي خسر»^(٧٨). وقد يكون النقصان هو المفهوم من معنى الوكس الذي ظهر في لسان العرب لوضع القمر المسمى بالمحاق اذ يتناقص حتى يصل هذه المرحلة، وهو أوّل معنى ذكره ابن منظور للمفردة، وقد يكون معنى النقص هو المقصود بالنص أي أن عجلا أعاد القبر من الوكس أي أن يُعبث به أو يخرّب فينتقص. وهو ما يفسر انعدام العطف الذي تساءل عن سببه الإرياني إذ قرأها (من واكس) معطوفة على (شاري) و(مرتهن).

٤٠- ع د ك ي 𐤁𐤌𐤎

تُقرأ (عدكي) وقد تُقرأ عدّى بشدّ الدال والألف بعدها لأنها بمعنى (حتى بكل معانيها)^(٧٩) وتُذَكِّرُ بعنّى الاستعمال اللهجي الهذلي في قراءة (عنى حين) لابن مسعود^(٨٠). ولا ننسى أن اللحيانيين الذين هاجروا من اليمن انضموا للهذليين، فلعلهم جلبوا تلك اللفظة معهم مُحوّرة منها لتقارب التاء والدال الصوتي. وأما كلمة (كي) فتعني (أن) كما جاء في المُعجم السبئي^(٨١). فيكون معناها (حتى أن). وقد ذكر الإرياني^(٨٢) وييستون معناها (إلى أن)، وقرأها الأنصاري (وإلا) فلتمطر، كما ظهر في نقل النصوص عنهم في مُقدّمة البحث. وقرأها يوسف محمد عبد الله (عدّة) ما تُمطر السماء ديمًا.

٤١- ت م ط ر 𐤌𐤎𐤏𐤐

تُقرأ كما هي (تُمطر). ويبدو أنّها مُعربة، وإذا شابه إعرابها إعراب العربية فهي منصوبة بحرف النصب قبلها مثل حتّى التي تُقدر بعدها أن ناصبة. وسبب توقعنا الإعراب هو دخولها على الساكن بعدها فالحرف التالي شمسي مشدد هو السّين لأنّ الكلمة مُعرّفة قياسًا على الاسم الذي عُطفت عليه تاليًا وهو مُعرّف بلام التعريف. وقد أظهرتها الكتابة المسندية بوضوح.

٤٢- أ س م ي 𐤁𐤌𐤎

قرأها الباحثون (تمطر السماء) بالتعريف بأل، ورأوا أنّ الحرف الأوّل منها هو الهمزة 𐤁 فتكون الكتابة صوتية للكلمة على أنّها لفظت كمفردة منفصلة، فهُمز أوّلها لأنّها يفترض أن تكون همزة وصل في درج الكلام. ولم تُكتب اللام كما نكتب في يومنا وقدِيمًا بالحرف العربي، لأنّ السين حرف شمسي يكرر عند التعريف. على أنّ قلة تكرار المشدّد في الكتابات العربية الجنوبية قد تسند

القراءة بهمزة ثم سين، ويسندها تشابه قواعد الإملاء العربية إلى اليوم إذ تُكتب الألف حيث لا تلفظ في (السماء)، ويسندها أن الكاتب إذا لم يكتب الهمزة ستقرأ الكلمة غير معرّفة. ونجد عند غويدي قراءة الكلمة في نصّ آخر حيث ظهرت بدون تعريف قال: «samay ʾšḥ في السبئي السماء»^(٨٣) ما نلاحظه هو قراءتها بالياء في آخرها عند غويدي كما أنها لا تبدأ بهمزة مع أنه عرّفها عند ترجمتها.

٤٣ - د م ٤٥

قرأها بيستون، وتابعه يوسف محمد عبد الله: (دِيم). واحدها ديمة، وهي دوام المطر مع سكون. قال الأزهري «قال الليث دَامَ الشيءُ يَدُومُ دَوْمًا، والدَّيْمَةُ مَطَرٌ يَدُومُ يَوْمًا وَيَلِيْلَةٌ أَوْ أَكْثَرُ..... وَجَمَعَ الدَّيْمَةُ دِيمًا»^(٨٤). وقرأها الإرياني (دم).

ونقرأها (دما) كما قرأها عبد الرحمن الأنصاري، فيكون المعنى أن الكاتب يصوّر بهذا الكلام وما بعده مشهدًا من مشاهد يوم القيامة. وهي من الأفكار المتداولة، ومثل هذا نجد في قوله تعالى عن هذا اليوم ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾^(٨٥) فهذه الصورة خاصة بالنهاية. والملاحظ انعدام التمييز، فهي (دما) بالإطلاق والألف لا تُكتب في المسند.

٤٤ - و ل أ ر ض ١٥

قرأها الجميع (والأرض). وهي بإسقاط الألف قبل اللام في كتابة النص لأنها موصولة وهي من أهم الأدلة على ظهور التعريف بأل في المرحلة التي كُتب فيها النص. وتحوّل العربية الشماليّة إليه بعد أن كانت نصوص أخرى في جزيرة العرب -مكتوبة بالمسند أيضا- تُعرّف بالهاء كالنصّ الذي أوردناه سابقا في كلمة (هسرور) التي تعني (السرور).

إن سقوط الهمزة قبل اللام لأنها همزة وصل دالّ على أنّ الكاتب لم يكن يهتم بكتابة الحروف غير المنطوقة كما نفع، إنّما كان يهتم بكتابة ما ينطق، وهذا دليل على صحة قراءة السّماء بسينين في مقدمة الكلمة، لأنها تبدأ في درج الكلام بالسّين من الأحرف الشّمسيّة وعُرِفَتْ فشُدّدت وتكرّرت.

واستعمال المفردتين السّماء والأرض كان منتشرًا في النّصوص العربيّة القديمة، سواء منها العربيّة الجنوبيّة أو الفصحى. ولا أدلّ على ذلك من استعمالها في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ عطاء غير مجذوذ﴾^(٨٦). ويلاحظ هنا أنّ الأرض فاعل لفعل مقدر محذوف عمل في المفعول التّالي أيضًا. فكان من أساليب اللغة العربيّة حذف العوامل على ذلك الزمن المتقدّم أيضًا.

٤٥ - س ع ر ٥٣

قرأها بيستون شعير بمعنى تُنبت الأرض شعيرا. وقراءة الإريانيّ ويوسف محمد عبد الله (شعير) أيضا. وقراءة الأنصاريّ (سعير). وقرأناها (سعيرا) بألف الإطلاق في آخرها. وأشار الإرياني إلى اختفاء التنوين أو التميميم فيها، وأنّه مُخالف للقاعدة المسنديّة، ولم يعلل ذلك. والواضح لنا أنّ ذلك بسبب إطلاقها بالألف. والألف لا تكتب في المسند لأنها صوت مدّ أو حركة طويلة، ولكن تُكتب الهمزة وتدعى ألفا أو أليفاً - وهو الثور - لأنّ كلمة ألف تبدأ بصوت الهمزة. ومن المألوف تبادل السّين والشين في اللغات السامية قديما وحديثا كما حدث في هذه الكلمة. قال برجشتراسر: «فالسّين العربيّة نشأت من حرفين: السّين الساميّة الأصليّة في بعض الكلمات والشين في بعضها»^(٨٧)

وبعد، فلن نختّم البحث بإيراد النتائج لأنّ الاستنتاجات أُوردت جميعها في

مواضعها من النصّ، ولكن نختتم الحديث عن هذا النصّ بأنّه من النصوص ذات الأهمية، ويجب أن يكون من النصوص التي تُدرس في موضوعات فقه اللغة التي تتناول تاريخ العربية الفصحى. وهو مغفل، حيث يُؤكّد باستمرار أولويّة نقش النّمارة، والنقوش التي كُتبت بعده، كنقش زيد وهوران، في حين أن هذا النصّ هو الأقدم بين أيدينا من نصوص العربية المكتوبة، ولا بد أن يتقدمها. كما أنّ هذا النصّ بتفاصيله التي بيّناها يمثل مرحلة تزاوجت فيها العريتان الشمالية والجنوبية، فظهر فيه التعريف بأل، وظهر فيه التمييز، قبل أن تموت العربية الجنوبيّة وتحلّ الفصحى بدلاً منها في جنوب جزيرة العرب.

الهوامش والتعليقات:

- (١) المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية- النشأة والتطور، ندوة. الجوف. اسم البحث: قرية الفاو مدينة المعابد. عبد الرحمن الانصاري و سالم بن طيران. مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية المملكة العربية السعودية ٢٠٠٥ ص ٩٧
- (2) Qaryat alFau A Pre- Islamic Civilization in Saudi Arabia. A.R. Al Ansary University of Riyadh 1982 p16
- والسابق نفسه
- (3) Namira and Faw. A. F. L. Beeston Bulletin of School of Oriental and African Studies, University of London. Vol.42, No.1 (1979), pp. 1-6 Published by Cambridge Univerity Press.p2
A first century BC Arabic inscription. <http://www.islamicawareness.org/History/Islam/Inscriptions/faw.html>
- (4) Qaryat alFau A Pre- Islamic Civilization in Saudi Arabia p146
- (٥) قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية ص ٦٣
- (6) Namira and Faw. A. F. L. Beeston Bulletin of School of Oriental and African Studies, University of London. Vol.42, No.1 (1979), pp. 1-6 Published by Cambridge Univerity Press.
- (٧) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم في قرية الفاو. مُطَهَّر علي الإرياني. مجلة دراسات يمنية العدد ١٣ مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء أيلول ١٩٨٢ ص ١٨٩
- (٨) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره بحوث ومقالات. يوسف محمد عبد الله. دار الفكر المعاصر ط ٢ بيروت ١٩٩٠ ص ٢٨٧-٢٨٨
- (٩) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٤
- (١٠) قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام ص ٦٣
- (11) Namira and Faw p2
- (١٢) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره بحوث ومقالات ٢٨٧-٢٨٨
- (١٣) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره بحوث ومقالات ٢٨٨
- (١٤) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية. اغناطيوس غويدي كلية الآداب الجامعة المصرية مطبعة يوحنا بردي مصر ١٩٣٠ ص ٣

- (١٥) فقه اللغات السامية كارل بروكلمان ترجمة رمضان عبد التواب جامعة الرياض ١٩٧٧ ص ٣٧
- (١٦) نفسه الفقرة ٦١ و ١٧٩
- (١٧) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ص ٩
- (١٨) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٤
- (١٩) قواعد النقوش العربية الجنوبية - كتابات المسند. الفرد بيستون. ترجمة رفعت هزيم. مؤسسة حمادة. الاردن ١٩٩٥ ص ٢٩
- (٢٠) ينظر في اللهجات العربية. ابراهيم انيس. مكتبة الانجلو ط ٤ القاهرة ١٩٧٣ ص ١٠٦
- (٢١) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٤
- (٢٢) أسماء أعلام جنوبية عربية قديمة - دراسة في مدلولاتها اللغوية والدينية. سالم بن طيران مجلة الدارة - دارة الملك عبد العزيز العدد الثاني ١٤٢٧ ص ١٧٣
- (٢٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام. جواد علي. دار الساقى ط ٤ ٢٠٠١ ج ٣ تنظر الصفحات ١٧٦-١٨٤
- (٢٤) لهجات اليمن قديما وحديثا. احمد حسن شرف الدين القاهرة مطبعة الجبلاوي ١٩٧٠ ص ١٥
- (٢٥) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية. ص ٧
- (٢٦) قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية ص ٥٠
- (٢٧) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٤ - ١٩٥
- (٢٨) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ١١
- (٢٩) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٥
- (٣٠) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ١٨
- (٣١) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٥
- (٣٢) لهجات اليمن قديما وحديثا ٢٣
- (٣٣) لسان العرب رب ب
- (٣٤) قواعد النقوش العربية الجنوبية ص ١٢
- (٣٥) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٥
- (٣٦) لسان العرب م ر أ
- (٣٧) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٥
- (٣٨) نفسه ١٩٦
- (٣٩) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٧

- (٤٠) السابق نفسه
(٤١) لسان العرب ذوا
(٤٢) نفسه ءال
(٤٣) تاريخ العرب قبل الإسلام. عبد الحميد حسين حمودة الدار الثقافية للنشر القاهرة ٢٠٠٦
ص ٥٨
(٤٤) لسان العرب غ. ي. ل
(٤٥) سر صناعة الإعراب. أبو الفتح عثمان بن جني. دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠ ج
١ ص ٥٦
(٤٦) ينظر رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ٣٣٠ وما بعدها
(٤٧) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ص ١٠
(٤٨) لسان العرب ع و ذ
(٤٩) جاءت صيغة قريتم ذت كهلم في الاشارة الى هذه القرية في نصوص محرم بلقيس بمأرب
(٥٠) لسان العرب ك ه ل
(٥١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٣٢-٣٣
(٥٢) نفسه ج ١١ ص ٢٥٦
(٥٣) لسان العرب ك ه ل
(٥٤) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٨
(٥٥) نفسه

(56) Namira and Faw p3

- (٥٧) الحضارات السامية القديمة. سبتينو موسكاتي. ترجمة السيد يعقوب بكر دار الرقي بيروت
١٩٨٦ ص ١٩٤

(58) Namira and Faw p3

- (٥٩) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ١٤
(٦٠) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١١ ص ٢٣٥
(٦١) التطور النحوي للغة العربية. برجستراسير مكتبة الخانجي القاهرة ط ٢ ١٩٩٤ ص ٣٤
(٦٢) الكتاب لسبيويه عمرو بن عثمان بن قنبر. تحقيق عبد السلام هرون. مكتبة الخانجي
١٩٨٨ القاهرة ج ٤ ص ٤٣٥
(٦٣) سر صناعة الاعراب ج ١ ص ٦١

- (٦٤) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ١٩٩
(٦٥) نفسه
- (٦٦) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ١٣
(٦٧) قواعد النقوش العربية الجنوبية ٩٦
(٦٨) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ٣
(٦٩) نفسه ١٤
- (٧٠) لسان العرب و ن ي
(٧١) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ٣
(٧٢) المعجم السبئي بيستون، أ.ف.ل وآخرون، مكتبة لبنان، دار نشريات بيترز، بيروت ولوفان
الجديدة ١٩٨٢م. ص ١٣٥
(٧٣) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ٢٠١
(٧٤) المعجم السبئي ١١٦
(٧٥) اكتشافات أثرية من العصر السبئي المتأخر معطيات جديدة حول شعائر وطقوس الدفن
المتبعة في القرن الأول الميلادي في موقع الحصمة. خالد عبده محمد الحاج. ص ٣٨-٤٠
Pre-Islamic South Arabia and its Neighbors New Develop
ments of Research. BAR International Series 2740 Archaeopress
Oxford 2015
- (٧٦) لهجات اليمن قديما وحديثا ١٥
(٧٧) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ٢٠٢
(٧٨) لسان العرب و ك س
(٧٩) المعجم السبئي ١٢
(٨٠) اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية. تشيم رابين. ترجمة عبد الكريم مجاهد
المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ٢٠٠٢ ص ١٧٢-١٧٣.
(٨١) المعجم السبئي ٧٥
(٨٢) إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم ٢٠٢
(٨٣) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ١٥
(٨٤) تهذيب اللغة. محمد بن أحمد الأزهرى الهروي تحقيق محمد عوض مرعب. دار احياء التراث
بيروت ٢٠٠١ ج ١٤٧ ص ١٤٧ دوم

(٨٥) ابراهيم ٤٨

(٨٦) هود ١٠٨

(٨٧) التطور النحوي للغة العربية ٢٤

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- القرآن الكريم
- ابراهيم أنيس. في اللهجات العربية. مكتبة الأنجلو ط ٤ القاهرة ١٩٧٣
- أحمد حسن شرف الدين. لهجات اليمن قديماً وحديثاً. القاهرة مطبعة الجبلاوي ١٩٧٠
- برجشتراسير. التطور النحوي للغة العربية. مكتبة الخانجي القاهرة ط ٢ ١٩٩٤
- بيستون أ.ف.ل. قواعد النقوش العربية الجنوبية - كتابات المسند. ترجمة رفعت هزيم. مؤسسة حمادة. الأردن ١٩٩٥
- بيستون، أ.ف.ل وآخرون، المعجم السبئي، مكتبة لبنان، دار نشريات بيترز، بيروت ولوفان الجديدة ١٩٨٢م.
- تشيم رابين. اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية. ترجمة عبد الكريم مجاهد. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ٢٠٠٢
- ابن جني أبو الفتح عثمان. سرّ صناعة الإعراب. أبو الفتح عثمان بن جني. دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠
- جواد علي. المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار الساقى ط ٤ ٢٠٠١
- خالد عبده محمد الحاج. اكتشافات أثرية من العصر السبئي المتأخر معطيات جديدة حول شعائر وطقوس الدفن المتبعة في القرن الأول الميلادي في موقع الحصمة. مكتوب بالعربية منشور تحت اسم:
Pre-Islamic South Arabia and its Neighbors New Developments of Research. BAR International Series 2740 Archaeopress Oxford 2015
- سالم بن طيران. أسماء أعلام جنوبية عربية قديمة - دراسة في مدلولاتها اللغوية والدينية. مجلة الدارة - دارة الملك عبد العزيز العدد الثاني. الرياض ١٤٢٧
- سيويوه عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. تحقيق عبد السلام هرون. مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٨

- عبد الحميد حسين حمودة. تاريخ العرب قبل الإسلام. الدار الثقافية للنشر. القاهرة ٢٠٠٦
- عبد الرحمن الطيب الأنصاري. قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية. جامعة الرياض. الرياض ١٩٨٢
- عبد الرحمن الأنصاري و سالم بن طيران. المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الأثرية- النشأة والتطور، ندوة. الجوف. اسم البحث: قرية الفاو مدينة المعابد. مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية المملكة العربية السعودية ٢٠٠٥
- غانم قدوري الحمد. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية. نشر اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الجمهورية العراقية ١٩٨٢
- غويدي، أغناطيوس. المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية. كلية الآداب الجامعة المصرية. مطبعة يوحنا بردي. مصر ١٩٣٠
- كارل بروكلمان. فقه اللغات السامية. ترجمة رمضان عبد التواب. جامعة الرياض ١٩٧٧
- محمد بن أحمد الأزهرى الهروي. تهذيب اللغة. تحقيق محمد عوض مرعب. دار احياء التراث بيروت ٢٠٠١
- مُطَهَّر علي الإرياني. إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم في قرية الفاو. مجلة دراسات يمنية العدد ١٣ مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء أيلول ١٩٨٢
- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر بيروت ٢٠٠٣
- موسكاتي، سبتيانو. الحضارات السامية القديمة. ترجمة السيد يعقوب بكر دار الرقي بيروت ١٩٨٦
- يوسف محمد عبد الله. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات. دار الفكر المعاصر ط٢ بيروت ١٩٩٠

ثانيا: المراجع الإنجليزية:

- Al Ansary A.R. Qaryat alFau A Pre- Islamic Civilization in Saudi Arabia. University of Riyadh 1982
- Beeston A. F. L. Namira and Faw. Bulletin of School of Oriental and African Studies, University of London. Vol.42, No.1 (1979), pp.1-6 Published by Cambridge Univerity Press.